سلسلة مكتبة ابن القيم

(٥)

عدة الصابرين

وذخيرة الشاكرين

تأليف

العالم الربّاني شيخ الإسلام الثاني

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي

الشهير بـ «ابن قيم الجوزية»

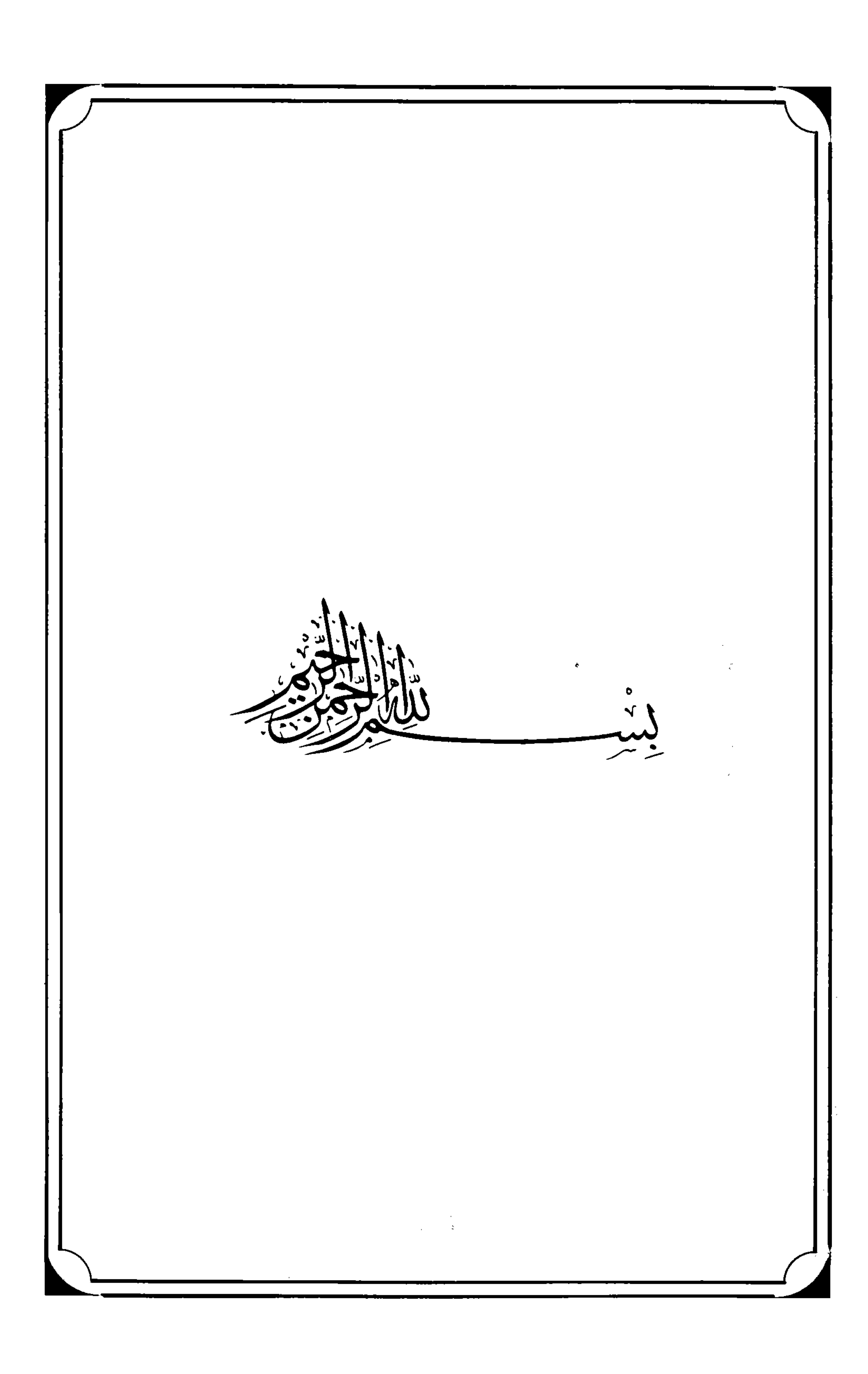
٦٩١ - ٧٥١هـ

رحمه الله وأسكنه الجنة بمنّه وكرمه

حقق نصوصه وضبطها، وخرّج أحاديثه وآثاره، وعلّق عليه

أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم


عدة الصابرين
وذخيرة الشاكرين

جميع الحقوق محفوظة لدار ابن الجوزي

محرم ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣
ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ - فاكس: ٨٤١٢١٠٠
الإحساء - الهفوف - شارع الجامعة - ت: ٥٨٢٣١٢٢
جدة: ت: ٦٥١٦٥٤٩
الرياض: ت: ٤٢٦٦٣٣٩

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

فهرس الفهارس

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن الإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر، وذلك أن جميع ما يلقى العبد لا يخلو من نوعين:

الأول: النعم التي أسبغها الله على عبده ظاهراً وباطناً، فهو محتاج إلى ذكرها وشكرها والتحدث بنعمة الله عليه فيها، فلا يركن إليها، ولا ينهمك فيها، ويراعي الحقوق؛ فيعطي كل ذي حق حقه، فهذا مقام الشكر.

الثاني: المصائب التي تحيق بالعبد؛ فتأخذ الأحبة، وتهلك الأموال، وتضعف البدن، وتهزم الملذات والشهوات التي زينت للناس؛ فهو محتاج إلى تلقيها بالرضى؛ فلا يجزع، ولا يسخط، ولا يشتكي، وينتظر الفرج والعِوَض من الله، وهذا مقام الصبر.

ولما كان الأمر كذلك «كان حقيقياً على من نصح نفسه، وأحب نجاتها، وآثر سعادتها: أن لا يهمل هذين الأصلين العظيمين، ولا يعدل عن هذين الطريقين القاصدين، وأن يجعل سيره إلى الله بين هذين الطريقين؛ ليجعله الله يوم لقائه مع خير الفريقين»[1].

---

(١) انظر: مقدمة المصنف رحمه الله (ص ٢٩).

وحتى تتضح الحجة وتستقيم المحجة لطالبي عليين؛ فلا بد من بيان هذين المقامين العِلِّيَّيْن، والمقصَدَيْن الأَسْمَيَيْن؛ فوقفت على كتاب «**عدة**[1] **الصابرين وذخيرة الشاكرين**» لشيخ الإسلام الثاني والإمام الرباني ابن قيم الجوزية، فوجدته قد جمع مفردات هاتين المسألتين جمعاً وافياً لم يسبق لمثله، ولم يلحقه من بعده، وألفيتها موسوعة تربوية شاملة في مقامات الدين ودرجات اليقين، وتيقنت من صدق مؤلفها في وصفها حيث قال:

«فجاء كتاباً جامعاً حاوياً نافعاً، فيه من الفوائد ما هو حقيق أن يُعض عليه بالنواجذ، وتثنى عليه الخناصر؛ ممتعاً لقارئه، صريحاً للناظر فيه، ومسلياً للحزين، ومنهضاً للمقصرين، ومحرضاً للمشمرين. مشتملاً على نكات حسان من تفسير القرآن، وعلى أحاديث نبوية معزوة إلى مظانها، وآثار سلفية منسوبة إلى قائلها، ومسائل فقهية حسان مقررة بالدليل، ودقائق سلوكية على سواء السبيل، ولا تخفى معرفة ذلك على من فكر وأحضر ذهنه، فإن فيه:

ذكر أقسام الصبر ووجوه الشكر وأنواعه.

وفصل النزاع في التفضيل بين الغني الشاكر والفقير الصابر.

وذكر حقيقة الدنيا وما مثّلها به اللهُ ورسوله والسلف الصالح، والكلام على سير هذه الأمثال ومطابقتها لحقيقة الحال.

وذكر ما يذم من الدنيا ويحمد، وما يقرب منها إلى الله ويبعد، وكيف يشقى بها من يشقى، ويسعد بها من يسعد.

---

(١) قال الشيخ عبد الله بن بكر أبو زيد في «ابن قيم الجوزية: حياته وآثاره» (ص ١٧٤): «والمستفيض في ضبط «عدة» هو كسرها مع فتح الدال مخففة من الوعد يقال: وعده يعده عدة في الخير. وهو هنا بمعنى: ما وعد الله عباده الصابرين من الأجر الجزيل والثواب العظيم. وهذا يتناسب تماماً مع الفصل الثاني للعنوان «ذخيرة الشاكرين».

ويصح أن يقال: «عُدَّة» بضم العين وفتح الدال المشددة؛ لأنه يقال لغة: أعدَّ الشيء بمعنى هيأه، وجعله عدّة الدهر، فيكون هنا بمعنى: العدد والأسباب التي بموجبها يتسلح الصابرون، والله أعلم».

وغير ذلك من الفوائد التي لا تكاد تظفر بها في كتاب سواه، وذلك محض منَّة من الله على عبده وعطية من بعض عطاياه؛ فهو كتاب يصلح للملوك، والأمراء، والأغنياء، والفقراء، والصوفية، والفقهاء؛ ينهض بالقاعد إلى السير، ويؤنس السائر في الطريق، وينبه السالك على المقصود»[1].

وقد رأيت ذلك عياناً، وليس الخبر كالمعاينة، فإذا هذا الإمام والجهبذ الهمام يخطو بمن خلصت نيته وصفت سريرته وطويته إلى الأمام؛ ليكون من أهل التثبيت والإقدام لا التثبيط والإحجام. قد كان في ذلك الفارس المجلى، ونصيبه من السبق القدح المعلى، فكان لا بد أن يشاركنا إخواننا من أهل الإيمان هذا الذوق الشرعي المحلى؛ فاستخرت الله في إخراجها من مرقدها لترى النور، ويزداد بها أهل الصبر والشكر حبوراً وسروراً، فتعود بين مسلمي عصرنا محاضن التربية الإيمانية الربانية للسير على إثر السلف فننجح كما نجحوا، ونفوز ونفلح كما فازوا وأفلحوا؛ فإنه لن يصلح هذه الأمة إلا بما صلح عليه أولها، وقد نجا سلفنا الصالح بالزهد واليقين.

والله يقول الحق، ويهدي إلى سواء السبيل.



* مطبوعات الكتاب وتقويمها:

طبع الكتاب طبعات متعددة، منها:

طبع سنة ١٣٤١هـ بمطبعة الإمام في مصر.

وطبع سنة ١٣٤٩هـ بالمطبعة السلفية في مصر.

ثم توالت الطبعات في مصر ولبنان.

وهذه الطبعات طافحة بالأخطاء الطباعية والتحريفات، وقصور مبكٍ في تخريج الأحاديث والآثار وبيان صحتها من ضعفها.

---

(١) مقدمة المصنف (ص ٢٩ ـ ٣٠).

وقد وقع في كثير من هذه الطبعات نقص في أصل الكتاب وتداخل عبارات في أكثر المواطن، وتوجيهاً لكلام المؤلف يخرجه عن مقصوده ومراده يؤدي إلى فهم عاطل ورأي باطل.

ولذلك كان لزاماً تحقيق نصوص هذا الكتاب وضبطها، وتخريج أحاديثه وآثاره وبيان درجاتها صحةً وضعفاً، خدمة للعلم ووفاء لأهله.

* عملي في التحقيق:

وقد أجريت قلمي في الكتاب:

١ ـ نسخاً ومقابلة على نسختين خطيتين:

الأولى: موجودة في دار الكتب المصرية رقم (٢١٥٩) أخلاق دينية، وتقع في (١٥٣) ورقة، كل صفحة فيها (٢٥) سطر تقريباً، وكل سطر (١٠) كلمات، وهي مكتوبة بخط النسخ الواضح.

جاء في آخرها: علقه أفقر الورى وأسير ذنوبه وأحوج عباد الله إلى مغفرته ورحمته ولطفه ورضاه وعفوه: عبدالرحمن بن عبدالعزيز آل عويد ضحوة السبت في شهر الله ذي القعدة سنة ١٣١٣ من هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

ورمزت لها بـ «م».

الثانية: نسخة عراقية موجودة على ميكروفيلم أتى بها أحد إخواننا من طلاب العلم في بغداد.

ورمزت لها بـ «ظ».

وقد فعلت ذلك ـ أي: المقابلة ـ مراراً، لأتجنب السقط، أو التصحيف، أو الوهم والتحريف. وأثبت الفروق بين النسختين في الحاشية.

٢ ـ ضبطاً لنصوصها؛ ليسهل على القارىء فهمها، وهذا يشتمل على:

أ ـ إعجام الكلمات بالحروف والحركات.

ب ـ شرح الغريب.

ت - تقسيم الكتاب إلى فقرات حسب ما يقتضيه المعنى مراعياً علامات الترقيم.

٣ - عزوت الآيات إلى مظانها في كتاب الله بذكر رقمها وسورتها، ووضعت ذلك بجوارها، وحرصت على أن تكون بالرسم العثماني.

٤ - خرّجت الأحاديث الواردة في الكتاب، وبينت درجاتها حسب ما تقتضيه قواعد الصناعة الحديثية، مستأنساً بأقوال أهل العلم ممن رسخوا في هذا الفن قديماً وحديثاً ، وما كان منها في «الصحيحين» أو أحدهما اكتفيت بالعزو إليه؛ لأن ذلك مشعر بالصحة مالم ينص على خلاف ذلك بعض أهل العلم وهي حروف يسيرة.

٥ - خرجت الآثار والأشعار الواردة في الكتاب قدر الوسع والطاقة.

٦ - ترجمت للأعلام الوارد ذكرهم في الكتاب.

٧ - علقت على بعض المواطن التي تشكل على القارىء، ويستعجم عليه فهمها، أو فيها استدراك على المصنف رحمه الله.

٨ - ترجمت للمصنف ترجمة وسيطة مبيناً مكانته العلمية، وقيمة كتبه ورسائله، وأثره في العلوم الشرعية.

٩ - صنعت فهارس علمية تحليلية حتى يتناول طالب العلم فوائده بيسر، ويلتقط حاجته بسهولة وهي:

أ - فهرس الآيات القرآنية مرتبة حسب السور.

ب - فهرس أطراف الأحاديث النبوية مرتبة حسب حروف المعجم.

ت - فهرس الآثار مرتبة على قائليها.

ث - فهرس الرواة والأعلام المترجم لهم.

ج - فهرس الأماكن والبلاد والبقاع.

ح - فهرس الأشعار.

خ - فهرس الفرق والطوائف والجماعات والقبائل.

د - فهرس الفوائد العلمية.

د - فهرس المصادر والمراجع.

ر ـ فهرس الموضوعات.

ز ـ فهرس الفهارس.

وأرجو الله أن يتقبل جهد المقل بقبول حسن، ويجعله نصرة لدينه وحماية لسنة نبيه ﷺ، ورعاية لشؤون الأمة الإسلامية المرحومة، ويدّخر لي ثوابه إلى يوم لقائه، إنه بكل جميل كفيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

قاله بفمه ورقمه بقلمه
حامداً لربه مصلياً ومسلماً على رسوله ﷺ
أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي السَّلفي
ضحوة الإثنين لست ليال بقيت
من رجب الفرد سنة ١٤١٨هـ
في عمان البلقاء عاصمة جند الأردن
من بلاد الشام المحروسة



بداية النسخة (م)

نهاية النسخة (م)

ترجمة المصنف رحمه الله

* نسبه ونسبته:

هو: الفقيه، الإمام، المفتي، العالم الرباني شيخ الإسلام الثاني أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد[1] الزُّرعي[2] ثم الدمشقي[3]، الشهير بـ «ابن قيم الجوزية»[4] لا غيره، خلافاً للكوثري[5] الذي

---

(١) اتفقت مصادر ترجمته على جرِّ نسبه إلى أبيه «سعد» ثم اختلفت.

(٢) ولادةً؛ نسبة إلى زرع، ويقال لها اليوم: **أزرع**، وهي: قرية من أعمال حوران، ويراها المسافر من عمان إلى دمشق عن يمينه بين درعا والشيخ مسكين. **وحوران**: كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع، وقصبتها بصرى (معجم البلدان ٣/ ٣٠٧).

(٣) انتقالاً، وإقامةً، ووفاةً.

(٤) إذ كان أبوه رحمه الله قَيِّماً[أ] على المدرسة الجوزية؛ فقيل له: «قَيِّم الجوزية»، واشتهرت ذريته من بعده؛ فكان يقال للواحد منهم: «ابن قيم الجوزية».
والجوزية: من أعظم مدارس الحنابلة بدمشق الشام نسبةً إلى واقفها يوسف بن عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله، ولا يزال موقعُها معروفاً في «حي البزورية» المسمى قديماً: «سوق القمح»، وقد اختلس جيرانُها معظمُها، وبقي منها بقية. ثم صارت محكمةً سنة ١٣٢٧هـ، ثم أقفلت مدةً إلى أن فتحتها جمعيّةُ الإسعاف الخيري مدرسةً لتعليم الأطفال، وقد احترقت سنة ١٩٥٣م أثناء الثورةِ السُّوريةِ على الفرنسيين، ثم أُعيد بناؤها. [أفاده ابن بدران في «منادمة الأطلال» (ص٢٢٧)، ومحمد مسلم الغنيمي في «ابن قيم الجوزية» (ص١٠٠)].

(٥) هو محمد زاهد الكوثري، شركسي الأصل، حنفي المذهب، جهمي المعتقد، مريسي العصر، ولد بقرية «دوزجة» شرقي «الأستانة» سنة (١٢٩٦هـ)، ثم انتقل إلى مصر، =

(أ) مشرفاً على إدارتها، وناظراً.

نبزه بـ «ابن زفيل»[1].

* **ولادته:**

ولد رحمه الله في السابع من شهر صفر الخير سنة (٦٩١هـ).

* **أسرته ونشأته وطلبه للعلم:**

نشأ ابنُ قيّم الجوزية في جوٍّ علميٍّ في كنف والده الشيخ الصّالح قَيِّم الجوزية، وأخذ عنه الفرائِضَ. وذكرت كتبُ التراجم بعض أفرادِ أسرتِه كابن أخيه أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن زين الدين عبد الرحمن الذي اقتنى أكثر مكتبة عمّه، وأبنائه عبد الله وإبراهيم، وكلهم معروف بالعلم وطلبِه.

وعرف عن ابن قيم الجوزية الرغبة الصادقة الجامحة في طلب العلم، والجلد والتفاني في البحث منذ نعومة أظفاره، فقد سَمع من الشّهاب العابر المتوفى سنة (٦٩٧هـ) فقال رحمه الله: «وسمعت عليه عدّة أجزاءٍ، ولم يتفق لي قراءة هذا العلم[2] عليه؛ لصغر السِّنِّ، واخترام المنية له رحمه الله»[3]، وبهذا يكون قد بدأ الطلب لسبع سنين مضت من عمره.

* **رحلاته:**

قدم ابن قيّم الجوزية رحمه الله القاهرةَ غير مرّةٍ، وناظر، وذاكر.

= واستقر فيها، وله تعليقات كثيرة على كتب الحديث والعقائد أفسد فيها وأساء وخالف أمانة العلم، وكان جل همّه واهتمامه الطعن في أهل الحديث والتنقص من أئمتهم وبخاصة شيخي الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية رحمهما الله رحمة واسعة.
ومن أشهر الردود عليه «التنكيل بما في تأنيب الكوثري من أباطيل» لذهبي العصر المعلمي اليماني، و«رد الكوثري على الكوثري» للغماري. توفي في مصر سنة (١٣٧١هـ).
ترجمته في: «مقالات الكوثري»، (مقدمته ص ٥ ـ ٧٧)، و«الأعلام» (٦/ ١٢٩).

(١) وقد بين زيفَ هذا اللقب الشيخُ بكر بن عبد الله أبو زيد حفظه الله في كتابه الماتع «ابن قيم الجوزية: حياته وآثاره» (ص ١٨ ـ ٢٠).
(٢) هو علم تعبير الرؤى.
(٣) «زاد المعاد» (٣/ ٣٣).

وقد أشار إلى ذلك المقريزي؛ فقال: «وقدم القاهرة غير مرة»[1].

قال: «وذاكرت مرة بعض رؤساء الطب بمصر»[2].

وقال: «وقد جَرَت لي مناظرة بمصر مع أكبر من يشير إليه اليهود بالعلم والرياسة»[3].

وزار بيت المقدس، وأعطى فيها دروساً، قال: «ومثله لي قلته في القدس»[4].

وكان رحمه الله كثيرَ الحجِّ والمجاورة، كما ذكر في بعض كتبه[5].

وقال ابن رجب: «وحَجَّ مراتٍ كثيرة، وجاور بمكة، وكان أهلُ مكة يذكرون عنه من شدّةِ العبادةِ وكثرةِ الطواف أمراً يُتَعَجّبُ منه»[6].

*** مكتبته:**

كان ابن قيّم الجوزية رحمه الله مُغْرماً بجمع الكتب، وهذا دليلُ الرّغبةِ الصادقةِ للعلم بحثاً وتصنيفاً، وقراءةً وإقراءً، يظهر ذلك في غزارةِ المادة العلمية في مؤلفاته، والقدرة العجيبة على حشدِ الأدلة. وقد وصف تلامذه رحمهم الله مكتبته فأجادوا:

قال ابن رجب رحمه الله: «وكان شديد المحبة للعلم وكتابته ومطالعته وتصنيفه، واقتناء الكتب، واقتنى من الكتب ما لم يحصل لغيره»[7].

وقال ابن كثير رحمه الله: «واقتنى من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشره من كتب السلف والخلف»[8].

قلت: ومع هذا كله يقول بتواضع جَم: «بحسب بضاعتنا المزجاة من

---

(١) «السلوك» (٢/ ٨٣٤).

(٢) «إغاثة اللهفان» (١/ ١٧).

(٣) «هداية الحيارى» (ص ٨٧).

(٤) «بدائع الفوائد» (٣/ ٢٤٥).

(٥) «مدارج السالكين» (١/ ٥٧ ـ ٥٨).

(٦) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤٨).

(٧) المصدر نفسه (٢/ ٤٤٩).

(٨) «البداية والنهاية» (١٤/ ٢٣٥).

الكتب»[1]. ورحم الله شيخَه شيخَ الإسلام ابن تيمية القائل: «فمن نَوّر اللهُ قلبَه هداه ما يبلغه من ذلك، ومن أعماه لم تزده كثرةُ الكتب إلا حيرةً وضلالةً»[2].

* مشاهير شيوخه:

تلقى ابن قيم الجوزية رحمه الله العلمَ على كثيرٍ من المشايخ ومن أشهرهم:

١ ـ قيِّم الجوزية والده رحمه الله.

٢ ـ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله. لازمه، وتفقه به، وقرأ عليه كثيراً من الكتب، وبدأت ملازمته له سنة (٧١٢هـ) حتى توفي شيخ الإسلام سجيناً في قلعة دمشق (٧٢٨هـ).

٣ ـ المِزّي رحمه الله.

* تلاميذه:

١ ـ ابن رجب الحنبلي، صرح بأنه شيخه ثم قال: «ولازمت مجالسه قبل موته أزيد من سنة، وسمعت عليه قصيدته النونية الطويلة في السُّنة، وأشياء من تصانيفه وغيرها»[3].

٢ ـ ابن كثير رحمه الله، قال: «وكنت من أصحب الناس له وأحب الناس إليه»[4].

٣ ـ الذهبي رحمه الله، ترجم لابن قيم الجوزية في «المعجم المختص» بشيوخه[5].

٤ ـ ابن عبد الهادي رحمه الله؛ كما قال ابن رجب: «وكان الفضلاء يعظمونه ويتتلمذون له كابن عبد الهادي وغيره»[6].

---

(١) «إغاثة اللهفان» (١/٣٢٩).
(٢) «الوصية الصغرى» (ص ٦١ ـ بتحقيقي).
(٣) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/٤٤٧ ـ ٤٤٨ و ٤٥٠).
(٤) «البداية والنهاية» (١٤/٢٣٤ ـ ٢٣٥).
(٥) ترجمة رقم (٣٤٧).
(٦) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/٤٤٩).

٥ ـ الفيروزأبادي صاحب «القاموس المحيط»؛ كما قال الشوكاني: «ثم ارتحل إلى دمشق فدخلها سنة (٧٥٥هـ)[١]؛ فسمع من التقي السبكي وجماعة زيادة عن مائة كابن القيم»[٢].

*** علاقته بشيخه ابن تيمية ومنهجه:**

بدأت ملازمةُ ابن قيم الجوزية لشيخ الإسلام ابن تيمية عند قدومه إلى دمشق سنة (٧١٢هـ)، واستمرت إلى وفاة الشيخ سنة (٧٢٨هـ)، وبهذا تكون مدة مرافقة ابن قيم الجوزية لشيخه ستة عشرة عاماً بقي طيلتها قريباً منه يتلقى عنه علماً جماً، وقرأ عليه فنوناً كثيرة.

قال الصّفدي: «قرأ عليه قطعة من «المحرّر» لجدّه المجد، وقرأ عليه من «المحصول» ومن كتاب «الأحكام» للسّيف الآمدي، وقرأ عليه قطعة من «الأربعين» و«المحصل»، وقرأ عليه كثيراً من تصانيفه»[٣].

وبدأت هذه الملازمةُ بتوبة ابن قيم الجوزية على يدي شيخه ابن تيمية كما أشار إلى ذلك بقوله:

يا قوم والله العظيم نصيحة	من مشفق وأخ لكم معوان
جربت هذا كله ووقعت في	تلك الشباك وكنت ذا طيران
حتى أتاح لي الإله بفضله	من ليس تجزيه يدي ولساني
فتى أتى من أرض حرّان فيا	أهلاً بمن جاء من حرّان[٤]

وكان لهذه الملازمة أثرٌ بالغٌ في نفس ابن قيم الجوزية؛ فشارك شيخه في الذّبِّ عن المنهج السلفي، وحمل رايته من بعده، وتحرر من كل تبعية لغير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بفهم السلف الصالح.

قال الشوكاني: «وليس له على غير الدليل مُعوّل في الغالب، وقد يميل

---

(١) هكذا في الأصل، وهو خطأ ظاهر؛ فابن قيِّم الجوزية توفي سنة (٧٥١هـ)؛ فتنبه.
(٢) «البدر الطالع» (٢/ ٢٨٠).
(٣) «الوافي بالوفيات» (٢١/ ٢٧٠ ـ ٢٧١).
(٤) «الكافية الشافية» (ص ١٠٦ ـ ١٠٧).

نادراً إلى المذهب الذي نشأ عليه، ولكنه لا يتجاسرُ على الدّفع في وجوه الأدلة بالمحامل الباردةِ، كما يفعله غيره من المتمذهبين، بل لا بُد له من مستند في ذلك، وغالبُ أبحاثه الإنصافُ والميلُ مع الدليلِ حيث مال، وعدم التعويلِ على القيلِ والقال، وإذا استوعب الكلامَ في بحثٍ وطوَّل ذيولَه أتى بما لم يأت به غيره، وساق ما ينشرحُ له صدورُ الراغبين في أخذ مذاهبهم عن الدليل، وأظنها سرت إليه بركةُ ملازمتِه لشيخه ابن تيمية في السَّراءِ والضَّراءِ(١)، والقيام معه في محنه ومواساته بنفسه، وطول تردده إليه.

وبالجملة؛ فهو أحد من قام بنشر السُّنَّة، وجعلها بينه وبين الآراءِ المحدثة أعظَم جُنَّةٍ، فرحمه الله وجزاه عن المسلمين خيراً»(٢).

ومع هذا كله فلم يكن ابنُ قيم الجوزية رحمه الله نسخةً عن شيخه ابن تيمية رحمه الله بل كان متفنناً في علوم شتى ـ باتفاق المتقدمين والمتأخرين ـ تَدُلُّ على عُلُوِّ كعبِه، ورسوخِه في العلمِ.

وكيف يكون ابن قيم الجوزية مردداً لصدى صوت شيخه ابن تيمية رحمه الله وهو ينكر التقليد ويحاربه بكل ما أُتي من حول وقوة؟!

* ثناء العلماء عليه:

قال ابن كثير رحمه الله: «سمع الحديثَ، واشتغلَ بالعلمِ، وبَرَعَ في علوم متعددة، ولا سيما علم التفسير والحديث والأصلين، ولما عاد الشيخُ تقي الدين بن تيمية من الدّيارِ المصرية في سنة ثنتي عشرة وسبعمائة لازمه إلى أن مات الشيخ، فأخذ عنه علماً جَماً، مع ما سلف له من الاشتغال؛ فصار فريداً في بابه في فنون كثيرةٍ، مع كثرةِ الطَّلبِ ليلاً ونهاراً، وكثرة الابتهال، وكان حَسَن القراءةِ والخُلُقِ، وكثير التَّودُّدِ؛ لا يحسدُ أحداً ولا يؤذيه، ولا يستغيبه ولا يحقدُ على أحدٍ، وكنت من أصحب الناس له، وأَحَبِّ الناس إليه، ولا أعرفُ في هذا العالَم

---

(١) هي بركة العلم الموروث عن نبينا محمد ﷺ، وفهمه بمنهج سلف الأمة الذي تربى عليه على عين شيخه شيخ الإسلام رحمهما الله.

(٢) «البدر الطالع» (٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥).

في زماننا أكثرَ عبادة منه، وكانت له طريقةٌ في الصلاة يطيلها جداً، ويمدُّ ركوعَه وسجوده، ويلومه كثيرٌ من أصحابه في بعض الأحيان، فلا يرجع ولا ينزع عن ذلك رحمه الله. وله من التصانيف الكبار والصغار شيءٌ كثيرٌ، وكتب بخطه الحسنِ شيئاً كثيراً، واقتنى من الكتبِ ما لا يتهيأُ لغيره تحصيل عشره من كتب السَّلفِ والخلفِ.

وبالجملة كان قليلَ النظيرِ في مجموعِه وأمورِه وأحوالِه، والغالبُ عليه الخيرُ والأخلاقُ الصالحة، سامحه الله ورحمه»[١].

وقال ابن رجب رحمه الله: «وتفقه في المذهبِ، وبَرَع وأفتى، ولازم الشيخ تقي الدِّين وأخذ عنه، وتفنن في علومِ الإسلامِ، وكان عارفاً بالتفسير لا يُجارى فيه، وبأُصول الدِّين، وإليه فيهما المنتهى، والحديث ومعانيه وفقهه، ودقائق الاستنباط منه، لا يُلحق في ذلك ، وبالفقه وأصوله، وبالعربية، وله فيه اليد الطولى، وتعلم الكلام والنّحو وغير ذلك ، وكان عالماً بعلم السلوك، وكلام أهل التّصوف وإشارتهم ودقائقهم، له في كلِ فن من هذه الفنون اليد الطولى.

وكان رحمه اللهُ ذا عبادة وتَهَجُّد، وطول صلاة إلى الغاية القُصوى، وتأله ولهج بالذّكر ، وشغفِ بالمحبّةِ، والإنابةِ والاستغفارِ، والافتقارِ إلى الله والانكسار له، والإطراح بين يديه على عتبة عبوديته، ولم أشاهد مثله في ذلك، ولا رأيت أوسع منه علماً، ولا أعرفَ بمعاني القرآن والسنة وحقائق الإيمان منه، وليس هو المعصوم، ولكن لم أر في معناه مثله»[٢].

وقال ابن ناصر الدين الدمشقي رحمه الله: «وكان ذا فنون في العلوم، وخاصة التفسير والأصول في المنطوق والمفهوم»[٣].

وقال السيوطي رحمه الله: «قد صنف وناظر واجتهد، وصار من الأئمة

---

(١) « البداية والنهاية» (١٤/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥).
(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٢/ ٤٤٨).
(٣) «الرد الوافر» (ص ٣٥ ـ ٣٦).

الكبار في التفسير، والحديث، والفروع، والأصلين، والعربية»[1].

*** مؤلفاته:**

ضرب ابنُ قيم الجوزية بحظٍ وافرٍ في علوم شتى، يظهر هذا الأمرُ جلياً لمن استقصى كتبه التي كانت للمتقين إماماً، وأفاد منها الموافقُ والمخالف.

قال ابن حجر رحمه الله: «ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقبِ إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافقُ والمخالفُ لكان غاية في الدلالة على عِظَمِ منزلته»[2].

وإليك أشهرها مرتبة على حروف المعجم:

١ ـ «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية».
٢ ـ «أحكام أهل الذمة».
٣ ـ «إعلام المُوَقِّعين عن ربّ العالمين».
٤ ـ «إغاثة اللّهفان من مصائد الشيطان».
٥ ـ «بدائع الفوائد».
٦ ـ «تحفة المودود في أحكام المولود».
٧ ـ «تهذيب مختصر سنن أبي داود».
٨ ـ «جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على محمد خير الأنام».
٩ ـ «الجواب الكافي» = الداء والدواء.
١٠ ـ «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح».
١١ ـ «حكم تارك الصلاة».
١٢ ـ «الرسالة التبوكية»، وقد حققتها بحمد الله وفضله على نسخة خطية فريدة، وأخرجت نصها كاملاً غير منقوص.

---

(١) «بغية الوعاة» (١/ ٦٣).
(٢) «الرد الوافر» (ص ٤٦).

١٣ ـ «روضة المحبين ونزهة المشتاقين».

١٤ ـ «الروح».

١٥ ـ «زاد المعاد في هدي خير العباد».

١٦ ـ «شفاء العليل في مسائل القضاء والحكمة والتعليل».

١٧ ـ «الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة».

١٨ ـ «طريق الهجرتين وباب السعادتين».

١٩ ـ «الطرق الحكمية في السياسة الشرعية».

٢٠ ـ «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، وهو الذي بين يديك.

٢١ ـ «الفروسية».

٢٢ ـ «الفوائد».

٢٣ ـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» وهي «القصيدة النونية».

٢٤ ـ «الكلام على مسألة السماع».

٢٥ ـ «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين».

٢٦ ـ «مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة».

٢٧ ـ «المنار المنيف في الصحيح والضعيف».

٢٨ ـ «هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى».

٢٩ ـ «الوابل الصيب في الكلم الطيب».

*** محنة وثبات:**

حُبِس مع شيخِه ابن تيمية في المرة الأخيرة في القلعة منفرداً عنه بعد أن أُهين وطيف به على جمل مضروباً بالدرة سنة ٧٢٦هـ، ولم يفرج عنه إلا بعد موت شيخه سنة ٧٢٨هـ [١]. وحبس مرة لإنكار شدّ الرحال إلى قبر الخليل.

قال ابن رجب رحمه الله: «وقد امتحن وأوذي مرات»[٢].

---

(١) انظر: الدرر الكامنة (٢١/٤).

(٢) «ذيل طبقات الحنابلة» (٤٤٨/٢).

* **وفاته:**

توفي رحمه الله ليلة الخميس ثالث وعشرين من رجب الفرد سنة إحدى وخمسين وسبع مائة، ودفن بدمشق بمقبرة الباب الصغير رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى، وجمعنا وإياه في عليين مع النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

* **مصادر ترجمته:**

١ ـ «أبجد العلوم»، صديق حسن خان، (٣/ ١٣٨)

٢ ـ «البداية والنهاية»، ابن كثير، (١٤/ ٢٣٤)

٣ ـ «البدر الطالع»، الشوكاني، (٢/ ١٤٣).

٤ ـ «بغية الوعاة»، السيوطي، (١/ ٦٢).

٥ ـ «التاج المكلل»، صديق حسن خان (ص ٤١٦).

٦ ـ «الدرر الكامنة»، ابن حجر، (٤/ ٢١ ـ ٢٣).

٧ ـ «ذيل طبقات الحنابلة»، ابن رجب، (٢/ ٤٤٧).

٨ ـ «ذيل العبر في خبر من عبر»، (٥/ ٢٨٢).

٩ ـ «الرد الوافر» ابن ناصر الدين الدمشقي، (ص ٦٨).

١٠ ـ «شذرات الذهب»، ابن العماد، (٦/ ١٦٨).

١١ ـ «طبقات المفسرين»، للداوودي، (٢/ ٧٦).

وقد صُنِّفَتْ كتب مفردة في ترجمته وأحواله وعلومه ومصنفاته، مثل:

١ ـ «ابن قيم الجوزية»، محمد مسلم الغنيمي.

٢ ـ «ابن قيم الجوزية: حياته وآثاره»، بكر عبد الله أبو زيد.

٣ ـ «ابن قيم الجوزية وموقفه من التفكير الإسلامي»، عوض الله حجازي.

٤ ـ «ابن قيم وآثاره العلمية»، أحمد ماهر البقري.

٥ ـ «ابن القيم اللغوي»، أحمد ماهر البقري.

٦ ـ «ابن قيم الجوزية: عصره ومنهجه»، عبد العظيم عبد السلام.



مقدمة المصنف

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين

الحمدُ لله الصَّبورُ الشَّكورُ، العليُّ الكبيرُ، السميعُ البصيرُ، العليمُ القديرُ الذي شملت قدرتُه كلَّ مقدور[1]، وجَرت مشيئتُه في خلقه بتصاريفِ الأمور، وأَسمعت دعوتُه لليومِ الموعود أصحابَ القبورِ، قَدَّرَ مقاديرَ الخلائقِ وآجالَهم، وكتب آثارَهم وأعمالَهم، وَقسَّم بينهم معايِشَهم وأموالَهم، وخَلَق[2] الموتَ والحياةَ؛ لِيَبلُوَهم أيُّهم أحسنُ عملاً وهو العزيزُ الغفورُ، القاهرُ القادرُ فكلُّ عسيرٍ عليه يَسيرٌ، وهو المولى النَّصيرُ فَنِعمَ المولى ونِعمَ النَّصيرُ، يُسبِّحُ له ما في السّماوات وما في الأَرضِ، له المُلكُ وله الحَمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، هو الذي خلَقَكُم فمِنكم كافرٌ ومنكم مُؤمنٌ، والله بما تعملون بَصيرٌ، خلق السّماوات والأرضَ بالحقِّ، وصوَّرَكُم فأحسن صُوَرَكُم، وإليه المصيرُ، يعلم ما تُسِرّون وما تعلنون، والله عليمٌ بذاتِ الصُّدورِ.

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، إله جلَّ عن الشَّبيه والنظير، وتعالى عن الشَّريكِ والظَّهيرِ، وتقدَّسَ عن تعطيل الملحدين، كما تنزّه عن شَبَهِ المخلوقين، فليس كمثلِه شيءٌ وهو السَّميعُ البَصيرُ.

وأَشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، وخيرتُه من بريَّته، وصفوتُه من خَليقته،

---

(١) في «م»: «مخلوق».

(٢) في «م»: «قَدَّر»، والمثبت هو الصواب، لموافقته التنزيل: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

وأمينُه على وَحْيِه، وسفيرُه بينه وبين عباده، أعرفُ الخَلقِ به، وأقومُهم بخشيته، وأنصحُهم لأمّته، وأصبَرُهم لِحُكمِه، وأَشكرهم لِنِعَمِه، وأقربُهم إليه وسيلَةً، وأعلاهُم عنده منزلةً، وأعظمُهم عنده جاهاً، وأوسعُهم عنده شفاعةً، بعثهُ إلى الجَنَّةِ داعياً، وللإيمانِ مُنادياً، وفي مرضاته ساعياً، وبالمعروف آمراً، وعن المنكر ناهياً، فَبَلَّغ رسالاتِ ربِّه، وصدَعَ بأمره، وتحمَّل في مرضاته ما لم يتحمَّله بشرٌ سواه، وقام لله بالصَّبرِ والشُّكر حَقَّ القيام حتى بَلَغ رضاه؛ فَثَبَت في مَقامِ الصَّبرِ حتى لم يلحقْه أحدٌ من الصّابرين، وَتَرقى في دَرَجةِ الشُّكر حتى علا فوقَ جَميعِ الشاكرين، فَحَمدَه[1] اللهُ وملائكتُه ورسلُه وجميع المؤمنين، ولذلك خُصَّ بلواءِ الحَمدِ دون جميعِ العالمين؛ فآدمُ تحتَ لوائِه وكذلك من دونه من الأنبياءِ والمرسلين، وجعلَ الحمْدَ فاتحَة كتابِه الذي أنزلَه عليه فيما بَلَغنا وفي التَّوراة والإنجيلَ، وَجَعَلَهُ آخرَ دعوى أهلِ ثوابِه الذي هداهم على يديه، وسمّى أمَّته الحَمّادين[2] قبل أن يُخرجَهم إلى الوجودِ، لحمدِهم له على السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ والشِّدَّةِ والرّخاءِ، وجعلَهم أَسبق الأمم إلى دارِ الثَّوابِ والجزاءِ، فأقربُ الخلقِ إلى لوائه أكثرُهم حمداً لله وذكراً، كما أن أعلاهم منزلةً أكثرُهم[3] صبراً وشُكراً، فصلّى اللهُ وملائكتُه وأنبياؤه ورسلُه وجميعُ المؤمنين عليه كما وَحَّدَ الله، وَعَرَّفَ به، ودعا إليه، وَسلَّم تَسليماً كثيراً.

أما بعد: فإنَّ اللهَ سبحانه جعلَ الصبرَ جواداً لا يكبو، وصارِماً لا ينبو، وجُنْداً غالباً لا يُهزم، وحِصناً حصيناً لا يُهدم ولا يُثْلَم، فهو والنَّصرُ أَخَوان شقيقان.

رضيعَيْ لِبانِ ثَدْيَ أمٍّ تقاسَما ... بأسحَمَ داجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ[4]

(١) في «ظ»: «فحمد».
(٢) في «ظ»: «الحامدين».
(٣) في «م»: «أعظمهم».
(٤) غير موجود في «م». والبيت من الطويل للأعشى كما في ديوانه (ص١٥٠) من قصيدة مدح بها المحلق في قصة طويلة. [وانظر «خزانة الأدب» (١٣٨/٧)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (١٠٧/٤ و١٠٨)].

فالنصرُ مع الصَّبرِ، والفَرَجُ مع الكَرب، والعُسْرُ مع اليُسرِ، وهو أَنصرُ لصاحبِه من الرجالِ بلا عُدَّةٍ و لا عَدَد، وَمحِلُّه مِن الظَّفرِ كمَحِلِّ الرأسِ من الجَسَدِ.

ولقد ضَمِن الوفِيُّ الصادقُ لأهلِه في محكم الكتابِ أنَّهُ يُوفيهم أجرَهم بغير حساب، وأخبَرهم أنّهُ معهم بهدايتهِ ونصرِه العزيزِ وفتحِه المبين؛ فقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]؛ فظَفِر الصّابرون بهذه المعِيَّةِ بخيرِ الدنيا والآخرة، وفازوا بها بنعمه الباطنةِ والظاهرةِ.

وجعل سبحانه الإمامَة في الدين منوطةً بالصَبْر واليَقينِ؛ فقال تعالى ـ وبقوله اهتدى المهتدون ـ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وأخْبَر أنّ الصبرَ خيرٌ لأهلِه مؤكداً باليمين؛ فقال تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦].

وأخبر أن مع الصَّبرِ والتّقوى لا يضرُّ كيدُ العدوِّ ولو كان ذا تَسليط؛ فقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وأخبر عن نبيِّه يوسُف الصِّدِّيق أن صَبْرهَ وتقواه وصَّلاه إلى مَحِلِّ العزِّ والتَّمكين؛ فقال: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِر فإِنَّ الله لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

وعلَّقَ الفلاحَ بالصَّبرِ والتقوى، فعَقَل عنه ذلك المؤمنون؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وأخبر عن محبَّتِه لأهلِه وفي ذلك أعظمُ ترغيبٍ للراغبين؛ فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

ولقد بَشَّر الصابرين بثلاثٍ، كلٌّ منها خيرٌ مما عليه أهلُ الدنيا يتحاسدون؛ فقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ

رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٧].

وأَوصى عبادَه بالاستعانةِ بالصبرِ والصلاة على نوائِبِ الدنيا والدِّينِ؛ فقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥].

وجعلَ الفوزَ بالجنَّةِ والنَّجاةَ من النار لا يَحظى به إلا الصابرون؛ فقال تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المؤمنون: ١١١].

وأخبر أنَّ الرَّغبَةَ في ثوابه والإعراضَ عن الدنيا وزينتها لا ينالُها إلا أولو الصبر المؤمنون؛ فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

وأخبر تعالى أن دَفْعَ السَّيئةِ بالتي هيَ أَحسن تجعلُ المسيء كأنَّه وليٌّ حميمٌ فقال: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤].

وإن هذه الخصلة مَا[1] يلقاها إلا الذين صَبَروا، وما يلقاها إلا ذو حظٍّ عظيمٍ.

وأخبر سبحانه خَبَراً مُؤَكداً بالقَسَم: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٢ ـ ٣].

وَقَسَّم خلقَه قسمين: أصحابَ ميمنة وأصحابَ مشأمة، وخصَّ أصحابَ الميمنة أهلَ التّواصي بالصَّبرِ والمرحمةِ، وخصَّ بالانتفاع بآياتِه أهلَ الصَّبرِ وأهلَ الشُّكرِ تمييزاً لهم بهذا الحظِّ الموفورِ؛ فقال في أربع آيات من كتابه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [لقمان: ٣١][2].

---

(١) في «ظ»: «لا»، والمثبت موافق للتنزيل: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٥].

(٢) وتمام الأربع: [إبراهيم: ٥]، [سبأ: ١٩]، [الشورى: ٣٣].

وعلَّقَ المغفرةَ والأجرَ بالعملِ الصالحِ والصَبْرِ وذلك على من يسّرَه عليه يسير فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [هود: ١١].

وأخبر أن الصّبرَ والمغفرةَ من العَزائم التي تجارةُ أربابها لا تبورُ؛ فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣].

وأمرَ رسولَه بالصبْر لِحُكمِه، وأخبرَ أن صبرَه إنما هو بِهِ[1]، وبذلك جميع المصائب تهون؛ فقال: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٧، ١٢٨].

والصبرُ آخِيَةُ[2] المؤمن التي يجولُ ثم يرجعُ إليها، وساقُ إيمانه الذي لا اعتمادَ له إلا عليها؛ فلا إيمانَ لمن لا صبرَ له، وإن كان فإيمانٌ قليلٌ في غاية الضَّعفِ، وصاحبُه ممن يَعبُدُ الله على حَرفٍ؛ فإن أصابَه خيرٌ اطمأنَّ به، وإن أصابته فتنةٌ انقلبَ على وَجهِهِ خَسِر الدنيا والآخرَةَ، ولم يحْظَ منهما إلا بالصفقة الخاسرة.

فخير عيشٍ أدركه السعداءُ بصبرِهم، وترقوا إلى أعلى المنازلِ بشكرهم، فساروا بين جناحي الصَبْرِ والشُّكرِ إلى جناتِ النَّعيمِ، وذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ، والله ذو الفضلِ العظيمِ.



(١) في «م»: «الربه».

(٢) العروة التي تشد إليها الدابة.

سبب تأليف الكتاب وأهميته

ولما كان الإيمانُ نصفين: نصفَ صبرٍ ونصفَ شُكرٍ، كان حقيقاً على من نَصَح نفسَه، وأحبَّ نجاتَها، وآثرَ سعادتَها: أن لا يهملَ هذين الأصلين العظيمين، ولا يعدِلَ عن هذين الطريقين القاصدين؛ ليجعله الله يومَ لقائه مع خير الفريقين.

فكذلك وُضع هذا الكتابُ للتَعريفِ بشدَّةِ الحاجَةِ والضَّروَرة إليهما، وبيانِ توقُّفِ سعادةِ الدنيا والآخرةِ عليهما؛ فجاء كتاباً جامِعاً حاوياً نافعاً؛ فيه من الفوائدِ ما هو حقيقٌ على أن يعض عليه بالنَّواجِذِ، وتُثنى عليه الخناصِرُ ممتعاً لقارِئه، صريحاً للناظرِ فيه، مُسَلِّياً للحزين، مُنَهِّضاً للمقصِّرين، مُحْرِضًا للمشمِّرين.

مشتملاً على نكاتٍ[1] حسان مِن تَفْسيرِ القرآن، وعلى أحاديثَ نبويةٍ معزوةٌ إلى مظانها، وآثارٍ سلفيةٍ منسوبةٍ إلى قائِلها، ومسائلَ فقهيةٍ حسانٍ مقررةٍ بالدّليل، ودقائق سلوكيةٍ على سواءِ السَّبيل، لا تخفى معرفةُ ذلك على من فَكَّرَ وأحضَر ذِهْنَهُ.

فإنَّ فيه ذِكْرَ أقسامِ الصبرِ ووجوَه الشّكرِ وأنواعَه، وفصلَ النِّزاعِ في التفضيلِ بين الغَنيِّ الشّاكِرِ والفقيرِ الصّابرِ، وذكْرَ حقيقةِ الدنيا وما مثَّلَها الله ورسولُه والسلفُ الصالحُ به، والكلامَ على سَيرِ هذه الأمثالِ ومطابقتِها لحقيقةِ الحالِ، وذكر ما يُذَمُّ من الدنيا ويُحمَدُ، وما يُقرِّبُ منها إلى الله وَيُبْعِدُ، وكيف يشقى بها من يشقى، وَيَسَعدُ بها من يَسعَد، وغير ذلك من الفوائِدِ التي لا تكادُ تظفرُ بها في كتاب سواه.

---

(١) جمع نُكتة، وهي: مسألة لطيفة أخرجت بدقة وإنعام فكرٍ، وسميت نكتة؛ لتأثير الخواطر في استنباطها.

وذلك مَحْضُ مِنَّةٍ من اللّه على عبدِه وعطيةٍ من بعضِ عطاياه؛ فهو كتابٌ يصلُحُ للملوكِ والأمراءِ، والأغنياءِ والفقراءِ، والصوفيةِ والفقهاءِ، ينهَضُ بالقاعِدِ إلى المَسيرِ، ويُؤنِسُ السائِرَ في الطريقِ، وينبِّه السالِكَ على المقصودِ.

ومع هذا فهو جهْدُ المُقِلِّ وقُدرَةُ المفلِسِ، حذَّرَ فيه من الدّاءِ وإن كان مِن أهله، ووصَفَ فيه الدّواءَ وإن لم يَصبِرْ على تناولِه لظُلمِه وجَهْلِه، وهو يرجو أكرمَ الأكرمين وأرحَمَ الراحمين أن يغفرَ له غَيَّه لِنفسِه بِنصيحَتِه لعبادِه المومنين.

فما كان في الكتابِ من صواب فمن الله وحَده؛ فهو المحمودُ والمستعان، وما كان فيه من خَطإٍ فمن مُصنِّفِه ومن الشّيطان، والله بريءٌ منه ورسولُه.

وهذه بضاعَةُ مؤلِفِهِ المزجاةِ[1] تساقُ إليك، وسلعتُه تعرضُ عليك، فلقارئِه غُنْمُه، وعلى مؤلفِه غُرْمُه، وبناتُ أفكاره تُزَفُّ إليك، فإن وَجَدَت حُرًّا كريماً كان بها أسعد، وإلا فَهي خَوْدٌ[2] تُزَفُّ إلى عنّين[3] مُقعد[4].

وقد جعلته ستّةً وعشرين باباً وخاتمة.

الباب الأول: في معنى الصّبرِ لغةً، واشتقاق هذه اللفظة وتصريفها.

الباب الثاني: في حقيقةِ الصّبرِ وكلامِ النّاسِ فيه.

الباب الثالث: في بيانِ أسماءِ الصّبرِ بالإضافَةِ إلى متعلَّقِهِ.

الباب الرابع: في الفرقِ بين الصّبرِ والتَّصَبُّر والاصطبار والمصابَرةِ.

الباب الخامس: في أقسامِ الصّبرِ باعتبارِ مَحِلِّه.

الباب السادس: في أقسامِه بحسب اختلافِ قوتِه وضعفِه ومقاومته لجيشِ الهوى وعجزِه عنه.

الباب السابع: في بيانِ أقسامِه باعتبارِ متعلَّقه.

---

(١) قليلة.

(٢) الفتاة الحسنة الخَلْق الشابة الناعمة.

(٣) العاجز جنسيًا.

(٤) في «م»: «مُقَلَّد»، وهو خطأ ظاهر كما لا يخفى.

الباب الثامن: في انقسامِه باعتبارِ تعلقِ الأحكامِ الخمسَةِ به.

الباب التاسع: في بيانِ تفاوتِ درجاتِ الصَّبرِ.

الباب العاشر: في انقسامِ الصّبر إلى محمودٍ ومذمومٍ.

الباب الحادي عشر: في الفرق بين صبرِ الكِرام وصبرِ اللئام.

الباب الثاني عشر: في الأسباب التي تعيُن على الصَّبرِ.

الباب الثالث عشر: في بيانِ أن الإنسانَ لا يستغني عن الصَّبرِ في حالٍ من الأحوالِ.

الباب الرابع عشر: في بيانِ أشقِ الصَّبرِ على النُّفوسِ.

الباب الخامس عشر: في ذكرِ ما وردَ في الصّبرِ من نصوصِ الكتابِ العزيزِ.

الباب السادس عشر: في ذكرِ ما وردَ في الصَّبر من نُصوص السُّنَّةِ.

الباب السابع عشر: في ذكرِ الآثارِ الواردةِ عن الصَّحابَة في فضيلَة الصَّبرِ.

الباب الثامن عشر: في ذِكر أمورٍ تتعلَّقُ بالمصيبَةِ من البُكاءِ، والنَّدبِ، وشقِّ الثّيابِ، ودعوى الجاهلية، ونحوها.

الباب التاسع عشر: في أن الصَّبَر نصفُ الإيمانِ، وأن الإيمانَ نصفان: نصفُ صبْرٍ، ونصفُ شُكْرٍ.

الباب العشرون: في بيانِ تنازُعِ الناس في الأفضلِ من الصّبرِ والشّكْرِ.

الباب الحادي والعشرون: في الحُكْمِ بين الفريقين، والفَصْلِ بين الطائفتين.

الباب الثاني والعشرون: في اختلافِ الناس في الغَنيِّ الشاكِرِ والفقيرِ الصّابِرِ أيُّهما أفضل؟ وما هو الصوابُ في ذلك؟

الباب الثالث والعشرون: في ذكر ما احتجت به الفُقَراءُ مِن الكتابِ، والسُّنَّةِ، والآثارِ، والاعتبارِ.

الباب الرابع والعشرون: في ذكرِ ما احتجت به الأغنياءُ من الكتابِ، والسُّنَّةِ، والآثارِ، والاعتبار.

الباب الخامس والعشرون: في بيان الأمورِ المُضادةِ للصَّبْرِ، والمنافِيَةِ لَهُ، والقادحَةِ فيه.

الباب السادس والعشرون: في بيان دخولِ الصَّبر في صفاتِ الرَّبِّ جلَّ جلالُه، وتسميتِه بِالصَّبورِ الشكورِ[1].

سميته: «**عِدَةُ الصَّابِرينَ وَذخيرَةُ الشَّاكِرين**»، واللهُ المسؤولُ أن يجعلَه خالِصاً مُدِنياً من رضاه، وأن ينفعَ به مؤلّفِهَ وكاتِبَه وقارِئَه إنه سميعُ الدّعاءِ وأهلُ الرّجاءِ وهو حسُبنا ونِعمَ الوكيل.



(١) وقد وقع خلاف في عناوين الأبواب بين النسخ، ولذلك فقد أَثْبَتُ الأوضح، وقد يكون مركبًا من النسختين.

الباب الأول

في معنى الصّبرِ لغةً، واشتقاق هذه اللفظة وتصريفِها

أصلُ هذه الكلمةِ هو: المَنْعُ والحَبْسُ فالصبرُ: حَبْسُ النَّفسِ عن الجَزَعِ، واللِّسانِ عن التَّشَكّي، والجوارحِ عن لَطمِ الخُدودِ، وشَقِّ الثِّيابِ، ونحوهما.

ويقال: صَبَرَ يَصبِرُ صَبْراً، وصَبَرَ نفسَه؛ قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال عنترة[1]:

فَصَبَرَت عارِفَةً لِذلك حُرّة ... تَرسو إذا نَفْسُ الجَبانِ تَطَلَّعُ

يقول: حَبَسْت نَفْساً عارِفةً، وهي نَفْسُ حُرٍّ يأنفُ لا نَفْس عبدٍ لا أَنَفَةَ له.

وقولُه: ترسو؛ أي: تثبُت وتسكُن إذا خفت نفسُ الجَبانِ واضطربت.

ويقال: صَبَرْتُ فلاناً إذا حَبَستهُ، وصَبَّرتهُ ـ بالتشديد ـ إذا حَمَلْتَه على الصّبر.

وفي حديثِ الذي أمسكَ رَجُلاً وَقَتَلَه آخر: «يُقْتَلُ القاتلُ، وَيُصْبَرُ الصابِرُ»[2]؛ أي: يُحبس للموتِ كما حَبَس من أمْسكه للَموت، وَصَبَرتُ الرَّجلَ

---

(١) يذكر حربًا كان فيها. وعنترة: هو ابن شداد العبسي، أشهر فرسان الجاهلية شيمة، وأرقهم شعراً، وهو أحد أصحاب المعلقات. [ترجمته في: «الأغاني» (٨/ ٦٣٧)، و«الشعر والشعراء» (ص٧٥)، و«جمهرة أشعار العرب» (ص ٩٣)].

(٢) **صحيح** ـ أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٧٨٩٢)، ومن طريقه الدارقطني (٣/ ١٤٠) عن معمر وابن جريج عن إسماعيل بن أمية يرفع الحديث. وأخرجه الدارقطني (٣/ ١٣٩) عن إسماعيل بن أمية عن سعيد بن المسيب. وأخرجه البيهقي (٨/ ٥٠) من=

إذا [قَتَلَه صبراً؛ أي:][1] أمسكته للقتلِ، وصبرته أيضاً وأصبرته إذا حبسته[2] للحلف.

ومنه الحديث الصحيح: «من حَلَفَ على يمينِ صَبْرٍ[3]؛ لِيَقْتَطِع بها مالَ امرئٍ مُسلِمٍ لقي اللهَ وهو عَنْه مُعْرِضٌ»[4].

ومنه الحديثُ الذي في القسامة: «ولا تُصْبِرْ يَمينَه حيث تُصْبَر الأَيمانُ»[5].

والمصبورةُ: اليمينُ المحلوفُ عليها.

= طريق أبي عبيد ثنا سلم بن جنادة ثنا وكيع عن سفيان عن إسماعيل قال: قضى رسول الله ﷺ . . وذكر نحوه. ثم قال: وكذلك رواه معمر عن إسماعيل بن أمية يرفعه، وأسنده من طريق ابن المبارك.
قلت: هذه الطرق مدارها على إسماعيل بن أمية، وقد أرسل الحديث، وقد رجح البيهقي (٨/ ٥٠) المرسل فقال: «هذا غير محفوظ».
وأخرجه الدارقطني (٣/ ١٤٠)، والبيهقي (٨/ ٥٠) من طريق عبدة بن عبد الله الصفار ثنا أبو داود الحفري حدثنا سفيان الثوري عن إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ: «إذا أمسك الرجل الرجل وقتله الآخر يقتل الذي قتل، ويحبس الذي أمسك». قلت: رجاله ثقات، وصححه ابن القطان، وابن حجر، وابن التركماني.
وقد رجح البيهقي المرسل؛ ولا تعارض بين الموصول والمرسل؛ فالحكم للموصول ولا يعد هذا اضطرابًا.

(١) زيادة من «م».

(٢) في «م»: «حبسه».

(٣) هي التي يحبس الحالف عليها نفسه، وتسمى: اليمين الغموس.

(٤) أخرجه البخاري (٦٦٧٦)، ومسلم (١٣٨) (٢٢٠) بلفظ: «وهو عليه غضبان»، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. ورواية: «وهو عنه معرض» عند مسلم (١٣٩) من حديث وائل بن حجر رضي الله عنه بلفظ: «أما لئن حَلَفَ على مالِه ليأكلَه ظُلْمًا لَيَلْقَيَنَّ الله وهو عنه معرضٌ».

(٥) جزء من حديث ابن عباس رضي الله عنه طويل في القسامة في الجاهلية: أخرجه البخاري (٣٨٤٥) وفيه؛ فقالت: «يا أبا طالب أحبّ أن تجيز ابني هذا برجل من الخمسين، ولا تَصْبِرْ يمينه حيث تُصْبَرُ الأيمانُ». والمراد: تهبه ما يلزمه من اليمين، ولا تلزمه أن يحلف بأعظم الأيمان حتى لا يسعه أن لا يحلف، وذلك حيث تصبر الأيمان بين الركن والمقام.

وفي الحديث: «نهى عن المصبورة»[1]؛ وهي: الشاة، والدجاجة، ونحوهما تصبر للموت؛ فتربط؛ فترمى حتى تموت.

وفِعْلُ هذا البَابِ: صَبَرْتُ أَصبِر بالفتح في الماضي والكسرِ في المستقبل، وأما صَبرت أصبُر بالضم في المستقبلِ؛ فهو بمعنى: الكفالة، والصَّبيرُ: الكفيل كأنّه حَبَس نفسَه للغُرم، ومنه قولهم: أصبرني؛ أي: اجعلني كفيلاً

وقيل: أصل الكلمة من الشِّدَةِ والقوَّةِ، ومنه الصبر للدواءِ المعروفِ؛ لشدَّةِ مرارتِه وكراهِتِه.

قال الأصمعي: إذا لقي الرجلُ الشِّدَّةَ بكمالها، قيل: لشدَّتها لقيها بأصبارها.

ومنه الصُبر بضم الصاد للأرض ذات الخصب لشدَّتها وصلابتها.

ومنه سميت الحَرَّةُ أم صبّار.

ومنه قولهم: وقع القوم في أمر صبّور بتشديد الباء أي أمر شديدٍ.

ومنه صُبارّة الشتاء بتخفيف الباء وتشديد الراء لشدَّةِ بردِه.

وقيل: هو مأخوذ من الجمع والضمِّ؛ فالصابرُ يجمع نفسَه ويضمُّها عن الهَلعِ والجزع، ومنه صُبْرَة الطعام، وصبارة الحجارة.

والتحقيق: أن في الصّبرِ المعاني الثلاثة: المنعَ، والشِّدَّةَ، والضَّمَّ.

ويقال: صَبَر إذا أتى بالصّبر، وَتصَبَّرَ إذا تَكلَّفه واستدعاه، واصطَبَر إذا اكتَسَبَهُ وتَعَلَّمَهُ، وصَابَر إذا وقف خصمه في مقام الصبر، وصَبَّرَ نفسه وغيره بالتشديد إذا حملها على الصبر.

واسم الفاعل: صابر، وصَبَّار، وصَبُور، ومُصابِر، ومصطَبِر؛ فمُصابِر من صَابَر، ومصطَبِر من اصطَبَر، وصَابر من صَبَر، وأما صبّار وصَبُورِ فمن أوزانِ المبالغةِ من الثُّلاثي كضَرّاب وضَروب، والله أعلم.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه البخاري (٥٥١٣)، ومسلم (١٩٥٦) من حديث أنس رضي الله عنه: «نهى النبي ﷺ أن تُصْبَرَ البهَائِمُ».

الباب الثاني

في حقيقة الصبر وكلام الناس فيه

قد تقدمَ بيانُ معناه لغةً[1].

وأما حقيقةً فهو: خُلُقٌ فاضِلٌ من أَخلاقِ النَّفسِ يمتنعُ به مِن فِعْلِ ما لا يَحسُن ولا يَجْمُل، وهو قوَّةٌ من قُوى النَّفْسِ التي بها صلاحُ شأنها، وقوامُ أمرِها.

وسئل عنه الجُنَيدُ بن محمد[2]؛ فقال: «تَجَرُّعُ المرارةِ من غير تَعبُّس[3]»[4].

وقال ذو النون[5]: «هو: التباعدُ عن المخالفات، والسكونُ عند تجرع غصصِ البليةِ، وإظهارُ الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة»[6].

---

(١) في الباب الأول (ص ٣٣).

(٢) هو أبو القاسم النهاوندي البغدادي القواريري الخزاز، شيخ الطائفة الصوفية، ولد سنة (٢٢٠هـ)، وتفقه على مذهب أبي ثور، وله كلام كثير في التصوف، توفي سنة (٢٩٨ هـ)، ودفن في بغداد عند خاله السري السقطي. [ترجمته في: «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٥٥)، و«الرسالة القيشرية» «ص٤٣٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٦٦)، و«شذرات الذهب» (٢/ ٢٢٨)، و«تاريخ بغداد» (٧/ ٢٤١)].

(٣) هكذا في الأصول، وفي «الرسالة القيشرية»: تعبيس.

(٤) «الرسالة القيشرية» (ص١٨٣).

(٥) هو أبو الفيض ثوبان بن إبراهيم النوبي المصري من رؤوس المتصوفة، ولد في أواخر أيام المنصور. [ترجمته في «السير» (١١/ ٥٣٢)، و«الرسالة القشيرية» (ص٤٣٣)].

(٦) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٤).

وقيل: «الصّبرُ: هو الوقوفُ مع البلاءِ بحسنِ الأَدب»[1].

وقيل: «هو: الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى»[2].

وقال أبو عثمان[3]: «الصبَّار: هو الذي عَوّد نفسَه الهجومَ على المكاره»[4].

وقيل: «الصبر: المقامُ على البلاء بحُسْنِ الصحبة كالمقام مع العافية»[5].

ومعنى هذا: أن لله على العبدِ عبوديتَه في عافيتِه وفي بلائِه؛ فعليه أن يحسِنَ صحبَةَ العافيةِ بالشُّكرِ، وصحبَةَ البلاءِ بالصَّبْرِ.

وقال عمرو بن عثمان المكي[6]: «الصبرُ: هو الثباتُ مع اللهِ، وتلقي بلاءَه بالرَّحبِ والدِّعَةِ»[7].

ومعنى هذا: أنه يتلقى البلاءَ بصدرٍ واسعٍ لا يتعلق بالضِّيقِ والسَّخطِ والشّكوى.

وقال الخواص[8]: «الصبرُ: الثباتُ على أحكام الكتابِ والسُّنَّةِ»[9].

وقال رويم[10]: «الصبرُ: تركُ الشّكوى»[11]. فَسّره بلازمِه.

---

(١) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٤)، ونسبه لابن عطاء.

(٢) المصدر السابق (ص١٨٤).

(٣) هو سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري، ولد سنة (٢٣٠هـ) بالرّي، وتوفي سنة (٢٩٨هـ). [ترجمته في: «السير» (٤/ ٦٢)، و«الرسالة القشيرية» (٤٠٧)].

(٤) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٤).

(٥) المصدر نفسه (ص١٨٤).

(٦) هو أبو عبد الله الزاهد المكي شيخ الصوفية، توفي بعد الثلاث مئة. [ترجمته في: «السير» (١٤/ ٥٧)، و«حلية الأولياء» (١٠/ ٢٩١)، و«الرسالة القشيرية» (ص٤٣٤)].

(٧) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٤).

(٨) هو سليمان الخواص من كبار عباد الشام. [ترجمته في: «السير» (٨/ ١٧١)، «الحلية» (٨/ ٢٧٦)].

(٩) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٤).

(١٠) هو أبو الحسن رُوَيم بن أحمد الصوفي من فقهاء أهل الظاهر؛ تفقه بداود، توفي ببغداد سنة (٣٠٣هـ). [ترجمته في: «السير» (١٤/ ٢٣٤)، و«الرسالة القشيرية»، (ص٣٩٠)، و«طبقات الصوفية» (١٨٠)].

(١١) «الرسالة القشيرية»، (ص١٨٤)، و«شعب الإيمان» (١٠٠٧٨).

وقال غيرُه: «الصبر: هو الإستعانةُ بالله»[(١)].

وقال أبو علي[(٢)]: «الصبر كاسمه»[(٣)].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الصبرُ مطيةٌ لا تكبو»[(٤)].

وقال أبو محمد الجريري[(٥)]: «الصبرُ أن لا يفرق بين [حال][(٦)] النعمة والمحنة مع سكون الخاطر فيهما»[(٧)].

قلت: وهذا غيرُ مقدورٍ ولا مأمورٍ به؛ فقد ركَّبَ الله الطباعَ على التفريقِ بين الحالتين، وإنما المقدورُ حبسُ النفسِ عن الجزعِ لا استواء الحالتين عند العبدِ، وساحةُ العافيةِ أوسَعُ للعبد من ساحةِ الصَّبرِ، كما قال النبي ﷺ في الدُّعاء المشهورِ: «إن لم يَكن بِك غَضَبٌ عليَّ فلا أبالي غير أن عافيتَك أوسعُ لي»[(٨)]،

---

(١) المصدر نفسه (ص١٨٤)، وعزاه لذي النون المصري.

(٢) هو الحسن بن علي النيسابوري توفي سنة (٤٠٦هـ). [ترجمته في: «شذرات الذهب» (٣/ ١٨٠)].

(٣) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٥).

(٤) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٥).

(٥) هو أحمد بن محمد بن حسين، لقي السَّري السقطي، ورافق الجنيد، قتله القرامطة أوائل محرم سنة (٣١٢هـ). [ترجمته في: «السير» (١٤/ ٤٧٦)، و«المنتظم» (٦/ ١٧٤)، و«الحلية»، (١٠/ ٣٤٧)، و«الرسالة القشيرية» (ص٤٠٢)].

(٦) زيادة من «ظ».

(٧) «الرسالة القشيرية»، (ص١٨٥).

(٨) **ضعيف** ـ جزء من دعاء الطائف المشهور في كتب السيرة.
أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٣/ ٧٣/ ١٨١)، و«الدعاء» (١٠٣٦) من طريق محمد بن إسحاق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبدالله بن جعفر قال: لما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف ماشيًا على قدميه؛ فدعاهم إلى الإسلام، فلم يجيبوه فانصرف، فأتى ظل شجرة فصلى ركعتين ثم قال: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس أرحم الراحمين، أنت أرحم الراحمين إلى من تَكِلُني إلى عدوٍ يتجهمني أم إلى قريب مَلَّكته أمري؟ إن لم تكن غضبانًا علي فلا أبالي، غير أن عافيتك أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصَلَح عليه أمر الدنيا والآخرة: أن تُنْزِل بي غَضَبَك أَو تَحلَّ علي سخطَك، لك العتبى حتى ترضى، لا قوة إلا بك». قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥): «رواه الطبراني، وفيه ابن إسحاق؛ =

ولا يناقضُ هذه قولَه ﷺ: «وما أُعطِي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسعَ من الصّبرِ»[1]؛ فإن هذا بعدَ نزولِ البلاءِ ليس للعبد أوسعُ مِن الصبر، وأما قبله فالعافيةُ أوسعُ له.

وقال أبو علي الدقاق: «حدُّ الصبرِ ألاّ تعترض على التقدير، فأما إظهارُ البلاء على غير وجه الشكوى فلا ينافي الصبر. قال الله تعالى في قصة أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ﴾ [ص: ٤٤] مع قوله تعالى: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]»[2].

قلت: فسر اللفظة بلازمها.

وأما قوله: «على غير وجه الشكوى»؛ فالشكوى نوعان:

أحدهما: الشكوى إلى الله، فهذا لا ينافي الصبر؛ كما قال يعقوب: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ﴾ [يوسف: ٨٦] مع قوله: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ﴾ [يوسف: ١٨و٨٣]، وقال أيوب: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣] مع وصف الله له بالصبر. وقال سيد الصابرين صلوات الله وسلامه عليه: «اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي... إلخ»[3].

وقال موسى صلوات الله وسلامه عليه: «اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وأنت المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك».

= وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات».
قلت: وقد عنعنه، ولذلك قال شيخنا حفظه الله في تعليقاته على «فقه السيرة» للغزالي (ص١٣٧): «فالحديث ضعيف».

(١) جزء من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: إن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده فقال: «ما يكون عندي من خير فلن أَدَّخِرَه عنكم، ومن يستعفف يُعفه الله، ومن يستغن يُغنه الله، ومن يتصبَّر يُصبِّره الله، وما أعطي أحدٌ عطاء خيرًا وأوسع من الصبر». [أخرجه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣)].

(٢) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٨).

(٣) حديث دعاء الطائف المشهور، وقد تقدم بيان ضعفه (ص ٣٨).

والنوع الثاني: شكوى المبتلى بلسان الحال أو المقال؛ فهذه لا تجامع الصبر بل تضاده، وتبطله.

فالفرق بين شكواه والشكوى إليه، وسنعود لهذه المسألة في باب: «اجتماع الشكوى والصبر وافتراقهما» إن شاء الله تعالى[1].

وقيل: «الصبرُ: شجاعةُ النّفسِ».

ومن هاهنا أخذ القائلُ قَوله: «الشجاعَةُ صَبْرُ ساعة».

وقيل: «الصبرُ: ثباتُ القلبِ عند مواردِ الاضطراب».

والصبرُ والجَزَعُ ضِدَّانِ، ولهذا يقابلُ أحدُهما بالآخر؛ قال تعالى عن أهل النار: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [ابراهيم: ٢١].

والجزَعُ قرينُ العجزِ وشقيقُه، والصبرُ قرينُ الكَيْس ومادتُه؛ فلو سئل الجزَعُ: من أبوك؟ لقال: [العجز، ولو سئل الكيس من أبوك؟ لقال:][2] الصَبْرُ.

والنفسُ مطيةُ العبد التي يسيرُ عليها إلى الجنةِ أو النارِ، والصبرُ لها بمنزلة الخطامِ والزّمامِ للمطية، فإن لم يكن للمطيةِ خطامٌ ولا زمامٌ شرَدَت في كلِّ مذهبٍ.

وحُفِظَ من خُطَبِ الحجاج[3]: «اقدعوا[4] هذه النفوسَ؛ فإنَّها طلعة إلى كل سوء، فرحم الله امرءاً جعل لنفسه خطاماً وزماماً؛ فقادها بخطامها إلى طاعةِ الله، وصرفها بزمامها عن معاصي الله، فإن الصبرَ عن محارمِ الله أيسرُ من الصبرِ على عذابه».

قلت: والنفسُ فيها قوتان: قوة الإقدام، وقوة الإحجام، فحقيقةُ الصبرِ أن

---

(١) انظر (ص ٦٦ و ٤١٤) من هذا الكتاب.

(٢) سقطت من «ظ».

(٣) هو الحجاج بن يوسف الثقفي الأمير المبير، كان أمير المدينة ثم العراق، وكان العصا الغليظة لعبد الملك بن مروان، ولذلك كان ظلوماً غشوماً سفاحاً للدماء، ناصبياً، مات سنة (٩٥هـ). [ترجمته في: «السير» (٤/ ٣٤٣)، و«شذرات الذهب» (١/ ١٠٦)].

(٤) كفوها عمّا تتطلع إليه من الشهوات.

يجعلَ قوةَ الإقدامِ مصروفة إلى ما ينفعُه، وقوةَ الإحجامِ إمساكاً عما يضُرُّه.

ومن الناس من تكونُ قوةُ صبرِه على فعل ما ينتفعُ به وثباته عليه أقوى من صبره عما يضره؛ فيصبر على مشقة الطاعةِ ولا صبر له عن داعي هواه إلى ارتكاب ما نُهِيَ عنه.

ومنهم من تكونُ قوةُ صبرِه عن المخالفات أقوى من صبره على مشقة الطَاعَاتِ.

ومنهم من لا صبرَ له على هذا ولا [على][1] ذاك.

وأفضلُ الناسِ أَصْبَرُهم على النوعين؛ فكثيرٌ من الناسِ يصبرُ على مكابدةِ قيامِ الليل في الحرِّ والبردِ، وعلى مشقةِ الصيامِ، ولا يصبرُ عن نظرةٍ مُحرمةٍ. وكثيرٌ من النَّاسِ يصبرُ عن النَّظَرِ، وعنِ الالتفاتِ إلى الصورِ، ولا صبرَ له على الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكرِ وجهادِ الكفارِ [و][2] المنافقين، بل هو أضعفُ شيءٍ عن هذا وأعجزه، وأكثرُهم لا صبرَ له على واحدٍ من الأمرين، وأقلُهم أصبرُهم في الموضعين.

وقيل: «الصبُر: ثباتُ باعثِ العقلِ والدينِ في مقابلةِ باعثِ الهوى والشَّهوةِ».

ومعنى هذا: أن الطبعَ يتقاضى ما يُحِبُّ، وباعث العقل والدين يَمْنَعُ منه، والحربُ قائمةٌ بينهما [وهو][3] سِجالٌ، وَمَعرَكُ هذا الحربِ قلبُ العبدِ والصَّبرُ والشَّجاعَةُ والثَّباتُ.



(١) زيادة من «ظ».
(٢) زيادة من «ظ».
(٣) زيادة من «م».

الباب الثالث

في بيان أسماء الصبر بالاضافة إلى متعلقه

لما كان الصبرُ المحمودُ هو: الصبرُ النفساني الاختياري عن إجابةِ داعي الهوى المذموم، كانت مراتبُه وأسماؤه بحسب متعلقه:

فإنّه إن كان صبراً عن شهوةِ الفرجِ المحرمةِ سمي عِفّة، وضدُها الفجورُ والزِنىَ والعُهْرُ.

وإن كان عن شهوةِ البطنِ وعدمِ التسرُّعِ إلى الطعامِ أو تناولِ ما لا يجملُ منه سمي شَرَفَ نَفْسٍ وشِبَعَ نفسٍ، وسمي ضده شرهاً ودناءةً ووضاعةَ نفسٍ.

وإن كان عن إظهارِ ما لا يحسنُ إظهارُه من الكلام سُمِّي كتمانَ سرٍّ، وضده إذاعةً وإفشاءً أو تهمةً أو فَحشاءَ أو سَبّاً أو كَذِباً أو قَذْفاً.

وإن كان عن فضول العيش سُمِّيَ زهداً، وضدُّه حرصاً.

وإن كان على قَدر يكفي من الدنيا سمي قناعةً، وضدها الحرص أيضاً.

وإن كان عن إجابةِ داعي الغَضبِ سُمِيَ حِلماً، وضده تَسَرُّعاً.

وإن كان عن إجابةِ داعي العَجَلة سُمّي وقاراً وثباتاً، وضدُّه طيشاً وخِفّة.

وإن كان عن إجابةِ داعي الفرارِ والهربِ سُمّي شجاعةً، وضده جُبْناً وَخَوراً.

وإن كان عن إجابةِ داعي الانتقام سمي عفواً وصَفْحاً، وضده انتقاماً وعقوبَة.

وإن كان عن إجابةِ داعي الإمساكِ والبُخلِ سمي جوداً، وضده بخلاً.

وإن كان عن داعي الطعامِ والشّرابِ في وقتٍ مخصوصٍ سمي صوماً.

وإن كان عن إجابةِ داعي العجزِ والكسلِ سمي كَيْساً.

وإن كان عن إجابةِ داعي إلقاءِ الكَلِّ على الناس وعدم حمل كَلِّهم سمي مروءة.

فله عند كل فعلٍ وتركٍ اسمٌ يخصه بحسب متعلقه، والاسم الجامع لذلك كله الصبر.

وهذا يَدُلُّك على ارتباطِ مقامات الدِّينِ كلِّها بالصبرِ من أولِها إلى آخرها، ويُسَمَّى سماحةً إذا تعلق ببذلِ الواجبِ والمستحبِ بالرضا والاختيار، وعلى هذا جميعُ منازلِ الدين.



الباب الرابع

الفرق بين الصَّبر والتَّصَبُّر والاصطبار والمصابَرة

الفَرقُ بين هذه الأسماءِ بحسب حال العبدِ في نفسِه وحالِهِ مع غيرِه، فإن حَبَسَ نَفسَه ومَنَعَها عن إجابةِ داعي ما لا يحسنُ إن كان خُلُقاً له وَمَلَكة سمي صبراً. وإن كان بتَكَلُّفٍ وَتَمرنٍ وَتَجَرُّعٍ لمرارتِه سمّي تَصَبُّراً؛ كما يدلُ عليه هذا البناء لغةً، فإنه موضوعٌ للتكلُّفِ؛ كالتَّحَلُّمِ، والتَّشَجُّعِ، والتَّكرُّمِ، والتَّحَمُّلِ ونحوها.

وإذا تكلفه العبدُ واستدعاه صار سَجِيةً له؛ كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «ومنَ يَتَصَبَّر يُصَبره الله»[1]، وكذلك العبد يتكلف التَّعفُّفَ حتى يصيرَ التَّعفُفُ[2] له سجيةً، كذلك سائر الأخلاقِ، وهي مسألةٌ اختلف فيها الناسُ هل يمكنُ اكتساب واحدٍ منها أم التَّخَلُّق لا يصيرُ خلقاً أبداً؛ كما قال الشاعر:

يـراد مـن الـقـلـبِ نـسـيـانُـكـم ... وتـأبـى الـطـبـاعُ عـلـى الـنّـاقِـل

وقال آخر[3]:

يـاأيُّـهـا الـمُـتَـحَـلّي غـيـرَ شِـيـمَـتِـه ... إن الـتَّـخَـلُّـقَ يـأتـي دونَـه الـخُـلُـقُ

[وقال آخر][4]: فقبح التطبع شيمة المطبوع

---

(١) جزء من حديث أبي سعيد الخدري مضى تخريجه (ص ٣٩).

(٢) في هامش «ظ»: وفي نسخة: «العفاف».

(٣) هو سالم بن وابصة، والبيت من البسيط، وانظر: «الحماسة» شرح التبريزي (٢/ ١٢٠)، و«المستطرف» (١/ ١٣٣).

(٤) زيادة من «ظ».

وقالوا: وقد فرغ ٱللهُ سبحانه وتعالى من الخُلُق والخَلْقِ، والرِزْقِ، والأجل.

وقالت طائفة أخرى: بل يمكن اكتساب الخُلُقِ كما يُكتَسَبُ العَقْلُ والحلمُ والجودُ والسّخاءُ والشجاعةُ، والوجود شاهد بذلك.

قالوا: والمزاولات تعطي الملكات.

ومعنى هذا: أن من زاولَ شيئاً واعتادَه وتمرنَ عليه صارَ مَلَكَةً له وسجيةً وطبيعةً.

قالوا: والعوائد تنقل الطبائع؛ فلا يزالُ العبدُ يتكلَّفُ التَّصَبُّرَ حتى يصير الصبرُ له سَجيَّةً، كما أنه لا يزال يتكلَّف الحلمَ والوقارَ والسكينةَ والثباتَ حتى تصير له أخلاقاً بمنزلة الطبائع.

قالوا: وقد جعلَ اللهُ سبحانه وتعالى في الإنسان قوَّةَ القبولِ والتعلُّم؛ فنقلُ الطبائعِ عن مقتضياتها غير مستحيل، غير أن هذا الانتقالَ قد يكون ضعيفاً فيعود العبدُ إلى طبعِه بأدنى باعثٍ، وقد يكون قوياً ولكن لم ينقل الطَّبعُ فقد يعود إلى طبعِه إذا قوي الباعثُ واشتد، وقد يستحكم الانتقال بحيث يستحدث صاحبُه طبعاً ثانياً، فهذا لا يكاد يعود إلى طبعِهِ الذي انتقل عنه.

وأما الاصطبارُ فهو أبلغُ من التَّصَبُرِ؛ فإنه افتعالٌ للصبرِ بمنزلةِ الاكتسابِ، فلا يزالُ التَّصبُرُ يتكررُ حتى يصيرَ اصطباراً.

وأما المصابرة فهي مقاومةُ الخصمِ في ميدانِ الصبرِ؛ فإنها مفاعلةٌ تستدعي وقوعَها بين اثنين كالمشاتمةِ والمضاربةِ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]؛ فأمرهم بالصبرِ وهو على حال الصابر في نفسه، والمصابرةِ وهي حاله في الصبرِ مع خصمه، والمرابطةِ وهي الثباتُ واللزومُ والإقامةُ على الصبرِ والمصابرةِ، فقد يصبُر العبدُ ولا يصابرُ ولا يرابطُ، وقد يصبرُ ويصابرُ ويرابطُ من غير تَعَبُّدٍ بالتقوى، فأخبر سبحانه أنّ ملاكَ ذلك كلِّه التقوى، وأن الفلاحَ موقوفٌ عليها فقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]؛ فالمرابطة كما أنها لزوم الثغر الذي يخاف هجوم منه في الظاهر فهي لزوم ثغرِ القلب؛ لئلا يدخل منه الهوى والشيطان؛ فيزيله عن مملكته.



الباب الخامس
في أقسام الصّبر باعتبار محلّه

الصبرُ ضربان: ضربٌ بدني، وضربٌ نفساني، وكلٌّ منهما نوعان: اختياري، واضطراري؛ فهذه أربعةُ أقسامٍ:

الأول: البدني الاختياري؛ كتعاطي الأعمالِ الشاقةِ على البَدنِ اختياراً وإرادةً.

الثاني: البدني الاضطراري؛ كالصبرِ على أَلَمِ الضربِ والمَرَضِ والجِراحاتِ والبردِ والحَرِّ وغير ذلك.

الثالث: النفساني الاختياري؛ كصبرِ النَفْسِ عن فِعْلِ ما لا يَحْسُنُ فعلُه شرعاً ولا عقلاً.

الرابع: النفساني الاضطراري؛ كصبرِ النفسِ عن محبوبها قهراً إذا حيل بينها وبينه.

فإذا عرفت هذه الأقسامَ فهي مختصةٌ بنوعِ الإنسانِ دون البَهائِمِ، ومشاركةُ البهائِمِ في نوعين منها وهما: صبر البدن والنفس الاضطراريين، وقد يكون بعضُها أقوى صبراً من الإنسان، وإنما يتميز الإنسانُ عنها بالنوعين الاختياريين. وكثير من الناس تكون قوةُ صبرِه في النوعِ الذي يشارك فيه البهائمِ لا في النوعِ الذي يخصُّ الإنسانَ فيعدُّ صابراً وليس من الصابرين.

فإن قيل: هل يشاركُ الجنُّ الإنسَ في هذا الصبرِ؟. **قيل**: نعم هذا من لوازم التكليف، وهو مظنةُ الأمرِ والنهي، والجنُّ مكلفون بالصبر على الأوامرِ، والصبر عن النواهي؛ كما كلِّفنا نحن بذلك.

فإن قيل: فهل هم مكلَّفون على الوجه الذي كلفنا نحن به أم على وجه آخر؟. **قيل**: ما كان من لوازمِ النفوسِ: كالحبِّ والبغضِ والإيمانِ والتصديقِ والموالاة والمعاداةِ فنحن وهم مستوون فيه، وما كان من لوازمِ الأبدان: كغسلِ الجنابةِ وغسلِ الأعضاءِ في الوضوء والاستنجاءِ والختان وغسل الحيضِ ونحوِ ذلك، فلا تجبُ مساواتُهم لنا في تكلفه، وإن تعلَّقَ ذلك بهم على وجهٍ يناسبُ خلقتَهم وحياتهم.

فإن قيل: فهل تشاركنا الملائكةُ في شيءٍ من أقسام الصبر؟ **قيل**: الملائكةُ لم يبتلوا بهوى يحاربُ عقولَهم ومعارفَهم، بل العبادةُ والطاعةُ لهم كالنَّفَسِ لنا، فلا يتصورُ في حقِّهم الصبرُ الذي حقيقتُه ثباتُ باعثِ الدين والعقل في مقابلةِ باعثِ الشهوةِ والهوى، وإن كان لهم صبرٌ يليق بهم وهو ثباتهم وإقامتهم على ما خُلِقوا له من غير منازعةِ هوى أو شهوةٍ أو طَبْعٍ.

فالإنسانُ منّا إذا غلب صبرُه باعثَ الهوى والشّهوة التحق بالملائكةِ، وإن غلب باعثُ الهوى والشهوة صبَره التحق بالشّياطين، وإن غلب باعثُ طبعِه من الأكلِ والشّربِ والجماعِ صبرَه التحق بالبهائِم.

قال قَتادة[1]: «خلق الله سُبحانه الملائكةَ عقولاً بلا شَهوات، وخلَق البهائِم شهواتٍ بلا عقول، وخلق الإنسان وجعل له عقلاً وشَهوةً، فمن غلب عقلُهُ شهوتَه فهو مع الملائكة، ومن غلبت شهوتُه عقلَه فهو كالبهائم».

ولما خُلِق الإنسانُ في ابتداءِ أمره ناقصاً لم يُخلَق فيه إلا شهوةُ الغذاءِ الذي هو محتاجٌ إليه، فصبرُه في هذه الحالِ بمنزلةِ صبرِ البهائمِ، وليس له قبل تمييزِه قوةُ [صبرِ][2] الاختيار. فإذا ظهرت فيه شهوةُ اللعبِ استعد لقوةِ الصَّبرِ الاختياري

---

(١) قتادة بن دعامة السدوسي، أبو الخطاب البصري، وكان أكمه، لكنه من أوعية العلم، ولد سنة (٦٠هـ)، وكان مدلساً معروفاً بذلك، ولكنه حجة بالإجماع إذا بيَّن السماع، وكان يرى القدر، وكان رأساً في العربية. توفي سنة (١١٨هـ). [ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٧/ ٢٢٩)، و«المعرفة والتأريخ» (٢/ ٢٧٧)، و«السير» (٥/ ٢٦٩)، و«تهذيب الكمال» (٢٣/ ٤٩٨)].

(٢) زيادة في «ظ».

على ضعفِها فيه. فإذا تعلقت به شهوةُ النّكاحِ ظهرت فيه قوةُ الصبرِ. وإذا تحرك سلطانُ العقلِ وقوي استعانَ بجيشِ الصّبرِ، ولكن هذا السلطانَ وجندَه لا يستقلان بمقاومَةِ سلطانِ الهوى وجنِده؛ فإن إشراقَ نورِ الهداية يلوحُ عليه عند أولِ سنِّ التمييزِ وينمو على التدريج إلى سنِّ البلوغ؛ كما يبدو خيطُ الفجرِ ثم يتزايد ظهورُه، وكلها هداية قاصرةٌ غيرُ مستقلةٍ بإدراك مصالحِ الآخرةِ ومضارِّها، بل غايتها تعلقها ببعض مصالحِ الدنيا ومفاسِدِها، فإذا طلعت عليه شمسُ النُبوَّةِ والرسالَةِ وأشرقَ عليه نورُها رأى في ضوئها تفصيل مصالحِ الدارين ومفاسِدِها فتلمّح العواقِبَ، ولبس لأمةَ[1] الحرب، وأخذ أنواعَ الأسلحَةِ، ووقع في حومةِ الحربِ بين داعي الطبعِ والهوى وداعي العقلِ والهدى، والمنصورُ مَنْ نَصَرَه الله، والمخذولُ مَنْ خَذَله، ولا تضع الحربُ أوزارَها حتى ينزلَ في إحدى المنزلتين، ويصيرَ إلى ما خُلِق له من الدّارين.



---

(١) أداته جميعها: من رمح، وسيف، ودرع، وترس، وبيضة.

الباب السادس
في أقسامه بحسب اختلاف قوته وضعفه ومقاومته لجيش الهوى وعجزه عنه

وباعثُ الدين بالإضافِة إلى باعثِ الهوَى له ثلاثةُ أحوالٍ:

إحداها: أن يكون القهرُ والغلبةُ لداعي الدِين فَيُرَدُّ جيشُ الهوى مغلولاً، وهذا إنما يصلُ إليه بدوامِ الصبرِ، والواصلون إلى هذه الرتبةِ هم المنصورون في الدنيا والآخرة، وهم الذين قالوا: ﴿رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠]، وهم الذين تقول لهم الملائكة عند الموت: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ [فصلت: ٣٠، ٣١]، وهم الذين نالوا معيةَ الله مع الصابرين، وهم الذين جاهدوا في الله حقَ جهادِه، وخصَّهم بهدايته دون من عداهم.

الحالة الثانية: أن تكون القوةُ والغلبةُ لداعي الهوى فيسقط منازعه باعث الدين بالكلية، فيستسلم البائسُ للشيطان وجندِه فَيقودونه حيث شاءوا، وله معهم حالتان:

إحداهما: أن يكون من جندِهم وأتباعِهم، وهذه حالُ العاجزِ الضعيفِ.

الثانية: أن يصيرَ الشيطانُ من جندِه، وهذه حالُ الفاجرِ القوي المتسلطِ والمبتدعِ الداعيةِ المتبوعِ؛ كما قال قائل:

وكنتُ امرءاً من جندِ إبليس فارتقى ... بي الحالُ حتى صارَ إبليسُ من جُندي

فيصير إبليسُ وجندُه من أعوانِه وأتباعِه، وهؤلاء الذين غلبت عليهم

شقوتُهم، واشتروا الحياةَ الدنيا بالآخرةِ، وإنما صاروا إلى هذه الحال لما أفلسوا من الصبرِ، وهذه الحالةُ هي حالةُ جَهدِ البلاءِ، وَدَرْكِ الشقاء، وسوءِ القضاءِ، وشماتةِ الأعداءِ. وجندُ أصحابها: المكرُ، والخداعُ، والأماني الباطلة، والغرورُ، والتسويفُ بالعملِ، وطولُ الأملِ، وإيثارُ العاجِلِ على الآجِلِ. وهي التي قال في صاحبِها النبيُّ ﷺ: «العاجزُ من أتبع نفسَه هواها، وتمنّى على الله الأماني»[1].

وأصحاب هذه الحال أنواع شتى:

فمنهم: المحارِبُ لله ورسولِه، الساعي في إبطالِ ما جاء به الرسولُ، يصدُّ عن سبيلِ الله، ويبغيها جُهدَهُ عِوجاً وتحريفاً؛ ليصدَّ الناس عنها.

ومنهم: المعرضُ عَمَّا جاء به الرسولُ، المقبِلُ على دنياه وشهواتها فقط.

ومنهم: المنافقُ فهو ذو الوجهين، الذي يأكلُ بالكفرِ والإسلامِ.

ومنهم: الماجنُ المتلاعبُ الذي قطع أنفاسَه بالمجونِ واللهو واللعب.

ومنهم: من إذا وُعِظ قال: وا شوقاه إلى التوبَةِ، ولكنها قد تعذرت عليّ فلا مطمعَ لي فيها.

ومنهم: من يقول: ليس الله محتاجاً إلى صلاتي وصيامي، وأنا لا أنجو بعملي، والله غفور رحيم.

ومنهم من يقول: ترك المعاصي استهانة بعفو الله ومغفرته.

فَكَثِّر ما استطعت من الخطايا ... إذا كان القدومُ على كريم

---

(١) **ضعيف** ـ أخرجه الترمذي (٢٤٥٩)، وابن ماجه (٤٢٦٠)، وأحمد (٤/ ١٢٤)، والحاكم (١/ ٥٧)، والبيهقي «شعب الإيمان» (١٠٥٤٦) وغيرهم من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب عن شداد بن أوس مرفوعاً بلفظ: «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنّى على الله الأماني».

حسنه الترمذي، وقال الحاكم: «صحيح على شرط البخاري»، وتعقبه الذهبي بقوله: «لا، والله أبو بكر واهٍ». قلت: مدار الحديث عليه؛ فالإسناد ضعيف جداً. وله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٤٥)، وقال: «عون بن عمارة ضعيف».

وبالجملة: فالحديث ضعيف.

ومنهم: من يقول: ماذا تنفع[1]طاعتي في جنبِ ما قد عَمِلت، وما ينفع الغريقَ خلاصُ إصبعه وباقي بدنِه غريقٌ.

ومنهم: من يقول: سوف أتوبُ، وإذا جاء الموتُ ونزلَ بساحتي تبتُ وقُبِلت توبتي.

إلى غير ذلك من أصناف المغترين الذين صارت عقولُهم في أيدي شهواتِهم، فلا يستعملُ أحدُهم عقلَه إلا في دقائقِ الحيل التي بها يتوصلُ إلى قضاءِ شهواتِه؛ فعقلُه مع الشيطانِ كالأسير في يدِ الكافر، يستعملهُ في رعايةِ الخنازيرِ، وعصرِ الخَمرِ، وحملِ الصليب، وهو بقهرِه عقله وتسليمه إلى أعدائِه عند الله بمنزلة رجلٍ قهر مسلماً، وباعه للكفارِ، وسلَّمه إليهم، وجعله أسيراً عندهم.

فصل

وها هنا نكتةٌ بديعةٌ يجبُ التَّفَطُّنُ لها، وينبغي إخلاءُ القلبِ لتأملِها، وهو: أن هذا المغرورَ لما أذلَّ سلطانَ الله الذي أعزَّه به وشرَّفه ورفعَ به قدرَه وسَلَّمهُ في يدِ أبغضِ أعدائِه إليه، وجعلَه أسيراً لَه تحت قهرِه وتَصَرُّفِه وسلطانِه، سلَّط الله عليه من كان حقُّه هو أن يتسلَّط عليه فجعلَه تحت قهرِهِ وتصرُّفِه وسلطانِه، يسخِّرُه حيث يَشاءُ ويَسْخَرُ منه جُنْدُه وحزبُه، فكما أذلَّ سلطانَ الله وسلَّمه إلى عدُوه الذي أمرَه أن يَتَسَلَّط هو عليه ويُذِلَّه ويقهَره، فصار بمنزلة من سلَّم نفسَهُ إلى أعدى عدوٍ له يسومُه سوءَ العذاب، وقد كان بصدَد أن يستأسرَه ويقهَره ويشفيَ غيظه منه، فلما تركَ مقاومَتَهَ ومحاربته واستسلم له سُلِّط عليه عقوبةً له، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [النحل: ٩٨ـ١٠٠].

فإن قيل: فقد أثبت له على أوليائه ها هنا سلطاناً، فكيف نفاه بقوله تعالى

---

(١) في «م»: «تقع».

حاكياً عنه مقرراً له: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ﴾ [إبراهيم: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ﴾ [سبأ: ٢٠، ٢١].

قيل: السلطانُ الذي أثبته له عليهم غيرُ الذي نفاه من وجهين:

أحدهما: أن السلطان الثابتَ هو سلطانُ التَّمكُّنِ منهم وتلاعبُه بهم وسوقُه إيّاهم كيف أرادَ بتمكينهم إيّاهُ من ذلك بطاعتِه وموالاتِه، والسلطانُ الذي نفاه سلطان الحُجَّةِ فلم يكن لإبليس عليهم من حُجّةٍ يتسلّطُ بها غير أنه دعاهم فأجابوه بلا حُجَّةٍ ولا برهان.

الثاني: أَن الله لم يجعل له عليهم سلطاناً ابتداءً ألبتة، ولكن هم سلَّطوه على أنفُسِهم بطاعَتِه، ودخولهم في جملَةِ جندِهِ وحزبِه، فلم يَتَسَلْطَن عليهم بقوَّتِه فإنّ كيدَه ضعيفٌ، وإنما تَسَلطَن عليهم بإرادتهم واختيارهم.

والمقصود: أن من قَصَد أَعظَمَ أوليائِه وأحبابِه ونُصَحَائِهِ فأخذَه وأخذ أولادَه وحاشيتَه وسلَّمهم إلى عدوّهِ كان من عقوبتِهِ أن يُسَلَّط عليه ذلك العدوُّ نفسُه.

الحالة الثالثة: في أن يكون الحربُ سجالاً ودُولاً بين الجندين، فتارةً له وتارةً عليه، وتكثر نوباتُ الانتصارِ وَتَقِلُّ، وهذه حالُ أكثرِ المؤمنين الذين خَلَطوا عملاً صالحاً وآخَرَ سيِّئاً.

وتكون الحالُ يومَ القيامة موازنةً لهذه الأحوالِ الثَّلاثِ سواء بسواء. فَمِن الناسِ من يدخُلُ الجنَّةَ ولا يدخُل النّارَ، ومنهم من يَدخُلُ النّارَ ولا يدخُلُ الجنَّةَ، ومنهم من يدخلُ النارَ ثم يدخُلُ الجنَّة.

وهذه الأحوالُ الثلاثُ هي أحوالُ الناسِ في الصِّحةِ والَمَرضِ، فمن تقاوِمُ قوتُه داءَه فتقهرُه ويكون السلطانُ للقوة، ومنهم من يقهرُ داؤه قُوَّتَه ويكونُ السلطانُ للداءِ، ومنهم مَن الحرب بين دائِه وقوتِه نوباً، فهو مترددٌ بين الصِّحَّةِ والمَرضِ.

فصل

ومن الناس من يصبرُ بِجَهدٍ ومشقةٍ، ومنهم من يصبرُ بأدنى حَمْلٍ على النفس. **ومثال الأول**: كرجلٍ صارعَ رجلاً شديداً فلا يقهرُه إلا بتعبٍ ومشقةٍ. **والثاني**: كمن صارع رجلاً ضعيفاً فإنه يصرعُه بغير مشقةٍ. فهكذا تكونُ المصارعةُ بين جنودِ الرحمنِ وجنودِ الشيطان، ومن صرَع جنْدَ الشيطانِ صرَع الشيطانَ.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «لقي رجُلٌ من الإنسِ رجلاً من الجِنِّ، فصارعَه، فَصَرَعه الإنسي، فقال: ما لي أراك ضئيلاً، فقال: إني من بينهم لضليع». فقالوا: أهو عمر بن الخطاب؟ فقال: «من ترونه غير عمر»؟[1].

وقال بعضُ الصحابة: «إن المؤمن ينضي[2] شيطانه كما ينضي أحدهم بعيرَه في السفر»[3].

وذكر ابن أبي الدنيا عن بعض السلف: «أن شيطاناً لقي شيطاناً فقال: ما

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٢٣) من طريق عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبدالله بن مسعود. قلت: إسناده حسن. وله طرق أخرى عند الطبراني في «الكبير» (٨٨٢٤، ٨٨٢٦).

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٧١): «رواهما الطبراني بإسنادين ورجال الرواية الثانية رجال الصحيح، إلا أن الشعبي لم يسمع من ابن مسعود ولكنه أدركه، ورواة الطريق الأولى فيهم المسعودي وهو ثقة، ولكنه اختلط، فبان لنا صحة رواية المسعودي برواية الشعبي، والله أعلم». قلت: فهو صحيح بمجموع ذلك، والله أعلم.

(٢) يهزله ويتعبه ويبليه؛ لكثرة إذلاله له، وجعله تحت قهره وتصرفه.

(٣) **حسن** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٢٠)، وأحمد (٢/ ٣٨٠) من طريق ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة مرفوعًا. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١١٦)، تبعًا لشيخه العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٣/ ٣١) «رواه أحمد وفيه ابن لهيعة».

قلت: ابن لهيعة ضعيف، من روى عنه قبل احتراق كتبه فسماعه صحيح، ومنهم قتيبة ابن سعيد؛ كما هو عند أحمد، ولذلك فالإسناد حسن؛ لأن موسى بن وردان صدوق ربما أخطأ. والحديث ضعفه شيخنا في «ضعيف الجامع الصغير» (١٧٧٢)، والمناوي في «فيض القدير» (٢/ ٣٨٥)؛ لأنهم لم ينتبهوا إلى ما تقدم، وقد حطَّ شيخنا حفظه الله على اعتماد رواية قتيبة بن سعيد عن ابن لهيعة؛ كما أخبرني بذلك.

لي أراك شَحِباً؟ فقال: إني مع رجلٍ إن أكلَ ذكرَ اسمَ الله فلا آكل معه، وإن شربَ ذكرَ اسم الله فلا أشرب معه، وإن دخلَ بيته ذكرَ اسم الله فأبيتُ خارجَ الدار. فقال الآخر: لكنني مع رجلٍ إن أكل لم يسم الله فآكل أنا وهو جميعاً، وإن شرب لم يسمِ الله فأشرب معه، وإن دخلَ دارَه لم يسم الله فأدخل معه، وإن جامعَ امرأته لم يسم الله فأجامعها»[1].

فمن اعتاد الصبرَ هابه عدوُّه، ومن عز عليه الصبرُ طمعَ فيه عدوُّه، وأوشك أن ينال منه غرضَه.



(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٩٥٦٠)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٨٣٣) من طريق معمر عن أبي إسحاق الهمداني عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن أبا إسحاق ثقة لكنه مدلس مختلط.

الباب السابع
بيان أقسامه باعتبار متعلقه

الصبرُ باعتبار متعلقة ثلاثةُ أقسامٍ:

صبرٌ على الأوامِرِ والطاعاتِ حتى يؤديها. وصبرٌ على المناهي والمخالفات حتى لا يقعَ فيها. وصبرٌ على الأقدار والأقضية حتى لا يتسخطها.

وهذه الأنواعُ الثلاثة هي التي قال فيها الشيخُ عبد القادرِ[1] في: «فتوح الغيب»: «لا بدَّ من أمرٍ يفعلُه، ونهيٍ يجتنبهُ، وَقَدَرٍ يصبرُ عليه».

وهذا الكلامُ يتعلقُ بطرفين: طرفٍ من جهةِ الربِّ تعالى، وطرَفٍ من جهةِ العبدِ.

فأمّا الطرفُ الذي من جهةِ الربِّ؛ فهو: أنَّ اللهَ تعالى له على عبدِه حُكمان: حكمٌ شرعيٌ دينيٌ، وحكمٌ كونيٌ قدريٌ؛ فالشَّرعيُ متعلِّقٌ بأمرِه،

---

(١) هو عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست[أ] الحنبلي مذهباً، الجيلي، نسبة إلى جيل[ب]، ولد بها سنة (٤٧١هـ)، وقدم بغداد شاباً، وتفقه على شيوخ العلم، وسمع الحديث، وقرأ الأدب والشعر، واشتهر، وكان يأكل من عمل يده، وتصدر للتدريس سنة (٥٢٨هـ)، إليه تنسب الطريقة القادرية، وغلا فيه أتباعها؛ فخرجوا عن الحد، ونسبوا إليه أقوالاً وأحوالاً غالبها مكذوب عليه، عُمِّر تسعين سنة، توفي سنة (٥٦١هـ)، ودفن ببغداد. [ترجمته في: «السير» (٢٠/ ٤٣٩)، و«المنتظم» (١٠/ ٢١٩)، و«مرآة الجنان» (١٠/ ١٦٤)، و«شذرات الذهب» (٤/ ١٩٨)، و«البداية والنهاية» (١٢/ ٢٥٢)].

(أ) كلمة فارسية تعني: عظيم القدر.

(ب) بلاد متفرقة من وراء طبرستان، ويقال لها: كيل، وكيلان، والنسبة إليها جيلي، وجيلاني، وكيلاني.

والكوني متعلقٌ بخلقِه، وهو سبحانه له الخَلْقُ والأمرُ.

وحكمُه الدينيُّ الطَّلَبيُّ نوعانِ بحَسَبِ المطلوب؛ فإن المطلوبَ إن كان محبوباً له فالمطلوبُ فعلُه إما واجباً وإما مستحباً، ولا يتمُّ ذلك إلا بالصَّبرِ، وإن كان مبغوضاً له فالمطلوب تركه إما تحريماً وإما كراهة[1]، وذلك أيضاً موقوفاً على الصّبرِ. فهذا حكمُه الديني الشّرعي.

وأما حكمُه الكوني فهو ما يقضيه ويقدِّرُه على العبدِ من المصائبِ التي لا صنعَ له فيها، ففرْضُه الصبرُ عليها، وفي وجوبِ الرضا بها قولان للعلماء وهما وجهان في مذهب أحمد، أصحهما: أنه مستحب. فمرجعُ الدين كلِّه إلى هذه القواعد الثلاثِ: فعلِ المأمورِ، وتركِ المحظور، والصبرِ على المقدورِ.

وأما الذي من جهةِ العبدِ فإنه لا ينفك عن هذه الثّلاثِ حتى يَسْقُطَ عنه التكليفُ؛ فقيامُ عبوديةِ الأمرِ والنَّهي والقَدَرِ على ساقِ الصبرِ لا تَستوي إلا عليه؛ كما لا تَستوي السُّنْبُلَةُ إلا على ساقِها.

فالصبرُ متعلِّقٌ بالمأمورِ والمحظورِ والمقدورِ بالخَلْقِ والأَمرِ، والشَّيْخُ دائماً يحومُ حولَ هذه الأصولِ الثلاثةِ، كقوله: يا بُني افعلِ المأمورَ، واجتنبِ المحظورَ، واصبرْ على المقدور، وهذه الثلاثةُ هي التي أوصى بها لقمانُ لابنه في قوله: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ [لقمان: ١٧] فَأَمْرُه بالمعروفِ يتناول فعلَه بنفسِهَ وأَمْرَ غيرِه به، وكذلك نهيُه عن المنكَرِ، أما مِن حيثُ إطلاق اللفظِ فتدخلُ نفسُه وغيرُه فيه، وأما من حيثُ اللُّزوم الشرعيّ فإن الآمرَ الناهيَ لا يستقيمُ له أمرُه ونهيُه حتى يكون أولَ مأمورٍ ومنهي، وذكرَ سبحانه هذه الأصولَ الثلاثَةَ في قولِهِ: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ

(١) في «ظ»: «نزاهة».

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ١٩ ـ ٢٢] فجمعَ لهم مقاماتِ الإسلامِ والإيمانِ في هذه الأوصافِ فوصفهم بالوفاءِ بعهدِه الذي عاهدهم عليه، وذلك يعمُّ أمرَه ونهيَه الذي عَهِدَه إليهم بينهم وبينه وبينهم وبين خلقه، ثم أخبر عن استمرارِهم بالوفاءِ به بأنهم لا يقعُ منهم نَقْضُه، ثم وصفَهم بأنهم يَصِلون ما أمَرَ اللهُ به أن يوصلَ، ويدخلُ في هذا ظاهرُ الدينِ وباطنُهُ وحقُّ اللهِ وخلقِه، فيصلون ما بينهم وبين ربِّهم بعبوديتِه وحدَه لا شريك له، والقيامِ بطاعتِه والإنابَةِ إليه والتّوكلِ عليه وحبِّه وخوفِه ورجائِه والتوبةِ إليه والاستكانةِ له والخضوعِ والذّلةِ له والاعترافِ له بنعمتِه وشكرِه عليها والإقرارِ بالخطيئة والاستغفارِ منها؛ فهذه هي الوصلةُ بين الرَّبِّ والعبدِ، وقد أمر اللهُ بهذه الأسبابِ التي بينه وبين عبدِهِ أن توصلَ.

وأمرَ أن نوصل ما بيننا وبين رسوله بالإيمانِ به، وتصديقِه وتحكيمِه في كلِّ شيءٍ، والرضا لحكمِه والتسليمِ له، وتقديمِ محبته على محبةِ النفسِ والولدِ والناسِ أجمعين صلوات الله وسلامه عليه، فدخل في ذلك القيامُ بحقِه وحقِّ رسولِه، وأمر أن نَصِلَ ما بيننا وبين الوالدين والأقربين بِالبرِّ والصِّلةِ، فإنه أمر بِبِرِّ الوالدين وصِلَةِ الأرحامِ وذلك مما أمر به أن يوصلَ، وأمر أن نَصِل ما بيننا وبين الزّوجاتِ بالقيامِ بحقوقِهن ومعاشرتهم بالمعروف، وأمر أن نَصلَ بيننا وبين الأرقاءِ بأن نُطعمَهم مما نأكلُ، ونكسُوهم مما نكتسي، ولا نكلفهم فوق طاقتِهم، وأن نصل ما بيننا وبين الجارِ القريب والبعيد بمراعاةِ حقّهِ وحفظِه في نفسِه ومالِه وأهلِه بما نحفظُ به نفوسَنا وأهلينا وأموالنا، وأن نصلَ ما بيننا وبين الرفيق في السّفرِ والحَضَر، وأن نصلَ ما بيننا وبين عمومِ الناس بأن نُأتي إليهم ما نُحب أن يأتوه إلينا وأن نصلَ ما بيننا وبين الحفظةِ الكِرامِ الكاتبين بأن نكرمَهم ونستحي منهم كما يستحي الرجل من جليسِه ومن هو معه ممن يجلُّه ويكرمُه، فهذا كلُّه مما أمر الله به أن يوصل.

ثم وصفَهم بالحامِلِ لهم على هذه الصِّلَةِ وهو خشيةُ وخوفُ سوءِ الحسابِ يوم المآبِ، ولا يمكنُ لأحدٍ قط أن يصلَ ما أمرَ الله بوصلِه إلا بخَشيتهِ، ومتى ترحلت الخشيةُ من القلبِ انقطعت هذه الصلةُ.

ثم جمع لهم سبحانه ذلك كلَّه في أصلٍ واحدٍ، هو آخيةُ ذلك وقاعدتُه ومدارُه الذي يدورُ عليه وهو الصبْرُ؛ فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢]، فلم يكتفِ منهم بمجردِ الصَبرِ حتى يكونَ خالصاً لوجهِه. ثم ذكر لهم ما يعينُهم على الصَبرِ وهي الصلاةُ فقال: ﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الرعد: ٢٢].

وهذان هما العونانِ على مصالح الدنيا والآخرةِ وهما الصبرُ والصلاةُ، فقال: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

ثم ذكر سبحانه إحسانَهم إلى غيرِهم بالإنفاقِ عليهم سرّاً وعلانية؛ فأحسنوا إلى أنفسِهم بالصَبْرِ والصّلاةِ، وإلى غيرهم بالإنفاقِ عليهم.

ثم ذكر حالهم إذا جهل عليهم وأوذوا أنهم لا يقابلون ذلك بمثله بل يدرأون بالحسَنةِ السيِّئةَ؛ فيحسنُون إلى مَن يسيء إليهم؛ فقال: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢]. وقد فُسِّرَ هذا الدرءُ بأنهم يدفعون بالذنب الحسنة بعده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ﴾ [هود: ١١٤]، وقال النبي ﷺ: «أتبع السَّيئة الحسنة تمحها»[1].

---

(١) **صحيح بشواهده** - أخرجه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ٢٢٨ و٢٣٦) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٥١٦ - ٥١٧)، والطبراني في «الأوسط» (٣٧٧٩)، و«الصغير» (١/ ١٩٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٧٦)، ووكيع في «الزهد» (١٠٧٣)، والخطيب البغدادي في «الفقيه والمتفقه» (٢/ ٢٥)، وابن جميع الصيداوي في «معجم الشيوخ» (٨٨) من طرق عن حبيب بن أبي ثابت عن ميمون بن أبي شبيب عن معاذ مرفوعاً.
قلت: ميمون بن أبي شبيب صدوق كثير الإرسال، ومن دونه كثير الإرسال والتدليس وهذا إسناد منقطع؛ لأن ميمونًا لم يسمع من معاذ، فقد نقل الحافظ في «التهذيب» (١٠/ ٣٨٩): «عن عمرو بن علي . . . وليس يقول في شيء من حديثه سمعت، ولم أخبر أن أحدًا يزعم أنه سمع من الصحابة، وقال أبو داود: لم يدرك عائشة». وعلق الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص١٤٧)، فقال: «وحينئذٍ لم يدرك معاذًا من باب أولى». لكن الحديث له طريق آخر عن مجاهد عن معاذ أخرجه أبو بكر البزار الشافعي في «الغيلانيات» (٤/ ٤٨/ أ). =

والتحقيق: أن الآية تعمُّ النوعين.

والمقصود: أن هذه الآياتِ تناولت مقاماتِ الإسلامِ، واشتملت على فعلِ المأمورِ وتركِ المحظورِ والصبرِ على المقدورِ، وقد ذكر تعالى هذه الأصول في قـولـه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، فكلُ موضعٍ قُرنَ فيه التقوى بالصَّبرِ اشتمل على الأمورِ الثلاثةِ، فإن حقيقةَ التقوى فعلُ المأمورِ وتركُ المحظورِ.



= **وبالجملة**: فحديث معاذ حسن بطريقيه؛ كما قال الذهبي، حيث نقل قوله وأقرّه المناوي في «فيض القدير» (١/ ١٢١). وللحديث شواهد عن أبي ذر، وأنس، وجابر رضي الله عنهم، استوفيت الكلام عليها في «صحيح الأذكار وضعيفه» (١٢٦٢/ ٩٩٤)؛ فالحديث صحيح بمجموعها، والله أعلم.

الباب الثامن
في انقسامه باعتبار تعلق الأحكام الخمسة به

وهو ينقسمُ بهذا الاعتبارِ إلى واجبٍ، ومندوبٍ، ومحظورٍ، ومكروهٍ، ومباحٍ.

فالصبرُ الواجبُ ثلاثةُ أنواعٍ:

أحدها: الصبرُ على المحرماتِ.

والثاني: الصبرُ على أداء الواجباتِ.

والثالث: الصبرُ على المصائبِ التي لا صنعَ للعبدِ فيها كالأمراضِ، والفقرِ، وغيرها.

وأما الصبرُ المندوبُ، فهو: الصبرُ على المكروهاتِ، والصبرُ على المسْتحبّات، والصبرُ على مقابلةِ الجاني بمثل ما فعل.

وأما المحظور فأنواع:

أحدها: الصبرُ على الطعامِ والشَّرابِ حتى يموت، وكذلك الصَّبْرُ على الميتةِ والدَّمِ ولحمِ الخنزير عند المَخمَصةِ[1] حرام إذا خاف بتركه الموت.

قال طاووس وبعده الإمام أحمد: «من اضطر إلى أكل الميتة والدم فلم يأكل فمات دخل النار».

فإن قيل: فما تقولون في الصَّبْرِ عن المسألةِ في هذه الحال؟ **قيل:** اختلف في حكمه هل هو حرامٌ أم مباحٌ؟ على قولين هما لأصحابِ أَحمد. وظاهِرُ

---

(١) الجوع الشديد.

نَصُّهما: أن الصَبْرَ عن المسألةِ جائزٌ، فإنه قيل له: إذا خافَ إن لم يسأل أن يموتَ، فقال: لا يموتُ، يأتيه الله برُزقِه، أو كما قال. فأحمد منع وقوع المسألة؛ متى عَلِم اللهُ ضرورَتَه وصدقَه في تركِ المسألةِ قيَّضَ الله لهُ رزقاً.

وقال كثير من أصحاب أحمدَ والشافعيِّ: يجب عليه المسألةُ، وإن لم يسأل كان عاصياً؛ لأن المسألةَ تتضمن نجاتَه من التَّلفِ.

فصل

من صبرِ المحظورِ صبرُ الإنسانِ على ما يقصدُ هلاكَه من سَبُعٍ أو حيّاتٍ أو حريقٍ أو ماءٍ أو كافرٍ يريدُ قتلَه، بخلاف استسلامه وصبرِه في الفِتْنةِ وقتالِ المسلمينِ؛ فإنّه مباحٌ له بل يستحب كما دلت عليه النصوص الكثيرة.

وقد سُئِل النَّبيُّ ﷺ عن هذه المسألة بعينها؛ فقال: «كُنْ خيرَ ابنَي آدم»[1]، وفي لفظ: «كُن عبدَ الله المقتولَ، ولا تكن عبدَ الله القاتِلِ»[2]، وفي لفظ: «دعه يبوءُ بإثمه وإِثمك»[3]، وفي لفظ آخر: «فإن بَهَرَكَ شعاعُ السيفِ فَضَعَ يَدَكَ على وَجْهِك»[4].

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه أبو داود (٤٢٥٧)، وأحمد (١/ ١٨٥) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه. قلت: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) **حسن لغيره** ـ أخرجه أحمد (٢٩٥)، والحاكم (٣/ ٢٨١) من طريق علي بن زيد عن أبي عثمان النهدي عن خالد بن عرفطة قال: قال رسول ﷺ: «يا خالد إنها ستكون بعدي أحداث وفتن واختلاف، فإن استطعت أن تكون عبدَ الله المقتول لا القاتل فافعل».

قلت: سكت عليه الترمذي والحاكم، وفيه علي بن زيد بن جدعان وهو سيِّىء الحفظ؛ فالإسناد ضعيف. وله شاهد من حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر فتنة، وفيه: «فإن أدركتك فكن عبد الله المقتول، ولا تكن عبد الله القاتل». أخرجه أحمد (٥/ ١١٠)، وفيه رجل لم يسم. وله شاهد من حديث جندب بن سفيان وفيه: «ولتكن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل». أخرجه الطبراني في «الكبير» من طريق عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عنه. وإسناده ضعيف، لأن شهرًا ضعيف.

وبالجملة: فالحديث حسن بمجموع ذلك، والله أعلم.

(٣) جزء من حديث أبي بكرة رضي الله عنه: أخرجه مسلم (٢٨٨٧).

(٤) **صحيح** ـ أخرجه أبو داود (٤٢٦١)، وابن ماجه (٣٩٥٨)، وأحمد (٥/ ١٦٣)، والحاكم=

وقد حكى اللهُ استسلامَ خيرِ ابني آدم وأثنى عليه بذلك[1]، وهذا بخلافِ قَتلِ الكافر، فإنه يجبُ عليه الدَّفعُ عن نفسِه لأن من مقصود الجهاد أن يدفعَ عن نفسِه وعن المسلمين.

وأما قتالُ اللصوصِ فهل يجبُ فيه الدَفعُ أو يجوزُ فيه الاستسلامُ؟ فإن كان عَن معصومٍ غيرِه وَجَب، وإن كان عن نفسِه فظاهرُ نصوصِه أنه لا يَجِبُ الدَّفْعُ، وأَوْجَبَه بعضُهم، ولا يجوزُ الصبرُ على من قَصَدَه أو حُرْمَتَه[2] بالفاحِشَةِ.

وأما الصبرُ المكروه: فَلَه أمثلة:

أحدها: أن يصبر عن الطعامِ والشّرابِ واللبسِ وجماع أهلِه حتى يتضرر بذلك بدنُه.

الثاني: صبره عن جماعِ زوجتِه إذا احتاجت إلى ذلك ولم يتضرر به.

الثالث: صبرُه على المكروهِ.

الرابع: صبره عن فعل المستَحبِّ.

وأما الصبرُ المباح، فهو: الصَّبْرُ عن كلِّ فعلٍ مستوي الطرفين خُيِّرَ بين فِعْلِه وتركِهِ والصَبْرِ علَيه.

وبالجملةِ؛ فالصَّبْرُ على الواجب واجبٌ، وعن الواجبِ حرامٌ، والصَّبْرُ عن الحرامِ واجبٌ وعليه حرامٌ، والصبْرُ على المستحب مستحبٌ وعنه مكروهٌ، والصبرُ عن المكروه مستحبٌ وعليه مكروه، والصبرُ على المباح مباح، والله أعلم.



= (٤/ ٤٢٣ و٤٢٤)، والبيهقي (٨/ ١٩١)، وابن حبان (١٨٦٢ و١٨٦٣) من طرق عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر. قال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، ووافقه الذهبي.

قلت: إسناده صحيح على شرط مسلم؛ فإن عبد الله بن الصامت احتج به مسلم وحده.

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ...﴾ الآيات [المائدة: ٢٧ - ٣١].

(٢) في «ظ»: «حرمه».

الباب التاسع

في بيان تفاوت درجات الصبر

الصَبْرُ كما تقدم[1] نوعان: اختياري، واضطراري

والاختياري أكمل من الاضطراري؛ فإنَّ الاضطراري يشتركُ فيه الناسُ، ويتأتّى ممن لا يتأتّى منه الصبر الاختياري، ولذلك كان صبرُ يوسف الصّديق ﷺ عن مطاوعةِ امرأةِ العزيز وصبرُه على ما ناله في ذلك من الحَبْسِ والمكروهِ أعظمَ من صبِره على ما نالَه من إخوتِه لـمّا ألقوه في الجُبِّ[2] وفرّقوا بينه وبين أبيه، وباعوه بيع العبد. ومن الصبر الثاني إنشاءُ اللهِ له ما أنْشَأه مِن العِزّة والرّفعةِ والمُلكِ والتّمكينِ في الأرضِ.

وكذلك صبْرُ الخَليل ﷺ والكَليم وصبرُ نوح وصَبْرُ المسيح وصبرُ خاتمِ الأنبياءِ وسيّدِ وَلَدِ آدمَ عليهم الصلاة والسلام، كان صَبْراً على الدّعوةِ إلى الله ومجاهَدِة أعداءِ الله؛ ولهذا سمّاهم الله أولي العَزمِ، وأَمَر رسولَه أن يصبِرَ صبْرَهم فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]. وأولوا العزم هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى: ١٣]. وفي قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧]؛ كذلك قال ابن عباس وغيره من السلف.

ونهاه سبحانه أن يتَشبّه بصاحبِ الحوتِ حيث لم يصبر صبرَ أولي العزم

---

(١) (ص ٤٦).

(٢) البئر الواسعة.

فقال: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾﴾ [القلم: ٤٨].

وههنا سؤال نافعٌ وهو أن يقال: ما العاملُ في الظرفِ وهو قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ ولا يمكن أن يكونَ الفعلُ المنهِيُّ عنه؛ إذ يصيرُ المعنى لا تكن مثله في ندائه، وقد أثنى الله سُبحانه عليه في هذا النداء؛ فأخبر أنّه نجّاه به؛ فقال: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]. وفي الترمذي وغيره عن النبي ﷺ: أنه قال: «دعوةُ أخي ذي النّون إذ دعا بها في بطن الحوت، ما دعا بها مكروبٌ إلا فَرّجَ اللهُ عنه: لا إله إلا أنتَ سبحانك إنِّي كنتُ من الظالمين»[1].

فلا يمكنُ أن يُنهى عن التّشبُّه به في هذه الدَّعوة، وهي النداءُ الذي نادى به ربَّه، وإنما نُهِي عن التشبه به في السَّبَبِ الذي أفضى به إلى هذه المناداةِ وهي مغاضَبَتُه التي أفضت به إلى حَبْسِه في بطنِ الحوتِ وشدَّةِ ذلك عليه حتى نادى ربّه وهو مكظوم. والكظيم والكاظم: الذي قد امتلأ غَيْظاً وَغَضَباً وَهَمّا وَحَزَناً، وَكَظَم عليه فلم يُخرجْه.

فإن قيل: وعلى ذلك، فما العامل في الظرف؟ **قيل**: ما في صاحب الحوت من معنى الفعل.

فإن قيل: فالسؤال بعدُ قائمٌ؛ فإنه إذا قَيّدَ المنهي بقيدٍ أو زمنٍ كان داخِلاً في حَيِّز النّهي، فإن كان المعنى: لا تكن مثلَ صاحبِ الحوتِ في هذه الحالِ أو هذا الوقتِ كان نهياً عن تلك الحالَةِ. **قيل**: لما كان نداؤه مسبباً عن كونه صاحب الحوت، فنهي أن يشبه به في تلك الحالة التي أفضت به إلى صُحبَتِه الحوت والنداء وهي ضَعْفُ العزيمَةِ والصبر لحكمِه تعالى. ولم يقل تعالى: ولا تكن كصاحبِ الحوت إذا ذهب مغاضباً؛ فالتقمه الحوتُ؛ فنادى. بل طَوى

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٣٥٧٢ ـ تحفة)، والحاكم (١/ ٥٠٥).
قلت: صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

القصةَ واختَصَرها، وأحال بها على ذكرِها في الموضِع الآخرِ، واكتفى بغايتها وما انتهت إليه.

فإن قيل: فما منعك بتعويضِ الظّرفِ بنفس الفِعل المنهي عنه؛ أي: لا تكن مثله في ندائهِ وهو ممتليء غيظاً وهمّاً وغَمَّاً بل يكون نداؤك نداءَ راضٍ بما قُضِيَ عليه، قد تلقَّاه بالرضا والتّسليمِ وسَعةِ الصّدرِ، لا نداء كَظيم؟. **قيل**: هذا المعنى وإن كان صحيحاً إلا أن النَّهيَ لم يقعْ عن التشبه به في مجرَّدِه وإنما نُهِيَ عن التشبُّهِ به في الحالِ التي حملته على ذهابِه مغاضِباً حتى سُجِنَ في بطنِ الحوتِ، ويدل عليه قولُه تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [القلم: ٤٨] ثم قال ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]؛ أي في ضعفِ صبرِه لحكمِ ربّه، فإنّ الحالَ التي نُهِي عنها ضدُّ الحالةِ التي أُمِر بها.

فإن قيل: فما منعك أن تصبرَ حيث أَمَرَ بالصبرِ لحكمِه الكوني القَدَرِي الذي يقدره عليه، ولا تكن كصاحبِ الحوتِ الذي لم يصبِر عليه بل نادى وهو كظيمٌ لكَشفِهِ، فلم يصبِرْ على احتمالِه والسكونِ تحته؟. **قيل**: مَنَع من ذلك أن الله سبحانه أثنى على يونس وغيرِه من أنبيائِه بسؤالِهم إيّاه كَشْفَ ما بهم من الضُّرِّ، وقد أثنى عليه سبحانه بذلك في قوله: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨]، فكيف يُنهى عن التَّشبّه به فيما يثني عليه ويمدحه به، وكذلك أثنى على أيوب بقوله: ﴿مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الإنبياء: ٨٣]، وعلى يعقوب في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، وعلى موسى بقوله: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وقد شكا إليه خاتم أنبيائه ورسُلِه فقال: «اللهم أشكو إليك ضعفَ قوّتي وقلَّةَ حيلتي» الحديث[١].

---

(١) سبق تخريجه وبيان ضعفه (ص ٣٨).

فالشكوى إليه سبحانه لا تنافي الصبرَ الجميل[1] بل إعراض عبدِهِ عن الشكوى إلى غيرِه جُملَةً وجَعْلِ الشكوى إليه وَحدَهِ هو الصَّبْرُ، والله تَعالى يبتلي عبدَهُ ليسمَع شكواه وتضرُّعَه ودعاءَه، وقد ذمَّ سبحانه من لم يتضرَعْ إليهِ ولم يَسْتَكِن إليهَ وقتَ البلاء؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [المؤمنون: ٧٦].

والعبدُ أضعفُ من أن يتجلَّدَ على ربِّه، والرَّبُّ تعالى لم يُرِد من عبدِه أن يَتَجلَّد عليه؛ بل أراد منه أن يستكينَ له ويتضرعَ إليه، وهو تعالى يمقتُ من يشكوه إلى خلقِه، ويحب من يشكو ما به إليه.

وقيل لبعضهم: كيف تشتكي إليه ما ليس يخفى عليه؟ فقال: ربي يرضى ذُلَّ العبدِ إليه.

والمقصود: أنه سبحانه أَمَرَ أن يصبرَ صبْرَ أولي العزمِ الذين صَبَروا لِحُكمِه اختياراً وهذا أكملُ الصَبرِ؛ ولهذا دارت قصَّةُ الشّفاعَةِ يومَ القيامة على هؤلاء حتى رَدَّها إلى أفضَلِهم وخيرِهم وأصبَرِهم لُحكم الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فإن قيل: أيُّ أنواعِ الصَبر الثلاثة أكمل: الصبر على المأمورِ، أم الصبر على المحظورِ، أم الصبر على المقدورِ؟. **قيل**: الصبرُ المتعلقُ بالتكليف، وهو: الأَمْر والنّهي أفضلُ من الصَبرِ على مجرد القَدَر؛ فإن هذا الصبرَ يأتي به البَرُّ والفاجرُ، والمؤمنُ والكافِرُ؛ فلا بدَّ لكلِ أحدٍ من الصبرِ على القَدَرِ اختياراً واضطراراً، وأما الصبرُ على الأوامِر والنّواهي فصبرُ أتباعِ الرُّسِلِ، وأعظمُهم إتباعاً أصبرُهم في ذلك، وكلُّ صبرٍ في مَحِلِّه وموضِعِه أفضلُ؛ فالصبرُ عن الحرامِ في مَحِلِّه أفضلُ، وعلى الطاعةِ في مَحِلِّها أفضلُ.

فإن قيل: أيُّ الصَبْرين أحبُّ إلى الله: صبرُ مَن يصبِرُ على أوامِره أم صبرُ من يصبرُ عن محارِمه؟ **قيل**: هذا موضعٌ تنازَعَ فيه الناسُ.

(١) في «ظ»: «الجزيل».

فقالت طائفة: الصبرُ عن المخالفاتِ أفضلُ؛ لأنه أشقُّ وأصعبُ، فإن أعمالَ البِّر يفعلها البَرُّ والفاجرُ، ولا يصبرُ عن المخالفات إلا الصديقون.

قالوا: ولأنَّ الصبرَ عن المحرماتِ صبرٌ على مخالفةِ هوى النفس، وهو أشقُّ شيءٍ وأفضلُه.

قالوا: ولأن تركَ المحبوبِ الذي تحبُّه النفوسُ دليلٌ على أن من تُرِكَ لأجلِه أحبُّ إليه من نفسه وهواه، بخلاف فعلِ ما يحبُّه المحبوبُ فإنه لا يستلزم ذلك.

قالوا: وأيضا؛ فالمروءةُ والفتوَّةُ كلُّها في هذا الصبرِ. قال الإمام أحمد: «الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى»[1]، فمروءة العبدِ وفتوتُه بحسبِ هذا الصبرِ.

قالوا: وليس العجبُ ممن يصبرُ على الأوامرِ؛ فإن أكثرَها محبوباتٌ للنفوس السليمةِ لما فيها من العَدلِ والإحسان والإخلاصِ والبِرِّ، وهذه محابٌّ للنفوسِ الفاضلةِ الزكيَّةِ، بل العجبُ ممن يصبرُ عن المناهي التي أكثرُها محابُّ النفوس، فيترك المحبوبَ العاجلَ في هذه الدارِ للمحبوبِ الآجلِ في دارٍ أخرى، والنفسُ موكلة بحبِّ العاجلِ، فصبرُها عنه مخالفٌ لطبعِها.

قالوا: ولأن المناهي لها أربعةُ دواعٍ تدعو إليها: نفس الإنسان، وشيطانه، وهواه، ودنياه؛ فلا يتركها حتى يجاهدَ هذه الأربعةَ، وذلك أشقُّ على النفوسِ وَأمرّه.

قالوا: فالمناهي من باب حِمْيَةِ النفوسِ عن مشتهياتها ولذاتها، والحميةُ مع قيامِ داعي التناولِ وقوتِه من أصعبِ شيءٍ وأشقِّه.

قالوا: ولذلك كان قربانُ بابِ النهي مسدوداً كلَّه، وبابُ الأمرِ إنما يُفْعَلُ منه المستطاعُ؛ كما قال النبي ﷺ «إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه»[2]؛ فدلَّ على أن بابَ المنْهيّاتِ أضيقُ من بابِ المأموراتِ،

---

(١) «الرسالة القشيرية»، (ص٢٢٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٢٨٨)، ومسلم (١٣٣٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «دعوني ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالُهم واختلافُهم على أنبيائهم؛ فإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم».

وإنّه لم يرخِص في ارتكابِ شيءٍ منه كما رَخَّصَ في تركِ بعضِ المأموراتِ للعجزِ والعذر.

قالوا: ولهذا كانت عامةُ العقوباتِ من الحدودِ وغيرِها على ارتكابِ المنهياتِ، بخلافِ ترك المأمورِ فإن اللهَ سبحانه لم يرتب عليه حَدّاً معيناً، فأعظمُ المأموراتِ الصلاةُ وقد اختلف العلماء، هل على تاركِها حَدٌّ أم لا؟

فهذا بعضُ ما احتجت به هذه الطائفةُ.

وقالت طائفةٌ أخرى: بل الصبرُ على فعلِ المأمورِ أفضلُ وأجلُّ من الصبرِ على تركِ المحظور؛ لأنَّ فعلَ المأمورِ أحبُّ إلى اللهِ من تركِ المحظورِ، والصبرُ على أحبِّ الأمرين أفضلُ وأعلى، **وبيان ذلك من وجوه**:

أحدها: إن فعلَ المأمورِ مقصودٌ لذاتِه، فهو مشروعٌ شرع المقاصدِ، فإن معرفَةَ اللهِ وتوحيدَه وعبوديتَه وحدَه والإنابةَ إليه والتوكلَ عليه وإخلاصَ العملِ له ومحبتَه والرضا به والقيامَ في خدمتِه هو الغايةُ التي خُلِق لها الخَلْقُ، وثبتَ بها الأمرُ، وذلك أمرٌ مقصودٌ لنفسِه.

والمنهياتُ إنّما نُهِيَ عنها؛ لأنها صادرةٌ عن ذلك أو شاغلةٌ عنه أو مُفَوِّتَةٌ لكمالِه، ولذلك كانت درجاتها في النَّهي بحسب صدِّها عن المأمور وتعويقها عنه وتفويتِها لكمالِه، فهي مقصودةٌ لغيرِها والمأمورُ مقصودٌ لنفسِه، فلو لم يَصُدَّ الخَمْرُ والمَيْسِرُ عن ذكرِ الله وعن الصلاةِ وعن التَّوادِّ والتَّحابِّ الذي وَضعه الله بين عبادِه لما حَرَّمَه؛ وكذلك لو لم يَحُلْ بين العبدِ وبين عقلِه الذي يَعرِفُ به اللهَ ويعبدُه ويحمدُه ويمجِّدُه ويُصلِي له ويسجدُ لَمَا حَرَّمه، وكذلك سائرُ ما حَرَّمَه إنما حَرَّمَه؛ لأنه يصدُّ عما يحبُّه ويرضاه، ويحولُ بين العبدِ وبين كمالِهِ.

الثاني: إن المأموراتِ متعلقةٌ بمعرفةِ الله وتوحيدِه وعبادتِهِ وذكرِه وشكرِه ومحبَّتِهِ والتوكلِ عليه والإنابةِ إليه، فمُتعلَّقُها ذاتُ الرَّبِّ تعالى وأسماؤه وصفاتُه، ومتعلَّقُ المنهياتِ ذواتُ الأشياءِ المنهي عنها والفَرْقُ من أعظمِ ما يكون.

الثالث: إن ضرورةَ العبدِ وحاجتَه إلى فعلِ المأمورِ أعظم من ضرورَتِه إلى تركِ المحظورِ، فإنه ليس إلى شيءٍ أضرُّ وأحوجُ وأشدُّ فاقةً منه إلى معرفةِ ربِّه

وتوحيدِهِ وإخلاصِ العملِ له وإفرادِهِ بالعبوديةِ والمحبَّةِ والطاعَةِ. وضرورتُهُ إلى ذلك أعظمُ من ضرورَتِه إلى نَفَسِه، وَنَفَسُه وحياتُه أعظمُ من ضرورَتِه إلى غذائه الذي به قوامُ بدنِه، بل هذا لقلبِه وروحِه كالحياةِ والغذاءِ لبدنِه، وهو إنما هو إنسان بروحِه وقلبِه لا ببدنِه وقالبه؛ كما قيل:

يا خادمَ الجِسمِ كم تشقى بخدمته فأنت بالقلبِ لا بالجِسمِ إنسان

وتركُ المنهيِّ إنما شُرِعَ له تحصيلاً لهذا الأمرِ الذي هو ضروريٌّ له[1] و[ما][2] أحوجه وأفقره إليه.

الرابع: إن تركَ المنهيِّ من بابِ الحِمْيةِ، وفعلَ المأمورِ من بابِ حِفْظِ القوَّةِ والغذاءِ الذي لا تقومُ البُنْيَةُ بِدونه، ولا تحصلُ الحياةُ إلا بِه، فقد يعيشُ الإنسانُ مع تركِه الحِمْيَةَ وإن كان بدنُه عليلاً أشدَّ ما يكونُ عِلّةً ولا يعيشُ بدونِ القوةِ والغذاءِ الذي يحفظها، فهذا مثلُ المأموراتِ والمنهيّاتِ.

الخامس: إن الذنوبَ كلَّها ترجعُ إلى هذَينِ الأصلَينِ: تركِ المأمورِ وفعلِ المحظورِ، ولو فَعَلَ العبدُ المحظورَ كلَّه من أوَّلِهِ إلى آخرِه حتى أتى من مأمور الإيمانِ بأدنى أدنى مثقال ذرةٍ منه نجا بذلك من الخلودِ في النّارِ، ولو تركَ كلَّ محظورٍ ولم يأتِ بمأمورِ الإيمانِ لكان مُخلَّداً في السَّعيرِ.

فأين شيءُ مثاقيلِ الذَّرِّ منه تُخرجُ من النّار إلى شيءٍ وزن الجبالِ منه أضعافاً مضاعفَةً لا تقتضي الخلودَ في النّار مع وجودِ ذلك المأمورِ أو أدنى شيءٍ منه؟

السادس: إن جميعَ المحظوراتِ من أوَّلها إلى آخرِها تَسْقُطُ بمأمورِ التَّوبة، ولا تُسْقِطُ المأموراتِ كلَّها معصيةُ المخالفَةِ إلا بالشِّركِ أو الوَفاةِ عليه، ولا خلافَ بين الأمَّةِ أن كلَّ محظور يسقطُ بالتوبَةِ منه. واختلفوا هل تسقطُ الطاعَةُ بالمعصية؟ وفي المسألة نزاعٌ، وتفاصيل ليس هذا موضِعُه[3].

---

(١) في «ظ»: «أَضرُ شيءٍ»، والمثبت هو الصواب من حيث المبنى و المعنى، والله أعلم.

(٢) زيادة من «م».

(٣) وقد فصله في «مدارج السالكين» (١/ ٢٧٧ ـ ٢٨٢).

السابع: إن ذنبَ الأبِ[1] كان بفعلِ المحظورِ؛ فكان عاقبتُه: أن اجتباه ربُّه؛ فتابَ عليه وهدى، وذنبَ إبليسَ كان بتركِ المأمورِ؛ فكان عاقبتُه ما ذكرَ الله سبحانه وجعل هذا عبرَةً للذريَّةِ إلى يومِ القيامَةِ.

الثامن: إن المأمورَ محبوبٌ إلى الرَّبِّ، والمنهي مكروهٌ له، [وهو][2] سبحانه إنما قدَّرَه وقضاه، لأنّه ذريعةٌ إلى حصولِ محبوبِه من عبدِه ومن نفسِه تعالى: أما من عبدِه فالتوبةُ والاستغفارُ والخضوعُ والذُّلُّ والانكسارُ وغيرُ ذلك، وأما من نفسِه فبالمغفرةِ والتوبةِ على العبدِ والعفوِ عنه والصَّفحِ والحِلمِ والتجاوزِ عن حقِّه وغيرِ ذلك مما هو أحبُّ إليه تعالى من فواتِه بعدمِ تقديرِ ما يكرهُه، وإذا كان إنّما قَدَّر ما يكرهه[3] لأنه يكون وسيلةً إلى ما يحبُّه، عَلِم أن محبوبَه هو الغاية؛ ففواتُ محبوبِه أبغضُ إليه وأكره له من حصولِ مبغوضِه، بل إذا ترتب على حصولِ مبغوضِه ما يحبه من وجهٍ آخر كان المبغوضُ مراداً له إرادةَ الوسائلِ كما كان النهي عنه وكراهته لذلك.

وأما المحبوبُ فمراده إرادةَ المقاصدِ كما تقدم[4]، فهو سبحانه إنما خَلَقَ الخلْقَ لأجل محبوبِه ومأمورِه، وهو: عبادتُه وحدَه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وقدّر مكروهه ومبغوضَه تكميلاً لهذه الغايةِ التي خَلَق الخلقَ لأجلها، فإنّه ترتَّب عليه من المأموراتِ ما لم يكن يحصلُ بدون تقديرِه، كالجهادِ الذي هو أحبُّ العملِ إليه، والموالاةِ فيه والمعاداةِ فيه، ولولا محبتُه لهذه المأموراتِ لما قَدَّر من المكروه له ما يكون سبباً لحصولها.

التاسع: إنَّ تركَ المحظورِ لا يكونُ قربةً ما لم يقارنْه فعلُ المأمورِ، فلو تركَ العبدُ كلَّ محظورٍ لم يُثِبْه اللهُ عليه حتى يقارنَه مأمورُ النّيةِ بحيث يكون تركه

---

(١) هو آدم عليه الصلاة والسلام.

(٢) زيادة من «م».

(٣) في «ظ»: «يكره».

(٤) (ص ٦٨).

لله، فافتقرَ تركُ المنهياتِ بكونه قربةً يثابُ عليها إلى فعلِ المأمورِ ولا يفتقرُ فعلُ المأمورِ في كونه قربةً وطاعةً إلى تركِ المحظورِ، ولو افتقر إليه لم يقبل لله طاعةَ من عصاه أبداً، وهذا من أبطلِ الباطِلِ.

العاشر: إن المنهيَّ عنه مطلوبٌ إعدامُهُ، والمأمور مطلوبٌ إيجاده، والمرادُ: إيجادُ هذا، وإعدامُ ذاك، فإذا قُدِّرَ عَدَمُ الأمرين أو وجودُهما كان وجودُهما خيراً من عدمِهما، فإنه إذا عُدِم المأمورُ لم ينفع عدَمُ المحظورِ، وإذا وجد المأمورُ فقد يستعانُ به على دفعِ المحظورِ أو دفعِ أثرِه، فوجودُ القوَّةِ والمرضِ خيرٌ من عَدم الحياةِ والمَرَضِ.

الحادي عشر: إن بابَ المأمورِ الحسنةُ فيه بعشرِ أمثالها إلى سبعمائةِ ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرةٍ، وبابُ المحظورِ السيئةُ فيه بمثلِها، وهي بصددِ الزوالِ بالتوبةِ، والاستغفارِ، والحسَنةِ الماحيةِ، والمصيبَةِ المكفرةِ، واستغفارِ الملائكةِ للمؤمنين، واستغفارِ بعضِهم لبعضٍ وغيرِ ذلك، وهذا يدلُّ على أنّه أحبُّ إلى اللهِ من عَدَمِ المنهيِّ.

الثاني عشر: إن بابَ المنهيات يمحوه اللهُ سبحانه ويُبطِلُ أثرَه بأمورٍ عديدةٍ من فعل العبد وغيره: فإنه يبطلُه بالتوبةِ النّصوحِ، وبالاستغفارِ، وبالحسناتِ الماحيةِ، وبالمصائبِ المكفرةِ، وباستغفارِ الملائكةِ، وبدعاء المؤمنين، فهذه ستة في حال حياته. وبتشديد الموتِ وكرْبِه وسياقه عليه، فهذا عند مفارقته الدنيا.

وبهولِ المَطْلَعِ، وورعةِ الملكين في القبر، وضغطته، وعصرتِه له، وشدّةِ الموقفِ وعنائِهِ وصعوبتِهِ، وبشفاعةِ الشافعين فيه، وبرحمَةِ أرحم الراحمين له؛ فإن عجزت عنه هذه الأمورُ فلا بدَّ له من دخول النّار، ويكون لبثُه فيها على قدرِ بقاءِ خبثه ودَرَنِه، فإن الله حَرّمَ الجنةَ إلا على كلِّ طَيِّبٍ، فما دام درنُه ووسخهُ وَخبثُه فيه فهو في كير التَّطهيرِ حتى يَتصَفّى من ذلك الوسخِ والخَبَثِ.

وأما بابُ المأموراتِ فلا يبطُله إلا الشركُ.

الثالث عشر: إن جزاءَ المأموراتِ الثوابُ، وهو من بابِ الإحسانِ والفضلِ والرحمةِ، وجزاءُ المنهياتِ العقوبةُ وهي من بابِ الغضبِ والعدلِ، ورحمتُه

سبحانه تغلبُ غَضَبَه، فما تعلّق بالرحمةِ والفضلِ أَحبُّ إليه مما[1] تعلق بالغضبِ والعَدْلِ، وتعطيل ما تعلق بالرحمةِ أكره إليه من فعلِ [ما][2] تعلق بالغضبِ.

الرابع عشر: إن بابَ المنهياتِ تُسقِطُ الآلافَ المؤلفةَ منه الواحدةُ من المأموراتِ، وبابُ المأموراتِ لا يُسقِطُ الواحدةَ منه الآلافُ المؤلفةُ من المنهيات.

الخامس عشر: إن متعلِّقَ المأموراتِ الفعلُ وهو صفةُ كمالٍ، بل كمالُ المخلوقِ من فِعاله، فإنَّه فَعَلَ فَكَمُل، ومتعلِّقُ النَّهي التركُ، والتركُ عَدَمٌ، ومن حيث هو كذلك لا يكونُ كمالاً، فإن العدَمَ المحضَ ليس بكمالٍ، وإنما يكون كمالاً لما يتضمنُه أو يستلزمُه من الفعلِ الوجودي الذي هو سببُ الكمالِ، وأما أن يكون مجردُ التركِ الذي هو عدمٌ محضٌ كمالاً أو سبباً للكمال فلا.

مثال ذلك: لو تركَ السجودَ للصنمِ لم يكن كمالُه في مجردِ هذا التركِ ما لم يسجد لله، وإلا فلو تركَ السجودَ لله وللصنَمِ لم يكن ذلك كمالاً. وكذلك لو تَرَكَ تكذيبَ الرسولِ ومعاداتِه لم يكن بذلك مؤمناً ما لم يفعل ضدَّ ذلك من التصديقِ والحبِّ وموالاتِه وطاعتِه.

فعُلِمَ أن الكمالَ كلَّه في المأمورِ، وأن المنهيَّ ما لم يتصل به فعلُ المأمورِ لم يفدْ شيئاً ولم يكن كمالاً، فإن الرجُلَ لو قال للرسول لا أكذبُكَ ولا أصدقُك ولا أواليك [ولا أعاديك] ولا أحاربُك ولا أحاربُ من يحاربك لكان كافراً، ولم يكن مؤمناً بتركِ معادتهِ وتكذيبهِ ومحاربته ما لم يأتِ بالفعل الوجودي الذي أُمِر به.

السادس عشر: إن العبدَ إذا أتى بالمأمورِ به على وجهه[3] تركَ المنهي عنه ولا بد، فالمقصود إنما هو فعلُ المأمورِ، ومع فعله على وجهه[3] يتعذر فعلُ المنهيّ. فالمنهيُّ عنه في الحقيقةِ هو تعريضُ المأمورِ للإضاعَة؛ فإن العبدَ إذا

---

(١) في «ظ»: «من فعل ما».

(٢) زيادة من «م».

(٣) في «ظ»: «وجه».

فعلَ ما أُمِرَ به من العدلِ والعفَّةِ وامتنع من صدورِ الظُّلمِ والفواحِشِ منه، فنفسُ العدلِ يتضمنُ تركَ الظُّلم، ونفسُ العفَّةِ تتضمَّنُ تركَ الفواحِش، فدخل تركُ المنهيِّ عنه في المأمورِ ضِمناً وَتَبَعاً، وليس كذلك في عَكْسِه، فإن تركَ المحظورِ لا يتضمنُ فعلَ المأمور، فإنّه قد يتركهما معاً كما تقدم[1]، فعُلِم أن المقصودَ هو إقامةُ الأمرِ على وجهِهِ، ومع ذلك لا يمكن ارتكابُ النهيِّ ألبتَّةَ، وأما تركُ المنهيِّ عنه فإنه [لا] يستلزمُ إقامةَ الأمَرِ.

السابع عشر: إن الربَّ تعالى إذا أمرَ عبدَه بأمرٍ ونهاه عن أمرٍ ففعلَهما جميعاً كان قد حَصّلَ محبوبَ الربِّ وبغيضَه، فقد تقدم له من محبوبهِ ما يدفعُ عنه شرَّ بغيضِه ومقاومتَه، ولا سيما إذا كان فعلُ ذلك المحبوبِ أحبَّ إليه من تركِ ذاك البغيضِ، فيهب له من جنايتِه ما فعل من هذا بطاعتِه ويتجاوز له عما فعل من الآخِر.

ونظيرُ هذا في الشاهد: أن يقتلَ الرجُلُ عدواً للملك هو حريصٌ على قَتْلِه، وشرب[2] مسكِراً نهاه عن شُرْبه، فإنه يتجاوزُ له عن هذه الزلّةِ بل عن أمثالِها في جنبِ ما أتى به من محبوبِه. وأما إذا ترك محبوبه وبغيضه فإنه لا يقوم ترك بغيضه بمصلحة فعل محبوبه أبداً، كما إذا أمرَ الملكُ عبدَه بقتلِ عدوِّه، ونهاه عن شرب مسكر؛ فعصاه في قتل عدوِّه مع قدرتِه عليه، وتَرَكَ شربَ المسكرِ؛ فإن الملكَ لا يَهَبُ له جُرْمَه بتركِ أمرِه في جَنْبِ تركِ ما نهاه عنه، وقد فَطر اللهُ عبادَه على هذا؛ فهكذا الساداتُ مع عبيدِهم والآباءُ مع أولادِهم والملوكُ[3] مع جندِهم، والزوجاتُ مع أزواجِهِم ليس التاركُ منهم محبوبَ الأمرِ ومكروهَه بمنزلة الفاعلِ منهم محبوبِ الأمر ومكروهِهِ.

[يوضحه الوجه][4]:

---

(١) (ص ٧٠).

(٢) في «ظ»: «يشرب».

(٣) في «ظ»: «الملاك».

(٤) زيادة من «م».

الثامن عشر: إن فاعلَ محبوبِ الرَّبِّ يستحيلُ أن يفعَلَ جميعَ مكروهه، بل يترك من مكروهِهِ بقدرِ ما أتى من محبوبِه، فيستحيلُ الإتيانُ بجميعِ مكروهه وهو يفعلُ ما أحبَّه وأبغضَه، فغايتُه أنه اجتمع الأمران فيحبه الربُّ تعالى من وجهٍ، ويبغضُه من وجه. أما إذا تركَ المأمورَ به جُملةً فإنه لم يَقُمْ بما يحبُّه الربُّ عليه، فإن مجردَ تركِ المنهيِّ لا يكونُ طاعةً إلا باقترانه بالمأمورِ كما تقدم[1]، فلا يحبُّه على مجردِ التَّركِ، وهو سبحانه يكرهه ويُبغضُه على مخالفةِ الأمر، فصار مبغوضاً للرب تعالى من كلِّ وجهٍ، إذ ليس فيه ما يحبُّه الربُّ عليه فتأمله.

[يوضحه الوجه][2]:

التاسع عشر: وهو أن اللهَ سبحانه لم يعلِّقْ محبتَه إلا بأمرٍ وجودي أمرَ به إيجاباً أو استحباباً، ولم يعلقْها بالتَرْكِ من حيث هو تَرْكٌ ولا في موضعٍ واحدٍ، فإنه يُحِبُّ التَّوابين، ويحبُّ المحسنين، ويحبُّ الشاكرين، ويحب الصابرين، ويحبُّ المُتَطهرين، ويحبُّ الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيانٌ مرصوصٌ، ويحبُّ المتقين، ويحبُّ الذاكرين، ويحبُّ المتصدقين؛ فهو سبحانه إنَّما علق محبتَهُ بأوامره، إذ هي المقصودُ مِنَ الخَلْقِ والأمرِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦]، فما خَلَقَ الخلقَ إلا لقيامِ أوامرِه، وما نهاهم إلا عمّا يصدُّهم عن قيامِ أوامِره ويعوقهم عنها.

[يوضحه الوجه][3]:

العشرون: إن المنهياتِ لو لم تصدَّ عن المأموراتِ وتمنع وقوعَها على الوجه الذي أمرَ اللهُ بها لم يكن للنهيِّ عنها معنىً، وإنما نهى عنها لمضادَّتِهَا لأوامِرها وتعويقِهَا لها وصدِّها عنها، فالنهيُّ عنها مِن بابِ التكميلِ والتتمَّةِ للمأمورِ، فهو بمنزلةِ تنظيفِ طرقِ الماءِ ليجري في مجاريه غير معوَقٍ. فالأمر بمنزلة الماءِ الذي أرسل في نهر لحياةِ البلادِ والعبادِ، والنهيُّ بمنزلة الحِمْيةِ الحافظةِ للقوةِ والداءِ والخادمِ لها.

---

(١) (ص ٧٠).

(٢) زيادة من «م».

(٣) زيادة من «م».

قالوا: وإذا تبيَّن أن فعلَ المأمور أفضلُ فالصبرُ عليه أفضلُ أنواعِ الصبر، وبه يسهلُ عليه الصبْرُ من المحظورِ والصبرُ على المقدورِ، فإن الصبرَ الأعلى يتضمنُ الصبرَ الأدنى دون العكس.

وقد ظهر لك من هذا: أن الأنواعَ الثلاثةَ متلازمةٌ، وكلٌّ نوعٍ منها يعينُ على النوعين الآخرين، وإن كان من الناسِ مَنْ قُوَّةُ صَبرِهِ على المقدورِ فإذا جاء الأمرُ والنهيُّ فقوةُ صبره هناك ضعيفةٌ، ومنهم من هو بالعكس من ذلك، ومنهم من قوة صبره في جانِبِ الأمرِ أقوى، ومنهم من هو بالعكس، والله أعلم.



الباب العاشر
انقسام الصبر إلى محمود ومذموم

[الصبر ينقسم إلى قسمين: قسم مذموم، وقسم ممدوح][1].

فالمذمومُ الصبرُ عن اللهِ وإرادتِهِ ومحبتهِ وسيرِ القلب إليهِ، فإنَّ هذا الصبرَ يتضمَّنُ تعطيلَ كمالِ العبد بالكليةِ وتقويةِ ما خُلِقَ له، وهذا كما أنه أقبحُ الصبرِ فهو أعظمهُ وأبلَغهُ، فإنه لا صَبر أبلغ من صبرِ مَن صَبَر عن محبوبه الذي لا حياة له بدونه أَلبتَةَ، كما أنه لا زهدَ أبلغ من زهدِ الزاهد فيما أعدَّ اللهُ لأوليائهِ من كرامتِه مما لا عينَ رأت، ولا أذنَ سمعت، ولا خَطَر على قلبِ بشرٍ، فالزهد في هذا أعظمُ أنواعِ الزهدِ؛ كما قال رجل لبعض الزاهدين وقد تعجب لزهده: ما رأيتُ أزهد منك! فقال: أنت أزهد مني، أنا زهدت في الدنيا وهي لا بقاء لها ولا وفاء، وأنت زهدت في الآخرة فمن أزهد منا؟

قال يحيى بن معاذ الرازي[2]: «صبر المحبين أعجب من صبر الزاهدين، واعجباً كيف يصبرون؟».

وفي هذا قيل:

الصبرُ يُحْمَدُ في المواطِنِ كلها ... إلا عليك فإنه لا يُحْمَدُ[3]

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) أبو زكريا الواعظ من أهل الري، له مواعظ مشهورة، وأقوال منثورة، أقام ببلخ ومات بنيسابور سنة (٢٥٨هـ). [ترجمته: في «الرسالة القشيرية» (ص٤١٤)، و«طبقات الصوفية» (ص١٠٧ ـ ٤١٤)، و«صفوة الصفوة» (٤/ ٧١ ـ ٨٠)، و«شذرات الذهب» (٢/ ١٣٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ١٥)].

(٣) «الرسالة القشيرية»، (ص١٨٤).

ووقف رجلٌ على الشِّبلي[1] فقال: أي الصبرِ أشدُّ على الصابرين؟. فقال: الصَبْرُ في الله؟ قال: لا. فقال: الصبر لله؟. فقال: لا. قال: الصبر مع الله؟. قال: لا. فأيش هو؟ قال: الصبرُ عن اللهِ. فصرخ الشِّبليُ صرخةً كادَت روحُه تَزْهَق[2].

وقيل: الصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله جفاء.

وقد أجمع الناس على أن الصبرَ عن المحبوبِ غيرُ محمودٍ، فكيف إذا كان كمالُ العبدِ وفلاحُه في محبته. ولم تزل الأحبابُ تعيب المحبين بالصَبرِ عنهم كما قيل[3]:

والصبرُ عنك فمذموم عواقبُه ... والصبر في سائرِ الأشياءِ محمود

وقال آخر في الصبر عن محبوبه[4]:

إذا لعب الرجالُ بكل شيءٍ ... رأيت الحبَّ يلعبُ بالرجالِ

وكيف الصبرُ عمن حلَّ مني ... بمنزلة اليمين من الشمال

وشكا آخرُ إلى محبوبِهِ ما يقاسي من حبه فقال: لو كنت صادقاً لما صبرت عني.

---

(١) أبو بكر دلف بن جحدر أصله من الشُّبلية قرية من قرى أشروستة بلدة عظيمة وراء سمرقند، ومولده بسامراء، صحب الجنيد، وكان فقيهاً على مالك، وكتب الحديث عن طائفة، له أحوال وأقوال في التصوف وعقائده تدل على خلل في معتقده. قال الذهبي: «لكنه كان يحصل له جفاف دماغ وسكر؛ فيقول أشياء يعتذر عنه، فيها باء[أ] لا تكون قدوة».

[ترجمته في: «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٣٦ ـ ٣٧٥)، و«تاريخ بغداد» (١٤/ ٣٨٩ ـ ٣٩٧)، «الأنساب» (٧/ ٢٨٢ ـ ٢٨٤)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٢١٥ ـ ٢١٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٣٦٧ ـ ٣٦٩)، و«النجوم الزاهرة» (٣/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠)، و«المنتظم» (٦/ ٢٤٧ ـ ٢٤٩)، و«شذرات الذهب» (٢/ ٣٣٨)].

(٢) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٥).

(٣) المصدر السابق (ص١٨٦).

(٤) المصدر نفسه.

(أ) تكبر وافتخار.

ولما شكوتُ الحبَّ قالت: كذبتني ترى الصَّبَّ عن محبوبه كيف يَصبِرُ

فصل

وأما الصبر المحمودُ فنوعان: صبرٌ لله وصبرٌ بالله، قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، وقال: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

وقد تنازعَ الناسُ أي الصبرين أكمل؟.

فقالت طائفةٌ: الصبرُ له أكمل؛ فإن ما كان لله أكملُ مما كان بالله، فإن ما كان له غايةٌ وما كان به فهو وسيلةٌ، والغايات أشرفُ من الوسائل، ولذلك وجبَ الوفاءُ بالنذرِ إذا كان تبرراً وتقرباً إلى الله؛ لأنه نَذْرٌ له، ولم يجب الوفاء به إذا خرج مخرج اليمين لأنه حلفٌ به، فما كان له سبحانه فهو متعلقٌ بألوهيته، وما كان به فهو متعلقٌ بربوبيته، وما تعلقَ بألوهيته[١] أشرفُ مما تعلق بربوبيته، ولذلك كان توحيد الألوهية هو المنجي من الشِّركِ دون توحيدِ الربوبية بمجرده؛ فإن عُبّادَ الأصنام كانوا مقرين بأن الله وحدَه خالقُ كلِّ شيءٍ وربُّه ومليكُه، ولكن لما لم يأتوا بتوحيدِ الألوهية[١]، وهو: عبادتُه وحده لا شريكَ له لم ينفعهم توحيدُ ربوبيته.

وقالت طائفة: الصبر بالله أكمل بل لا يمكن الصبر له إلا بالصبرِ به؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ﴾ فأمرَه بالصبر، والمأمورُ به هو الذي يُفْعَل لأجلِه، ثم قال: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]؛ فهذه جملةٌ خبريةٌ غير الجملة الطلبية التي تَقدَّمتْها، أخبر فيها أنه لا يمكنه الصبر إلا به.

وذلك يتضمن أمرين: الاستعانة به، والمعية الخاصة التي تدل عليها باء المصاحبة، كقوله: «فبي يسمعُ، وبي يُبصِرُ، وبي يبطِشُ، وبي يمشي»[٢]، وليس المرادُ بهذه الباء الاستعانةَ، فإن هذا أمرٌ مشتركٌ بين المطيع والعاصي، فإن

---

(١) في «ظ»: «الإلهية».

(٢) جزء من حديث الولي: أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ما لا يكون بالله لا يكون، بل هي باءُ المصاحبةِ والمعيَّةِ التي صرَّح بمضمونها في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وهي المعيَّةُ الحاصلةُ لعبدِه الذي تَقَرَّب إليه بالنوافل حتى صار محبوباً له، فبه يسمع وبه يبصرُ، وكذلك به يصبرُ، فلا يتحركُ ولا يسكنُ ولا يدركُ إلا والله معه، ومن كان كذلك أمكنه الصبرُ له وتَـحَمُّل الأثقالِ لأجلهِ؛ كما في الأثر الإلهيِّ[1]: «بعيني ما يتحمَّلُ المتحمّلون من أجلي»[2]؛ فدلَّ قولهُ: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، على أنه من لم يكن اللهُ معه لم يمكنه الصبرُ، وكيف يصبرُ على الحكمِ الأمريِّ امتثالاً وتنفيذاً وتبليغاً، وعلى الحكم القدري احتمالاً له واضطلاعاً به من لم يكن اللهُ معه؟ فلا يطمعُ في درجةِ الصبرِ المحمودة عواقبُه من لم يكن صبرُه بالله، كما لا يطمعُ في درجة التقريبِ المحبوب من لم يكن سمعُه وبصرُه وبطشُه ومشيُه بالله.

وهذا هو المراد من قوله: «كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يَبطش بها» ليس المراد: أنني كنت نفس هذه الأعضاء والقوى، كما يظنُه أعداءُ الله أهلُ الوحدة، وأن ذاتَ العبدِ هي ذاتُ الرَّبِّ تعالى اللهُ عن قول إخوانِ النصَارى علواً كبيراً.

ولو كان كما يظنون لم يكن فرق بين هذا العبدِ وغيرِه. ولا بين حَالَتَيْ تقرُّبِهِ إلى ربِّه بالنوافل وتمقته إليه بالمعاصي، بل لم يكن هناك مُتَقَرِبٌ ومتَقَرَّبٌ إليه، ولا عبدٌ ولا معبودٌ، ولا محبٌّ ولا محبوبٌ؛ فالحديث كله مُكَذِّبٌ لدعواهم الباطلَةِ من نحو ثلاثين وجهاً تعرف بالتأمُّلِ الظَاهِرِ.

وقد فُسِّرَ المرادُ من قوله: «كنت سمعه، وبصره، ويده، ورجله» بقوله: «فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي» فعبر عن هذه المصاحبة التي حصلت بالتَّقرُّب إليه بمحابِّهِ بألطف عبارة وأحسنها تَدلُّ على تأكُّدِ المصاحبةِ ولزومها حتى صار بمنزلة سمعه، وبصره، ويده، ورجله.

---

(١) في «ظ»: «آلهي» وفي هامشها: «لعله الإلهي».

(٢) «الرسالة القشيرية»، (ص١٨٦).

ونظيرُ هذا قوله: «الحجرُ الأسودُ يمينُ الله في الأرض؛ فمن صافَحه وَقبَّلَهَ؛ فكأنما صافحَ اللهَ، وقبَّلَ يمينَه»[١].

ومثلُ هذا سائغٌ في الاستعمالِ أن ينزل إلى منزلَةِ مَا يُصاحبُه ويقارِنُه حتى يقولَ المحبُّ للمحبوبِ: أنت روحي، وسمعي، وبصري، وفي ذلك معنيان:

أحدهما: صار منه بمنزلة روحه وقلبه وسمعه وبصره.

والثاني: أن محبَّتَهُ وذكرَه لما استولى على قلبه وروحه صار معه وجليسه، كما في الحديث: «يقول الله تعالى أنا جليس من ذكرني»[٢]، وفي الحديث الآخر: «أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه»[٣]، وفي الحديث الإلهي[٤]: «فإذا أحببت عبدي كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً»[٥]، ولا يعبر عن هذا المعنى بأتم من هذه العبارةِ ولا أحسن ولا ألطف منها، وإيضاحُ هذه العبارة مما يزيدُها جفاءً وخفاءً.

---

(١) **باطل**؛ كما نص على ذلك ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٥٧٥)، وابن العربي كما في «فيض القدير» (٣/ ٤٠٩)، وأقرهما المناوي. وضعفه شيخنا في «الضعيفة» (٢٢٣).

(٢) **لا أصل له مرفوعاً** - أورده الغزالي في «بداية الهداية» (ص١١٥) دون إسناد وليس له أصل في المرفوع، لكن أورده الديلمي في «مسند الفردوس» من حديث ثوبان مرفوعاً لكنه دون إسناد؛ كما تقدم، وإنما أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٠) عن كعب الأحبار قال: «قال موسى: يا رب أقريب أنت فأناجيك أو بعيد فأناديك؟ فقال: يا موسى أنا جليس من ذكرني». قلت: فيه أبو مروان الأسلمي مجهول الحال، وبين كعب الأحبار وموسى مفاوز تنقطع دونها أعناق الإبل.

(٣) **صحيح** - أخرجه البخاري (١٣/ ٤١٧) معلقًا، ووصله في «خلق أفعال العباد» (٤٣٦)، ووصله ابن ماجه (٣٧٩٢)، وأحمد (٢/ ٥٤٠)، وابن حبان (٨١٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٩٥٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٤٢) وغيرهم من حديث أبي هريرة. قلت: إسناده صحيح؛ كما قرره الحافظان المزي وابن حجر. وأخرجه الحاكم (١/ ٤٩٦) وجعله من مسند أبي الدرداء، وقال الحافظ المزي في «تحفة الأشراف» (١١/ ١٠٩). «ليس بمحفوظ»، قلت: وهو كما قال.

(٤) في «ظ»: «إلهي»، وفي هامشها: «ولعله الإلهي».

(٥) مضى معناه في حديث الولي (ص٧٨).

والمقصود: إنما هو ذكر الصبر بالله، وإن العبد بحسب نصيبِه من معية الله له يكون صبرُه، وإذا كان الله معه أمكن أن يأتي من الصبر بما لا يأتي به غيره.

قال أبو علي: فاز الصابرون بعزِّ الدارين؛ لأنهم نالوا من الله معيته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦][(١)].

وهاهنا سر بديع وهو: أن من تعلَّق بصفةٍ من صفاتِ الرَّبِّ تعالى أدخلته تلك الصفةُ عليه وأوصلتُه إليه، والرب تعالى هو الصَّبورُ بل لا أحدَ أصبر على أذى سمعه منه، وقد قيل: إن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى داود: «تَخَلَّق بأخلاقي؛ فإن من أخلاقي إني أنا الصبور»[(٢)]، والرَبُّ تعالى يحب أسماءَه وصفاته، ويحبُّ مقتضى صفاتِه وظهورَ آثارِها في العبد، فإنه جميلٌ يحبُّ الجمالَ، عفوٌ يحب أهلَ العفو، كريمٌ يحبُّ أهلَ الكرَم، عليمٌ يحبُّ أهل العِلم، وتر يحبُّ أهلَ الوتر، قويٌّ والمؤمنُ القويُّ أحبُّ إليه من المؤمنِ الضعيف، صبورٌ يحبُّ الصابرين، شكورٌ يحبُّ الشاكِرين، وإذا كان سبحانه يحبُّ المتصفين بآثارِ صفاتِه فهو معهم بحسب نصيبهم من هذا الاتصافِ؛ فهذه المعيَّةُ الخَاصَّةُ عَبّرَ عنها بقوله: «كنت له سمعاً، وبَصَراً، ويَداً، ومؤيَّداً».

وزاد بعضُهم قِسماً ثالثاً من أقسام الصبر: وهو الصبْرُ مع الله، وجعلوه أعلى أنواعِ الصبْرِ، وقالوا: هو الوفاءُ. ولو سُئِل هذا عن حقيقَةِ الصَّبرِ مع الله لما أمكنه أن يفسِّرَه بغير الأنواعِ الثَّلاثةِ التي ذُكِرت، وهي: الصبرُ على أقضيتهِ، والصبرُ على أوامِره، والصبر على نواهيه، فإن زعم أن الصبرَ مع الله هو الثباتُ معه على أحكامه يدورُ معها حيث دارت؛ فيكون دائماً مع الله لا مع نفسهِ فهو مع الله بالمحبةِ والموافقةِ، فهذا المعنى حقٌ ولكن مدارَه على الصبرِ على الأنواعِ المتقدمة، وإن زَعَم أنَّ الصبرَ مع الله هو الجامعُ لأنواعِ الصبر، ولكن جعله قسماً رابعاً من أقسامِ الصبرِ غير مستقيم.

واعلم أن حقيقةَ الصبرِ مع الله هو ثباتُ القلبِ بالاستقامَةِ معه، وهو أن لا

---

(١) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٦).

(٢) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٥).

يروغَ عنه روغانَ الثعالب ها هنا و ها هنا، فحقيقةُ هذا هو الاستقامة إليه وعكوفُ القلب عليه.

وزاد بعضهمُ قسماً آخراً من أقسامِه، وسمّاه: الصبر فيه. وهذا أيضاً غيرُ خارج عن أقسامِ الصبر المذكورةِ ولا يعقلُ من الصبرِ فيه معنى غير [معنى][1] الصبر له، وهذا كما يقال: فعلت هذا في الله وله، كما قال خُبيب[2]:

وذلــك فــي ذاتِ الإلــه وإن يَـشَــأ ... يُـبـارك عـلـى أوصـالِ شِـلْـوٍ مُـمَـزَّعِ

وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ [الحج: ٧٨]. وفي حديث جابر: «إن اللهَ تعالى لّما أحيا أباه وقال تمنَّ، قال: يا رب أن ترجعني إلى الدنيا حتى أقتل فيك مرة ثانية»[3]، وقال ﷺ: «ولقَدَ أوذيتُ في اللهِ وما يُؤذى أحد»[4].

وهذا يفهم منه معنيان:

أحدهما: أن ذلك في مرضاتِه وطاعتِه وسبيلِه، وهذا فيما يفعله الإنسانُ

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) هو خبيب بن عدي بن مالك الأوسي الأنصاري الشهيد، أسر يوم الرجيع، واشتراه كفار مكة؛ ليقتلوه بمن قتل منهم يوم بدر، وقصته معروفة وثباته مشهور، وهو أول من سنَّ الصلاة قبل الموت وأقره رسول الله ﷺ. أخرج البخاري قصة قتله في مواطن من «صحيحه» (٣٠٤٥ و٤٠٨٦، ٧٤٠٢). [ترجمته في: «الإصابة» (١/ ٤١٨)، و«أسد الغابة» (١/ ٥٩٧)، و«حلية الأولياء» (١/ ١١٢)، و«سير أعلام النبلاء» (١/ ٢٤٦)].

(٣) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠ و٢٨٠٠)، وأحمد (٣/ ٣٦١) وغيرهم. قلت: وهو صحيح.

(٤) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٢٤٧٢)، وابن ماجه (١٥١)، وأحمد (٣/ ١٢٠ و٢٨٦)، وأبو يعلى (٣٤٢٣)، وابن حبان (٦٥٦٠)، وابن أبي شيبة (١١/ ٤٦٤،١٤/ ٣٠٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٥٠) من طريق حماد بن سلمة حدثنا ثابت عن أنس قال: قال رسول ﷺ: «لقد أُخفت في الله وما يُخاف أحدٌ، ولقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد، ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال». قلت: إسناده صحيح على شرط مسلم.

باختيارِه؛ كما في الحديث « تعلمت فيك العلم»[1].

والثاني: أنه بسببِه وبجهتِه حصل ذلك، وهذا فيما يصيبُه بعد اختيارِه، وغالباً ما يأتي قولُهم ذلك في الله في هذا المعنى، فتأمل قوله ﷺ: «ولقد أوذيت في الله»، وقول خُبيب: «وذلك في ذاتِ الإله»، وقول عبد الله بن حرام: «حتى أقتل فيك» وكذلك قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فإنه يترتب عليه الأذى فيه سبحانه. وليست (في) ها هنا للظرفية ولا لمجرد السببية وإن كانت السببية هي أصلها، فانظر إلى قوله: «في نفس المؤمن مائة من الإبل»[2]، وقوله: «دخلت امرأه النار في هرة»[3]، كيف تجد فيه معنى زائداً على السببية. وليست (في) للوعاء في جميع معانيها، فقولك: فعلت هذا في مرضاتك، فيه معنى زائد على قولك: فعلته لمرضاتك، وأنت إذا قلت: أوذيتُ في الله، لا يقوم مقام هذا اللفظ كقولك: أوذيت لله، ولا بسبب الله، وإذا فهم المعنى طوي حكم العبارة.

والمقصود: أن الصبرَ في الله إن أريدَ به هذا المعنى فهو حق، وإن أريد به معنى خارج عن الصبر على أقضيتِهِ، وعلى أوامرِهِ، وعن نواهيه وله وبه لم يحصل، فالصابِرُ في الله كالمجاهدِ في الله، والجهادُ فيه لا يخرج عن معنى الجهاد به وله، والله الموفق.

---

(١) جزء من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الثلاثة الذين تُسَعَّر فيهم جهنم ـ عياذاً بالله ـ أخرجه مسلم (١٩٠٥) بطوله.

(٢) **صحيح** ـ أخرجه مالك (٢/ ٨٤٩/ ١)، ومن طريقه النسائي (٨/ ٦٠) من طريق عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه قال: الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم في العقول[أ]: «إن في النفس مائة من الإبل...» الحديث. قلت: مرسل صحيح الإسناد، وله شاهد من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه؛ فالحديث به صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣١٨)، ومسلم (٢٢٤٢) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه. وله شاهد من حديث أبي هريرة في «الصحيح».

(أ) جمع عقل، وهي: الدية إبلاً كانت أو نقدًا، وسميت بذلك؛ لأن الإبل كانت تعقل بفناء ولي المقتول، فهي تسمية بالمصدر.

وأما قول بعضهم: «الصبرُ لله غناءٌ، والصبرُ بالله بقاءٌ، والصبرُ في الله بلاءٌ، والصبر مع الله وفاءٌ، والصبر على الله جفاءٌ»[١]، فكلامٌ لا يجبُ التسليمُ لقائلِه؛ لأنه ذكر ما سنح له وتصوره، وإنما يجب التسليمُ للنقل المصدَّقِ عن القائل المعصوم.

ونحن نشرحُ هذه الكلمات:

أما قوله: «الصبر لله غناء»، فإن الصبرَ لله بتركِ حظوظِ النّفسِ ومرادِها لمراد الله، وهذا أشقُّ شيءٍ على النفسِ وأصعبُه، فإن قطعَ المفازةِ التى بين النفس وبين الله بحيث يسيرُ منها إلى اللهِ شديدٌ جداً على النّفسِ، بخلاف السّفر إلى الآخرةِ فإنّه سهلٌ كما قال الجنيد: «السَّيرُ من الدنيا إلى الآخرةِ سَهلٌ ـ يعني على المؤمن ـ وهُجرانُ الخَلْقِ في جَنْبِ الحقِّ شديدٌ، والسَّيرُ من النّفْسِ إلى الله صعبٌ شديدٌ، والصبرُ مع الله أشَدُّ»[٢].

وأما قوله: «والصبر بالله بقاء»؛ فلأن العبدَ إذا كان بالله هان عليه كلُّ شيءٍ، ويتحملُ الأثقالَ ولم يَجِد لها ثقلاً، فإنه إذا كان بالله لا بالخَلْقِ ولا بنفسِه كان لقلبِه وروحِه وجودٌ آخر وشأنٌ غيرَ شأنِه إذا كان بنفسِه وبالخَلقِ، وبهذا الحال لا يجد عناءَ الصبرِ ولا مرارتَه، وتنقلب مشاقُّ التكليفِ له نعيماً وقرةَ عينٍ؛ كما قال بعض الزهاد: عالجتُ قيامَ الليل سَنَة وتَنَعَّمتُ به عشرين سنةً»، ومن كانت[٣] قرة عينه في الصلاة لم يَجِد لها مشقةً وكلفةً.

وأما قوله: «والصبر في الله بلاء»؛ فالبلاءُ فوق العناء، والصبرُ فيه فوق الصبر له وأخص منه؛ كما تقدم[٤]، فإن الصبرَ فيه بمنزلةِ الجهادِ فيه وهو أشقُّ من الجهادِ له، فكلُّ مجاهدٍ في اللهِ وصابرٍ في اللهِ مجاهدٌ له وصابرٌ له من غيرِ عكسٍ، فإنَّ الرجلَ قد يجاهدُ ويصبرُ لله مرةً فيقع عليه اسمُ من فَعَل ذلك لله،

(١) «الرسالة القشيرية»، (ص١٨٦).
(٢) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٣).
(٣) في «م»: «كانت له» وهو خطأ.
(٤) (ص ٨٢ ـ ٨٤).

ولا يقعُ عليه اسمُ من فَعل ذلك في اللهِ، وإنما يقع على من انغمس في الجهادِ والصَبرِ ودخل الجنة.

وأما قوله: «الصبرُ مع اللهِ وفاء»؛ فلأن الصَبْرَ معه هو الثباتُ معه على أحكامِه، ولا يزيغُ القلبُ عن الإنابةِ، ولا الجوارحُ عن الطاعةِ؛ فتعطى المعيةُ حقَّها من التَّوفيةِ؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ۝٣٧﴾ [النجم: ٣٧]؛ أي: وفّى ما أُمِرَ به بصبرِه مع الله على أوامِرِه.

وأما قولُه: «والصبرُ عن الله جفاء»؛ فلا جفاءَ أعظمُ ممن صبرَ عن معبودِه وإلهه ومولاه الذي لا مولى له سواه، ولا حياةَ له ولا صلاحَ ولا نعيمَ إلا بمحبته والقربِ منه وإيثار مرضاتِه على كلِّ شيءٍ، فأي جفاءٍ أعظمُ من الصبرِ عنه.

وهذا معنى قولِ من قال: «الصبرُ على ضربين: صبر العابدين وصبر المحبين، فصبرُ العابدين أحسنه أن يكون محفوظاً، وصبر المحبين أحسنه أن يكون مرفوضاً»، كما قيل:

يبينُ يومَ البْينِ أن اعتزامَه على الصـ ... ـبـر إحـدى الـظُّـنـونِ الـكَـواذِبِ[1]

وقال الآخرُ:

ولـمـا دَعـوتُ الـصَـبْـرَ بـعـدكَ والـبُـكـا ... أجابَ البُكا طَوْعاً ولم يُجب الصَبْرُ

قالوا: ويدل عليه أن يعقوب صلوات الله وسلامه عليه قال﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨و ٨٣] ثم حمله الوَجْدُ على يوسف والشوقُ إليه أن قال: ﴿يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف: ٨٤]، فلم يكن عَدَمُ صبرِه منافياً لقوله ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾، فإن الصبرَ الجميلَ هو الذي لا شكوى معه، ولا تنافيه الشكوى إلى الله سبحانه وتعالى، فإنه قد قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦]، واللهُ تعالى أمرَ رسولَه بالصَبْر الجَميلِ، لأن مَن فَقَده فَقَدَ الصَبْرَ الجميلَ، وقد امتثلَ ما أمرَه به وقال: «اللهم إليك أشكو ضعفَ قوّتي وقلةَ حيلتي» الحديث[2].

(١) «الرسالة القشيرية»، (ص ١٨٨).

(٢) سبق تخريجه وبيان ضعفه (ص ٣٨).

وأما قول بعضهم: «إن الصبرَ الجميلِ أن يكون صاحب المصيبةِ في القوم لا يُدرى من هو»[1] فهذا من الصبْرِ الجميلِ؛ لأن من فَقَدَه فَقَدَ الصبرَ الجميلَ، فإن ظهورَ أثرِ المصيبةِ على العبدِ مما لا يمكن دَفْعُه ألبتة، وبالله التوفيق.

وزاد بعضهم في الصبرِ قسماً آخرَ وسمّاه الصبرُ على الصَبْر، وقال: هو أن يستغرقَ في الصبرِ حتى يعجز الصبرُ عن الصَبْرِ؛ كما قيل:

صابر الصبر فاستغاث به الصبرُ فصاحَ المحبُّ بالصبْرِ صَبْراً

وليس هذا خارجاً عن أقسام الصبرِ، وإنما هو المرابَطُةُ على الصَبْرِ، والثباتُ عليه، والله أعلم.



(١) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٧).

الباب الحادي عشر
في الفرق بين صبر الكرام وصبر اللئام

كلُّ أحدٍ لا بد أن يصبرَ على بعضِ ما يكره إما اختياراً وإما اضطراراً، فالكريمُ يصبرُ اختياراً لعلمه بحُسنِ عاقبةِ الصبر، وأنه يُحمدُ عليه ويذمُّ على الجَزَعِ، وأنه إن لم يصبر لم يَرُد الجَزَعُ عليه فائتاً، ولم ينزع عنه مكروهاً، وأن المقدورَ لا حيلةَ في دفعِه، وما لم يُقدَّر لا حيلَة في تحصيلِه، فالجَزَعُ ضرُّهُ أقربُ من نفعِه، قال بعض العقلاء: «العاقلُ عند نزولِ المصيبَةِ يفعلُ ما يفعلُه الأحمقُ بعد شهر»؛ كما قيل:

وأن الأمــرَ يُـفـضـي إلـى آخــر   فــيـصــيــرُ آخــرُه أولاً

فإذا كان آخرُ الأمرِ الصَبرَ، والعبدُ غيرُ محمودٍ، فما أحسن بِه أن يستقبِلَ الأمرَ في أولِه بما يستدبره الأحمقُ في آخرِه.

وقال بعضُ العقلاء: «من لم يصبر صبرَ الكرامِ سَلا سلوَ البهائِم».

فالكريمُ ينظرُ إلى المصيبَةِ، فإن رأى الجَزَع يردُّها ويدفعُها فهذا قد ينفعه الجَزَعُ، وإن كان الجَزَعُ لا ينفعه فإنه يجعلُ المصيبةَ مصيبَتَين. وأما اللئيمُ فإنه يصبُر اضطراراً؛ فإنه يحوم حولَ ساحَةِ الجزَعِ فلا يراها تجدي عليه شيئاً فيصبر صبرَ الموثَقِ للضَّرْبِ. وأيضاً فالكريمُ يصبرُ في طاعةِ الرحمن، واللئيمُ يصبر في طاعَةِ الشيطان؛ فاللئامُ أصبَرُ الناس في طاعةِ أهوائِهم وشهواتِهم وأقلُّ الناسِ في طاعةِ ربهم. [فاللئيم][1] يصبر[2] على البَذْلِ في طاعةِ الشيطان أتَمَّ صبرٍ، ولا

(١) زيادة في «ظ».

(٢) في «م»: فيصبر.

يصبرُ في طاعةِ الله في أيسَرِ شيءٍ، ويصبرُ على تحمّل المشاقِّ لهوى نفسِه في مرضاةِ عدوِّه، ولا يصبرُ في أدنى المشاقِّ في مرضاةِ ربه، ويصبرُ على ما يقال في عرْضِه في المعصية، ولا يصبرُعلى ما يقال في عرضِه إذا أوذي في اللهِ، بل يَفِرُّ من الأَمرِ بالمعروفِ والنّهي عن المنكرِ خشيةَ أن يتكَلَّمَ في عرضِه في ذاتِ الله، ويبذل عرضَه في هوى نفسِه [وهوى][1] مرضاته صابراً على ما يقال فيه، وكذلك يصبرُ على التبذُّلِ بنفسِه وجاهِه في هوى نفسِه ومرادِه ولا يصبرُ على التبذُّلِ لله في مرضاتِه وطاعتِه، فهو أصبرُ شيءٍ على التَّبَذُّلِ في طاعة الشيطان ومراد نفسه وأعجز شيءٍ عن الصبرِ على ذلك في الله، وهذا أعظمُ اللؤمِ، ولا يكون صاحبُه كريماً عند الله، ولا يقومُ مع أهلِ الكرمِ إذا نودي بهم يومَ القيامة على رؤوسِ الأشهادِ، ليعلم أهلُ الجمعِ من أولى بالكرم اليوم. . . أين المتقون؟.



(١) زيادة من «ظ».

الباب الثاني عشر
في الأسباب التي تعين على الصبر

لما كان الصبرُ مأموراً به جعل الله سبحانه له أسباباً تُعينُ عليه وتوصلُ إليه، وكذلك ما أمرَ الله سبحانه بالأمرِ إلا أعانَ عليه ونصبَ له أسباباً تمدُّه وتعينُ عليه، كما أنه ما قدَّر داءاً إلا وقدَّر له دواءاً [أو][1] ضمنَ الشفاءَ باستعمالِه[2].

فالصبرُ وإن كان شاقّاً كَرِيهاً على النفوسِ فتحصيلُه ممكنٌ، وهو يتركبُ من مُفردين: العلمِ والعملِ، فَمِنهما تُرَكَّبُ جميعُ الأدويةِ التي تداوى بها القلوبُ والأبدانُ، فلا بدَّ من جزءٍ علميٍ وجزء عَمليٍ، فمنهما يُركَّبُ هذا الدواء الذي هو أنفعُ الأدوية.

فأما الجزءُ العلمي فهو إدراك ما في المأمورِ من الخيرِ والنفعِ واللَّذةِ والكمالِ، وإدراكُ ما في المحظورِ من الشرِّ والضُرِّ والنَقْصِ، فإذا أدرك هذين العلمين كما ينبغي أضاف إليهما العزيمةَ الصادقةَ والهمَّةَ العاليةَ والنَخْوةَ والمروءةَ الإنسانيةَ وضم هذا الجزءَ إلى هذا الجزءِ، فمتى فعل ذلك حَصَل له الصَبْر وهانت عليه مشاقُّه وحَلَت له مرارتُه وانقلب ألمهُ لَذّةً، وقد تَقَدَّمَ: «أن الصَبْرَ مصارَعة باعِثِ العَقْلِ والدينِ باعثَ الهوى والنفْسِ»[3]، وكلُّ متصارعين أراد أن

---

(١) في «م»: «و».

(٢) لقوله ﷺ: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء». أخرجه البخاري (٥٦٧٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وهو من أفراد البخاري، ووهم المصنف رحمه الله في «زاد المعاد» (٤/ ١٣ و١٣٣)؛ فعزاه للصحيحين. وفي الباب عن جابر، وأسامة بن شريك، وعبد الله بن مسعود وغيرهم رضي الله عنهم.

(٣) (ص ٤١).

يتغلَّبَ أحدُهما على الآخرِ، فالطريق فيه تقويةُ من أراد أن تكونَ الغلبَةُ له ويضعُفُ الآخَرُ كالحالِ مع القُوةِ والمرضِ سواء، فإذا قوي باعثُ شهوةِ الوقاع المحرم وغلب بحيث لا يملك معها فرجه، أو يملكه ولكن لا يملك طرْفَه، أو يملكه ولكن لا يملك قَلْبَه، بل لا يزالُ يحدثه بما هناك ويعدُه ويمينه ويصرفُه عن حقائق الذّكرِ والتفكرِ فيما ينفعه في دنياه وآخرتِه.

فإذا عَزَم على التداوي ومقاومةِ هذا الداء فليضعفه أولاً بأمورٍ:

أحدها: أن ينظرَ إلى مادةِ قوةِ الشهوةِ فيجدها من الأغذيةِ المحركة لِلشهوة إما بنوعِها أو بكمِّيتِها وكثرتها ليحسمَ هذه المادةَ بتقليلها، فإن لم تنحسمْ؛ فليبادِر إلى الصَومِ فإنه يضعفُ مجاري الشَّهوةِ ويكسر حَدَّتَها[1]، ولا سيّما إذا كان أكلُه وقتَ الفِطْرِ مُعَتدِلاً.

والثاني: أن يجتنب مُحَرِّكَ الطلَبِ وهو النَّظَرُ، فليقصر لجامَ طَرْفِه ما أمكنه، فإن داعي الإرادةِ والشهوةِ إنما يهيجُ بالنَّظَرِ، والنَّظَرُ يحرِّكُ القلْبَ بالشهوة، وفي «المسند»[2] عنه ﷺ: «النَّظَرُ سَهْمُ مَسمومٌ من سهامِ إبليس»[3].

---

(١) أخرج البخاري (١٩٠٥) ومسلم (١٤٠٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع؛ فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء».
الباءة: القدرة على النكاح. وجاء: خصاء، والمراد: أنه يقطع الشهوة ويضعفها.

(٢) لم أره في «المسند» بهذا اللفظ.

(٣) **ضعيف جداً** ـ أخرجه الحاكم (٤/ ٣١٣ ـ ٣١٤)، والقضاعي في «مسند شهاب» (٢٩٢) من طريق إسحاق بن عبد الواحد القرشي ثنا هشيم عن عبد الرحمن بن إسحاق عن محارب ابن دثار عن صلة بن زفر عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ. . . وذكره.
قال الحاكم: «صحيح الإسناد». وتعقبه الذهبي بقوله: «إسحاق واه، وعبد الرحمن هو الواسطي ضعفوه». قلت: فالإسناد ضعيف جداً فيه ثلاث علل: الأولى: إسحاق بن عبد الواحد ضعيف؛ كما قال الذهبي وغيره. الثانية: عبد الرحمن بن إسحاق الواسطي متروك. الثالثة: الاختلاف على عبد الرحمن هذا فيه؛ فرواه الطبراني في «الكبير» (١٠٣٦٢) من طريق عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود، ورواه القضاعي في «الشهاب» (٢٩٣) من طريق محارب بن دثار عن ابن عمر. وله شاهد من حديث أبي أمامة لا يفرح به ولا كرامة، فإسناده ضعيف جداً.

وهذا السَّهمُ يشردُه إبليسُ نحو القلبِ ولا يصادِفُ جُنَّةً[1] دونه، وليست الجُنَّةُ إلا غَض الطرفِ أو التَحيّز والانحراف عن جِهَةِ الرَّمْي؛ فإنه إنما يرمي هذا السهم عن قوسِ الصُّوَرِ، فإذا لم تَقف على طريقِها أخطأ السهم، وإن نصبت قلبَك غَرَضاً فيوشك أن يقتُلَه سهمٌ من تلكَ السّهامِ المَسموَمةِ.

الثالثُ: تسليةُ النَفْسِ بالمباحِ المُعوِّضِ عن الحرامِ، فإن كلَّ ما يشتهيه الطبعُ ففيما أباحه الله سُبحانه غُنيةٌ عنه، وهذا هو الدواءُ النافعُ في حقِّ أكثر الناس؛ كما أرشدَ النَّبيُّ ﷺ[2].

فالدَّواء الأول: يشبه قطعَ العَلَفِ عن الدّابّةِ الجموحِ، وعن الكلبِ الضاري؛ لإضعافِ قوتِهما.

والدواء الثاني: يشبه تغييبَ اللَّحمِ عن الكلبِ والشَّعيرِ عن البَهيمَةِ لئلا تتحرك قوتُهما له عند المشاهدَةِ.

والدواء الثالث: يشبهُ إعطَاءَهما من الغِذاءِ ما يميل إليه طبعُهما بحسبِ الحاجةِ؛ لتبقى معه القوةُ؛ فتطيع صاحبَهما، ولا تغلب بإعطائِهما الزيادةَ على ذلك.

الرابع: التفكيرُ في المفاسِدِ الدنيوية المتوقعةِ من قضاءِ هذا الوَطَر[3]، فإنه لو لم يكن جَنَّةٌ ولا نارٌ لكان في المفاسِدِ الدنيويَّةِ ما ينهى عن إجابةِ هذا الداعي، ولو تكلَّفنا عدها لفاقت الحصْرَ، ولكن عينَ الهوى عمياءُ[4].

---

(١) سترة ووقاية.

(٢) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «وإن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله، فإن ذلك يرد ما في نفسه». أخرجه مسلم (١٤٠٣)، وأبو داود (٢١٥١)، وأحمد (٣/ ٣٣٠ و٣٤١ و٣٤٨ و٣٩٥) وغيرهم من طرق عن أبي الزبير عنه مرفوعاً. قلت: إسناده صحيح، وقد صرح أبو الزبير بالتحديث عن جابر.

(٣) الحاجة والرغبة.

(٤) وقد ذكرها بتفصيل في «روضة المحبين» (ص٣٥٢ ـ ٣٧٦)، و«الداء والدواء» (ص٢٣٠).

الخامس: في مقابحِ الصورةِ التي تدعوه نفسُه إليها إن كانت معروفةً بالإجابة له ولغيره؛ فَيُعَزِّ نفسه أن يشْرَبَ من حوضٍ تردُه الكلابُ والذِّئاب؛ كما قيل:

سأتركُ وصْلَكم شَرَفاً وعِزّاً ... لِخِسَّةِ سائرِ الشُّركاءِ فيه

وقال آخر:

إذا كَثُر الذبابُ على طعامٍ ... رفعتُ يدي ونفسي تَشْتَهيه
وتجتنبُ الأسودُ ورود مَاءٍ ... إذا كان الكلابُ يَلَغْنَ فيه

وليذكُر مخالَطَة ريقِه كلّ خبيثٍ ريقهُ الداءُ الدَّوي، فإن ريقَ الفاسق داءٌ؛ كما قيل:

تسل يا قلبُ عن سَمْحٍ بمهجته ... مبذل كل ما يلقاهُ يُقْرِفُه
كالماءِ أي صيد يأتيه ينهلُه ... والغُصْن أي نسيم من يعطفُه
وإن حلا ريقٌ فاذكر مرَارتَه ... في فم أبخَرٍ يحفَيه ويرشفُه

ومن له أدنى مروءة ونخوة يأنفُ لنفسِه من مواصلَةِ من هذا شأنه، فإن لم تُجبه نفسُه إلى الإعراض ورضِيَ بالمشاركةِ فلينظر إلى ما وراء هذا اللونِ والجمالِ الظاهرِ من القبائحِ الباطِنة، فإن من مَكّن نفسَه من فعلِ القبائحِ فنفسُه أقبح من نفوسِ البهائِم، فإنه لا يرضى لنفسِه بذلك حيوان من الحيوانات أصلاً إلا ما يحكى عن الخنزير، وإنّه ليس في البهائِم لوطي سواه، فقد رضي هذا الممكن من نفسه أنه يكون بمنزلة الخنزير، وهذا القبْحُ يغطي كلَّ جمالٍ وملاحةٍ في الوجهِ والبَدَن، غير أن حبُّك الشيء يُعمي ويُصِم.

وإن كانت الصورةُ أنثى فقد خانت الله ورسولَه وأهلَها وبعلَها ونفسَها وأورثت ذلك لمن بعدها من ذُريتِها، فلها نصيبٌ من وزرِهم وعارِهم، ولا نسبةَ لجمالِ صورتها إلى هذا القُبْحِ ألبتة.

وإذا أردت معرفةَ ذلك فانظر إلى القُبحِ الذي يعلو وَجْه أحدِهما في كِبَرِه، وكيف يقلبُ الله سبحانه تلك المحاسِنَ مقابحَ حتى تعلو الوحشةُ والقبحُ وجَهَه؛ كما قيل شعراً:

لـو فَـكّـرَ الـعـاشـقُ فـي مـنـتـهـى حُـسـنِ الـذي يَـسـبـيـه لـم يَـسْـبِـه

وتفصيلُ هذه الوجوه يطولُ جداً، فيكفي ذكْرُ أصولِها[1].

فصل

وأما تقوية باعثِ الدين؛ فإنّه يكون بأمور:

أحدها: إجلال اللهِ تبارك وتعالى أن يُعصى وهو يَرى ويَسمع، ومن قام بِقلبِهِ مشهدُ إجلالِه لم يطاوعْه قلبُه لذلك ألبتة.

الثاني: مشهد مَحبَّتِه سبحانه؛ فيتركُ معصيتَه محبةً له، فإن المحبَّ لمن يحبُ مطيعُ، وأفضلُ التركِ تركُ المحبين، كما أن أفضلَ الطاعَةِ طاعةُ المحبين، فبين تركِ المحبِّ وطاعتِه وتركِ من يخافُ العذابَ وطاعتِه بونٌ بعيدٌ[2].

الثالث: مشهد النّعمَةِ والإحسانِ؛ فإن الكريمَ لا يقابلُ بالإساءةِ مَن أحسنَ إليه، وإنما يفعلُ هذا لِئامُ الناس، فليمنعه مشهدُ إحسانِ الله تعالى ونعمته عن معصيتِهِ حياءً منه أن يكون خيرُ الله وإنعامُه نازلاً إليه ومخالفتُه ومعاصيه وقبائحُه صاعدةً إلى ربِّه، فَمَلَكٌ ينزل بهذا وملَك يَعْرُجُ بذاك فَأَقْبِح بها من مقابَلَةٍ.

الرابع: مشهد الغضبِ والانتقامِ؛ فإن الربَّ تعالى إذا تمادى العبدُ في معصيتِه غَضِبَ، وإذا غَضِبَ لم يَقُم لغضبِهِ شيءٌ فضلاً عن هذا العَبدِ الضّعيفِ.

الخامس: مشهد الفواتِ، وهو: ما يفوتُه بالمعصيةِ من خيرِ الدنيا والآخرةِ، وما يحدثُ له بها من كلِّ اسم مذمومٍ عقلاً وشرعاً وعُرْفاً ويزول عنه من الأسماءِ الممدوحة شرعاً وعقلاً وعُرْفاً، ويكفي هذا المشهد مشهد فواتِ الإيمانِ الذي أدنى مثقال ذرة منه خير من الدنيا وما فيها أضعافاً مضاعفةً، فكيف أن يبيعه بشهوة[3] تذهبُ لذاتها وتبقى تَبِعتُها، تذهب الشهوةُ وتبقى الشَّقْوَةُ، وقد صَحَّ عن

---

(١) فَصَّل المصنف رحمه الله وجوه ذلك في كتابه: «الداء والدواء» (ص٣١٩ وما بعدها).

(٢) قد يتوكأ على هذا الكلام بعض المتصوفة؛ ويراه أنه يتوافق مع عقيدتهم في التعبد، وليس بذاك. ولا يخفى أن أفضل العبادة ما اجتمع فيه الحُبُّ والخوف، فإنها عبادة الأنبياء والمؤمنين، ولذلك فالعبادة الصحيحة تكون مع غاية الحب وكمال الخضوع لله.

(٣) في «ظ»: «الشهوة».

النبي ﷺ أنه قال: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[1].

قال بعض الصحابة[2]: «يُنْزَعُ منه الإيمانُ حتى يبقى على رأسِه مثل الظُّلَّة؛ فإن تابَ رَجع إليه». وقال بعضُ التابعين: «ينزَعُ عنه الإيمانُ كما ينقص القميص فإن تاب لَبِسه». ولهذا روي عن النّبي ﷺ في الحديثِ الذي رواه البخاري[3]: الزُّناة في التنورِ عراةٌ؛ لأنهم تعروا من لباسِ الإيمانِ، وعاد تنورُ الشهوةِ الذي كان في قلوبِهم تنوراً ظاهراً يحْمَى عليه في النّارِ.

السادس: مشهدُ القهرِ والظفر؛ فإن قَهْرَ الشهوةِ والظفر بالشيطانِ له حلاوةٌ ومسرَّةٌ وفَرْحَة عند من ذاقَ ذلك أعظم من الظَّفَرِ بعدُوه من الآدميين وأحلى موقعاً وأتم فرحةً، وأما عاقبتُه فأحمدُ عاقبةً، وهو كعاقبةِ شربِ الدواءِ النافعِ الذي أزال داءَ الجسدِ، وأعادَه إلى صحتِه واعتدالِه.

السابع: مشهد العِوَضِ، وهو: ما وَعَد الله سبحانه من تعويضِ من ترك المحارمَ لأجلِه، ونهى نفسَه عن هواها، وليوازنه بين العوضِ والمعوضِ، فأيُّهما كان أولى بالإيثارِ اختارهَ وارتضاه لنفسِه.

الثامن: مشهد المعية، وهو نوعان: معية عامة. ومعية خاصة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣/ ٥٣٦٧) من قول أبي هريرة تفسيراً للحديث المرفوع. وهو مرفوع أيضاً؛ فقد أخرجه أبو داود (٤٦٩٠)، والحاكم (١/ ٢٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٣٥٢)، وابن منده في «الإيمان» (٥١٩). قلت: إسناده صحيح؛ كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في «فتح الباري» (١٢٠/ ٦١).
وأخرج الموقوف: الآجري في «الشريعة» (٢٥٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٨٧٠)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٥٧٣)، وابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٦) وغيرهم. وأخرج البخاري (٦٨٠٦) عن عكرمة قال: قلت لابن عباس كيف ينزع الإيمان منه؟ قال: هكذا ـ وشبك بين أصابعه ثم أخرجها ـ فإن تاب عاد إليه هكذا ـ وشبك بين أصابعه.

(٣) معنى حديث أخرجه البخاري (٣٨٦) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه في رؤيا رآها رسول الله ﷺ وفيه: «فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقَّدُ تحته نارًا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا أخمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، فقلت من هذا؟ ثم أوَّله: «والذي رأيت في الثقب فهم الزّناة».

فالعامة إطلاعُ الربِّ عليه، وكونه بعينه لا تخفى عليه حالُه، وقد تقدم هذا.

والمقصودُ هنا: المعية الخاصة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨]، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]؛ فهذه المعية الخاصة خير وأنفعُ في دنياه وآخرتِه ممن قضى وطرهَ ونالَ شهوتَه على التّمامِ من أولِ عمرِه إلى آخِره، فكيف يؤثر عليها لذةً مُنَغَّصَةً مُنَكَّدَةً في مدةٍ يسيرةٍ من العمرِ إنما هي كأحلامِ نائمٍ أو كظلٍّ زائلٍ.

التاسع: مشهد المغافصة[1] والمعالجة، وهو: أن يخاف أن يغافِصَه الأجلُ؛ فيأخذه الله على غِرّةٍ؛ فيُحال بينه وبين ما يشتهي من لَذّات الآخرةِ، فيا لها من حَسْرةٍ ما أمرّها وما أصعبَها، لكن لا يعرفُها إلا من جرَّبَها. وفي بعضِ الكتُب القديمة: «يا من لا يأمنُ على نفسِه طرفةَ عينٍ ولا يتمُّ له سرورُ يومٍ، الحذرَ الحذرَ».

العاشر: مشهد البَلاءِ والعافيةِ؛ فإن البلاءَ في الحقيقةِ ليس إلا الذنوب وعواقبها، والعافيةُ المطلقةُ هي الطاعاتُ وعواقبُها، فأهلُ البلاءِ هم أهلُ المعصيةِ وإن عوفيت أبدانُهم، وأهلُ العافية هم أهل الطاعَةِ وإن مَرِضَت أبدانهم.

وقال بعض أهلُ العلم في الأثر المروي: «إذا رأيتم أهلَ البلاء فاسألوا الله العافية»[2]؛ فإن أهلَ البلاءِ المبتلون بمعاصي الله والإعراض والغفلة عنها،

---

(١) الأخذ فجأة وغِرَّة.

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ويغني عنه ويدل على معناه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من رأى مبتلى، فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاه، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً؛ لم يصبه البلاء». أخرجه الترمذي (٣٤٩٣ ـ تحفة) والطبراني في «الدعاء» (٧٩٩) وغيرهما بإسناد ضعيف؛ لأن فيه عبد الله بن عمر العمري، وهوضعيف.
وله شاهد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٣/٥) والطبراني في «الدعاء» (٧٩٨) و«أخبار أصبهان» (١/ ٢٧١) وعنه ابن عساكر=

وهذا وإن كان أعظم البلاء فاللفظُ يتناولُ أنواعَ المبتلين في أبدانِهم وأديانِهم، والله أعلم.

الحادي عشر: أن يُعَوِّدَ باعث الدين ودواعيه مصارعةَ داعي الهوى ومقاومتَه على التدريج قليلاً قليلاً حتى يدركَ لذَّةَ الظَّفَرِ؛ فتقوى حينئذ هِمَّتُه، فإن من ذاق لَذَّةَ شيءٍ قويت همتُه في تحصيلِه، والاعتياد لممارسةِ الأعمال الشاقةِ تزيدُ القوى التي تصدرُ عنها تلك الأعمالُ، ولذلك تجد قوى الحَمّالين وأربابِ الصنائِع الشاقَّةِ تتزايدُ بخلافِ البزازِ والخيّاطِ ونحوهما، ومن تركَ المجاهدةَ بالكليةِ ضَعُفَ فيه باعثُ الدين وقوي فيه باعثُ الشهوةِ، ومتى عَوّدَ نفسَه مخالفةَ[1] الهوى غَلَبَه متى أراد.

الثاني عشر: كف الباطل عن حديثِ النّفسِ، وإذا مرت به الخواطرُ نفاها ولا يؤويها ويساكنها، فإنها تصيرُ منى، وهو رؤوسُ أموالِ المفاليسِ، ومتى سكنت[2] الخواطرَ صارت أماني، ثم تقوى فتصيرُ هموماً، ثم تقوى فتصير إراداتٍ، ثم تقوى فتصير عَزْماً يقترن به المرادُ، فدفْعُ الخاطرِ الأول أسهلُ وأيسرُ

= في «تاريخ دمشق» (١٥/ ٢٥٥/ ٢) من طريق مروان بن محمد الطاطري ثنا الوليد بن عتبة ثنا محمد بن سوقة عن نافع عن عبد الله بن عمر مرفوعاً. قال أبو نعيم: «غريب من حديث محمد، تفرّد به مروان عن الوليد».

قلت: رجاله ثقات غير الوليد بن عتبة؛ فقد عرفه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ١٥٠) فقال: «معروف الحديث»، وذكره ابن حبان في «الثقات» (٩/ ٢٢٦)، وجهله أبو حاتم؛ فقال في «الجرح والتعديل» (٩/ ١٣): «مجهول». والقول قول البخاري؛ لأن من علم حجة على من لم يعلم، ولا سيما إذا كان العالم البخاري أمير المؤمنين في الحديث. وثمت أمر آخر: أنهم ذكروا في الرواة عنه محمد بن عبد العزيز الرملي، وهنا روى عنه مروان بن محمد، وبهذا يترجح قول البخاري على غيره. وقد توبع؛ فأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٤٥٧) والبزار في «مسنده»؛ كما في «النظر في أحكام النظر» لابن القطان (ق ٧٢/أ) من طريق المغيرة بن مسلم عن أيوب عن نافع عنه. قال ابن القطان: «المغيرة بن مسلم مشهور ليس به بأس؛ فهو إسناده حسن».

فالحديث ثابت صحيح، ولله الحمد والمنة على الإسلام والسنة.

(١) في «ظ»: «مغالبة».

(٢) في «م»: «سَاكن».

من دفعِ أثر المقدورِ بعد وقوعِه وتركِ معاودتِه[1].

الثالث عشر: قطع العلائقِ والأسبابِ التي تدعوه إلى موافَقةِ الهوى، وليس المرادُ أن لا يكون له هوى، بل المراد أن يَصرِفَ هواه إلى ما ينفعُه ويستعملُه في تنفيذِ مرادِ الرَّبِّ تعالى، فإن ذلك يدفعُ عنه شرَّ استعمالِه في معاصيه، فإن كلَّ شيءٍ من الإنسانِ لله يقيه شرَّ استعمالِه لنفسِه وللشيطان، وما لا يستعمله لله استعمله لنفسِه وهواه ولا بُدَّ.

فالعلمُ إن لم يكنْ لله كان للنفس والهوى. والعمل إن لم يكن لله كان للرّياءِ والنّفاقِ. والمال إن لم ينفق في طاعةِ الله أُنفِق في طاعةِ الشيطان والهوى. والجاه إن لم يستعملْه صاحبُه في أمر الله استعمله في هواه وحظوظه[2]. والقوة إن لم يستعملها في أمرِ الله استعمَلَتْهُ في معصيتِه.

فمن عوَّدَ نفسَه العملَ لله لم يكن عليه أشق من العمل لغيره، ومن عوّد نفسه العمل لهواه وحظِّه لم يكن عليه أشقّ من إخلاص العمل لله، وهذا في جميعِ أبوابِ الأعمالِ، فليس شيء أشق على المنفقِ لله من الإنفاقِ لغيره، وكذا بالعكس.

الرابع عشر: صرف الِفكر إلى عجائِب آياتِ الله التي نَدَب عبادَه إلى التفكير[3] فيها، وهي: آياتُه المتلوَّةُ وآياتهُ المجلوَّة، فإذا استولى ذلك على قلبِه دَفَع عنه محاضرةَ[4] الشيطانِ ومحادثَته ووسواسَه، وما أعظم غبن من أمكنَه أن لا يزال محاضراً[5] للرحمن وكتابِه ورسولِه والصحابة، فرغب عن ذلك إلى محاضرة[4] الشيطانِ من الإنسِ والجنِّ، فلا غبن بعد هذا الغبن، والله المستعانُ.

الخامس عشر: التفكر في الدنيا وسرعة زوالِها وقربِ انقضائها، فلا يرضى

---

(١) انظر تفصيل هذا في «الداء والدواء» (ص٢٣٦ ـ ٢٤٢).

(٢) في «ظ»: «والجاه إن لم يستعمله لله استعمله صاحبه في هواه وحظوظه».

(٣) في «م»: التفكر».

(٤) في «م»: «محاضراً».

(٥) في «م»: «محاضرة».

لنفسِه أن يتزوَّدَ منها إلى دارِ بقائِه وخلوده أخسَّ ما فيها وأقلَّه نفعاً إلا ساقطُ الهمَّةِ دنيءُ المروءَةِ ميِّتُ القلبِ، فإنَّ حسرتَه تشتدُّ إذا عاين حقيقةَ ما تزوَّدَه وتبينَ له عدمَ نفعِه له، فكيف إذا كان تركُ تزوُّدِ ما ينفعه إلى زادٍ يعذَّبُ به وينالُه بسببِهِ غايةُ الألم، بل إذا زادَ ما ينفعه وتركَ ما هو أنفع منه له كان ذلك حسرةً عليه وغُبْناً.

السادس عشر: تعرضه إلى مَن القلوب بين إصبعيه، وأَزِمّة الأمورِ بيديه، وانتهاء كلِّ شيء إليه على الدوام، فلعله أن يصادفَ أوقاتَ النَّفحاتِ[1]؛ كما في الأثرِ المعروف: «إن لله في أيامِ دهره نفحاتٍ؛ فَتَعرّضوا لنفحاتِه، واسألوا الله أن يستُرَ عوراتِكم، ويؤمن روعاتِكم»[2].

ولعله في كثرةِ تعرضِه أن يصادفَ ساعةً من الساعاتِ التي لا يُسأَلُ الله فيها شيئاً إلا أعطاه، فمن أُعطي منشور الدعاءِ أُعطي الإجابة، فإنّه لو لم يُرِد إجابتَه لما أَلَهمه الدُّعاء؛ كما قيل:

لـو لـم تـرِد نَـيلَ مـا أرجـو وأطـلـبـه   مـن جـودِ كـفِّك مـا عـودتـني الـطَّلَبا

---

(١) هي أوقات الإجابة، وانظرها بأدلتها في كتابي: «النبذ المستطابة في الدعوات المستجابة» (ص ٤٨ ـ ٥٩).

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ ٢٥٠/ ٧٢٠)، و«الدعاء» (٢٦)، وعنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٦٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٠٦)، و«شعب الإيمان»، (١٠٨٣ و١٠٨٤)، و«البغوي في «شرح السنة» (٥/ ١٧٩ ـ ١٣٧٨)، والقضاعي في «الشهاب» (١/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨/ ٧٠١)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ص٢٢٣)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» كما في «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٢/ ٤٥٠) من طريق يحيى بن أيوب الغافقي عن عيسى بن موسى عن صفوان بن سليم عن أنس بن مالك مرفوعاً. قال البغوي: «هذا حديث غريب». قلت: إسناده ضعيف منقطع؛ عيسى بن موسى ضعيف، وصفوان بن سليم لم يدرك أنساً.

وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج» (٢٧)، والطبراني في «الدعاء» (٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٨٥) من طريق الليث بن سعد الإمام الثقة عن عيسى بن موسى عن صفوان بن سليم عن رجل من أشجع عن أبي هريرة يرفعه به مثله. قال البيهقي: «وهذا هو المحفوظ دون الأول». قلت: وهو ضعيف كالأول كما لا يخفى.

ولا يستوحش من ظاهرِ الحال، فإن الله سبحانه يعاملُ عبدَه معاملةَ من ليس كمثله شيء في أفعالِه كما ليس كمثله شيء في صفاتِه، فإنه ما حَرَمه إلا ليعطيه، ولا أمرضَه إلا ليشفيه، ولا أفقره إلا ليُغنيه، ولا أماته إلا ليحيه، وما أخرج أبويه من الجنة إلا ليعيدهما إليها على أكملِ حالٍ؛ كما قيل: يا آدم لا تجزعْ من قولي لك اخرج منها، فلك خلقتها وسأعيدك إليها.

فالربُّ تعالى ينعِمُ على عبدِه بابتلائه، ويعطيه بحرمانِه، ويصحبُه بسقمه، فلا يستوحش عبدُه من حالةٍ تسوؤه أصلاً إلا إذا كانت تغضبُه عليه، وتبعدُه منه.

السابع عشر: أن يعلم العبدُ بأنه فيه جاذبين متضادين، ومحنته بين الجاذبين: جاذب يجذبه إلى الرفيقِ الأعلى من أعلى عليين. وجاذب يجذبه إلى أسفلِ سافلين.

فكلما انقادَ مع الجاذبِ الأعلى صعد درجةً حتى ينتهي إلى حيث يليق به من المحلِّ الأعلى، وكلما انقادَ إلى الجانب الأسفل نزل [درجة][1] حتى ينتهي إلى موضِعه من سجين، ومتى أراد أن يعلمَ هل هو مع الرفيقِ الأعلى أو الأسفلِ، فلينظر أين روحُه في هذا العالمِ، فإنها إذا فارقت البدنَ تكون في الرفيقِ الأعلى الذي كانت تجذبه إليه في الدنيا فهو أولى بها، فالمرء مع من أحب طبعاً وعقْلاً وَجَزاءاً، وكلُّ مهتمٍّ بشيء فهو منجذب إليه وإلى أهله بالطَبْعِ، وكل امرءٍ يصبو إلى ما يناسبُه، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]؛ فالنفوسُ العلويةُ تنجذبُ بذاتها وهمِّها وأعمالِها إلى أعلى، والنفوسُ السافلةُ إلى أسفلَ.

الثامن عشر: أن يعلَم العبدُ أن تفريغَ المحلِّ شرطٌ لنزولِ غيث الرحمةِ، وتنقيته من الدَّغل[2] شرطٌ لكمالِ الزَّرعِ، فمتى لم يُفَرَّغ المحل لم يصادف غيثُ الرحمةِ محلاً قابلاً ينزل فيه، وإن فرّغه حتى أصابه غيثُ الرحمةِ ولكنه لم ينقه من الدّغَل لم يكن الزرعُ زرعاً كاملاً بل ربما غَلَب الدَّغَلُ على الزَّرعِ فكان الحُكْمُ له، وهذا كالذي يُصلِحُ أرضَه، ويهيئها لقبولِ الزرعِ، ويودعُ فيها البذورَ،

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) الفساد.

وينتظرُ نزولَ الغيثِ، فإذا طهّر العبدُ قلبَه وفَرَّغه من إرادةِ السوءِ وخواطرِه، وَبَذر فيه بَذرَ الذِّكر والفِكْرِ والمَحبَّة والاخلاصِ، وعرَّضَه لمهابِّ رياحِ الرّحمةِ، وانتظرَ نزولَ غيثِ الرَّحمَةِ في أوانِه، كان جديراً بحصولِ المقل[1]، وكما يقوى الرجاء لنزول الغيثِ في وقتِه، كذلك يقوى الرجاءُ لإصابةِ نفحاتِ الرحمن جل جلاله في الأوقاتِ الفاضلةِ والأحوالِ الشريفةِ، ولا سيما إذا اجتمعت الهمَمُ، وتساعدت القلوبُ، وعَظُم الجمعُ؛ كَجمعِ عرفةَ، وجَمعِ الاستسقاءِ، وجَمْعِ أهلِ الجمعة، فإن اجتماعَ الهِمَمِ والأنفاسِ أسبابٌ نصَبها الله تعالى مقتضية لحصولِ الخيرِ ونزولِ الرحمةِ كما نصبَ سائرَ الأسبابِ مقتضيةً إلى مسبِّباتها، بل هذه الأسباب في حصولِ الرحمةِ؛ أقوى من الأسبابِ الحسيةِ في حصولِ مسبِّباتها، ولكن العبدَ بجهلِه يغلبُ عليه الشاهدُ على الغائبِ الحسنِ، وبظلمِه يُؤْثِرِ ما يحكمُ به ويقتضيه على ما يحكمُ به الآخرُ ويقتضيه، ولو فَرّغ العبدُ المحلَّ وهيأه وأصلَه لرأى العجائِبَ، فإن فضلَ الله لا يردُّه إلا المانعُ الذي في العبدِ، فلو زال ذلك المانعُ لسارعَ إليه الفضلُ من كلِّ صوبٍ، فتأمل حالَ نهرٍ عظيمٍ يسقي كلَّ أرضٍ يَمُرُّ عليها فحصلَ بينه وبين بعضِ الأرضِ المعطشةِ المُجدِبَةِ سَكْرٌ وَسَدٌّ كثيفٌ؛ فصاحبُها يشكو الجَدْبَ والنَهْرُ إلى جانِبِ أرضِه.

التاسع عشر: أن يعلمَ العبدُ أن الله سبحانه خَلَقه لبقاءٍ لا فناءَ له، ولعزٍّ لا ذُلَّ معه، وأمنٍ لا خوفَ فيه، وِغَناءٍ لا فقرَ معه، وَلذَّةٍ لا ألَمَ معها، وكمالٍ لا نقصَ فيه، وامتحنه في هذه الدارِ بالبقاءِ الذي يُسرِعُ إلى الفَنَاءِ، والعِزِّ الذي يقارنُه الذُّلُّ ويعقبُه الذُّلُّ، والأمن الذي معه الخوف وبعده الخوف، وكذلك الغناء واللذّة والفرَح والسّرور والنعيم الذي هنا مشوبٌ بضدِّه؛ لأنه يتعقبُه ضدُّه، وهو سريعُ الزوال، فَغَلَطُ أكثرِ الخَلْقِ في هذا المَقامِ إذ طلبوا النّعيمَ والبقَاءَ والعِزَّ والملكَ والجاه في غيرِ محلِّه؛ ففاتَهم في محلِّه، وأكثرهم لم يظفَر بما طلبَه من ذلك، والذي ظَفِر به إنما هو متاعٌ قليلٌ، والزوالُ قريبٌ؛ فإنهُ سريعُ الزوالِ عنه.

والرُّسُلُ صلوات الله وسلامه عليهم إنما جاءوا بالدعوةِ إلى النعيمِ المقيمِ

---

(١) في «م»: «المغل». قلت: المقل: الغمس.

والملكِ الكبيرِ، فمن أجابهم حَصَل له ألذُّ ما في الدنيا وأطيبُه، فكان عيشُه فيها أطيبَ من عيشِ الملوكِ فمن دونهم، فإن الزهدَ في الدنيا مُلكٌ حاضرٌ، والشيطانُ يحسدُ المؤمنَ عليه أعظمَ حَسَدٍ، فيحرصُ كلَّ الحرصِ على أن لا يصلَ إليه، فإن العبدَ إذا مَلك شهوتَه وغضَبه فانقاد معه لداعي الدينِ فهو الملكُ حقّاً؛ لأنَّ صاحبَ هذا المُلْكِ حُرٌّ، والمَلِكُ المنقادُ لشهوتِه وَغَضبِه عبدٌ شهوتِه وغضَبِه، فهو مَسَخَّرٌ مملوكٌ في زي مالكٍ، يقودُه زمامُ الشَّهوةِ والغَضَبِ؛ كما يقادُ البعيرُ.

فالمغرورُ المخدوعُ يقطعُ نَظَره على المُلْكِ الظاهِرِ الذي ظاهره[1] مُلْكٌ وباطنُه رقٌّ، وعلى الشهوةِ التي أولُها لذةٌ وآخِرُها حَسْرةٌ.

والبصيرُ الموفَّقُ يُعَبِّرُ نظرَه من الأوائِلِ إلى الأواخِرِ، ومن المبادِىء إلى العواقِبِ، وذلك فَضْلُ الله يؤتيه من يشاءُ، واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ.

العشرون: أن لا يغتَّر العبدُ باعتقادِه أنَّ مجردَ العِلمِ بما ذكرنا كافٍ في حصولِ المقصودِ، بل لا بُدَّ أن يضيفَ إليه بَذْلَ الجُهْدِ في استعمالِه واستفراغِ الوُسْعِ والطاقَةِ فيه، وملاكُ ذلك الخروجُ من العوائِدِ؛ فإنها أعداءُ الكمالِ والفلاحِ، فلا أفلَحَ من استمرَّ مع عوائِده أبَدَاً، ويستعينُ على الخروجِ من العوائدِ بالهرب من مضانِّ الفتنةِ والبُعدِ عنها ما أمكنه، وقد قال النبيُّ ﷺ: «من سَمِعَ بالدَّجالِ فلينأَ عَنه»[2]، فما استعين على التَّخلُّصِ من الشّرِّ بمثلِ البُعدِ عن أسبابِه ومظانّه.

وها هنا لطيفةٌ للشيطان لا يتخلصُ منها إلا حاذِقٌ، وهي: أن يُظْهِرَ له في مظانِّ الشَّرِّ بعضُ شيءٍ من الخيرِ، ويدعوه إلى تحصيله، فإذا قَرُبَ منه ألقاه في الشَّبَكَةِ، والله أعلم[3].



(١) في «ظ»: «صورته».

(٢) **صحيح** ـ أخرجه أبو داود (٤٣١٩)، وأحمد (٤/ ٤٣١) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سمع بالدَّجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن؛ فيتبعه مما يبعث به من الشبهات أو لما يبعث به من الشبهات». قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٣) انظر لزاماً «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» (١/ ١٠٢ ـ ١٢٠).

الباب الثالث عشر
في بيان أن الإنسان لا يستغني عن الصبر في حال من الأحوال

فإنّه بين أمرٍ يجبُ عليه امتثالُه وتنفيذهُ، ونهيٍ يجبُ عليه اجتنابُه وترْكُه، وقدَرٍ يجري عليه اتفاقاً، ونعمةٍ يجبُ شكرُ المنعِم عليها، وإذا كانت هذه الأحوالُ لا تفارقُه؛ فالصبرُ لازمٌ له إلى المماتِ، وكلُّ ما يلقى العبدُ في هذه الدارِ لا يخلو من نوعين:

أحدهما: يوافقُ هواه ومرادَه.

والآخرُ: يخالفُه وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما.

وأما النـوعُ الموافِقُ لغرضِـه؛ فكالصِّحَّةِ، والسَّلامَة، والجاهِ، والمالِ، وأنـواعِ الملاذِّ المباحَةِ، وهو أحوجُ شيءٍ إلى الصَبْرِ فيها من وجوه:

أحدها: أن لا يركنَ إليها، ولا يغترَّ بها، ولا تحمله على البَطَرِ والأَشَرِ والفرحِ المذمومِ الذي لا يحبُّ اللهُ أهلَه.

الثاني: أن لا ينهمكَ في نيلِها، ويبالغَ في استقصائِها؛ فإنها تنقلِبُ إلى أضدادِها، فمن بالغَ في الأكلِ والشُّربِ والجماعِ انقلب ذلك إلى ضدِّه، وحُرِم الأكلَ والشُّربَ والجِماعَ.

الثالث: أن يصبِرَ على أداءِ حقِّ اللهِ فيها، ولا يُضَيِّعُه؛ فَيُسْلَبُها.

الرابع: أن يصبِرَ عن صَرفِها في الحرامِ فلا يُمَكِّن نَفْسَه من كلِّ ما تريدُه منها، فإنها توقعُه في الحرامِ، فإن احترز كلَّ الاحترازِ أوقعته في المكروه، ولا يصبرُ على السَّراءِ إلا الصِّديقون.

قال بعض السلف: «البلاءُ يصبِرُ عليه المؤمنُ والكافِرُ ولا يصبرُ على العافيةِ

إلا الصِّديقون». وقال عبدُ الرحمن بن عوف رضي الله عنه: «ابتلينا بالضَّراءِ فَصَبرنا، وابتلينا بالسَّراءِ فلم نصبِر»(١).

ولذلك حذَّر اللهُ عبادَه من فتنةِ المالِ والأزواجِ والأولادِ؛ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [المنافقون: ٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ [التغابن: ١٤].

وليس المرادُ من هذه العداوةِ ما يفهمُه كثيرٌ من الناس أنها عداوةُ البغضاءِ والمحادةِ، بل إنّما هي عداوةُ المحبَّةِ الصادرةِ للآباء عن الهجرةِ والجهادِ وتعلمِ العلمِ، والصدقَةِ، وغير ذلك من أمورِ الدينِ وأعمالِ البِرّ؛ كما في «جامع الترمذي» من حديث إسرائيل: حدثنا سِماك عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ﴾ [التغابن: ١٤]. قال: «هؤلاء رجالٌ أسلموا من أهلِ مكة، فأرادوا أن يأتوا النَّبِي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ فلما أتوا رسولَ الله ﷺ ورأوا الناس قد فَقِهوا في الدين هَمّوا أن يعاقبوهم؛ فأنزل الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ﴾ الآية [التغابن: ١٤]»(٢). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وما أكثر ما فات العبد من الكمالِ والفلاحِ بسببِ زوجتِه وولدِه، وفي الحديثِ: «الولدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ»(٣). وقال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحباب و قال: حدثني حسين(٤) بن واقد قال: حدثني عبدُ الله بن بُرَيدة قال: سمعت أبي

---

(١) **حسن** ـ أخرجه الترمذي (٢٤٦٤). قلت: إسناده حسن؛ كما قال الترمذي.

(٢) **حسن** ـ أخرجه الترمذي (٣٣١٧) بإسناد حسن؛ لأن سماك بن حرب صدوق.

(٣) **صحيح** ـ أخرجه ابن ماجه (٣٦٦٦)، وأحمد (٤/ ١٧٢) من حديث يعلى العامري رضي الله عنه. قلت: وهو صحيح. وله شواهد عن أبي سعيد الخدري، والأشعث بن قيس، والأسود بن خلف، وفيها ضعف، وانظر «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥٥).

ومعنى الحديث: أن الولد مظنة البخل والجبن، لأجله يبخل الإنسان ويجبن، نعوذ بالله من الجبن الخالع، البخل الهالع.

(٤) في الأصول: «زيد»، والتصحيح من مصادر التخريج.

يقول: كان رسول الله ﷺ يخطبنا؛ فجاء الحسَنُ والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان وَيَعثُران؛ فنزل رسولُ الله ﷺ عن المنبر؛ فَحَمَلَهما؛ فوضَعَهما بين يديه، ثم قال: صدق الله ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، نظرت إلى هذين الصَّبيين يمشيانِ ويعثران فلم أصبْر حتى قطعتُ حديثي، وَرَفَعتُهما»[١]. وهذا من كمالِ رحمتِه ﷺ ولطفِه بالصّغارِ وشفقتِه عليهم، وهو تعليمٌ منه للأمة الرَحْمَة والشَّفقة واللُّطف بالصغارِ.

وإنما كان الصبرُ على السَّراءِ شديداً؛ لأنه مقرونٌ بالقُدَرةِ، والجائعُ عند غَيْبَةِ الطعامِ أقدرُ منه على الصبرِ عند حضورِه، وكذلك الشَّبَقُ عند غيبَةِ المرأةِ أصبر منه عند حضورِها.

وأما النوعُ الثاني المخالِفُ للهوى فلا يخلو إما أن يرتبِطَ باختيارِ العبدِ؛ كالطاعاتِ والمعاصي، أو لا يرتبط أولهُ باختيارِه كالمصائِب، أو يرتبط أولُه باختياره ولكن لا اختيار له في إزالتِه بعد الدخولِ فيه، فها هنا ثلاثةُ أقسام:

أحدها: ما يرتبطُ باختيارِه، وهو: جميعُ أفعالِه التي توصفُ بكونها طاعة أو معصية.

فأما الطاعة فالعبدُ محتاجٌ إلى الصبرِ عليها؛ لأن النفسَ بطبعِها تنفِرُ عن كثيرِ من العبودية، أما في الصلاةِ فَلِما في طبعِها من الكَسَلِ وإيثارِ الراحةِ ولا سيما إذا اتفق مع ذلك قَسْوةُ القلب وَرَيْنُ[٢] الذنبِ، والميلُ إلى الشهواتِ، ومخالطةُ أهلِ الغَفْلَة، فلا يكادُ العبدُ مع هذه الأمورِ وغيرِها أن يفعلَها، وإن فعلَها مع ذلك كان مُتَكَلِّفاً غائِبَ القلبِ ذاهلاً عنها طالباً لفراقِها كالجالسِ إلى الجيفَةِ، وأما الزكاة فلما في طبعها[٣] من الشُّحِّ والبُخلِ، وكذلك الحج والجهاد للأمرين جميعاً [وطبعاً][٤].

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه أبو داود (١١٠٩)، والترمذي (٣٧٧٢)، والنسائي (٣/١٠٨)، وابن ماجه (٣٦٠٠)، وأحمد (٥/٣٥٤) من طريق حسين بن واقد: حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه. (وذكره) مرفوعًا. قلت: إسناده صحيح.

(٢) الدنس، وهو: ما يغطي القلب من آثار الذنوب؛ فهو صدأ القلوب؛ كما يصدأ الحديد.

(٣) في «م»: «النفس».

(٤) زيادة من «م».

ويحتاجُ العبدُ هـهنا إلى الصَّبرِ في ثلاثةِ أحوال:

أحدها: قبل الشروع فيها بتصحيح النِّيَةِ والإخلاصِ، وتجنبِ دواعي الرِّيَبةِ والسُّمعةِ، وعقدِ العزم على توفيةِ المأموريةِ حقَّها.

الحالة الثانية: الصبر حال العمل، فيلازم العبدُ الصبرَ عن دواعي التقصيرِ فيه والتفريطِ، ويلازم الصبرَ على استصحابِ ذكرِ النِّيَةِ وعلى حضورِ القلب بين يدي المعبودِ، وأن لا ينساه في أمرِه، فليس الشأنُ في فِعلِ المأمورِ بل الشأن كل الشأنِ أن لا ينسى الآمر حال الإتيانِ بأمرِه بل يكون مستصحباً لذكرِه في أمرِه، فهذه عبادةُ العبيد المخلصين لله، فهو محتاجٌ إلى الصبرِ على توفيةِ العبادة حقَّها بالقيامِ بأدائها وأركانها وواجباتها وسننها، وإلى الصبرِ على استصحابِ ذكرِ المعبود فِيها ولا يشتغلُ عنه بعبادته فلا يعطله حضورُه مع الله بقلبه عن قيامِ جوارحِه بعبوديته، ولا يعطله قيامُ الجوارح بالعبوديه عن حضورِ قلبه بين يديه سبحانه.

الحالة الثالثة: الصبر بعد الفراغِ من العملِ وذلك من وجوه:

أحدها: أن يصبرَ نفسَه عن الإتيان بما يبطل عمله، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، فليس الشأنُ الإتيانُ بالطاعةِ إنما الشأن في حفظِها مما يبطلُها.

الثاني: أن يصبر عن رؤيتها والعجبِ بها والتكبرِ والتعظمِ بها، فإن هذا أضرُ عليه من كثيرٍ من المعاصي الظاهرةِ.

الثالث: أن يصبرَ عن نقلِها من ديوان السِّرِّ إلى ديوان العلانية، فإن العبدَ يعملُ العملَ سِرّاً بينه وبين الله سبحانه فيكتب في ديوان السِّرِّ، فإن تحدثَ به نُقِل إلى ديوانِ العلانية، فلا يظنُّ أن ديوانَ الصَّبْرِ انطوى بالفراغِ من العَمَلِ.

وأما الصَّبْرُ عن المعاصي فأمرُه ظاهرٌ، وأعظم ما يعينُ عليه قَطْعُ المألوفاتِ، ومفارقةِ الأعوانِ عليها في المجالسةِ والمحادثةِ، وقطعُ العوائِد؛ فإن العادةَ طبيعيةٌ خاصةٌ، فإذا انضافت الشهوةُ إلى العادةِ تظاهر جندان من جندِ الشيطان فلا يقوى باعثُ الدين على قهرهما.

القسم الثاني: ما لا يدخلُ تحتَ الاختيارِ، وليس للعبدِ حيلةٌ في دفعِه؛ كالمصائبِ التي لا صنعَ للعبدِ فيها، كموتِ من يعزُّ عليه، وسرقةِ مالِه، ومرضِه، ونحو ذلك، وهذا نوعان:

أحدهما: ما لا صنعَ للعبد الآدمي فيه.

الثاني: ما أصابه من جهةِ آدمي مثله؛ كالسَّبِّ، والضَرْبِ، وغيرهما.

فالنوعُ الأولُ للعبد فيه أربعةُ مقاماتٍ:

أحدها: مقام العجزِ، وهو: مقامُ الجَزَعِ والشكوى والسَّخطِ، وهذا ما لا يفعله إلا أقلُ الناسِ عقلاً وديناً ومُروءةً، وهو أعظمُ المصيبَتين.

المقام الثاني: مقام الصبر إما لله وإما للمروءةِ الإنسانية.

المقام الثالث: مقام الرضى وهو: أعلى من مقام الصبرِ، وفي وجوبِه نزاعٌ، والصَّبْرُ متفق على وجوبه.

المقام الرابع: مقام الشُّكرِ، وهو: أعلى من مقامِ الرضى؛ فإنه يشهدُ البليةَ نعمةً؛ فيشكر المُبْتَلي عليها.

وأما النوع الثاني: وهو ما أصابه من قِبَلِ الناس فله فيه هذه المقامات، ويضافُ إليها أربعة أخر:

أحدها: مقام العفوِ والصَفْحِ.

والثاني: مقام سلامة القلبِ من إرادةِ التَشَفّي والانتقامِ وفراغه من ألمِ مطالعةِ الجناية كلَّ وقتٍ، وضيقه بها.

والثالث: مقام شهود القدَرِ، وأنّه وإن كان ظالِماً بإيصالِ هذا الأذى إليك، فالذي قدَّره عليك وأجراه على يدِ هذا الظالمِ ليس بظالم، وأذى الناس مثل الحرِّ والبردِ لا حيلَة في دفعِه، فالمتسخط من أذى الحَرِّ والبرْد غير حازمٍ، والكل جارٍ بالقدر، وإن اختلفت طرقُه وأسبابُه.

المقام الرابع: مقام الإحسانِ إلى المسيء ومقابلةِ إساءته بإحسانِك، وفي هذا المقام من الفوائِد والمصالح ما لا يعلمه إلا الله؛ فإن فات العبدَ هذا المقامُ العالي فلا يرضى لنفسه بأخَسِّ المقامات وأسفلها.

فصل

القسم الثالث: ما يكون ورودُه باختيارِه، فإذا تمكَّنَ لم يكُن له اختيارٌ ولا حيلةٌ في دفعهِ، وهذا كالعِشقِ أولُه اختيارٌ وآخرُه اضطرارٌ، وكالتعرضِ لأسبابِ الأمراضِ والآلام التي لا حيلةَ في دفعِها بعد مباشرةِ أسبابها، كما لا حيلَةَ في دَفْعِ السُّكْرِ بعد تناول المُسْكِرِ، فهذا كان فرضُه الصبر عنه في أولِه، فلما فاته بقِيَ فرضُه الصبر عليه في آخره وأن لا يطيعَ داعي هواه ونفسه.

وللشيطان هـهنا دسيسة عجيبة، وهي: أن يُخَيِّلَ إليه أن نَيْل بعَضَ ما منع قد يتعينُ عليه أو يباحُ له على سبيل التَّداوي، وغايتُه أن يكون التّداوي بالخمرِ والنَّجاسَةِ، وقد أجازه كثيرٌ من الفُقَهاء، وهذا من أعظمِ الجهلِ[1]؛ فإن هذا التداوي لا يزيل الداءَ بل يزيدُه ويقويه، وكم ممن تداوى بذلك؛ فكان هلاكُ دينِه ودنياه في هذا الدواء، بل الدواء النافع لهذا الداء الصبرُ والتّقوى؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]؛ فالصبرُ والتقوى دواءُ كلِّ داءٍ من أدواء الدين ولا يستغني أحدهما عن صاحبه.

فإن قيل: فهل يثابُ على الصبرِ في هذا القسم إذا كان عاصياً مُفَرِّطاً يتعاطى أسبابَه؟ وهل يكون مُعاقباً على ما تولَّد له وهو غير اختياري له؟

قيل: نعم، إذا صبرَ لله تعالى وندمَ على ماتعاطاه من السَّبَب المحظورِ أثيب على صبرِه؛ لأنه جهادٌ منه لنفسِه وهو عملٌ صالحٌ والله لا يُضيعُ أجرَ من أحسَن عملاً. وأما عقوبتُه على ما تولّدَ منه؛ فإنه يستحقُ العقوبَة على السَّبَب وما تولّدَ منه؛ كما يعاقبُ السكرانُ على ما جناه في حالِ سُكرِه، فإذا كان السَبَبُ

---

(١) لأنه مخالف لفقه السنة النبوية؛ فعن طارق بن سويد رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن الخمر؛ فنهاه، فقال: يا نبي الله إنها دواء، فقال النبي ﷺ: «إنها ليست بدواء، ولكنها داء». أخرجه مسلم (١٩٨٤) وغيره. في الباب عن أم سلمة رضي الله عنهما. وانظر تفصيل المسألة من الناحية الفقهية في كتابي: «موسوعة المناهي الشرعية» (٣/ ١٧٧ و١٧٨)، ومن الناحية الطبية «زاد المعاد» (٤/ ١٥٤ ـ ١٥٨).

محظوراً لم يكن السكرانُ معذوراً، فإن الله سبحانه يعاقبُ على الأسبابِ المُحرَّمَةِ وعلى ما تولّدَ منها كما يثيب على الأسباب المأمور بها وعلى ما يتولَّد منها؛ ولذا كان من دعا إلى بدعةٍ وضلالةٍ فعليه من الوِزرِ مثل أوزارِ من اتبعه[1]؛ لأن اتباعهم [له][2] تَوَلَّد عن فعله، ولذلك كان على ابنِ آدم القاتِلِ لأخيهِ كِفلٌ من ذَنْبِ كلِّ قاتلٍ إلى يوم القيامة[3]، وقد قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣].

فإن قيل: فكيف التوبة من هذا المُتَوَلِّدِ وليس من فعله، والإنسان إنما يتوب عما يتعلق باختياره؟

قيل: التوبةُ منه بالندمِ عليه، وعدمِ إجابةِ دواعيه وموجباتِه، وَحَبسِ النفس عن ذلك، فإن كان المتولِّدُ متعلقاً بالغيرِ فتوبته مع ذلك برفعه عن الغير بحسب الإمكان، ولهذا كان من توبَةِ الداعي إلى البدعَةِ أن يُبَيِّنَ أن ما كان يدعو إليه بدعةٌ وضلالةٌ، وأن الهدى في ضدِّه؛ كما شرط تعالى في توبة أهلِ الكتاب الذين كان ذنبُهم كتمانَ ما أنزَل الله من البّيناتِ والهدى ليُضِلّوا الناسَ بذلك: أن يحصلوا العملَ في نفوسِهم، ويبينوا للناس ما كانوا يكتمونهم إياه؛ فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

---

(١) لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم من آثام من تبعه، لا ينقص من ذلك آثامهم شيئاً». أخرجه مسلم (٢٦٧٤) وغيره.

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) لحديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنه أول من سنَّ القتل». أخرجه البخاري (٣٣٣٥ و٦٨٦٧ و٧٣٢١)، ومسلم (١٦٧٧). كفل: جزء ونصيب.

وهذا ما[1] شُرِط في توبةِ المنافقين الذين كان ذنبُهم إفسادَ قلوبِ ضعفاءِ المؤمنين، وتحيُّزَهم واعتصامَهم باليهودِ والمشركين أعداءِ الرسولِ، وإظهارهم الإسلامَ رياءً وسمعةً: أن يُصلِحوا بَدَلَ إفسادِهم، وأنَ يعتصموا بالله بَدَل اعتصامِهم بالكفّارِ من أهلِ الكتاب والمشركين، وأن يُخْلِصوا دينَهم لله بدل إظهارِهم [له][2] رياءً وسُمعةً. فهكذا تُفْهَمُ شرائِطُ التوبَةِ وحقيقتِها، واللهُ المستعانُ.



(١) في «ظ»: «كما».

(٢) زيادة من «ظ».

الباب الرابع عشر
في بيان أشق الصبر على النفوس

مَشَقَّةُ الصبرِ بحسبِ قوةِ الداعي إلى الفعلِ وسهولتهِ على العَبْدِ، فإذا اجتمعَ في الفعلِ هذان الأمران كان الصبرُ عنه أشقَّ شيءٍ على الصّابر، وإن فُقِدا معاً سَهُلَ الصبْرُ عنه، وإن وُجد أحدُهما وَفُقِد الآخرُ سَهُلَ الصَبْرُ من وجه وصَعُبَ من وجهٍ، فمن لا داعي له إلى القتل والسَّرِقَةِ وشربِ المُسْكِر وأنواعِ الفواحشِ، ولا هو سهلٌ عليه فصبره عنه من أيسرِ شيءٍ وأسهلهِ، ومن اشتدَ داعيةُ إلى ذلك، وسهل عليه فعلُه؛ فصبرُه عنه أشقُّ شيءٍ عليه، ولهذا كان صبرُ السلطانِ عن الظلمِ، وصبرُ الشابِّ عن الفاحشَةِ، وصبر الغني عن تناول اللّذاتِ والشّهواتِ عند الله بمكان. وفي «المسند» وغيره عن النبي ﷺ: «عَجِبَ ربُّك مِن شابٍّ ليست له صبوةٌ»[1].

---

(1) **صحيح** - أخرجه أحمد (٤/ ١٥١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٥٧١)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٦٦/ ٨٥٣)، وأبو يعلى (١٧٤٩) وابن شاهين في «الترغيب» (٢/ ٢٤٣/ ٢٣٠) من حديث عقبة بن عامر يحدث عن النبي ﷺ قال: «إن الله ليعجب من الشاب ليس له صَبْوة[أ]». كلهم من طريق ابن لهيعة حدثنا أبو عشانة عنه به.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٠): «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وإسناده حسن».

قلت: هذا هو الحق الجدير بالقبول - وإن ردّه محققا أبي يعلى والطبراني - فإن من الرواة عن ابن لهيعة قتيبة بن سعيد عند أحمد والطبراني، وهو ممن صحت روايتهم عنه؛ كما في «سير أعلام النبلاء» (٨/ ١٥). وكذلك رواه عبد الله بن وهب أخبرني ابن =

(أ) جَهْلَةُ الفُتُوَّةِ، واللهو من الغَزَل.

ولذلك استحق السَبْعَةُ المذكورين في الحديث[1] الذين يظلُّهم اللهُ في ظلِّ عرشِه لكمالِ صبرِهم ومشقتِه؛ فإن صبرَ الإمامِ المتسَلِّطِ على العدلِ في قِسْمِه وحُكْمِه ورضاه وغضَبِه، وَصبر الشّاب على عبادةِ الله ومخالفةِ هواه، وصبر الرجلِ على ملازمةِ المسجدِ، وصبر المتصدقِ على إخفاءِ الصدقَةِ حتى عن بَعْضِه، وصبر المدعو إلى الفاحِشَة مع كمالِ جمالِ الداعي ومنصبِه، وصبر المتحابين في الله على ذلك في حالِ اجتماعِهما وافتراقهما، وصبرَ الباكي من خشية الله على كتمانِ ذلك وعدمِ إظهارِه للناس من أشقِّ الصبر.

ولهذا كانت عقوبة الشيخِ الزاني والملكِ الكاذب والفقير المختال أشدَّ العقوبةِ[2] لسهولةِ الصبرِ عن هذه الأشياء المحرماتِ عليهم لضعفِ دواعيها في حقهم، فكان تركُهم الصبرَ عنها مع سهولتِه عليهم دليلاً على تمردِهم على الله وعتوِّهم عليه.

ولهذا كان الصبرُ عن معاصي اللسانِ والفرجِ من أصعبِ أنواع الصبرِ لشدَّة

= لهيعة عن أبي عشانة عن عقبة بن عامر مرفوعًا.. أخرجه الروياني في «مسنده» (٢٢٧).
قلت: إسناد حسن؛ لأن عبد الله بن وهب أحد العبادله ممن صحت روايتهم عن ابن لهيعة. وتابع ابن وَهب سعيدُ بنُ شرحبيل عند ابن الأعرابي في «المعجم» (٨٨٦) ومن طريقه القضاعي في «مسند الشهاب» (٣٣٦/١). وقد تابع عمرو بن الحارث ابن لهيعة عند ابن المبارك في «الزهد» (٣٤٦)، ولكن في الإسناد رشدين بن سعد، وهو ضعيف، ولذلك فهو موقوف على عقبة.
وبالجملة: فالحديث صحيح؛ والله أعلم.
وهذا الحديث ضعفه شيخنا حفظه الله في «ظلال الجنة» (٥٧١)، و«ضعيف الجامع» (١٦٥٨)، ثم تراجع عن ذلك، ونقله إلى الصحيحة (٢٨٤٣).

(١) حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة أخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه». أخرجه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٣٠١).

(٢) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب عظيم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر». أخرجه مسلم (١٠٧).

الدَّاعي إليهما وسهولتهما، فإن معاصي اللسانِ فاكهةُ الإنسان؛ كالنَّميمةِ، والغيبَةِ، والكَذِبِ، والمِراءِ، والثّناءِ على النّفْسِ تَعريضاً وتَصريحاً، وحكايةَ كلامِ الناسِ، والطعنِ على من يبغضُه، وَمَدح من يحبُّه ونحو ذلك، فتتفقُ قوةُ الداعي وتيسرُ حركةُ اللسان، فيضعف الصبرُ، ولهذا قال ﷺ لمعاذ: «أمسِك عليك لسانَك»؛ فقال: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: «وهل يَكُبُّ الناسَ في النارِ على مناخِرهم إلا حصائدُ ألسنتِهم؟!»(١).

ولا سيما إذا صارت المعاصي اللسانيةُ معتادةً للعبدِ، فإنه يَعُزُّ عليه الصَّبْرُ عنها، ولهذا تجدُ الرجلَ يقومُ الليلَ ويصومُ النهارَ، ويتورعُ من استناده إلى وسادةِ حريرٍ لحظة واحدة، ويطلق لسانَه في الغيبةِ، والنميمةِ، والتَّفَكُّهِ(٢) في أعراضِ الخَلقِ، وربمّا خَصّ أهلَ الصلاحِ والعلمِ بالله والدينِ والقول على اللهِ ما لا يعلم!.

وكثير ممن تجده يتورعُ عن الدقائقِ من الحرامِ، والقطرةِ من الخمرِ، ومثل رأسِ الإبرةِ من النّجاسةِ، ولا يبالي بارتكابِ الفرجِ الحرامِ؛ كما يُحكى أن رجلاً خلا بامرأة أجنبية، فلما أرادَ مواقعتَها قال: يا هذه غطيّ وجهكِ، فإنّ النظرَ إلى وجهِ الأجنبيةِ حرامٌ.

---

(١) **صحيح بطرقه** ـ أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٢٩٧٣)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، وعبد الرزاق (١١/ ١٩٤)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٣٠ ـ ١٣١)، وابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٢١٩ و٢٢٠) من طريق معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي وائل عن معاذ، وهو منقطع بين أبي وائل ومعاذ، وله طرق أخرى: فقد أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٥ و٢٣٦ و٢٤٥ ـ ٢٤٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٦٣ ـ ٦٤)، والبزار (٢/ ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠) من طرق عن شهر بن حوشب ثنا ابن غنم عن معاذ مطولاً ومختصراً. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن شهراً سيِّىء الحفظ. وأخرجه أحمد (٥/ ٢٣٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٥٤) ثنا أبو المغيرة ثنا أبو بكر حدثني عطية بن قيس عن معاذ وذكره مختصرًا. قلت: وإسناده ضعيف؛ لأن أبا بكر وهو عبد الله بن أبي مريم مختلط وفيه انقطاع بين عطية ومعاذ، وباقي رجاله ثقات. وله طريق صحيحة عن أبي عمرو الشيباني عنه: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤٠/ ١٠٦)، وابن البناء في «الرسالة المغنية» (ص ٢٧). **وبالجملة**: فالحديث صحيح.

(٢) في «م»: الفكه».

وقد سأل رجلٌ عبدَ الله بن عمر[1] عن دمِ البعوض، فقال: «انظروا إلى هؤلاءِ يسألوني عن دمِ البَعوضِ، وقد قتلوا ابن بنتِ رسولِ الله ﷺ»[2]. واتفق لي قريبٌ من هذه الحكاية: كنت في حالِ الإحرامِ، فأتاني قومٌ من الأعرابِ المعروفين بقتلِ النفوسِ والإغارةِ على الأموالِ يسألوني عن قَتل المُحرِمِ القُمَّلَ، فقلت: يا عجباً لقومٍ لا يتورّعون عن قتلِ النّفسِ التي حرّم اللهُ قَتْلَها، ويسألون عن قَتْلِ القَمْلَةِ في الإحرامِ.

والمقصودُ: أن اختلافَ شدَّةِ الصبرِ في أنواعِ المعاصي وأحادها يكون باختلافِ داعيه إلي تلكَ المعصيةِ في قوتِها وضعفِها.

ويذكرُ عن علي رضي الله عنه أنه قال: «الصبرُ ثلاثةٌ: فصبرٌ على المصيبةِ، وصبرٌ على الطاعةِ، وصبر على المعصيةِ. فمن صبرَ على المصيبةِ حتى يردَّها بحسن عزائِها كتبَ الله له ثلاثمائة درجة. ومن صبرَ على الطاعةِ حتى يؤديها كما أمر الله كتب الله له ستمائة درجة. ومن صبر عن المعصية خوفاً من الله ورجاء ما عنده كتب الله له تسعمائة درجة»[3].

وقال ميمون بن مهران[4]: «الصبرُ صبران، فالصبرُ على المصيبة حسن، وأفضل منه الصبر عن المعصية»[5]. وقال الفضيل[6] في قوله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ

---

(١) في هامش «ظ»: «وفي نسخة: سأل عبد الله بن عمر رجلٌ من أهل الكوفة».

(٢) أخرجه البخاري (٥٩٩٤).

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (٢٤)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٢/ ٤١٦/ ٣٨٤٦) وغيرهم مرفوعاً. قلت: إسناده ضعيف. وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٨٤) نحوه بإسناد آخر وقال: «هذا حديث موضوع».

(٤) الإمام الحجة أبو أيوب الجزري الرَّقي، ولد سنة أربعين عام الجماعة، نشأ في الكوفة مملوكاً لامرأة، ثم أعتقته، ثم نزل الرَّقة وبها عقبه، وإليها نسب، وكان فقيه أهل الجزيرة ومفتيهم ومن سادات التابعين. روى عن جمع من الصحابة رضي الله عنهم، وتوفي سنة (١١٨هـ) رحمه الله، وقيل قبل ذلك بسنة أو بسنتين. [ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٢٩/ ٢١٠ ـ ٢٢٧)، و«حلية الأولياء» (٤/ ٨٢)، و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ٧١)].

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١٨).

(٦) الإمام القدوة الثبت أبو علي التميمي الخراساني المجاور بالحرم، ولد بسمرقند، ونشأ=

عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤]، ثم قال: «صبروا على ما أُمِروا به، وصبروا عما نهو عنه»[١]. وكأنه جعل الصبرَ على[٢] المصيبة داخلاً في قسم المأمور به، والله أعلم.



= بأبيورد، وارتحل على الكبر في طلب العلم، وله مواعظ بليغة، وقدم راسخ في التقوى، وتوفي سنة (١٨٧هـ) رحمه الله. [ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٢١)، و«حلية الأولياء» (٤/ ٨٢)، و«المعرفة والتأريخ» (١/ ١٧٩)، و«شذرات الذهب» (١/ ٣٦١)].

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٣٩).

(٢) في «م»: «عن».

الباب الخامس عشر
في ذكر ما ورد في الصبر في نصوص الكتاب العزيز

قال الإمام أحمد رحمه الله: ذكرَ اللهُ سُبحانَه الصبرَ في القرآنِ في تسعين[1] موضعاً. انتهى.

ونحن نذكُرُ الأنواعَ التي سيق فيها الصَبْرَ، وهي عدةُ أنواع:

أحدها: الأمر به؛ كقوله: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ [الطور: ٤٨].

الثاني: النهيُ عمَّا يضادُّه؛ كقولِه: ﴿وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقوله ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٣٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨]. وبالجملةِ؛ فكلُّ ما نُهِيَ عنه؛ فإنه يضادُّ الصبر المأمور به.

الثالث: تعليق الفلاح به، كقولِه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]؛ فَعَلَّق الفلاحَ بمجموعِ هذه الأمور.

الرابع: الإخبار عن مضاعفةِ أجرِ الصابرين على غيره؛ كقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [القصص: ٥٤]، وقوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. قال سليمان بن القاسم[2]: «كلُّ عملٍ يعرفُ ثوابُه

---

(١) في «مدارج السالكين» (٢/ ١٥٢): نحو تسعين.
قلت: ذكر الصبر ومشتقاته في القرآن في مائة وثلاثة مواضع، ولذلك فكلام الإمام أحمد تقريبي لا تحديدي.

(٢) لعله سليمان بن القاسم المصري الزاهد، ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٤/ ١٣٧).

إلا الصبر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. قال: «كالماء المنهمر»(١).

الخامس: تعليق الإمامةِ في الدين به وباليقين، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]؛ فبالصبرِ واليقينِ تُنالُ الإمامةُ في الدّين.

السادس: ظفرهم بمعيَّةِ اللهِ سبحانه لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. قال أبو علي الدقاق: «فاز الصابرون بعزِّ الدارين؛ لأنهم نالوا من الله معيَّتَه»(٢).

السابع: أنه جمعَ للصابرين ثلاثةَ أمورٍ لم يجمعْها لغيرِهم، وهي: الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم، قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ـ١٥٧]. وقال بعض السلف ـ وقد عُزّيَ على مصيبةٍ نالته ـ فقال: «ما لي لا أصبرُ وقد وعدني الله على الصبرِ ثلاثَ خصالٍ، كل خصلةٍ منها خيرٌ من الدنيا وما عليها».

الثامن: أنه سبحانه جعلَ الصبر عوناً وَعُدَّةً، وأمرَ بالاستعانةِ به؛ فقال: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]، فمن لا صبرَ له لا عونَ له.

التاسع: أنه سبحانه عَلّق النَصْرَ بالصَبرِ والتّقوى؛ فقال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، ولهذا قال النبي ﷺ: «واعلم أن النصر مع الصبر»(٣).

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (٢٠).

(٢) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٥).

(٣) **صحيح** ـ جزء من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عندما كان رديف النبي ﷺ فعلمه كلمات. وله عنه طرق في ألفاظها اختلاف، وأجود أسانيده من طريق حَنَش الصنعاني عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخرجه الترمذي (٢٦٣٥ ـ تحفة)، وأحمد (١/ ٢٩٣)، وأبو يعلى (٢٥٥٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة»=

العاشر: أنه سبحانه جعلَ الصبرَ والتقوى جُنّةً عظيمةً من كيدِ العدوّ ومكره، فما استجن العبدُ من ذلك جنّةً أعظم منهما، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

الحادي عشر: أنه سبحانه أخبرَ أن ملائكتَه تسلِّم عليهم في الجنَّةِ؛ كما قـــال: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].

الثاني عشر: أنه سبحانه أباحَ لهم أن يعاقِبوا على ما عوقبوا به، ثم أقسم قَسَماً مؤكداً غايةَ التأكيدِ أن صبرَهم خيرٌ لهم؛ فقال: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل: ١٢٦]. فتأمل هذا التأكيد بالقسم المدلول عليه بالواو ثم باللام بعده ثم باللام التي في الجواب.

الثالث عشر: أنه سبحانه رتَّبَ المغفرةَ والأجرَ الكبيرَ على الصبرِ والعملِ الصالحِ؛ فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾﴾ [هود: ١١]. وهؤلاء ثنية[1] الله من نوعِ الإنسان المذموم الموصوفِ باليأسِ والكفرِ عند المصيبةِ، والفرحِ والفخرِ عند النعمَةِ، ولا خلاصَ من هذا

= (٤٢٧)، والطبراني في «الدعاء» (٤٢) من طريق ليث بن سعد عن قيس بن الحجاج عنه به.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات، وصححه الترمذي، وابن منده في «التوحيد» (٢/ ١٠٧)، وحسنه ابن حجر في «موافقة الخبر الخبر» (١/ ٣٢٧). وأخرجه أحمد (١/ ٣٠٣ و ٣٠٧)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»، (ص٩٧) و«القضاء والقدر» (ص ٧٢)، و«الاعتقاد» (ص ٧٢)، و«شعب الإيمان» (٣/ ٢٨٤)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٠٩٤ و١٠٩٥)، وأبو يعلى (٤/ ٤٣٠)، والطبراني في «الكبير» (١٢/ ٢٣٨ و٢٣٩)، والفسوي في «المعرفة والتأريخ» (٢/ ٥٣٠)، والنقاش في «فوائد العراقيين» (ص ٢١)، وابن منده في «معرفة أرداف النبي» (ص٤٥) وغيرهم من طرق أخرى عن قيس بن الحجاج به.

وتابعه يزيد بن أبي حبيب عن حنش: أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص١٩٨). قلت: إسناده صحيح. وبقية طرقه وشواهده لا تخلو من مقال.

(١) استثناهم الله.

الذمِّ إلا بالصبرِ والعملِ الصالحِ، كما لا تُنالُ المغفرةُ والأجرُ الكبيرُ إلا بهما.

الرابع عشر: أنه سبحانَه جعلَ الصَّبْرَ على المصائِب من عَزْمِ الأمورِ؛ أي: مما يعزم من الأمور التي إنما يُعزم على أجَلِّها وأشرفِها؛ فقال: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣]، وقال لقمان لابنه: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

الخامس عشر: أنه سبحانه وعد المؤمنين بالنصرِ والظَفَر، وهي كلمتُه التي سبقت لهم وهي الكلمةُ الحسنى، وأخبر أنّه إنّما أنالَهُم ذلك بالصبرِ، فقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف: ١٣٧].

السادس عشر: أنه سبحانه عَلَّق محبتَه بالصَبرِ، وجعلَها لأهلِه؛ فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران: ١٤٦].

السابع عشر: أنه سبحانه أخبرَ عن خصالِ الخيرِ أنه لا يُلَقّاها إلا الصابرون في موضعين من كتابه: في سورة القصص في قصة قارون، وأن الذين أوتوا العلم قالوا للذين تمنوا مثلَ ما أوتي: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠]. وفي سورة حم فصلت حيث أمر العبدَ أن يدفعَ بالتي هي أحسن، فإذا فعل ذلك صار الذي بينه وبينه عداوةٌ كأنه حبيبٌ قريبٌ ثم قال: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٥].

الثامن عشر: أنه سبحانه أخبر أنه إنما ينتفعُ بآياتِه ويتَّعِظُ بها الصَبّارُ الشكُور؛ فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

وقال تعالى في لقمان: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾ [لقمان: ٣١].

وقال في قصة سبأ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الشورى: ٣٢، ٣٣].

فهذه أربعُ مواضع في القرآنِ تدلُّ على أن آياتِ الربِّ إنما ينتفعُ بها أهلُ الصبرِ والشُّكرِ.

التاسع عشر: أنه أثنى على عبدِه أيوب بأحسن الثناءِ على صبرِه؛ فقال: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]؛ فأطلق عليه نعمَ العبدُ بكونِه وجدَه صابراً، وهذا يدلُّ على أن من لم يصبر إذا ابتُلي فإنّه بِئسَ العَبدُ.

العشرون: أنه سبحانه حَكَم بالخسرانِ حُكماً عامّا على كلِّ من لم يؤمِن، ولم يكن مِن أهلِ الحقِّ والصَبْرِ، وهذا يدل على أنه لا رابحَ سواهم؛ فقال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ـ ٣].

ولهذا قال الشافعي: «لو فَكَّرَ الناسُ كلُّهم في هذه الآيه لوسعتهم». وذلك أن العبدَ كمالُه في تكميلِ قُوتيْهِ: قُوَّة العِلْمِ وقوةَ العمل، وهما الإيمانُ والعملُ الصالح. وكما هو محتاجٌ إلى تكميلِ نفسِه؛ فهو محتاجٌ إلى تكميلِ غيرِه، وهو التواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وآخِيَةُ ذلك وقاعدتُه وساقُه الذي يقومُ عليه إنما هو الصبرُ.

الحادي والعشرون: أنه سبحانه خَصَّ أهلَ الميمنة بأنهم أهلَ الصبرِ والمرحمةِ الذين قامت بهم هاتان الخصلتان، وَوصّوا بهما غيرهم؛ فقال تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد: ١٧، ١٨]، وهذا حصرٌ لأصحابِ الميمنة فيمن قام به هذان الوصفان، والناسُ بالنسبة إليهما أربعةُ أقسام، هؤلاء خيرُ الأقسامِ، وشرهم من لا صبرَ له ولا رحمةٌ فيه، ويليه من له صبر ولا رحمة عنده، ويليه القسم الرابع وهو من له رحمة ورقَّةٌ ولكن لا صبرَ له.

الثاني والعشرون: أنه سبحانه قَرَن الصبرَ بأركانِ الإسلامِ ومقامات الإيمانِ كلِّها: فقرنه بالصلاة؛ كقوله: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]. وقرنه بالأعمالِ الصالحةِ عموماً؛ كقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود: ١١]. وجعل قرينَ التقوى، كقوله: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾ [يوسف: ٩٠]. وجعله قرينَ الشكر: كقوله: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]. وجعله قرين الحق: كقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]. وجعله قرين الرحمة: كقوله: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧]. وجعله قرين اليقين، كقوله: ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]. وجعله قرينَ الصدق، كقوله: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وجعله سببَ محبتِه ومعيتِه ونصرِه وعونِه وحسن جزائِه، ويكفي بعض ذلك شرفاً وفضلاً، والله أعلم.



الباب السادس عشر

في ذكر ما ورد في الصبر من نصوص السنة

في «الصحيحين» من حديثِ أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ أتى على امرأةٍ تبكي على صبي لها، فقال لها: «اتق الله واصبري»، فقالت: وما تبالي بمصيبتي؟ فلما ذهب، قيل لها: إنه رسول الله ﷺ، فأخذها مثلُ الموت، فأتت بابَه، فلم تجد على بابه بوّابين، فقالت: يا رسول الله لم أعرفك. فقال: «إنما الصبرُ عند أولِ صدمةٍ». وفي لفظ: «عند الصدمةِ الأولى»[(١)].

وقوله: «الصبرُ عند الصدمَة الأولى»، مثل قولِه: «ليس الشديدُ بالصرعَة إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسَه وقت الغضب»[(٢)]؛ فإن مفاجآتِ المصيبةِ [بغتةً][(٣)] لها روعَةٌ تزعزعُ القلبَ وتزعجُه بصدمِها، فإنْ صَبَرَ للصدمَةِ الأولى انكسر حدُّها، وضعفت قوتُها؛ فهان عليه استدامةُ الصبر.

وأيضاً؛ فإن المصيبةَ تَرِدُ على القلبِ وهو غير مُوَطَّن لها فتزعجُه، وهي الصدمةُ الأولى، وأما إذا وردت عليه بعد ذلك [فقد][(٤)] توطَّنَ لها وَعلِم أنه لا بدَّ له منها، فيصيرُ صبرُه شبيهَ الاضطرار، وهذه المرأة لمّا علمت أن جزَعها لا يجدي عليها شيئاً جاءت تعتذرُ إلى النبي ﷺ؛ كأنها تقولُ له: قد صبرت،

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٥٢)، ومسلم (٩٢٦).
(٢) أخرجه البخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) زيادة في: «ظ».
(٤) زيادة في «ظ».

فأخبرها أن الصبرَ إنما هو عند الصدمَةِ الأولى.

ويدل على هذا المعنى ما رواه سعيدُ بن زَرْبي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ على امرأة جاثمة على قبرٍ تبكي، فقال لها: «يا أمةَ الله اتقِ الله واصبري». قالت: يا عبدَ الله ثَكلى. قال: «يا أمة الله اتقِ الله واصبري» قالت: يا عبدَ الله قد أسمعت فانصرِف عني، فمضى رسولُ الله ﷺ، واتبعه رجلٌ من أصحابِه، فوقف على المرأةِ فقال لها: ما قال لك الرجلُ الذاهبُ؟ قالت: قال لي كذا وكذا وأجبته بكذا وكذا. قال: هل تعرفينه؟ قالت: لا. قال: ذلك رسولُ الله ﷺ. قال: فوثبت مسرعةً نحوه حتى انتهت إليه وهي تقول: أنا أصبر أنا أصبر يا رسول الله. فقال: «الصبرُ عندَ الصدمة الأولى، الصبرُ عند الصدمة الأولى». قال ابن أبي الدنيا: حدثنا بشر بن الوليد الكندي وصالح بن مالك قالا: حدثنا سعيد بن زَرْبي.. فذكره[1]. فهذا السياق يبينُ معنى الحديث.

قال أبو عبيد: معناه: أن كلَّ ذي رزيةٍ فإن قصاراه الصبر، ولكنه إنما يحمدُ على صبرِه عند حدَّةِ المصيبة وحرارتِها.

قلت: وفي الحديثِ أنواعٌ من العلم:

أحدها: وجوب الصبر على المصائبِ، وأنه من التّقوى التي أُمِر العبدُ بها.

الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن سُكْرَ المصيبةِ وشدتَها لا يسقطهُ عن الآمر الناهي.

الثالث: تكرار الأمر والنهي مرة بعد مرة حتى يعزو الأمر إلى ربه.

---

(١) قلت: هذا إسناد ضعيف جداً؛ لأن سعيد بن زربي واهٍ بمرة وأحاديثه منكرة يأتي بالعجائب. وأخرجه أبو يعلى (٦٠٦٧) من طريق أبي عبيدة الناجي عن محمد عنه به. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن أبا عبيدة الناجي ضعيف، وروى البزار (٧٩١) طرفاً منه وفيه فهد بن حبان وهو ضعيف منكر الحديث.
وبالجملة: فالحديث ضعيف.
وفي «الصحيحين» ما يغني عنه؛ كما تقدم (ص ١٢١).

الرابع: احتج به على جوازِ زيارةِ النساء للقبور؛ فإنه ﷺ لم ينكِرْ عليها الزيارةِ وإنما أمرَها بالصبرِ، ولو كانت الزيارةُ حراماً لبين لها حكمَها، وهذا كان في آخرِ الأمر؛ فإن أبا هريرة إنما أسلَم بعد السَّنةِ السابعة.

وأجيب عن هذا بأنه ﷺ قد أمرها بتقوى اللهِ والصبرِ، وهذا إنكارٌ منه لحالها من الزيارةِ والبكاءِ، ويدلُ عليه أنّها لما علمت أن الآمرَ لها من تَجبُ طاعتُه انصرفت مسرعةً. وأيضاً؛ فأبو هريرة لم يخبِر أنّه شهد هذه القصةَ، فلا يدلُّ الحديثُ على أنها بعد إسلامه، ولو شهدها فلعنته ﷺ لزائراتِ القبورِ والمتّخذين عليها المساجدَ والسّرُج[1] كان بعد هذا في مرضِ موتِه.

وفي عدمِ تعريفِه لها بنفسِه في تلك الحالِ التي لا تملكُ فيها نفسَها شفقةً منه ورحمةً بها إذا عرَّفَها بنفسِه في تلك الحالِ، فربما لم تسمعْ منه فَتَهلك، وكانت معصيتُها له وهي لا تعلم أنه رسولُ الله أخفَّ من معصيتِها له لو علمت، فهذا من كمالِ رأفتِه صلوات اللهِ وسلامُه عليه.

وفي «صحيح مسلم»[2] عن أم سلمة قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما من مسلمٍ تصيبهُ مصيبةٌ؛ فيقول ما أمرَه الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجُرْني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها، إلا أخلف اللهُ له خيراً منها». قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أيّ المسلمين خيرٌ من أبي سلمة؛ أول بيتٍ هاجر إلى رسولِ الله ﷺ، ثم إني قلتُها، فأخلف اللهُ لي رسولَه ﷺ، فأرسل إلي رسولُ الله ﷺ حاطب بن أبي بلتعة يخطبني له، فقلت: إن لي بنتاً وأنا غيورٌ، فقال: «أما بنتُها فأدعو اللهَ أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهبَ بالغَيْرَة» فتزوجت رسولَ الله ﷺ.

---

(١) **ضعيف** ـ أخرجه أبو داود (٣٢٣٦) والترمذي (٣٢٠)، والنسائي (٤/ ٩٥) وغيرهم من طريق محمد بن جحادة عن أبي صالح مولى أم هانىء عن عبد الله بن عباس مرفوعاً.
قلت: إسناده ضعيف، لأجل أبي صالح مولى أم هانىء فإنه ضعيف باتفاق غير العجلي فإنه وثقه وهو متساهل كما لا يخفى. وانظر لزاماً «الضعيفة» لشيخنا حفظه الله (٢٢٥).

(٢) أخرجه مسلم (٩١٨).

وعند أبي داود[1] في هذا الحديث عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا أصابت أحدَكم مصيبةٌ فليقل: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم عندك أحتسب مصيبتي، فأْجُرْني فيها، وأبدلني خيراً منها»؛ فلما احتضر أبو سلمة قال: اللهم أخلُفني في أهلي خيراً مني. فلما قُبِضَ قالت أمُّ سلمة: إنا لله وإنا إليه راجعون، عند الله أحتسبُ مصيبَتي. فانظر عاقبةَ الصبرِ والاسترجاعِ ومتابعةِ الرسولِ والرضاءِ عن الله إلى ما آلت إليه، وأنالت أمّ سلمة نكاحَ أكرمِ الخلقِ على الله.

وفي «جامع الترمذي»، و«مسند أحمد»، و«صحيح ابن حبان»، عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مات ولدُ العبدِ قال الله لملائكته: قبضتم ولدَ عبدي، فيقولون: نعم. فيقول قبضتم ثمرةَ فؤادِه، فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجعك. فيقول: ابنوا لعبدي بيتا في الجنّة وسموه بيتَ الحمد»[2].

وفي «صحيح البخاري» من حديثِ أنس أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا ابتليتُ عبدي في حبيبتيه ثم صَبَر عوَّضْتُه منهما الجَنَّةَ»[3]؛ يريد: عينيه.

وعند «الترمذي» في الحديث: «إذا أخذتُ كَريمَتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاءٌ عندي إلا الجَنّة»[4].

وفي «الترمذي» أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسولُ الله ﷺ:

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه أبو داود (٣١١٦)، والترمذي (٣٥١١)، وابن ماجة (١٥٩٨)، وأحمد (٦/ ٣١٧). قلت: وهو صحيح.

(٢) **حسن لغيره** ـ أخرجه الترمذي (١٠٢١)، وابن حبان (٢٩٤٨)، وأحمد (٤/ ٤١٥)، ونعيم ابن حماد في «زوائد الزهد» (١٠٨)، والطيالسي (٥٠٨). قلت: إسناده ضعيف فيه عيسى بن سنان، وهو لين الحديث، وباقي رجاله ثقات. وله طريق آخر أخرجه الثقفي في «الثقفيات» (٣/ ١٥/ ٢). قلت: إسناده ضعيف فيه عبد الحكم بن ميسرة الحارثي ضعفه الدارقطني.

وبالجملة: فالحديث حسن بمجموع طريقيه، والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٥٣).

(٤) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٢٤٠٠)، وقال: حسن غريب. قلت: وهو صحيح.

«يقولُ اللهُ عزَّ وَجَلَّ: من أذهبتُ حبيبتيه؛ فَصَبر واحتَسب لم أرضَ له ثواباً دون الجنة»[1].

وفي «سنن أبي داود»[2] من حديث عبدالله بن عمر[3] قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يرضى اللهُ لعبدِه المؤمن إذا ذهب بِصفِيِّه من أهلِ الأرضِ واحتسبه بثوابٍ دون الجنة»[4].

وفي «صحيحِ البخاري» من حديث أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: ما لعبدي المؤمن جزاءٌ إذا قبضتُ صفيَّه من أهلِ الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة»[5].

وفي «صحيحه» أيضاً عن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أُريك امرأةً من أهلِ الجنّةِ؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأةُ السوداءُ أتت النَّبي ﷺ فقالت: يا رسولَ الله إنّي أصرعُ، وإني أتكشّفُ؛ فادعوا الله لي. قال: «إن شئتِ صبرتِ ولك الجَنةُ، وإن شئتِ دعوتُ الله تعالى أن يعافيَك». فقالت: أصبر. وقالت: إني أتكشفُ فادعُ الله أن لا أتكشَّف؛ فدعا لها[6].

وفي «الموطأ» من حديث عطاءِ بن يَسار: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إذا مرضَ العبدُ بعثَ إليه مَلكين، فقال: انظرا ماذا يقول لعواده، فإن هو إذ جاؤوه حمدَ الله وأثنى عليه، رفعا[7] ذلك إلى اللهِ وهو أعلمُ، فيقول: إن لعبدي عليَّ

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٢٤٠١)، وقال: حسن صحيح. قلت: وهو صحيح.

(٢) في هامش «ظ»: وفي نسخه: وفي سنن النسائي. قلت: وهو الصواب، فإن الحديث ليس في سنن أبي داود.

(٣) هو من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وليس من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(٤) **حسن** ـ أخرجه النسائي (٤/ ٢٣) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما. قلت: إسناده حسن.

(٥) أخرجه البخاري (٦٢٢٤).

(٦) أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، ومسلم (٢٥٧٦).

(٧) في «ظ»: «فيرفعا».

إن توفيتُه أن أدخلَه الجنّةَ، وإن أنا شفيتُه أن أبدلَه لحماً خيراً من لحمِه، ودماً خيراً من دمِه، وأن أُكفّرَ عنه سيئاتِه»[1].

وفي صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمعَ اللهُ الخلائق نادى منادٍ: أين أهلُ الصبرِ؟ فيقوم ناسٌ وهم قليلون فينطلقون سِراعاً إلى الجنّة، فتلقاهم الملائكةُ، فيقولون: إنّا نراكم سِراعاً إلى الجنّة فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهلُ الفَضْلِ. فيقولون: ما كان فضلُكم؟ فيقولون: كنّا إذا ظُلِمنا صبَرنا، وإذا أسيء إلينا غَفَرنا، وإذا جُهِل علينا حلمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة فنعمَ أجرُ العاملين»[2].

وفي «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قَسّم مالاً؛ فقال بعضُ الناس: هذه قِسْمَةٌ ما أريدَ بها وجهُ الله، فأخبِرَ بذلك رسولُ الله ﷺ فقال: «رحم الله مُوسى قد أوذي بأكثرَ من هذا فَصَبَر»[3].

وفي «الصحيحين» من حديثِ الزُّهْري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما من مصيبةٍ تصيبُ المسلمَ إلا كَفّر اللهُ بها عنه حتى الشّوكة يُشاكها»[4].

---

(١) **صحيح لغيره** ـ أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٤٠/ ٥)، عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار وذكره. قلت: مرسل صحيح الإسناد. ووصله ابن عبد البر في «التمهيد» (٥/ ٤٧) من طريق عباد بن كثير عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري (وذكره)، وضعفه (٥/ ٤٨)؛ لأن فيه عباد بن كثير الثقفي البصري، وهو كما قال.
وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه الحاكم (١/ ٣٤٩)، ومن طريقه البيهقي (٣/ ٣٧٥). قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي.
وبالجملة: فالحديث صحيح.

(٢) **ضعيف جداً** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الحلم» (٥٦) بإسناد ضعيف جداً؛ لأن فيه محمد بن عبيد الله بن ميسرة العرزمي وهو متروك. وقد وهم محققه في تخريج الحديث وهماً شنيعاً؛ فعزاه لابن ماجه وغيره وهو حديث غيره، ولكن تشابه طرفاه، وهذه مشكلة معضلة حيث يقتصر بعض مدّعي التحقيق على الرجوع إلى فهارس الأطراف، ثم يقومون بعزو الحديث، فيقع أحدهم على أم رأسه، وصدق من قال: «من تكلم في غير فنه أتى بالعجائب» نسأل الله السلامة.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٦٠٢).

(٤) أخرجه البخاري (٥٦٤٠)، ومسلم (٢٥٧٢) (٤٩).

و«فيهما» أيضاً من حديث أبي سعيدٍ وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما يصيبُ المسلم من نصب ولا وصبٍ ولا همٍّ ولا حَزَنٍ ولا أذى ولا غَمٍّ حتى الشّوكة يُشاكها إلا كَفّرَ اللهُ بها خطاياه»[١].

وفي «صحيح مسلم» من حديث عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يصيبُ المؤمن من شوكةٍ فما فوقَها إلا رفعه اللهُ بها درجةً، وحطَّ عنه بها خَطيئةً»[٢].

وفي «المسند» من حديثِ أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ أو المؤمنةِ في جَسَدِه وفي مالِه وفي ولدِهِ حتى يلقى اللهَ وما عليه خَطيئة»[٣].

وفي «الصحيح»[٤] من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله: أي الناسِ أشدُّ بلاءً؟ قال: «الأنبياءُ ثم الصالحون ثم الأمثلُ فالأمثل يُبتلى الرجلُ على حسبِ دينِه، فإن كان في دينهِ صلابةٌ زيد في بلائِه، وإن كان في دينهِ رقةٌ خُفِّفَ عنْه، وما يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ حتى يمشي على الأرضِ وليس عليه خطيئةٌ»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤١، ٥٦٤٢)، ومسلم (٢٥٧٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٢) (٤٧) بلفظ: «ما يصيب المؤمن . . .» الحديث.

(٣) **حسن** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٩٩)، وأحمد (٢/ ٢٨٧و٤٥٠)، والبغوي (١٤٣٦)، وابن حبان (٢٩١٣)، والحاكم (١/ ٣٤٦ و٤/ ٣١٤ ـ ٣١٥)، والبيهقي (٣/ ٣٧٤)، وفي «الآداب» (١٤٠٩) وغيرهم من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عنه به.
قلت: إسناده حسن؛ لأن محمد بن عمرو صدوق، وباقي رجاله ثقات.

(٤) ليس في «الصحيحين» أو أحدهما.

(٥) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣)، وأحمد (١/ ١٧٢ و١٧٣ ـ ١٧٤ و١٨٠ و١٨٥)، والبغوي (١٤٣٢)، والحاكم (١/ ٤٠ و٤١)، والبيهقي (٣/ ٣٧٢)، وابن حبان (٢٩٠١)، والطيالسي (٢١٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٢٣٣) وغيرهم من طريق عاصم بن بهدلة حدثني مصعب بن سعد عن أبيه.
قلت: إسناده حسن، لأن عاصماً صدوق. ولم ينفرد به، بل تابعه العلاء بن المسيب عن أبيه. أخرجه ابن حبان (٢٩٠٢)، والحاكم (١/ ٤٠ ـ ٤١). قلت: العلاء وأبوه ثقتان؛ فالإسناد صحيح. وله شاهد صحيح من حديث أبي سعيد، وآخر حسن عن أبي عبيدة بن حذيفة عن عمته فاطمة.
وبالجملة: فالحديث في غاية الصحة، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

وفي «الصحيحين» عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعَك وعكاً شديداً. قال: فقلت: يا رسول الله إنك لتوعك وَعْكاً شديداً. فقال: «أجل، إني لأوعَك كما يوعَكُ رجلان منكم». قلت: إن لك لأجرين. قال: «نعم، والذي نفسي بيده ما على الأرضِ مسلم يصيبُه أذى من مرض فما سواه إلا حطّ اللهُ عنه به خطاياه كما تحطُّ الشجرةُ اليابسةُ ورقَها»[1].

وفي «الصحيحين» أيضاً من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيتُ الوجَع أشدَّ منه على رسولِ الله ﷺ»[2].

وفي بعض «المسانيد» مرفوعاً: «إن الرجلَ لتكون له الدرجةُ عند الله لا يبلغها بعملٍ حتى يُبتلى ببلاءٍ في جسمِهِ فيبلُغَها بذلك»[3].

ويُروى عن عائشة عنه قال: «إذا اشتكى المؤمنُ أخْلَصه ذلك من الذّنوبِ كما يُخلِّصُ الكيرُ الخَبَثَ من الحديدِ»[4].

وفي «صحيح البخاري» من حديث خبّاب بن الأَرت قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسدٌ بِبُردةٍ له في ظلِّ الكعبةِ، فقلنا: ألا تستنصرُ لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: «قد كان من قبلكم يؤخذُ الرجلُ فيحفرُ له في الأرض فيجعل

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٨)، ومسلم (٢٥٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠).

(٣) **حسن** ـ أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٦٠٩٥)، وابن حبان (٢٩٠٨)، والحاكم (١/ ٣٤٤)، من طريق يونس بن بكير حدثنا يحيى بن أيوب ـ وهو البجلي ـ حدثنا أبو زُرْعة قال: حدثنا أبو هريرة وذلك مرفوعاً. قلت: إسناده حسن رجاله ثقات غير يحيى بن أيوب البجلي قال الحافظ: لا بأس به؛ فحديثه حسن. وصححه الهيثمي والمنذري.

(٤) **صحيح** ـ أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٧)، والقضاعي في «الشهاب» (١٤٠٦ و١٤٠٧)، والخطيب في «تلخيص المتشابه في الرسم» (١/ ٤٤)، والرامهرمزي في «أمثال الحديث» (ص ١٣٠ ـ ١٣١)، وابن حبان (٢٩٣٦)، والطبراني في «الأوسط» (٤١٢٣ و٥٣٥١)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات»، (٩٠ و٢٣٥)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٤٨٧) وغيرهم من طريقين عن عروة عن عائشة به.
قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات أثبات.

فيها، ثم يؤتى بالمنشارِ فيوضع على رأسِه فيجعل نصفين، ويمشطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دون لحمِه وعظمِه ما يصدُّهُ ذلك عن دينهِ، واللهِ لَيُتِمَّنَّ اللهُ هذا الأمرَ حتى يسير الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموت لا يخافُ إلا الله والذئبَ على غَنمِه، ولكنكم تستَعجِلون»[1].

وفي لفظ للبخاري: أتيتُ رسولَ الله ﷺ وهو متوسِّدٌ بردةً في ظلِّ الكعبة ـ وقد لقينا من المشركين شدّةً ـ فقلنا: ألا تدعو اللهَ؟ فقعدَ وهو مُحَمَرٌ وجهُه؛ فقال: «لقد كان الرجلُ ليُمشَطُ بأمشاطِ الحديدِ ما دون لحمِه وعظمِه ما يصدُّه ذلك عن دينِه»[2].

وقد حمل أهل العلم قول خباب: «شكونا إلى رسولِ الله ﷺ حَرَّ الرمضاءِ فلمَ يَشكِنا»[3] على هذا المحمل. وقال: شكوا إليه حَرَّ الرمضاءِ الذي كان يصيبُ جباهَهم وأكفَّهم من تعذيبِ الكفّار فلم يُشكِهم، وإنما دَلّهم على الصَبْرِ.

وهذا الوجه أنسبُ من تفسيرِ من فَسَّر ذلك بالسُّجودِ على الرَّمضاءِ.

واحتجاج من احتج به على وجوبِ مباشرةِ المصلي بالجَبْهَةِ الأرض فمردود لثلاثة أوجه:

أحدهما: أنه لا دليلَ في اللفظِ على ذلك.

الثاني: أنهم قد أخبروا أنهم كانوا مع النّبي ﷺ؛ فكان أحدُهم إذا لم يستطع أن يسجُدَ علي الأرضِ يبسط ثوبَه ويسجدُ عليه، والظاهر أن هذا يبلغه ويعلم به وقد أقرَّهم عليه.

الثالث: أن شدةَ الحرِّ في الحجازِ تمنعُ من مباشرةِ الجبهةِ والكفِّ للأرض، بل يكادُ يشوي الوْجهَ والكفَّ فلا يتمكنُ من الطمأنينةِ في السّجودِ، ويذهبُ خشوعُ الصلاةِ، ويتضررُ البدنُ، ويتعرَّضُ للمرضِ، والشريعة لا تأتي بهذا.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢).
(٢) أخرجه البخاري (٣٨٥٢).
(٣) أخرجه مسلم (٦١٩) (١٩٠).

فتأمل رواية خبّاب لهذا والذي قبله واجمع بين اللفظين والمعنيين والله أعلم، ولا تستوحش من قوله: فلم يشكِنا، فإنه هو معنى إعراضه عن شكايتهم وإخباره لهم بصبرِ من قبلهم، والله أعلم[1].

وفي «الصحيح» من حديث أسامة بن زيد قال: أَرْسلت ابنةُ النبي ﷺ إليه: أن ابناً لي احتضر فأتنا، فأرسل يُقريها السلامَ ويقول: «إن لله ما أخذَ، وله ما أعطى، وكُلُّ شيءٍ عنده بأجلٍ مسمى، فلتصبر ولتحتسب». فأرسلت إليه تقسمُ

---

(١) يرد على ما تقدم من قول الإمام ابن القيم رحمه الله وقوع التصريح بأن محل الشكوى هو الصلاة: أخرج مسلم (٦١٩) (٨٩) عن خباب قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الصلاة في الرمضاء فلم يشكنا. ولذلك فإن حمل حديث خباب في هذه المسألة عند مسلم على حديثه في الشكوى من أذى الكفار عند البخاري لا يصح، ولذلك قال الحافظ في «فتح الباري» (٧/ ١٦٧): «أغرب الشيخ عماد الدين بن كثير فزعم أن الحديث الوارد عن خباب عند مسلم وأصحاب السنة: «شكونا إلى رسول الله ﷺ حرّ الرمضاء فلم يشكنا»، طرف من حديث الباب، وأن المراد أنهم شكوا ما يلقونه من المشركين من تعذيبهم بحر الرمضاء وغيره، فسألوه أن يدعو على المشركين فلم يشكهم، أي لم يزل شكواهم، وعدل إلى تسليتهم بمن مضى قبلهم، ولكنه وعدهم بالنصر. انتهى.

ويبعد هذا الحمل أن في بعض طرق حديث مسلم عند ابن ماجه: «الصلاة في الرمضاء» وعند أحمد: «يعني الظهر»، وقال: «إذا زالت الشمس فصلوا، وبهذا تمسك من قال: إنه ورد في تعجيل الظهر، وذلك قبل مشروعية الإبراد وهو المعتمد، والله أعلم».

قلت: سبق بيان أن الصلاة محل الشكوى عند مسلم، ولذلك فهما حديثان مختلفان.

أما احتجاج من احتج بوجوب مباشرة المصلي الأرض بالجبهة والأكف دون حائل فمردود من وجوه:

أ ـ ثبوت بسط الصحابة الثوب للسجود عليه؛ كما وقع عند مسلم (٦٢٠) من حديث أنس بن مالك: كنا نصلي مع رسول الله ﷺ في شدة الحر، فإذا لم يستطع أحد أن يُمكن جبهته من الأرض بسط ثوبه فسجد عليه.

ب ـ أن هذا قبل مشروعية الإبراد؛ يدل على ذلك ما أخرجه مسلم (٦١٩) (٩٠) عن خباب، قال: أتينا رسول الله ﷺ فشكونا إليه حرّ الرمضاء فلم يُشكنا. قال زهير: قلت لأبي إسحاق: أفي الظهر؟ قال: نعم. قال: أفي تعجيلها؟ قال: نعم. قلت: ثم نسخ هذا بأحاديث الإبراد الصحيحة الصريحة، والله أعلم، فبهذا تتفق الأحاديث ولا تفترق، وتأتلف ولا تختلف، ولله الحمد والمنة على الإسلام والسنة.

عليه ليأتينها؛ فقام ومعه سعدُ بن عبادة ومعاذ بنُ جبل وأُبيّ بن كعب وزيدُ بن ثابت ورجال، فَرُفِع الصَّبيُّ إلى رسولِ الله، فأقعده في حِجره ونَفْسُه تُقَعْقِعُ[1] كأنها في شِنٍّ[2]، ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ قال: «هذه رحمةٌ جعلها اللهُ في قلوبِ من يشاءُ من عبادِه، وإنما يرحمُ الله من عبادِه الرُّحماء»[3].

وفي «سنن النسائي» عن ابن عباس قال: احتضرت ابنةٌ لرسولِ الله ﷺ صغيرة، فأخذها رسولُ الله ﷺ وضمَّها إلى صدرِهِ ثم وضع يدَه عليها وهي بين يدي رسول الله ﷺ، فَبَكت أمُّ أيمن، فقلت لها: أتبكين، ورسول الله عندك؟ فقالت: ما لي لا أبكي ورسول الله ﷺ يبكي، فقال رسول الله ﷺ: «إني لست أبكي ولكنّها رحمةٌ»، ثم قال رسول الله ﷺ: «المؤمن بخيرٍ على كلِّ حالٍ تُنزعُ نفسُه من بين جنبيه وهو يحمدُ اللهَ عزَّ وجل»[4].

وفي صحيح البخاري من حديث أنس رضي الله عنه قال: اشتكى ابنٌ لأبي طلحة فمات وأبو طلحة خارجٌ، فلما رأت امرأتُه أنه قد مات هَيَّأت شيئاً وسجَّته في جانبِ البيت، فلما جاءَ أبو طلحة قال: كيف الغلامُ؟ قالت: قد هدأت نفسُه، وأرجو أن يكونَ قد استراحَ؛ فظن أبو طلحة أنها صادقةٌ. قال: فبات معها، فلما أصبحَ اغتسل، فلما أراد أن يخرُجَ أعلمته أنه قد مات، فصلى مع رسولِ الله ﷺ ثم أخبره ما كان منهما، فقال رسول الله ﷺ: «لعل الله أن يبارك لكما في ليلتكما»[5]. قال ابن عيينة: فقال رجلٌ من الأنصار: فرأيت له تسعةَ أولادٍ كلهم قد قرأوا القرآنَ.

---

(١) تضطرب.

(٢) في «ظ» «شنة»، والشن: القربة البالية.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٥٥)، ومسلم (٩٢٣).

(٤) **صحيح** ـ أخرجه النسائي (٤/ ١٢)، وأحمد (١/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤ و٢٩٧)، والبزار (٨٠٨ ـ كشف الأستار) من طرق عن عطاء بن السائب عن عكرمة عنه به.
قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات، فإن عطاء وإن كان قد اختلط فإن سفيان الثوري أحد الرواة عنه عند أحمد في الموطن الأول سمع منه قبل الاختلاط. وله شاهد من حديث أبي هريرة عند أحمد (٢/ ٣٦١)، والبزار (٧٨١) بإسناد حسن.

(٥) أخرجه البخاري (١٣٠١)، ومسلم (٢١٤٤).

وفي «موطأ مالك» عن القاسم بن محمد قال: هلكت امرأةٌ لي فأتاني محمدُ بن كعبٍ القُرظي يعزيني فيها، فقال: إنه كان في بني إسرائيل رجلٌ فقيه عابدٌ مجتهدٌ، وكانت له امرأةٌ وكان بها مُعجَباً، فماتت فَوَجَدَ[1] عليها وَجْدا شديداً حتى خلى في بيتٍ وأغلق على نفسِه واحتجبَ عن الناس، فلم يكن يدخلُ عليه أحدٌ، ثم أن امرأةً من بني إسرائيل سمعت به فجاءته فقالت: إن لي إليه حاجةً أستفتيه فيها، ليس يجزيني إلا أن أُشافِهه بها، فذهب الناسُ ولزمت البابَ فأُخبر، فَأَذِن لها، فقالت أستفتيك في أمرٍ. قال: وما هو؟ قالت: إني استعرتُ من جارةٍ حُلياً فكنتُ ألبسه وأعيرُه زماناً، ثم إنها أرسلت إِليَّ فيه أفأرده إليها؟ قال: نعم. قالت: والله إنه مكثَ عندي زماناً. فقال: ذلك أحق لردك إياه. فقالت له: يرحمُك الله أفتأسفُ على ما أعارَك الله ثم أخذَه منك وهو أحقُّ به منك؟ فأبصر ما كان فيه، ونفَعه الله بقولِها[2].

وفي «جامع الترمذي» عن شيخ من بني مُرّة قال: قدمت الكوفَةَ فأخبرت عن بلال بن أبي بردة فقلت: إن فيه لمعتبراً؟ فأتيتُه وهو محبوسٌ في دارِه التي كان بنى[3]، وإذا كلُّ شيءٍ منه قد تغيَّر من العذابِ والضَربِ، وإذا هو في قُشاشٍ[4]، فقلت له: الحمدُ لله يا بلال، لقد رأيتُك تمرُّ بنا وأنت تمسكُ أنفَك من غير غُبارٍ وأنت في حالتِك هذه فكيف صبرُك اليوم؟ فقال: ممن أنت؟ قلت: من بني مرَّة بن عباد. قال: ألا أحدثُك حديثاً عسى أن ينفَعك الله به؟ قلت: هات. قال: حدثني أبو بُردة عن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «لا يصيبُ عَبْداً نَكْبَةٌ[5] فما فوقَها أو دونها إلا بذنبٍ، وما يعفو الله عنه أكثر» قال: وقرأ:

---

(١) حزن عليها شديداً.

(٢) أخرجه مالك (١/ ٢٣٧/ ٤٣)، وإسناده صحيح إلى القاسم بن محمد، ولكنه من أخبار بني إسرائيل.

(٣) في «ظ»: «كانت بناء».

(٤) ما كان ساقطاً لا قيمة له، وهي: اللقاطة.

(٥) مصيبة.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠][١].

وفي «الصحيحين»[٢] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كأني أنظرُ إلى رسول الله ﷺ يحكي أن نبياً من الأنبياءِ ضربَه قومُه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «اللهمَّ اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلَمون». فتضمنت هذه الدعوة العفوَ عنهم، والدعاءَ لهم، والاعتذارَ عنهم، والاستعطافَ بقوله لقومِه.

وفي «الموطأ» من حديث عبدالرحمن بن القاسم قال: قال رسول الله ﷺ: «لِيُعَزِّ المسلمين في مصائبِهم المصيبةُ بي»[٣].

وفي «الترمذي» من حديث يحيى بن وثّاب عن شيخ من أصحابِ رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنُ الذي يخالطُ الناسَ ويصبرُ على أذاهم أعظم أجراً مِنَ المؤمن الذي يُخالطُ الناس ولا يصبرُ على أذاهم»[٤]. قال الترمذي[٥]: كان شعبة يرى أن الشيخ[٦] ابن عمر.

---

(١) **ضعيف** ـ أخرجه الترمذي (٣٢٥٢)، وضعفه بقوله: غريب. قلت: وهو كما قال؛ ففي إسناده مجهولان: عُبيد الله بن الوازع وشيخه.

(٢) هو عند البخاري (٣٤٧٧) وحده وليس عند مسلم.

(٣) **حسن** ـ أخرجه مالك (١/ ٢٣٦/ ٤١)، ومن طريقه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٧٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٤٦٧). قلت: إسناده مرسل صحيح. وله شواهد من حديث ابن عباس، وعائشة وفي أسانيدها ضعف، ومن مرسل مكحول، وعبد الرحمن بن سابط.

وبالجملة: فالحديث حسن بمجموع ذلك، والله أعلم.

(٤) **صحيح** ـ أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨)، والترمذي (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣٢)، وأحمد (٥/ ٣٦٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٦٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٨٩)، و«الشعب» (٨١٠٢) وغيرهم. قلت: إسناده صحيح.

(٥) القائل هو ابن أبي عدي شيخُ شيخ الترمذي فيه. وقد وقع صريحاً عند ابن ماجه، لكن في إسناده عبد الواحد بن صالح وهو مجهول، ووقع عند أحمد (٢/ ٤٣): «عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ» قال: «أراه ابن عمر. قال حجاج، قال شعبة، قال سليمان: وهو ابن عمر». قلت: سواء سمى الصحابي أم لم يسم فلا يضر؛ لأن جهالة الصحابة لا تضر لأنهم عدول، وإن كان الراجح أنه ابن عمر لما تقدم، والله أعلم.

(٦) في «ظ»: «الشيخ هو» والمثبت هو الموافق لما في السنن.

وفي «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أُعطي [أحدٌ][1] عطاءً خيرٌ وأوسعُ من الصبرِ»[2].

وفي بعض «المسانيد» عنه ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجل: إذا وجَّهت إلى عبدٍ من عبيدي مصيبةً في بدنِه أو مالِه أو ولدِه ثم استقبلَ ذلك بصبرٍ جميلٍ استحييت منه يومَ القيامةِ أن أنصبَ له ميزاناً أو أنشرَ له ديواناً»[3].

وفي «جامع الترمذي» عنه ﷺ: «إذا أحبَّ اللهُ قوماً ابتلاهم، فمن رَضي فله الرِّضى، ومن سَخِط فله السَّخطُ»[4].

وفي بعض «المسانيد» عنه ﷺ مرفوعاً: «إذا أراد الله بعبدٍ خَيراً صبَّ عليه البلاءَ صباً»[5].

وفي «صحيح مسلم» من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه: أن رسولَ الله ﷺ دخلَ على امرأة فقال: «مالك تزفزفين؟ قالت: الحمى، لا بارك اللهُ فيها. قال: «لا تَسُبيّ الحمّى فإنها تُذهِبُ خطايا بني آدم كما يُذهِب الكيرُ خَبَثَ الحديد»[6].

---

(١) زيادة من «ظ» وهي الصواب؛ لموافقتها ما في «الصحيحين».

(٢) مضى تخريجه (ص ٣٨).

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢٢٢)، وعزاه العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٤/ ٧٢) إلى ابن عدي، وضعَّفه، ووافقه المناوي في «فيض القدير» (٤/ ٤٨٧).

(٤) **حسن** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، وابن ماجه (٤٠٣١) من طريق سعد بن سنان عن أنس عن النبي ﷺ. قلت: إسناده حسن، كما قال الترمذي؛ لأن سعد بن سنان صدوق.

(٥) **ضعيف** ـ أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (١/ ٢٥١/ ٩٧٢). قلت: والعزو إليه مشعر بالضعف. وأخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٢٠). وعزاه المنذري إليه في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٢٨٢). وزاد الحافظ العراقي في «المغني» (٤/ ١٣٢) نسبته إلى الأصبهاني في «الترغيب والترهيب»، وقال: «وبكر بن خنيس والرقاشي ضعيفان، ورواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» بتمامه وأدخل بين بكر وبين الرقاشي ضرار بن عمرو وهو أيضاً ضعيف».

(٦) مسلم (٢٥٧٥).

ويُذَكر عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ أنه قال: «من وُعِك ليلةً فَصَبَر ورضي عنه الله تعالى خَرج من ذنوبه كيومِ ولدتهُ أمُّه»[١].

وقال الحسن: «إنه ليكفِّر عن العبدِ خطاياه كُلُّها بحُمّى ليلة»[٢].

وفي «المسند» وغيره عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: دخلت على النَّبي ﷺ وهو محموم، فوضعتُ يدي من فوق القَطيفَةِ فوجدت حرارةَ الحمّى، فقلت: ما أشد حمّاك يا رسول الله. قال: «إنا كذلك معاشر الأنبياء يضاعفُ علينا الوَجَعُ؛ ليضاعفَ لنا الأجرُ» قال: قلت: يا رسول الله فأي الناسِ أشد بلاءً؟ قال: «الأنبياء» قلت: ثم من؟ قال: «الصالحون، إن الرجلَ ليبتلى بالفقرِ حتى ما يجد إلا العباءَ فيجوبها فيلبسها، وإن كان الرجلُ ليبتلى بالقُمَّلِ حتى يقتله القُمَّلُ، وكان ذلك أحب إليهم من العطاءِ إليكم»[٣] وقال عقبة بن عامر الجهني: قال رسول الله ﷺ: «ليس من عمل إلا وهو يختم عليه، فإذا مَرِض المؤمنُ قالت الملائكةُ: يا ربنا عبَدك فلان قد حبسته عن العَمَلِ؛ فيقول الربُّ: تعالوا اختموا له على مثلِ عملهِ حتى يبرأ أو يموت»[٤].

---

(١) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٨٣)، و «الرضا عن الله» (٧٥)، و«الصبر» (١٨٠)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ١٦٧/ ٩٨٦٨).
قلت: إسناده ضعيف؛ فيه أبو سفيان وهو مجهول، وشيخه سالم بن عبد الله الخياط سيّىء الحفظ، وعنعنة الحسن البصري.

(٢) سيأتي تخريجه مرفوعاً (ص ١٤٠).

(٣) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٣/ ٩٤)، وابن ماجه (٤٠٢٤)، وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٠٨)، والحاكم (٤/ ٣٠٧) من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري. قلت: إسناده صحيح على شرط مسلم؛ كما قال الحاكم ووافقه الذهبي، وله شواهد مضى بعضها.

(٤) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٤/ ١٤٦)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٢)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٤٦/ ٧٨٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤٢٨) من طرق عن ابن لهيعة قال: حدثني يزيد أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر الجهني . . وذكره مرفوعاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٣): «وفيه ابن لهيعة وفيه كلام».
قلت: إنما يخشى من سوء حفظه بعد احتراق كتبه، ولكن الراوي عنه عند أحمد وابن=

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: «إذا مَرِضَ العبدُ المسلمُ نودي [على][(1)] صاحب اليمين أن أجرِ على عبدي صالحَ ما كان يعملُ وهو صحيحٌ، ويقال لصاحبِ الشمال أقصر عن عبدي ما دام في وثاقي». فقال رجل عند أبي هريرة: يا ليتني لا أزال ضاجعاً. فقال أبو هريرة: كره العبدُ الخطايا.

ذكره ابن أبي الدنيا[(2)].

وذكر أيضاً عن هلال بن يساف قال: كنا قعوداً عند عمار بن ياسر فذكروا الأوجاعَ، فقال أعرابي: ما اشتكيت قَط، فقال عمار: «ما أنت مِنّا، أو لست مِنّا، إن المسلمَ يُبتلى ببلاءٍ فَتُحَطُّ عنه ذنوبُه كما يُحطُّ الورقُ من الشَّجر، وإن الكافر ـ أو قال الفاجر ـ يبتلى ببليةٍ فمثله مثل البعيرِ إن أطلق لم يدرِ لمَ أُطلق وإن عُقِلَ لم يدر لم عُقِل»[(3)].

وذكر عن أبي معمَر الأزدي قال: «كنا إذا سمعنا من ابن مسعود شيئاً نكرهُه سكتنا حتى يفسرَه لنا، فقال لنا ذات يوم: ألا إن السقمَ لا يكتبُ له أجرٌ، فساءنا ذلك وَكَبُر علينا، فقال: ولكن يكفَّر به الخطيئة. فَسرَّنا ذلك وأعجبنا»[(4)].

= أبي الدنيا عبد الله بن المبارك، وروايته عنه صحيحه؛ لأنه أحد العبادلة. وتابعه رشدين عن عمرو بن الحارث أخبرني: حبيب أن أبا الخير حدثه أنه سمع عقبة بن عامر وذكره. أخرجه الحاكم (٤/٣٠٨ ـ ٣٠٩) وقال: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله: رشدين واه.

قلت: فالحديث حسن بالطريق الأول، وله شواهد من حديث ابن عباس وعبد الله بن عمرو وأنس؛ فهو بها صحيح، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

(١) زيادة من «ظ»، والمثبت هو الموافق لرواية «الشعب».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٤) ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٤٨) واللفظ له. قلت: إسناده صحيح إن سمع حسان بن عطية من أبي هريرة.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٥) ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩١٣)، وابن أبي شيبة (٣/٢٣٢). قلت: رجاله ثقات، وفيه انقطاع.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٦)، والطبراني في «الكبير» (٨٥٠٦) من طريق المسعودي عن جامع بن شداد وعن تميم بن سلمة عنه به. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/٣٠١): «إسناده حسن». وله طريق آخر عند الطبراني في «الكبير» (٨٩٢٢).

وهذا من كمالِ علمِه وفقهه رضي الله عنه؛ فإن الأجرَ إنّما يكونُ على الأعمالِ الاختيارية ومما تولَّد منها؛ كما ذكر الله سبحانه النّوعين في آخر سورة التوبةِ في قوله المباشر عن الانفاق وقطع الوادي ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢١] وفي المتولِّد من إصابة الظَّمأ والنَّصبِ والمَخمصةِ في سبيله وغيظ الكفار ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ﴾ [التوبة: ١٢٠]، فالثوابُ مرتبطٌ بهذين النوعين، وأما الأسقامُ والمصائبُ فإن ثوابها تكفير الخطايا، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

والنبي ﷺ إنما قال في المصائب: «كَفَّر الله بها من خطاياه»، كما تقدم ذكر ألفاظه ﷺ[١]. وكذا قوله: «المَرَضُ حِطَّةٌ»[٢]. فالطاعاتُ ترفعُ الدرجات، والمصائبُ تَحُطُّ السيئات. ولهذا قال ﷺ: «من يُرِد اللّهُ به خيراً يُصِب منه»[٣]. وقال ﷺ: «من يُرد اللهُ به خيراً يفقهه في الدين»[٤]. فهذا يرفعهُ، وهذا يحطُّ خطاياه.

وقال يزيدُ بن ميسرة: «إنّ العبدَ ليمرضُ المرضَ وما له عند الله من عَملِ خيرٍ، فيذكِّرُه الله سبحانه بعضَ ما سلف مِن خطاياه، فيخرج من عينه مثل رأس الذبابِ من الدّمع من خشية الله فيبعثه الله إن بعثه مُطَهّراً أو يقبضه إن قَبضَه مطهّراً»[٥]. ولا يَرِدُ على هذا حديثُ أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في

---

(١) مضى (ص ١٢٧ و١٢٨).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وفي السنة ما يدل على معناه: عن أسد بن كرز سمع النبي ﷺ يقول: «إن المرض ليذهب الخطايا كما يتحات ورق الشجر». أخرجه عبد الله ابن أحمد في «زيادات المسند» (٤/ ٧٠)، والطبراني في «الكبير» (١٠٠٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠١): «إسناده حسن» وعزاه لأحمد والطبراني. قال الحافظ في «الإصابة» (١/ ٣٣): «وفيه انقطاع بين خالد وأسد، ومن عزاه لأحمد فقد وهم». وعن أبي عبيدة مرفوعاً: «من ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حطّة». أخرجه أحمد (١/ ١٩٥ و١٩٦)، والحاكم (٣/ ٢٦٥)، وأبو يعلى (٨٧٨) بإسناد حسن.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٤٥).

(٤) أخرجه البخاري (٣١١٦)، ومسلم (١٠٣٧) (١٧٥).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٧)، وأبو نعيم في «الحلية»=

ثوابِ من قَبَض اللهُ ولدَه وثمرةَ فؤادِه بأن يَبْني له بيتاً في الجَنّة، ويسميه بيت الحمْدِ[1].

وقال زيادُ بنُ زياد مولى ابنِ عَيَّاش: وعن أصحاب النبي ﷺ قال: دخلنا على النَّبي ﷺ ـ وهو موعوك[2]، أي: محموم ـ فقلنا: أح أح[3] بآبائِنا وأمهاتِنا يا رسول الله ما أشد وعكَك. قال: «إنا معشر الأنبياءِ يضاعَفُ علينا البلاءُ تضعيفاً»، قال: قلنا سبحان الله. قال: «أفعجبتم، إن كان النَّبيُّ من الأنبياء ليقتلَه القُمّلُ» قلنا سبحان الله. قال: «أفعجبتم، إن أشدَّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ثم الصالحون ثم الأمثلُ فالأمثل» قلنا سبحان الله. قال: «أفعجبتم، إن كانوا ليفرحون بالبلاءِ كما تفرحون بالرخاء»[4]. أح: بالحاء المهملة، هو المعروف من كلامهم، ومن قال بالخاء المعجمة؛ فقد غلط.

وذكر «النّسائيُّ» عن أبي عبيدة بن حذيفة عن عمته فاطمة قالت: أتيت رسولَ الله ﷺ في نِسوةٍ نَعودُه، فإذا سقاءٌ معلقةٌ يقطرُ ماؤها من شدَّة ما كان يجدُ من الحمّى، فقلنا: لو دعوت الله يا رسول الله أن يذهبَها عنك. فقال: «إن

= (٥/ ٢٤٠). قلت: إسناده حسن؛ لأن شيخ إسماعيل بن عياش شامي، وروايته عن أهل بلدة مستقيمة.

(١) مضى تخريجه (ص ١٢٤).

(٢) في «م»: «ممعوك».

(٣) توجع مع تَنَحْنح.

(٤) **صحيح بشواهده** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٥). قلت: إسناده فيه ضعف؛ لأن يحيى بن سليم فيه ضعف من قبل حفظه. وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٤) وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١)، والحاكم (١/ ٤٠ و٤/ ٣٠٧)، وعنه البيهقي في «الشعب» (٧/ ١٤٢) و«السنن» (٣/ ٣٧٢)، وأبو يعلى في «المسند» (٢٠/ ٣١٢ ـ ٣١٣/ ١٠٤٥) وغيرهم من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عنه به. قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وشيخنا في «الصحيحة» (١١٤)، وقال البوصيري في «الزوائد»: «إسناده صحيح». وأخرجه عبد الرزاق (١١/ ٣١٠) وعنه أحمد (٣/ ٩٤) من طريق معمر عن زيد بن أسلم عن رجل عن أبي سعيد به نحوه. قلت: الحديث صحيح بمجموع ذلك؛ والله أعلم.

أشدَّ الناسِ بلاء الأنبياء، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[١].

وقال مسروق عن عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت أحداً أشدّ وجعاً من رسولِ الله»[٢] ﷺ.

كان يشددُ عليه إذا مَرِض حتى إنه لربما مكث خمسَ عشرة لا ينام، وكان يأخذه عرقُ الكليةِ وهو الخاصرة، فقلنا: يا رسول الله لو دعوت الله فيكشفَ عنك. قال: «إنا معاشرَ الأنبياءِ يشدّدُ علينا الوجع ليكفّرَ عنّا»[٣].

وفي «المسند» والنسائي من حديث أبي سعيد قال رَجلٌ: يا رسولَ الله أرأيت هذه الأمراضَ التي تصيبُنا ما لنا بها، قال: «كفارات»، فقال أبي بن كعب: يا رسول الله وإن قلَّت. قال: «شوكة فما فوقَها»، قال: فدعا أبي بن كعب على نفسِه عند ذلك أن لا يفارقُه الوعكُ حتى يموت، ولا يشغلُه عن حجٍّ، ولا عمرةٍ، ولا جهادٍ في سبيل الله، وصلاةٍ مكتوبةٍ في جماعة. قال: فما مَسّ رَجُلٌ جلدَه بعدَها إلا وجدَ حَرّها حتى مات[٤].

وقال عبدُ الله بن عمرو: قال رسولُ الله ﷺ: «إن العبدَ إذا كان على

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه النسائي في «الكبرى» (٤/ ٣٥٥ و٣٧٩)، وأحمد (٦/ ٣٦٩)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٣٢٥ و٣٢٦)، والحاكم (٤/ ٤٠٤) من طريق أبي عبيدة بن حذيفة عن عمته فاطمة. سكت عنه الحاكم والذهبي. قلت: وإسناده صحيح رجاله ثقات، وأبو عبيدة وثقه ابن حبان وروى عنه جماعة.

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤٦)، ومسلم (٢٥٧٠).

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٩). قلت: ضعيف، في إسناده عبد الله بن لهيعة؛ ضعيف ؛ لاختلاطه. وقد جعله المصنف رحمه الله تتمة للحديث السابق فأخطأ.

(٤) **حسن** ـ أخرجه النسائي في «الكبرى» (٣/ ٥٠٢ ـ ٥٠٣ ـ تحفة الأشراف) وأحمد (٣/ ٢٣)، وأبو يعلى (٩٩٥)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٧٠ و٩٩٧١) من طريق عن سعد بن إسحاق حدثتني زينب عن أبي سعيد (وذكره). قلت: إسناده جيد رجاله ثقات غير زينب بنت كعب وهي زوجة أبي سعيد الخدري، وثقها ابن حبان، وروى عنها إثنان، وقيل: لها صحبة؛ فمثلها حديثها حسن، والله أعلم.

طريقةٍ حسنة من العبادةِ ثم مَرِضَ قيل للملك الموكَّل به: اكتب له مثل عمله إذا كان طَلِقا [حتى أطلقه][1] أو أكفته إليّ»[2]. ناقةٌ طُلُق ـ بضم الطاء واللام ـ إذا حُلَّ عقالُها. ويقال: كَفَتَه إليه إذا ضَمَّه إليه.

ذكره ابن أبي الدنيا.

وذكر أيضاً عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسولُ ﷺ: «إنّ الله ليجرّب أحدَكم بالبلاءِ وهو أعلمُ به، كما يُجَرِّب أحدُكم ذهبَه بالنار، فمنهم من يخرجُ كالذهبِ الإبريزِ، فذلك الذي نجّاه الله من السَّيئات، ومنهم من يخرج كالذهبِ دون ذلك، فذلك الذي يشكُّ بعض الشَّكِّ، ومنهم من يخرج كالذهبِ الأسودِ فذلك الذي قد افتتن»[3].

وذكر أيضاً من مراسيل الحسن البصري عن النبي ﷺ قال: «إن اللهَ ليكفِّر عن المؤمنِ خطاياه كلَّها بحمّى ليلةٍ»[4]. قال ابن أبي الدنيا قال ابن المبارك: هذا من الحديث الجيد[5].

---

(١) زيادة من مصادر التخريج.

(٢) **صحيح** ـ أخرجه عبد الرزاق (٢٠٣٠٨)، ومن طريقه أحمد (٢/ ٢٠٣)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤٢٩)، والبيهقي (٣/ ٣٧٤) عن معمر عن عاصم بن أبي النجود عن خيثمة بن عبد الرحمن عنه به مرفوعاً.
قلت: رجاله ثقات غير عاصم؛ فهو صدوق؛ فالإسناد حسن. وله طريق أخرى عن القاسم بن مخيمرة عنه بنحوه. أخرجه أحمد (٢/ ١٥٩ و١٩٤ و١٩٨)، والدارمي (٢/ ٣١٦)، وأبو نعيم (٧/ ٢٤٩)، والحاكم (١/ ٣٤٨)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. قلت: وهو كما قالا.
وبالجملة: فالحديث صحيح.

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٧)، والحاكم (٤/ ٣١٤)، والطبراني في «الكبير» (٧٦٩٨)، والبيهقي في «الشعب» (٩٩٢٤)، من طريق الحكم بن نافع حدثنا عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة مرفوعاً. قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٩١): «وفيه عفير بن معدان وهو ضعيف». قلت: وهو كما قال الهيثمي.

(٤) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٨). قلت: إسناده ضعيف لإرساله وفيه أيضاً عُمر بن المغيرة منكر الحديث، مجهول.

(٥) في «المرض والكفارات» (ص٤٠): بلفظ: «قال ابن المبارك: هذا من جيد الحديث».

قال: «وكانوا يرجون في حمى ليلةٍ كفارةَ ما مضى من الذنوب»[1].

وذكر عن أنس أن رسولَ الله ﷺ دخل على رجلٍ وهو يَشتكي فقال: «قل اللهم إني أسأَلُك تعجيلَ عافيتِك، وصبراً على بَلِيَّتِك، وخروجاً من الدنيا إلى رحمتك»[2].

وقالت عائشة رضي الله عنها: قال رسول الله ﷺ: «إن الحمّى تحطُّ الخطايا كما تحطُّ الشجرةُ ورَقَها»[3].

وقال أبو هريرة وقد عادَ مريضاً فقال له: إن رسولَ الله ﷺ قال: «إن الله عَزَّ وجل يقول: هي ناري أسلطُها على عبدي المؤمن في الدنيا؛ لتكون حَظَّه من النارِ في الآخرة»[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارت» (٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٦٧)، وأحمد في «الزهد» (ص٢٨٠) من طريق حماد بن زيد عن هشام عن الحسن قال: وذكره. قلت: رجاله ثقات غير أن هشاماً في روايته عن الحسن مقال.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٣٠). قلت: بإسناد ضعيف جداً؛ لأن فيه يونس بن عطية الصفار متروك.

وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «إن الله يأمُرك أن تدعو بهؤلاء الكلمات؛ فإني معطيك إحداهن: اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك، أو صبراً على بليتك، أو خروجاً من الدنيا إلى رحمتك». أخرجه الحاكم (١/ ٥٢٢)، وابن حبان (٩٢٢) من طريق زهير بن محمد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة (وذكره). قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. قلت: وفيه نظر؛ لأن زهير بن محمد التميمي ضعفه الذهبي في «الضعفاء» بقوله: «ثقة فيه لين»، وقال الحافظ في «التقريب»: «رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة، فضعف بسببها»، وهذا من رواية أهل الشام عنه.

وبالجملة: فالحديث ضعيف؛ لأن حديث أنس لا يصلح للاعتبار؛ لأنه ضعيف جداً، والله أعلم.

(٣) **صحيح لغيره** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٣٢) بإسناد حسن.

وله شواهد من حديث أسد بن كرز، وعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك وغيره.

قلت: فالحديث بمجموعها صحيح، والله أعلم.

(٤) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٢٠٨٨)، وابن ماجه (٣٤٧٠)، وأحمد (٢/ ٤٢٠)، والحاكم (١/ ٣٤٥)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٩)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٢٩)، =

وقال مجاهد: «الحمّى حظُّ كلِّ مؤمنٍ من النارِ»، ثم قال قرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١][١]. وهذا لم يُرِد به مجاهد تفسيرَ الورودِ الذي في القرآن، فإن السياقَ يأبى حملَه على الحُمَّى قطعاً، وإنما مرادُه أن الله سبحانه وعدَ عباده [كلَّهم بورودِ النار، فالحمّى للمؤمنِ تكفّر خطاياه فيسهلُ عليه الورودُ يوم القيامة][٢] فينجو منها سريعاً، والله أعلم. ويدلُّ عليه حديثُ أبي ريحانة عن النبي ﷺ: «الحمّى [هي من][٣] كير جهنّم، وهي نصيبُ المؤمنِ من النارِ»[٤].

وقال أنس رضي الله عنه: قال رسولُ الله ﷺ: «مثلُ المؤمنِ إذا برأ وصَحَّ مِن مرضه كَمثل البَرَدَةِ تقعُ من السماءِ في صفائِها ولونِها». ذكره ابن أبي الدنيا[٥].

= وهناد في «الزهد» (٣٩١) من طريق أبي أسامة عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن إسماعيل بن عبيد الله عن أبي صالح الأشعري عن أبي هريرة مرفوعاً. قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي. قلت: وهو كما قالا.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٨ ـ هندية)، وابن جرير في «تفسيره» (١٦/ ١١١) من طريق يحيى بن اليمان حدثنا عثمان بن الأسود عنه به. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن فيه يحيى بن اليمان فيه ضعف.

(٢) زيادة من «ظ» وبها يستقيم المعنى.

(٣) زيادة من «ظ».

(٤) **حسن لغيره** ـ أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ١/ ٦٣)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢١)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢٢١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٤٦)، وابن عساكر (٨/ ٦٤/ ٢) من طريق أشعث بن جابر عن شهر بن حوشب عن أبي ريحانة. قلت: إسناده ضعيف، لأن شهر بن حوشب ضعيف. ولكن له شواهد من حديث أبي هريرة، وأبي أمامة، وبها يصير حسناً، والله أعلم.

(٥) **ضعيف جداً** ـ أخرجه الترمذي (٢٨٠٦)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٢)، والبزار (٧٦٢ ـ كشف الأستار)، وأبو الشيخ في «أمثال الحديث» (٣٤٦)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٥٣٤)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/ ٣١٨)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٠٠ ـ ٢٠١)، وغيرهم. قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن الوليد بن محمد الموقّري متروك.

وذكر أيضاً عن أبي أمامة يرفعه: «ما من مسلم يُصَرع صرعةً من مرضٍ إلا بُعث منها طاهراً»[1].

وذكر عنه ﷺ: «مثلُ المؤمنِ يصيبُه الوعْكُ مثل الحديدةِ تدخلُ النارَ؛ فيذهب خبثُها، ويبقى طيبها»[2].

وذكر أيضاً عنه مرفوعاً: «إن العبدَ إذا مَرض أوحى الله إلى ملائكته: يا

---

(١) **صحيح** - أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٣)، والطبراني في «الكبير» (٧٤٨٥)، و«مسند الشاميين» (١٥٩٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٢٢)، والروياني في «مسنده» (١٢٧٠)، وابن عساكر (٧/ ١٩/ ٢) من طريق خالد بن يزيد عن سالم بن عبد الله المحاربي عن سليمان بن حبيب المحاربي عن أبي أمامة مرفوعاً.
قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات. وأما قول المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٤٨٨): «وقال الهيثمي: فيه سالم بن عبد الله المحاربي الشامي، لم أجد من ذكره، وبقية رجاله ثقات» فمردود؛ لأنا عرفناه ووجدنا من ذكره؛ فقد ذكر ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ١٨٥)، وقال عن أبيه: «صالح الحديث»؛ فلله الحمد والمنة على الإسلام والسنة.

(٢) **صحيح لغيره** - أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٤)، والحاكم (١/ ٣٤٨ و٣/ ٤٣١)، والبيهقي (٣/ ٣٧٤)، والبزار (٧٥٦ - كشف الأستار)، وابن عساكر (٩/ ٤٢٧/ ٢) من طريق نافع بن يزيد، حدثني جعفر بن ربيعة، عن عبيد الله بن عبد الرحمن بن السائب أن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن أزهر حدثه عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: فذكره.

قال الحاكم في الموطن الأول: «حديث صحيح الإسناد، رواته مدنيون ومصريون» ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٢): «رواه البزار والطبراني في «الكبير» وفيه من لا يعرف». وأورده المناوي في «فيض القدير» (٣/ ٣). كذا قال، وجميع رواته معروفون؛ عبد الرحمن بن أزهر صحابي صغير، وابنه عبد الحميد ذكره ابن حبان في «الثقات» (٣/ ١٣٧)، وقال: «من أهل المدينة يروي عن أبيه وعن جماعة من التابعين روى عنه أهل المدينة»، وأما عبيد الله بن عبد الرحمن فقال ابن حبان (٢/ ١٨٩): « من أهل المدينة يروي عن سعيد بن المسيب وعبد الحميد بن عبد الرحمن بن أزهر روى عنه ابن جريج ونافع بن يزيد». وباقي رجاله ثقات؛ فالإسناد حسن.

وللحديث شاهد من حديث أم العلاء، وآخر من حديث جابر بن عبد الله؛ فالحديث صحيح بهما، والله أعلم.

ملائكتي أنا قَيّدتُ عبدي بقيدٍ من قيودي، فإن أقبضه أغفرُ له وإن أُعَافِه فجسد مغفورٌ ولا ذنبَ له»[1].

وذكر عن [معاذ بن][2]سهل بن أنس الجهني عن أبيه عن جده قال: دخلت على أبي الدرداء في مرضه فقلت: يا أبا الدرداء إنا نحبُّ أن نصح ولا نمرض، فقال أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الصّداعَ والمليلة لا يزالان بالمؤمن وإن كان ذنبُه مثل أحدٍ حتى لا يدعان عليه من ذنب مثقال حبّةٍ من خَردلٍ»[3]. المليلة: فعيلة من التململ، وأصلها من الملة التي يُخْبَزُ فيها[4].

---

(١) **حسن لغيره** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٥)، والحاكم (٤/ ٣١٣)، والطبراني في «الكبير» (٧٧٠١)، والبغوي في «شرح السنة» (٥١٠) من طريق عفير بن معدان عن سليم بن عامر عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ (وذكره).

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ورده الذهبي بقوله: عفير واه. وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٩١) بعفير بن معدان. وله شاهد من حديث شداد بن أوس أخرجه أحمد (٤/ ١٢٣)، والطبراني في «الكبير» (٧١٣٦)، و«مسند الشاميين» (١٠٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٠٩ ـ ٣١٠).

قلت: إسناده حسن؛ رجاله ثقات غير راشد بن داود الصنعاني فيه كلام يسير لا ينزل حديثه عن الحسن، وأما الراوي عنه؛ فإسماعيل بن عياش؛ فحديثه صحيح في أهل بلده وهذا منها فإن الصنعاني نسبة إلى صنعاء دمشق كما في التقريب، وقد ذهل عن ذلك الهيثمي في «المجمع»؛ فضعف الحديث ظناً منه أن الصنعاني نسبة إلى صنعاء اليمن.

(٢) زيادة من مصادر التخريج.

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٤١ و٢١٩)، وأحمد (٥/ ١٩٨)، وابن عساكر (٣/ ٩١/ ١)، والبيهقي في «شعب الإيمان (٩٩٠١) و(٩٩٠٢)، والطبراني في «الأوسط» (٦٣٤ و٣١١٩)

قلت: مدار إسناده على ابن لهيعة وهو ضعيف، وخالفه الليث بن سعد حدثنا يزيد بن أبي حبيب وغيره قال: قال رسول الله ﷺ: أخرجه ابن أبي الدنيا (٤٢) فعاد الحديث مرسلاً.

وله شاهد من حديث أبي هريرة: أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٦١٥٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٠٣ و٩٩٠٤) من طرق عن ضمام بن إسماعيل عن موسى بن وردان عنه به.

قلت: مدار هذه الطرق على سويد بن سعيد، وهانئ بن المتوكل الإسكندراني، ومحمد بن خلاد الإسكندراني، وهم بين ضعيف جداً ومجهول، فلا يصلح هذا الشاهد على الاعتبار به، والله أعلم.

(٤) والمراد بالمليلة: حرارة الحمى ووهجها التي تكون في العظام.

وقالت أم سلمة عن النبي ﷺ: «ما ابتلى اللهُ عبْداً ببلاءٍ وهوعلى طريقٍ يكرهُها إلا جعل اللهُ ذلك البلاءَ له كفارةً وطهوراً ما لم ينزل ما أصابه من البلاءِ بغير اللهُ، أو يدعو غيرَ الله يكشفه»[1].

وقال عطية بن قيس: مرضَ كعبٌ فعاده رهطٌ من أهلِ دمشق فقالوا: كيف تجدك يا أبا إسحاق؟ قال: «بخيرٍ، جَسَدٌ أُخِذَ بذنبه إن شاء ربُّه عذَّبَه وإن شاء رحمَه، وإن بعثَه بعثه خلقاً جديداً لا ذنبَ له»[2].

وقال سعيد بن وهب: دخلنا مع سلمان الفارسي على رجلٍ من كِنْدَة نعودُه فقال سلمان: «إن المسلمَ يُبتلى فيكون كفارةً لِما مَضى، ومُسْتَعتباً[3] فيما بقي، وإن الكافر يبتلى فمثله كمثلِ البعيرِ أطلِق فلم يدرِ لم أُطلِق، وَعُقِل فلم يدرِ لِمَ عُقِل»[4].

وذكر أيضاً عن أبي أيوب الأنصاري قال: عاد رسولُ الله ﷺ رجلاً من الأنصارِ، وأكبَّ عليه؛ فسأله؛ فقال: يا نبيَّ اللهِ ما غمضت منذ سبعٍ، فقال رسول الله ﷺ: «أي أخي اصبِر، تخرجُ منك ذنوبُك كما دَخَلْتَ فيها»، ثم قال رسول الله ﷺ: «ساعات الأمراض يذهبن ساعات الخطايا»[5].

---

(١) **موضوع** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٤٣). قلت: إسناده موضوع؛ فيه الحكم بن عبد الله بن سعد متروك متهم. وفي «ميزان الاعتدال»: «قال: أحمد: أحاديثه كلها موضوعة، وقال ابن معين: ليس بثقة، وقال السعدي وأبو حاتم: كذاب».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٤٤)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٢٣). قلت: إسناده ضعيف؛ فيه أبو بكر بن أبي مريم الغساني الشامي ضعيف. وكعب هو: ابن ماتع المعروف بكعب الأحبار ثقة من المخضرمين.

(٣) استرخاء.

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٣)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٤٥)، وهناد في «الزهد» (٤١٤)، وابن أبي شيبة (٣/ ٢٣١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٠٦) وغيرهم من طريقين عنه. قلت: إسناده صحيح.

(٥) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٣٤)؛ ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٢٥). قلت: وهو ضعيف جداً؛ فيه الهيثم بن الأشعث مجهول، وفضال بن جبير واه بمرّة. وله شاهد مرسل عن الحسن: أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٢٦). قلت: فالحديث لا يتقوى به.

وفي «النسائي»[1] من حديث أبي هريرة: أن رسولَ الله ﷺ قال لأعرابي: «هل أخذتك أمُّ مِلْدَم؟». قال: يا رسول الله، وما أمُّ مِلْدم؟ قال: «حَرٌّ يكونُ بين الجلدِ والدَّمِ» قال: ما وجدت هذا. قال: «يا أعرابي هل أخذك الصداع؟» قال: يا رسول الله وما الصداع؟ قال: «عرق يضربُ على الإنسان في رأسِه» قال: ما وجدت هذا. فلما ولّى قال رسولُ الله ﷺ: «من أحبَّ أن ينظرَ إلى رجلٍ من أهلِ النارِ فلينظر إلى هذا»[2].

وقالت أمُّ سُلَيم: مَرِضتُ فعادني رسولُ الله ﷺ فقال: «يا أمَّ سُليم أتعرفين النارَ والحديدَ وخبَثَ الحديدِ؟»، قلت: نعم يا رسول الله. قال: «أبشري يا أمَّ سُليم، فإنّك إن تخلصي من وَجَعِك هذا تخلصي منه كما يُخلِّصُ الحديدُ من النّار من خَبَثِه»[3].

وخرج بعضُ الصحابة زائراً لرجلٍ من إخوانه، فبلغه أنّه شاكٍ قبلَ أن يدخلَ عليه فقال: أتيتُك زائراً وأتيتك عائِداً ومبشّراً. قال: كيف جمعت هذا؟ قال: خَرجتُ وأنا أريدُ زيارتَك فبلغني شكاتُك فصارت عيادةً، وأبشرك بشيء سمعته

---

(١) غير موجود في النسائي ولا في شيء من الكتب الستة.

(٢) **صحيح لغيره** ـ أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٩٥)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، وابن حبان (٢٩١٦)، والحاكم (١/ ٣٤٧)، والبزار (٧٧٨) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عنه به. قلت: إسناده حسن؛ كما قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٩٤). وله طريق آخر أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٦) من طريق خلف بن الوليد عن أبي معشر عن سعيد المقبري عنه. قلت: سنده ضعيف؛ لأن أبا معشر نجيح بن عبد الرحمن السندي ضعيف.

وله شاهد من حديث أنس أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٩٠٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٩٤): «وفيه الحسن بن أبي جعفر قال عمرو بن علي: صدوق منكر الحديث، وقال ابن عدي: «صدوق وهو ممن لم يتعمد الكذب، وله أحاديث صالحة».

وبالجملة: فالحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٣٣) والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ٤١٠ ـ ٤١١). قلت: إسناده ضعيف؛ فيه عيسى بن سنان الحنفي لين الحديث، وفيه من لم يعرف.

من رسول الله ﷺ قال: «إذا سبقت للعبدِ من الله منزلةٌ لم يبلغها ـ أو قال لم يَنَلها ـ بعلمه ابتلاه اللهُ في جسده أو في ولدِه أو في مالِه ثم صَبّره حتّى يبلغ المنزلةَ التي سبقت له من الله عز وجل»[1].

وقال الحسن وذكر الوجع: «أما والله ما هو بشرٍّ[2] أيامِ المسلمِ أيام نُوِّرت[3] له فيها مراحلُه، وَذَكر فيها ما نَسِي من معادِه، وَكُفِّر بها عنه خطاياه»[4].

وقال بعض السّلفِ: «لولا مصائبُ الدنيا لوردنا الآخرةَ مفاليس»[5].

---

(١) **حسن بشواهده** ـ أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٧٣) وأبو داود (٣٠٩٠)، وأحمد (٥/ ٢٧٢)، وأبو يعلى (٩٢٣)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٣٩)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٤٧٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣١٨) و«الأوسط» (١١٥٣ ـ مجمع البحرين)، والبيهقي (٣/ ٣٧٤)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١/ ٢٧) وغيرهم من طريق أبي المليح عن محمد بن خالد عن أبيه عن جده. قلت: إسناده ضعيف ؛ لأن محمد بن خالد وأباه مجهولان؛ كما صرح بذلك الذهبي وابن حجر. قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٩٢): «محمد بن خالد وأبوه لم أعرفهما»، والله أعلم.
وله شاهد من حديث أبي هريرة سبق تخريجه. وآخر من طريق عبد الله بن إياس بن أبي فاطمة عن أبيه عن جده: أخرجه ابن سعد (٧/ ٥٠٨). قلت: في إسناده ضعف. وآخر من حديث بريدة الأسلمي، وفيه ضعف.
وبالجملة: فالحديث حسن لغيره.

(٢) هكذا في «الأصول»، وفي «المرض والكفارات»، و«الشعب»: «بِسرٍّ»، وفي «الزهد»: «بأَسرٍّ».

(٣) هكذا في «الأصول»، وفي مصادر التخريج: «فورب».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٥٥ و١٥٤)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٠١/ ٩٩٩١) من طريق يزيد بن هارون عن مبارك بن فضالة عن الحسن وذكره. قلت: إسناده ضعيف مداره على مبارك بن فضالة. وأخرجه أحمد في «الزهد» (ص٣٣٨) من طريق يزيد بن هارون أنبأنا ابن المبارك عن الحسن. والأثر بهما حسن عن الحسن، والله أعلم.

(٥) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٠١/ ٩٩٩٣) من قول إبراهيم المقري، وقد رفسته بغلته فكسرت رجله.

وقال أنس بن مالك رضي لله عنه: انتهى رسولُ الله ﷺ إلى شجرةِ فَهزْها حتى سقط من ورقِها ما شاء اللهُ ثم قال: «المصائِبُ والأوجاعُ في إحباطِ ذنوبِ أمتي أسرعُ مني في هذه الشّجرةِ»[1].

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي هريرة رضي الله عنه يرفعه: «ما من مسلمٍ إلا وُكِّلَ الله به ملكين من ملائكتِه لا يفارقانه حتى يقضي الله بأمره بإحدى الحسنيين إما بموت وإما بحياة؛ فإذا قال له العُوَّادُ: كيف نجدك؟ قال: أحمد الله أجدني، والله المحمود بخير، قال له الملكان: أبشِر بدمٍ هو خيرٌ من دمِك وصحةٍ هي خير من صِحَّتِك. وإن قال: أجدني مجهوداً في بلاءٍ شديدٍ، قال له: الملكان أبشِر بدمٍ هو شرٌ من دمِك وبلاءٍ أطولُ من بلائِك»[2].

ولا يناقضُ هذا قولُ النبي ﷺ في وجعه: «وا رأساه[3]» وقول سعد: «يا رسول الله قد اشتدَّ بي الوَجَعُ وأنا ذو مال»[4]، وقولُ عائشة: «وا رأساه»[5] فإن هذا إنما قيل على وجه الإخبارِ لا على وجه شكوى الربِّ تعالى إلى العُوّادِ، فإذا حَمِد المريضُ اللهَ ثم أخبر بعلَّتِه لم يكن شكوى مِنه، وإن أخبر بها تَبَرُّماً وَتَسَخُطاً كان شكوى منه، فالكلمةُ الواحدةُ قد يُثابُ عليها، وقد يعاقَبُ بالنِّيَةِ والقَصْدِ.

وقال ثابتُ البناني: انطلقنا مع الحسنِ إلى صفوان بن محرز نعودُه، فَخَرج إلينا ابنُه وقال: هو مبطونٌ لا تستطيعون أن تدخلوا عليه. فقال الحسن: «إن أباك

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٥٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٦٤)، وأبو يعلى (٤٢٩٩) من طريق يحيى بن أبي كثير عن الحسن بن صالح عن جابر الجعفي عن زياد النميري عنه وذكره. قلت: إسناده ضعيف جداً فيه جابر الجُعْفِي، وهو متروك وشيخه زياد ضعيف.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٤٧)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٤٠). قلت: إسناده ضعيف؛ لأن أبا عقيل، وهو: يحيى بن المتوكل صاحب بهية ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٦٦).

(٤) أخرجه البخاري (١٢٩٥)، ومسلم (١٦٢٨).

(٥) أخرجه البخاري (٥٦٦٦).

إن يؤخَذ اليوم مِن لحمِه ودمِه فيوجد فيه خيرٌ من أن يأكلَه الترابُ»[1].

وقال ثابت أيضاً: دخلنا على ربيعة بن الحارث نعودُه ـ وهو ثقيلٌ ـ فقال: «إنه مَن كان في مِثل حالتي هذه ملأت[2] الآخرةُ قلبَه وكانت الدنيا أصغرَ في عينيه من ذبابٍ»[3].

ويذكرُ أنسٌ عن النّبي ﷺ قال: «إذا مرض العبدُ ثلاثةَ أيامٍ خرجَ من ذنوبِه كيومِ ولدتْه أمه»[4].

ويذكر عنه ﷺ: «لا تردُّ دعوةُ المريضِ حتى يبرأ»[5].

وذكر ابن أبي الدنيا عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت مع رسولِ الله ﷺ جالساً فتبسَّم فقلنا: يا رسول الله مم تبسمت؟ قال: «تعجباً للمؤمن من جزعِه من السّقمِ، ولو كان يعلمُ ما له في السّقَمِ أحبَّ أن يكون سقيماً حتى يلقى الله» ثم تبسم ثانية ورفع رأسه إلى السماء، قلنا: يا رسولَ الله مم تبسمت ورفعتَ رأسَك إلى السماءِ؟ قال: «عجبتُ من ملكين نزلا من السماءِ يلتمسان عَبْداً مؤمناً [كان][6] في مُصلاّه يصلي فلا يجداه، فعرجا إلى الله فقالا:

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٢٥٧)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٥٠)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ٤٨) من طريقين عنه به.
قلت: وإسناده صحيح.

(٢) هكذا في «الأصول»، وفي «المرض والكفارات»: «ملاق».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٥١). قلت: ورجاله ثقات.

(٤) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٦١)، والطبراني في «الصغير» (١/ ١٨٨ ـ ١٨٩). قلت: إسناده ضعيف جداً؛ فيه إبراهيم بن الحكم بن أبان العدني، وهو متروك. وأخرجه أحمد (٣/ ١٧٤ و٢٥٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٨١) من طريق هارون بن أبي داود. قلت: وهارون بن أبي داود الحبطي فيه جهالة.
وبالجملة: فالحديث ضعيف.

(٥) **ضعيف جداً** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٧٠)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٢٩) من حديث ابن عباس. قلت: إسناده ضعيف جداً؛ فيه عبد الرحمن بن زيد العمي الحواري كذبه ابن معين، وأبوه زيد العمي ضعيف، وفيه أيضاً سويد بن سعيد ضعيف.

(٦) زيادة من «ظ».

يا رب، عبدُك فلان المؤمنُ كنا نكتبُ له من العملِ في يومٍ وليلةٍ كذا وكذا، فوجدناه قد حَبَستَه في حبالِك فلم نكتب له شيئاً من عملِه، فقال: اكتبوا لعبدي عملَه الذي كان يعملُه في يومِه وليلتِه ولا تنقصوا منه شيئاً، فعلَيَّ أجر ما حبسته وله أجرُ ما كان يعمل»(١).

ويذكر عنه ﷺ: «من وُعِكَ ليلةً فصَبر ورضي بها عن الله عز وجل خَرَج من ذنوبه كهيئة يَوَم ولدتُه أمُّه»(٢).

ومن مراسيل يحيى بن [أبي] كثير قال: فقد رسولُ الله ﷺ سلمان فسأل عنه فأُخبِر أنّه عليلٌ، فأتاه يعودُه فقال: «شفى اللهُ سقَمَك، وَعَظَّم أجرَك، وَغَفَر ذَنبَك، وَرَزَقَك العافيةَ في دينك وجسمك إلى منتهى أجلك، إن لك من وجعِك خلالاً ثلاثاً: أما الأولى فتذكرةٌ من ربِّك يذكرُك بها. وأما الثانيةُ فتمحيصٌ لما سلف من ذنوبِك. وأما الثالثةُ فادع بما شئت، فإن المبتلى مجابُ الدّعوةِ»(٣).

وقال زيادُ بن الرّبيع: قلت لأبيٍّ بن كعب: آيةٌ من كتابِ الله قد أحزنتني. قال: ما هي؟ قلت: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]. قال: «ما كنت

---

(١) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٧٥)، وأبو داود الطيالسي (ص٤٦)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩٣٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/٢٦٦ ـ ٢٦٧). وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (١١٦٣ ـ مجمع البحرين) ، والبزار (٧٦٦ ـ كشف الأستار) مختصراً كلهم من طريق محمد بن أبي حميد عن عون بن عبد الله عن أبيه عن جده مرفوعاً. قال الطبراني: «لا يروى عن عتبة بن مسعود إلاّ بهذا الإسناد ، تفرد به ابن أبي حميد». قال البزار: «لا نعلم لا يروى عن عبد الله إلاّ من هذا الوجه». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٤): «وفيه محمد بن أبي حميد ضعيف جداً». قلت: إسناده ضعيف؛ لأن محمد بن أبي حميد ضعيف.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٨٣)، و «الرضى عن الله» (٧٥)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٦٨). قلت: إسناده ضعيف؛ فيه أبو سفيان مجهول، وسالم بن عبد الله الخياط سيِّىء الحفظ، والحسن مدلس وقد عنعنه.

(٣) **ضعيف جداً** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٣١)، والطبراني في «الكبير» (٦١٠٦) من حديث سلمان. قلت: إسناده ضعيف جداً؛ فيه عمرو بن خالد القرشي متروك، ورماه وكيع بالكذب، والحديث ضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٩٩).

أراك إلا أفقه مما أرى، إن المؤمنَ لا تصيبُه عثرةُ قدمٍ، ولا اختلاجُ عِرْقٍ إلا بذنبٍ، وما يعفو الله عنه أكثر»[1].

وسئلت عائشةُ عن هذه الآيةِ؛ فقالت: ما سألني عنها أحدٌ منذ سألت رسولَ الله ﷺ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «يا عائشة هذه معاقبةُ[2] الله تعالى لعبدِه بما يصيبُه من الحُمّى والبليّة[3] والشّوكةِ وانقطاعِ شِسْعه، حتى البضاعة يضعُها في كمّه فيفقدُها فيفزعُ لها فيجدها في ضبنه، حتى أن المؤمن ليخرج من ذنوبِه كما يخرجُ الذهبُ الأحمرُ من الكير»[4]. ضبن الإنسان: ما تحت يدِه، يقال: اضطبن كذا، إذا حمله تحت يده.

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٠٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨١٤)، وابن جرير في «تفسيره» (٥/ ١٨٧) وغيرهم من طريق قتادة عن يزيد بن عبد الله عن زياد بن الربيع وذكره موقوفاً. قلت: رجاله ثقات.
وله شاهد من مرسل الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من خدشة عود، ولا اختلاج عرق، ولا نكبة حجر، ولا عثرة قدم إلاّ بذنب، وإنما يعفو الله أكثر». أخرجه وكيع في «الزهد» (٩٣)، وهناد في «الزهد» (٤٣١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨١٦)، وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/ ١٢٦) من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن مرسلاً. قلت: إسناده ضعيف؛ لإرساله، ولأن الراوي عن الحسن إسماعيل بن مسلم وهو المكي ضعيف. وأخرجه ابن جرير (٢٥/ ٢١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨١٥) عن قتادة مرسلاً.
وله شاهد من حديث البراء بن عازب مرفوعاً: «ما اختلج عرق ولا عين إلاّ بذنب، وما يدفع الله عنه أكثر». أخرجه الطبراني في «الصغير» (٢/ ١٠٣)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٤٧) من طريق أحمد بن الفرات ثنا محمد بن كثير ثنا محمد بن فضيل عن الصلت بن بهرام عن أبي وائل عن البراء بن عازب مرفوعاً. قال الطبراني: لم يروه عن الصلت إلاّ ابن فضيل، ولا عنه إلاّ ابن كثير، تفرد به أحمد. قلت: أحمد بن الفرات ثقة ومن دونه رجال الشيخين غير الصلت بن بهرام وهو ثقة؛ فالإسناد صحيح.

(٢) هكذا في الأصول، وفي مصادر التخريج: «متابعة»، وفي بعضها «معاتبه».

(٣) في «م»: «المليلة».

(٤) **ضعيف** ـ أخرجه الترمذي (٢٩٩١)، وأحمد (٦/ ٢١٨)، وابن جرير في «تفسيره» (٥/ ١٨٩)، والطيالسي في «مسنده» (١٥٨٤)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٠١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٠٩) من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أمية أنها سألت عائشة عن هذه الآية. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن علي بن زيد وهو ابن جدعان ضعيف، وأمية بنت عبد الله زوجة أبيه مجهولة.

وقال وهبُ بن منبه[1]: «لا يكون الرجلُ فقيهاً كاملَ الفقهِ حتى يَعُدَّ البلاءَ نعمةً، ويعدَّ الرّخاءَ مصيبةً، وذلك أن صاحبَ البلاءِ ينتظرُ الرّخاءَ، وصاحبُ الرّخاءِ ينتظرُ البلاءَ»[2].

وفي بعض كتب الله سبحانه وتعالى: «إن الله ليصيب العبدَ بالأمرِ يكرهُه وأنه ليحبه لينظر كيف تضرعه إليه»[3].

وقال كعب[4]: «أجدُ في التوراةِ: لولا أن يَحزنَ عبدي المؤمنُ لعصبت الكافر بعصابةٍ من حديدٍ لا يصدعُ أبداً»[5].

وقال معروفُ الكَرخي[6]: «إن الله لَيبتلي عبدَه المؤمن بالأسقامِ والأوجاعِ فيشكو إلى أصحابِه، فيقول الله تبارك وتعالى: وعزَّتي وجلالي ما ابتَليتك بهذه الأوجاعِ والأسقامِ إلا لأغسلك من الذنوبِ فلا تشكني»[7].

وذكر ابنُ أبي الدنيا أن رجلاً قال: يا رسول الله ما الأسقام؟ قال: «أَوَ مَا

---

(١) هو أبو عبد الله وهب بن منبه بن كامل الإمام الثقة الصنعاني التابعي ولد سنة (٣٤هـ) في خلافة عثمان، وتوفي سنة (١١٤هـ) رحمه الله مقتولاً على يد بعض أمراء الجور وولاة الظلم. [ترجمته في: «الطبقات الكبرى» (٥/ ٥٤٣)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٤٤)، و«شذرات الذهب» (١/ ١٥٠)].

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٩٣)، وأحمد في «الزهد» (٣٧٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٥٦ ـ ٥٧) من طريقين عنه. قلت: وفيهما ضعف وجهالة.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٩٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٨٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٧٨٧)، من طريق أبي وائل عن كردوس الثعلبي قال: وجدت في الإنجيل إذ كنت أقرؤه (وذكره). قلت: إسناده صحيح إلى كُردوس الثعلبي.

(٤) هو كعب الأحبار.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٠٣)، وأبو نعيم (٥/ ٣٨١)، وهناد في «الزهد (٤٢٨). قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٦) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي نسبة إلى الكرخ حي من أحياء بغداد، من كبار مشايخ التصوف، وللصوفية فيه اعتقاد وثني فاسد حيث يقولون: «قبر معروف ترياق مجرب»، توفي سنة (٢٠٠هـ).

(٧) في «ظ»: «تشكين».

سقمتَ قط؟» قال: لا. فقال: «قم عنّا فلستَ مؤمناً[1]»[2].

وكان عبدُ الله بن مسعود قد اشتدت به العلّةُ[3]، فدخل عليه بعضُ أصحابه يعودُه وأهلُه تقول: نفسي فداك، ما نطعمك ما نسقيك؟ فأجابها بصوتٍ ضعيفٍ: «بَلِيت الحرافيفُ[4] وطالت الضجعةُ، والله ما يسرني أن الله نقصني منه قلامةَ ظُفرٍ»[5].

وطَلَّق خالد بن الوليد امرأةً له ثم أحسن عليها الثّناءَ، فقيل له: يا أبا سليمان لأي شيءٍ طلقتها؟ قال: «ما طلقتُها لأمرٍ رابني ولا ساءني، ولكن لم يصبها عندي بلاءٌ»[6].

ويذكر عنه ﷺ: «ما ضربَ على مؤمن عِرْقٌ إلا كتَب اللهُ له به حسنة وحطَّ به عنه سيئة ورفع له به درجة»[7].

---

(١) في الأصول: «مؤمناً»، وفي مصادر التخريج: «منّا».

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه أبو داود (٣٠٨٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤٤٠)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٩٦) ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩١٦) من طريق محمد بن إسحاق عن أبي منظور الشامي عن عمه عن عامر أخي الخضر وذكره في حديث طويل. قلت: إسناده ضعيف لجهالة أبي منظور وعمه.

(٣) وقع المصنف رحمه الله في وهم؛ ففي الأصول جعل عبد الله بن مسعود هو القائل وإنما هو سويد بن مثعبة، وهو من أصحاب عبد الله بن مسعود، وقد ورد ذلك في الإسناد، فانصرف نظر المصنف إلى عبد الله بن مسعود، وليس كذلك إنما هو صاحبه سويد كما في مصادر التخريج.

(٤) هكذا في «الأصول»، وفي مصادر التخريج: «الحراقف» وهي: عظم رأس الورك.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (١٩٧) و«الرضا عن الله» (٧٨)، وابن المبارك في «الزهد» (٤٦٣)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٦/ ١٦٠)، وأحمد في «الزهد» (ص٣٥٩) من طريق أبي حيان التيمي عن أبيه قال: دخلوا على سويد بن مثعبة ـ وكان من أفاضل أصحاب عبد الله ـ وساق القصة وأنها حصلت مع سويد وليس عبد الله بن مسعود كما سبق التنبيه عليه. قلت: إسناده صحيح.

(٦) **حسن** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٠٣). قلت: إسناده حسن. وذكره ابن عساكر في ترجمة خالد (٥/ ١٠٦)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١/ ٣٧٦)، وابن كثير في «البداية والنهاية» (٧/ ١١٥).

(٧) **ضعيف** ـ أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١١٥٧ ـ مجمع البحرين)، والحاكم=

ولا ينافي هذا ما قدمناه من أن المصائبَ مكفِّراتٌ لا غير؛ لأن حصولَ الحسنةِ إنما هو بصبره الاختياري عليها وهو عملٌ منه.

وعاد رجلٌ من المهاجرين مريضاً فقال: «إن للمريضِ أربعاً: يرفعُ عنه القلمُ، ويكتبُ له من الأجرِ مثل ما كان يعمل في صحتِه، ويتبعُ المرضُ كلَّ خطيئةٍ من مفصلٍ من مفاصلِه فيستخرجها، فإن عاش عاش مغفوراً له وإن مات مات مغفوراً له»، فقال المريض: «اللهم لا أزال مضطجعاً»[1].

وفي «المسند» قال ﷺ: «والذي نفسي بيدِه لا يقضي اللهُ للمؤمنِ قضاءً إلا كان خيراً له: إن أصابته سراءُ شَكَر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراءُ صَبَر فكان خيراً له، وليس ذلك إلا للمؤمن».

وفي لفظ: «إن أمرَ المؤمن كلَّه عجيب[2]، إن أصابته سراءُ شَكَر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء فصبر فكان خيراً له»[3].



= (١/ ٣٤٧)، وابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٠٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٨٦٠)، وابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٤٥٩) من طريق عمران بن يزيد عن عبد الرحمن بن القاسم عن سالم بن عبد الله بن عُمر عن عائشة عنه ﷺ. صححه الحاكم ووافقه الذهبي وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٤) «وإسناده حسن». قلت: فيه عمران بن يزيد، وقيل: ابن زيد، وهو: أبو يحيى الملائي الطويل ضعيف؛ فالإسناد ضعيف.

(١) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «المرض والكفارات» (٢٠٩)، وهناد في «الزهد» (٤٣٦). قلت: إسناده فيه جهالة.

(٢) في «م»: «عجب».

(٣) أخرجه مسلم (٢٤٩٩) بلفظ: «عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن» الحديث. وله شاهد من حديث أنس بلفظ: «عجباً للمؤمن لا يقضي الله له شيئاً إلاّ كان خيراً له». أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٦) وغيره بإسناد صحيح. وله شاهد من حديث سعد، أخرجه الطيالسي (٢١١) بإسناد صحيح.

الباب السابع عشر
في الآثار الواردة عن الصحابة ومن بعدهم في فضيلة الصبر

قال الإمام أحمد: حدثنا وكيع عن مالك بن مِغْوَل عن [أبي][(1)] السَّفر قال: مرضَ أبو بكر رضي الله عنه فعادوه فقالوا: ألا ندعو لك الطبيبَ؟ فقال: «قد رآني الطبيبُ». قالوا: فأي شيءٍ قال لك؟ قال: «إنّي فعالٌ لما أُريد»[(2)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن مجاهد قال: قال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: «وجدنا خيرَ عيشِنا بالصبرِ»[(3)].

وقال أيضاً: «أفضلُ عيشٍ أدركناه بالصبرِ، ولو أن الصبرَ كان من الرجالِ كان كريماً»[(4)].

---

(1) زيادة من «ظ».

(2) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٤٠) ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٤).

(3) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٤٦)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٥٠)، والمروزي في «زوائد الزهد» لابن المبارك (٩٩٧) من طريق أبي معاوية به.
قلت: صحح الحافظ ابن حجر إسناده إلى مجاهد كما في «فتح الباري» (١١/ ٣٠٣).
وأخرجه عبد الله بن المبارك في «الزهد» (٦٣٠)، والعلاف في «جزء حديثه» كما في «مسند الفاروق» (٢/ ٦٤٨)، وابن أبي الدنيا في «الصبر» (٤٧) من طريق منصور عن مجاهد. وعلقه البخاري في «صحيحه» (١١/ ٣٠٣ ـ فتح). قال الحافظ في «تغليق التعليق» (٥/ ١٧٣): «ورواه الحاكم في «المستدرك» من حديث منصور عن مجاهد عن سعيد بن المسيب عن عمر». قلت: ولا شك أن الأثر ثابت عن عمر.

(4) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (٦). قلت: إسناده ضعيف. وأخرجه (٤٧) من قول ربيعة الجرشي. وروي مرفوعاً من حديث عائشة رضي الله عنها: أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٩٠)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٨٦٧/ ١٤٥٤) والدارقطني في «العلل» (ج٥/ ق ١٢٦). قال أبو نعيم: غريب. وقال الدارقطني: =

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا إن الصبرَ من الإيمانِ بمنزلة الرأسِ من الجسد، فإذا قُطع الرأسُ بارَ الجَسدُ». ثم رفع صوتَه فقال: «[أ] لا إنه لا إيمانَ لمن لا صَبر له»[1]. وقال: «الصبرُ مَطيَّةٌ لا تكبو»[2].

وقال الحسن: «الصبرُ كَنزٌ من كنوزِ الخيرِ لا يعطيه اللهُ إلا لعبدٍ كريمٍ عنده»[3].

وقال عمر بن عبد العزيز: «ما أنعم اللهُ على عبدٍ نعمةً فانتزعها منه فعاضه مكانَها الصبرَ إلا كان ما عوّضه خيراً مما انتزعه»[4].

وقال ميمون بن مهران: «ما نال أحدٌ شيئاً من جسيم الخيرِ نبيٌّ فمن دونه إلا بالصَّبْرِ»[5].

وقال سليمان بن القاسم: «كل عملٍ يُعرفُ ثوابُه إلا الصبر، قال الله

= المحفوظ عن مجاهد عن ربيعة الجرشي وأقره ابن الجوزي. قال الحافظ العراقي في «المغني» (٤/ ٩١): «وفيه صبيح بن دينار ضعفه العقيلي».

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (٨)، ونسبه الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين» (٩/ ٧) للبيهقي في «شعب الإيمان» بهذا اللفظ ولم أره فيه. وإنما أخرجه (٤٠) بلفظ مقارب من طريق ابن أبي شيبة. وأخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» (١٣٠). وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١٥٦٩) من طريق ميمون بن مهران. وأخرجه وكيع في «الزهد» (١٩٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٧٥ ـ ٧٦)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ١٠٨) من طريقين عن علي. وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» (٤/ ٢٣٤/ ١٥٣٦ ـ فيض) موقوفاً على علي، ورمز لضعفه. وقال شيخنا في «ضعيف الجامع الصغير» (٣٥٣٧): «ضعيف موقوفاً».
قلت: لا شك أن جميع طرقه لا تخلو من مقال، ولكن يشد بعضها بعضاً؛ فهو حسن موقوفاً إن شاء الله. وقد روي مرفوعاً وعزاه السيوطي (٤/ ٢٣٤ ـ فيض) للديلمي في «مسند الفردوس» (٣٨٤٠) ورمز لضعفه. قال العراقي في «المغني» (٤/ ٦٠): «فيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف»، وأقره المناوي. وقال شيخنا: «ضعيف جداً».

(٢) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٥).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١٦).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (٢٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢١٢/ ١٠٠٣٨).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٩٠).

تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، قال: كالماء المنهمر»[١].

وكان بعضُ العارفين في جيبه رقعة يخرجها كلَّ وقت ينظر فيها، وفيها: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨][٢].

وقال عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: «لو كان الصبرُ والشكرُ بعيرين لم أبال أيّهما ركبت»[٣].

وكان محمد بن شبرمة إذا نزل به بلاء قال: «سحابةُ صيفٍ ثم تنقشعُ»[٤].

وقال سفيان بن عيينة في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤]: «لما أخذوا برأسِ الأمرِ جعلناهم رؤوساً»[٥].

وقيل للأحنف بن قيس: ما الحِلم؟ قال: «أن تصبر على ما تكره قليلاً»[٦].

وقال وهب: «مكتوبٌ في الحكمة: قصر السَّفَهِ الغضب، وقصر الحِلم الراحةُ، وقصر الصبر الظَفَرَ»[٧]. قصرُ الشيء وقصاراه: غايتُه وثمرتُه.

وقدم عروةُ بن الزّبير على الوليدِ بن عبدِ الملك ومعه ابنُهُ محمدٌ، وكان من أحسنِ الناس وجهاً، فدخل على الوليد في ثيابٍ موشّاةٍ[٨] وله غَديرتان[٩] وهو يضربُ بيده، فقال الوليد: هكذا تكون فتيان قريش؛ فعانه[١٠]، فخرج من عنده

---

(١) مضى تخريجه (ص ١١٦).
(٢) انظر «الرسالة القشيرية» (ص١٨٦ ـ ١٨٧) والمصنف رحمه الله ساقه بمعناه.
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (٧). قلت: إسناده ضعيف؛ فبين الأصمعي وعبد الله بن عمر مفاوز.
(٤) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٧).
(٥) «الرسالة القشيرية» (ص١٨٨).
(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الحلم» (٧٣).
(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الحلم» (٧٢).
(٨) منقوشة ومزركشة فيها من كل لون.
(٩) ذؤابتان مضفورتان في الشعر.
(١٠) أصابه بعينه.

متوسناً[1]، فوقع في اصطبلِ الدوابِ، فلم تزل الدوابُّ تطأه بأرجلِها حتى مات.

ثم إن الأكِلة[2] وقعت في رِجْلِ عُروة، فبعث إليه الوليدُ الأطباءَ فقالوا: إن لم تقطعْها سرت إلى باقي الجسدِ فتهلَك، فَعَزَم على قطعِها، فنشروها بالمنشارِ، فلما صار المنشارُ إلى القصبَةِ[3] وضعَ رأسَه على الوسادة ساعةً فغُشي عليه ثم أفاق والعَرَقُ يتحدَّرُ على وجهِه وهو يهلِّلُ ويكبِّر، فأخذها وجعل يُقَلِّبُها في يدِه ثم قال: أما والذي حَمَلني عليكِ إنه ليعلم أني ما مشيت بك إلى حرامٍ ولا إلى معصيةٍ ولا إلى ما لا يرضي الله. ثم أمر بها فَغُسِلَت وطيبِّت وكُفِّنَت في قطيفة[4]، ثم بعث بها إلى مقابرِ المسلمين.

فلما قَدم من عند الوليد المدينةَ تلقّاه أهلُ بيتِه وأصدقاؤه يعزّونه، فجعل يقول: لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً، ولم يزد عليه. ثم قال: لا أدخلُ المدينَة، إنما أنا بها بين شامتٍ بِنَكْبَةٍ أو حاسدٍ لنعمةٍ، فمضى إلى قصرٍ بالعقيقِ[5] فأقام هنالك. فلما دخل قصَره قال له عيسى بن طلحة: لا أبا لشانيك[6]، أرني هذه المصيبةَ التي نعزيك فيها، فكشف له عن رُكبَتِه، فقال له عيسى: أما والله ما كنّا نعدك للصِّراعِ، قد أبقى الله أكثرك: عقلَك ولسانَك وبصرَك ويداك وإحدى رجليك. فقال له: يا عيسى، ما عزّاني أحدٌ بمثل ما عزيتني [به][7].

ولما أرادوا قطعَ رجلِه قالوا له: لو سقيناك شيئاً كي لا تشعر بالوجَعِ. فقال: إنما ابتلاني ليرى صبري أفأعارض أمره؟ وَسُئل ابنُه هشام: كيف كان أبوك يصنع برجلِه التي قطعت إذا توضأ؟. فقال: كان يمسحُ عليها[8].

---

(١) نعساناً.

(٢) داء يقع في العضو؛ فيتآكل منه.

(٣) العظام.

(٤) كساء له أهداب.

(٥) واد مبارك بناحية المدينة النبوية فيه عيون ونخل.

(٦) مبغضيك.

(٧) زيادة من «م».

(٨) قصة مشهورة عن عروة بن الزبير، انظر «المرض والكفارات» (١٣٩ ـ ١٤١)، و«الصبر» (١٥٤)، و«حلية الأولياء» (٢/ ١٧٨)، و«تاريخ دمشق» (١١/ ٢٨٦ ـ ٢٨٨/ أ) و«المعرفة =

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد حدثنا سلام قال: سمعت قتادة يقول: «قال لقمان وسأله رجل: أي شيء خيراً؟ قال: صبرُ لا يتبعُه أذى. قال: فأي الناسِ خيراً؟ قال: الذي يرضى بما أوتي. قال: فأي النّاس أعلم؟ قال: الذي يأخذُ من علمِ الناس إلى علمه. قيل: فما خير الكنز: من المال أو من العلم؟ قال: سبحانَ الله! بل المؤمنُ العالمُ الذي إن ابتغى عنده خيراً وجد، وإن لم يكن عنده كَفَّ نفسَه، وبحسب المؤمن أن يكفَّ نفسه[1].

وقال حِبّان بن أبي جَبَلة: «من بَثَّ لم يصبِر». ورواه ابن أبي الدنيا مرفوعاً إلى النبي ﷺ[2]. وإن صَحَّ؛ فمعناه إلى المخلوقِ، لا مَن بَثَّ إلى الله.

وقال حِبّان بن أبي جَبَلة أيضاً في قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] قال: «لا شكوى فيه»[3]. ورفعه ابنُ أبي الدنيا أيضاً. وقال مجاهد: «فصبرٌ جميلٌ في غير جَزَعٍ»[4]. وقال عمرو بن قيس: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨

= والتأريخ» (١/ ٥٥٢ و٥٥٣)، وأوردها المزي في «تهذيب الكمال» (٢٠/ ٢٠ ـ ٢١)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٤٣٠ ـ ٤٣١).

(١) «الزهد» (١/ ١٥٤ ـ المحققة)، و«الصبر» لابن أبي الدنيا (١٩٤) عن أبي قلابة.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٤٧). قلت: إسناده ضعيف؛ لأن فيه عبد العزيز بن أبي رواد ضعيف لسوء حفظه.
وله شاهد من حديث مسلم بن يسار: أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨)، ومن طريقه ابن جرير في «تفسيره» (١٣/ ٣٢) من طريق الثوري عن عبد الرحمن بن زياد عن مسلم بن يسار مرفوعاً. قلت: إسناده ضعيف جداً؛ فيه عبد الرحمن بن زياد الإفريقي وشيخه مسلم بن يسار ضعيفان وهو مرسل.
وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود. أخرجه تمام في «الفوائد» (٩/ ١٤٠/ ١).
قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن ثابت بن عمرو متروك، قال البخاري: منكر الحديث.
وله شاهد من حديث أنس: أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٤٢). قلت: إسناده موضوع فيه داود بن المحبر وشيخه عنبسة بن عبد الرحمن القرشي كذابان.
وبالجملة: فالحديث لا يصح مرفوعاً ألبتة، والله أعلم.

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١١٠)، وابن جرير في «تفسيره» (١٢/ ٩٩). قلت: إسناده ضعيف؛ لإرساله.

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢/ ٣١٨)، والطبري في «تفسيره» (٢/ ٩٩).

و٨٣]، قال: «الرضى بالمصيبةِ والتسليم»[١]. وقال بعضُ السلف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨ و٨٣]: «لا شكوى فيه»[٢].

وقال همام عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤] قال: «كَظَم على حُزنٍ فلم يقل إلا خيراً»[٣]. وقال يحيى بن المختار عن الحسن: «الكظيمُ: الصبور»[٤]. وقال همام عن قتادة في قوله تعالى: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]؛ أي: كميد، أي: كَمَدُ الحُزنِ.

وقال الحسنُ: «ما جرعتين أحب إلى الله من جرعةِ مُصيبةٍ موجعةٍ مُحزِنَةٍ ردَّها صاحبُها بحسنِ عزاءٍ وصبرٍ، وجرعةِ غيظٍ ردَّها بحِلْمٍ».

وقال عبدُ الله بن المبارك: أخبرنا عبد الله بن لَهِيعة عن عطاء بن دينار أن سعيد بن جبير قال: «الصبرُ اعترافُ العبدِ لله بما أصابه منه واحتسابُه عند الله ورجاءَ ثوابه، وقد يجزع الرجُل وهو يَتَجَلَّد لا يرى منه إلا الصبر»[٥].

فقوله: «اعتراف العبد لله بما أصاب منه» كأنه تفسيرٌ لقوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٦]؛ فيعترفُ أنه مُلْكٌ لِله يتصرَّفُ فيه مالكهُ بما يريد. وقوله: «راجياً به ما عند الله» كأنه تفسيرٌ لقوله: ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]؛ أي: نُرَدّ عليه؛ فيجزينا على صبرِنا، ولا يُضَيعُ أجرَ المصيبة. وقوله: «وقد يجزعُ الرجُل وهو يَتَجَلَّد»؛ أي: ليس الصَّبْرُ بالتَّجَلُّدِ، وإنما هو حَبْسُ القلبِ عن التَّسخُّطِ على

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١١٦).
(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥١٤) لابن أبي حاتم في قول الحسن.
(٣) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ٢/ ٣٢٧)، والطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٧)، وزاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٥٦٨) لابن المبارك وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١١٧)، وابن جرير الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٢٧).
(٥) أخرجه عبد الله ابن المبارك في «الزهد» (١١١ ـ زوائد نعيم بن حماد)، ومن طريقه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١١٣). وأخرجه (١٨٨) من طريق آخر عن ابن لهيعة بأطول منه.

المقدورِ، وَرَدُّ اللسانِ عن الشّكوى، فمن تَجَلَّد وقلبُه ساخِط على القَدَرِ؛ فليس بصابرٍ.

وقال يونس بن يزيد: سألت ربيعةَ بن أبي عبد الرحمن: ما منتهى الصَبر؟ قال: «أن يكون يومَ تصيبه المصيبةُ مثله قبل أن يصيبَه»[1].

وقال قيس بن الحجاج في قول الله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥﴾ [المعارج: ٥] قال: «أن يكون صاحبُ المصيبة في القومِ لا يُعرفُ من هو»[2].

وكان شَمّر إذا عزى مُصاباً قال: «اصبر لما حكم ربُّك».

وقال أبو عقيل: رأيت سالمَ بن عبدالله بن عمر بيده سوطٌ وعليه إزارٌ في موتِ واقد بن عبد الله بن عمر لا يَسمَعُ صارخةً ينالها بالسوط إلا ضربها.

قال ابن أبي الدنيا: حدثني محمد بن جعفر بن مهران قال: قالت امرأة من قريش:

أمـا والـذي لا خـلـد إلا وجـهـه ... ومن ليس في العزِّ المنيع له كفو
لـئـن كـان بـدء الـصـبـر مـرّاً مـذاقـه ... لقد يُجنى من غِبَّتِهِ الثمر الحلو[3]

قال: وأنشدني عمرو بن بُكير:

صـبـرت فـكـان الـصَـبْـرُ خـيـرَ مَـغَـبـةٍ ... وهـل جَـزَعٌ يُـجـدي عَـلَـيَّ فـأجـزَعُ
مَـلَـكـتُ دموعَ الـعـيـن حـتـى رَدَدتُـهـا ... إلى ناظري فالعينُ في القلبِ تَدمَعُ[4]

قال وأنشدني أحمد بن موسى الثقفي:

نُـبِّـئـت خـولـة أمـس قـد جـزعـت ... مـن أن تـنـوب نـوائـبُ الـدهـرِ
لا تـجـزعـي يـا خـول واصـبـري ... إن الـكـرامَ بـنـوا عـلـى الـصَـبـرِ

قال: وحدثني عبد الله بن محمد بن إسماعيل التميمي: «أن رجلاً عَزّى

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١١٤).
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الصبر» (١١٥).
(٣) انظر «الصبر» (١٦٩).
(٤) قارن بـ «شعب الإيمان» (٧/ ٢٥١).

رجلاً في ابنه فقال: إنما يستوجب على اللهِ وعده من صبرَ له بحقِّه، فلا تجمع إلى ما أصبت به من المصيبةِ الفجيعةِ بالأجرِ، فإنها أعظمُ المصيبتين عليك، وأنكى الرَزِيَّتَيْنِ لك، والسلام».

وعزَّى ابنُ السَّمّاك رجلاً فقال: «عليك بالصبرِ فبه يعملُ من احتسبَ، وإليه يَصبرُ من جَزَع».

وقال عمر بن عبد العزيز: «أما الرضى فمنزلةٌ عزيزةٌ أو منيعةٌ ولكن جعلَ اللهُ في الصَّبر معولاً حسناً». ولما مات عبدُ الملك ابنُه[1] صلّى عليه ثم قال: «رحمك اللّه، لقد كنت لي وزيراً، وكنت لي مُعيناً». قال: والنّاسُ يبكون وما يقطرُ من عينيه قَطْرَةٌ.

وأصيبَ مُطَرِّفُ بنُ عبد الله في ابنٍ له، فأتاه قومٌ يعزونه فَخَرج إليهم أحسن ما كان بشراً، ثم قال: «إني لأستحي من الله أن أتضعضَعَ لمصيبةٍ».

وقال عمرو بن دينار: قال عبيد بن عمير: «ليس الجزعُ أن تدمعَ العينُ ويحزنَ القلبُ، ولكن الجزعَ القولُ السَّيِّىءُ والظنُّ السَّيِّىءُ».

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني الحسن بن عبد العزيز الجرَوي: قد مات ابن لي نَفيسٌ فقلت لأمه: «اتق الله واحتسبيه واصبري». فقالت: «مصيبتي أعظمُ من أن أفسدها بالجزعِ».

وقال ابن أبي الدنيا: وأخبرني عمر بن بُكير عن شيخٍ من قريش قال: مات الحسن بن الحصين أبو عبيد الله بن الحسن، وعبيد الله يومئذ قاضٍ على البصرة وأميراً، فَكَثُر مَن يُعزِّيه؛ فتذاكروا ما يتبين به جَزَعُ الرجلِ من صبرِه، فأجمعوا أنه إذا تَرَك مما كان يصنعُه فقد جَزِع.

وقال خالد بن أبي عثمان القرشي: كان سعيدُ بن جبير يعزيني في ابني، فرآني أطوف بالبيتِ متقنِّعاً فكشف القناعَ عن رأسي وقال: «الاستكانةُ من الجزَعِ»

---

(١) أي: عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز.

فصــل

وأما قولُ كثيرٍ من الفقهاء من أصحابنا وغيرهم: لا بأسَ أن يجعلَ المصابُ على رأسِه ثوباً يُعرَف به؟ قالوا: لأنَّ التعزيةَ سُنَّةٌ، وفي ذلك تَيسيرٌ لمعرفتِه حتى يُعزّيه. ففيه نَظَرٌ، وأنكرَه شيخُنا.

ولا ريبَ أن السَّلَفَ لم يكونوا يفعلوا شيئاً من ذلك، ولا نقل هذا عن أحد من الصحابةِ والتابعين، والآثارُ المتقدمة كلُّها صريحةٌ في ردِّ هذا القولِ. وقد أنكر إسحاقُ ابن راهويه أن يتركَ لبسَ ما عادتُه لبسه وقال: هو من الجزعِ.

وبالجملة؛ فعادتُهم أنهم لم يكونوا يغيِّروا شيئاً من زيِّهِم قبل المصيبة، ولا يتركوا ما كانوا يعملونَه؛ فهذا كلُّه منافٍ للصَّبرِ، والله سبحانه أعلم.



الباب الثامن عشر
في ذكر أمور تتعلق بالمصيبة من البكاء والندب وشق الثياب ودعوى الجاهلية وغيرها

فمنها البكاءُ على المَيِّت:

ومذهبُ أحمد وأبي حنيفة أجازاه قبل الموتِ وبعدَه، واختارَه أبو إسحاق الشِّيرازي، وكرهه الشافعيُّ وكثيرٌ من أصحابِه بعد الموتِ وَرخَّصوا فيه قبل خروجِ الروحِ، واحتجوا بحديثِ جابرِ بن عتيك: أن رسولَ الله ﷺ جاء يعودُ عبدَ اللهِ بن ثابت فوجدَه قد غُلِب، فصاح به فَلم يُجِب، فاسترجع وقال: «غلبنا عليك يا أبا الرّبيع»؛ فصاح النِّسوةُ وبكين فجعل ابن عتيك يُسكِّتهن، فقال رسول الله ﷺ: «دَعْهُن، فإذا وَجَب فلا تَبْكيَنَّ باكيةٌ» قالوا: وما الوجوبُ يا رسول الله؟ قال: «الموت». رواه أبو داود والنسائي[(١)].

قالوا: وفي «الصحيحين» من حديث ابن عمر: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إن الميت ليعذَّبُ ببكاء أهلِهِ عليه»[(٢)]. وهذا إنما هو بعد الموت، وأما قبلَه؛ فلا يُسَمّى ميتاً.

---

(١) صحيح ـ أخرجه مالك (١/٢٣٣/٣٦) ومن طريقه أبو داود (٣١١١)، والنسائي (٤/١٣)، وأحمد (٥/٤٤٦)، والحاكم (١/٣٥١ ـ ٣٥٢)، والبيهقي (٤/٦٩ ـ ٧٠)، والطبراني في «الكبير» (١٧٧٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٥٣٢)، وابن حبان (٣١٨٩ و٣١٩٠) من طريق عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك عن عتيك بن الحارث ـ وهو جد عبد الله بن عبد الله جابر أبو أمه ـ أنه أخبره أن جابر بن عتيك أخبره أن رسول الله ﷺ (وذكره). قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٦)، ومسلم (٩٢٨).

وعن ابن عمر: أن رسولَ الله ﷺ لمّا قَدِم من أُحُد سمعَ نساءَ بني عبدِ الأشهل يبكين على هَلْكاهُن، فقال: «لكن حمزةَ لا بواكي له» فجئن نساءُ الأنصار؛ فبكين على حمزة عنده، فاستيقظ فقال: «ويحهن أتين ها هنا يبكين حتى الآن مروهن فليرجعن ولا يبكين على هالك بعدَ اليومِ». رواه الإمام أحمد[1].

وهذا صريح في نسخِ الإباحةِ المتقدِّمة.

والفرقُ بين ما قبلَ الموتِ وبعدَه: أنه قبل الموت يرجى فيكون البكاء عليه حذراً، فإذا مات انقطع الرجاءُ وأبرم القضاءُ فلا ينفعُ البكاءُ.

قال الـمُجوِّزُونَ: قال جابر بن عبد الله: أصيب أبي يومَ أحد فجعلت أبكي فجعلوا ينهونني ورسول الله ﷺ لا ينهاني، فجعلت عمّتي فاطمة تبكي، فقال النبي ﷺ: «تبكين أو لا تبكين، ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتموه». متفق عليه[2].

وفي «الصحيحين» أيضاً عن ابن عمر قال: اشتكى سعدُ بن عبادة شكوى له؛ فأتاه النبي ﷺ يعودُه مع عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود؛ فلما دخل عليه وجدَه في غشية فقال: قد مضى؟ قالوا: لا يا رسول الله، فبكى رسول الله ﷺ، فلما رأى القوم بكاءه بكوا، فقال: «ألا تسمعون، إن الله لا يعذبُ بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا،

---

(١) **صحيح لغيره** ـ أخرجه ابن ماجه (١٥٩١)، وأحمد (٢/ ٤٠ و٨٤ و٩٢)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١٧)، وأبو يعلى (٣٥٧٦ و٣٦١٠)، والحاكم (٣/ ١٩٥) من طريق أسامة بن زيد عن نافع عنه به. قلت: إسناده حسن؛ لأن أسامة بن زيد وهو الليثي صدوق، وباقي رجاله ثقات. وله إسناد آخر عند أبي يعلى من طريق أسامة بن زيد حدثني الزهري عن أنس بن مالك. وله طرق وشواهد عند ابن سعد في «الطبقات الكبرى».

وبالجملة: فالحديث صحيح، وقد صححه ابن كثير في «السيرة النبوية» (٣/ ٩٥)، و«البداية والنهاية» (٤/ ٤٨)، والهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٢٠) وغيرهم.

(٢) أخرجه البخاري (١٢٤٤)، ومسلم (٢٤٧١) (١٣٠).

وأشار إلى لسانه، أو يرحم»[1].

وفي «الصحيحين» أيضاً من حديث أسامة بن زيد: أن رسول الله ﷺ انطلق إلى إحدى بناته ولها صبيٌّ في الموتِ، فَرُفِع إليه الصَبيُّ ونفسُهُ تُقَعْقِع كأنها في شِنّة، ففاضت عيناه، فقال سعد: ما هذا يا رسول الله؟ قال: «هذه رحمةٌ جعلها اللهُ في قلوبِ عبادِه، وإنما يرحمُ اللهُ من عبادِه الرحماء»[2].

وفي مسند الإمام أحمد من حديث ابن عباس قال: ماتت رُقيةُ ابنةُ رسولِ الله ﷺ فبكت النساءُ، فجعل عمر يضربهن بسوطِه، فقال النبي ﷺ: «دعهنَّ يا عمر يبكين، وإياكنّ ونعيقَ الشيطانِ» ثم قال: «إنه مهما كان من العينِ ومن القلبِ فمن الله ومن الرّحمةِ، وما كان من اليَدِ ومن اللسانِ فمن الشيطان»[3].

وفي «المسند» أيضاً عن عائشة: أن سعد بن معاذ لما مات حضره رسولُ الله ﷺ وأبو بكر وعمر، قالت: «فوالذي نفسي بيده إني لأعرفُ بكاءَ أبي بكرٍ من بكاء عمر وأنا في حُجْرتي»[4].

وفي «المسند» أيضاً عن أبي هريرة قال: مُرَّ على النبيِّ ﷺ بجنازةٍ يبكى عليها وأنا معه ومعه عمر بن الخطاب، فانتهر عمر اللاتي يبكين عليها، فقال النبي ﷺ: «دعهن يا ابن الخطاب؛ فإن النفسَ مصابةٌ، وإن العينَ دامعةٌ، والعهدُ قريبٌ»[5].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٠٤)، ومسلم (٩٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٥٥)، ومسلم (٩٢٣).

(٣) **حسن لغيره** ـ أخرجه أحمد (١/ ٢٣٧ و٢٣٨ و٣٣٥)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٨/ ٣٧) من طريق علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس رضي الله عنه. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن علياً ضعيف. لكن يشهد له حديث أبي هريرة الآتي.

(٤) **حسن** ـ أخرجه أحمد (٦/ ١٤١ ـ ١٤٢). قلت: إسناده حسن.

(٥) **حسن لغيره** ـ أخرجه النسائي (٤/ ١٩)، وابن ماجه (١٥٨٧)، وأحمد (٢/ ٣٣٣)، من طريق محمد بن عمرو بن عطاء أن سلمة بن الأزرق ـ في المسند: عمر بن الأزرق ـ قال: سمعت أبا هريرة وذكره. قلت: إسناده ضعيف؛ فيه سلمة بن الأزرق لا يعرف، لم يرو عنه إلاّ محمد بن عمرو بن عطاء. لكن يشهد له حديث ابن عباس المتقدم.

وفي «جامع الترمذي» عن جابر بن عبد الله قال: أخذ النبي ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف، فانطلق إلى ابنه إبراهيم فوجده يجودُ بنفسِه، فأخذه النبي ﷺ فَوَضعه في حِجْرِه فبكى، فقال له: أتبكي، أو لم تكن نهيت عن البكاءِ؟ قال: «لا، ولكن نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوتٍ عند مصيبةٍ: خمشُ الوجه، وشقُّ الجيوب، ورنّة الشيطان». قال الترمذي: هذا حديث حسن[1].

وقد صَحَّ عنه ﷺ: «أنه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله»[2]. وقد صح عنه ﷺ: «أنه قبَّل عثمان بن مظعون حتى سالت دموعه على وجهه»[3]. وصح عنه: «أنه نعى جعفر وأصحابه وعيناه تذرفان»[4]. وصح عن أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه أنه قبَّل النبي ﷺ وهو ميت وبكى[5].

فهذه اثنتا عشرة حجةً تدلُّ على عدم كراهة البكاءِ، فتعين حَمْلُ أحاديثِ النَّهْيِ على البكاء الذي معه نَدْبٌ ونِياحةٌ، ولهذا جاء في بعضِ ألفاظِ حديث عمر: «الميت يعذَّبُ ببعضِ بكاءِ أهلِه عليه» وفي بعضها: «يعذب بما نيح عليه»[6].

وقال البخاري في «صحيحه»: قال عمر: دعهن يبكين على أبي سليمان - يعني: خالد بن الوليد - ما لم يكن نَقْعٌ أو لَقْلَقَة[7]. والنقع: حث التراب.

---

(١) **حسن** - أخرجه الترمذي (١٠٠٥). قلت: وهو حسن؛ كما قال الترمذي.

(٢) مسلم (٩٧٦) (١٠٦).

(٣) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٣١٦٣)، والترمذي (٩٨٩)، وابن ماجه (١٤٥٦)، وأحمد (٦/ ٤٣). قلت: وهو صحيح.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٣٠).

(٥) أخرجه البخاري (٤٤٥٥ و٤٤٥٦ و٤٤٥٧).

(٦) أخرجه البخاري (١٢٩٢)، ومسلم (٩٢٧) (١٧)، وتقدم (ص١٩٧ - ١٩٨) تخريجه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٧) علقه البخاري (٣/ ١٦٠ - فتح) في كتاب الجنائز في «صحيحه» باب (٣٣) ما يكره من النياحة على الميت.

تنبيه: وقع في «المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي» خطأ في الترقيم فجعله في=

واللقلقة: الصوت[1].

وأما دعوى النَّسخِ في حديث حمزة فلا يصح؛ إذ معناه: لا يبكين على هالك بعد اليوم من قتلى أحد، ويدل على ذلك أن نصوصَ الإباحةِ أكثرُها متأخرةٌ عن غزوة أُحدٍ، منها: حديث أبي هريرة إذ إسلامه وصحبته كانا في السنة السابعة. ومنها البكاء على جعفر وأصحابه، وكان استشهادهم في السنة الثامنة. ومنها البكاء على زينب وكان موتها في السنة الثامنة أيضاً. ومنها البكاء على سعد بن معاذ وكان موته في السنة الخامسة. ومنها البكاء عند قبر أمه ﷺ وكان عام الفتح في السنة الثامنة.

وقولهم: إنما جاز قبل الموت حذراً بخلاف ما بعد الموت.

جوابه: إن الباكي قبل الموتِ يبكي حزناً، وحزنه بعد الموت أَشد؛ فهو أولى برخصة البكاءِ من الحالة التي يرجى فيها، وقد أشار النبي ﷺ إلى ذلك بقوله: «تدمعُ العينُ، ويحزنُ القلبُ، ولا نقولُ ما يسخطُ الربّ، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»[2].

وأما الندب والنياحة فنصَّ أحمدُ على تحريمهما. قال في رواية حنبل: النياحةُ معصيةٌ. وقال أصحابُ الشافعي وغيرُهم: النوحُ حرامٌ. وقال ابن عبد البر: أجمعَ العلماءُ على أن النياحة لا تجوزُ للرجالِ ولا للنساءِ.

وقال بعضُ المتأخرين من أصحاب أحمد: يكره تنزيهاً، وهذا لفظ أبي

= البخاري باب ٣٤، وقلده محقق طبعة دار الحديث المصرية (ص١٠١) مما يدل على أن هذا الصنف من أدعياء التحقيق لا يرجعون إلاّ إلى الفهارس العامة، وكم لهذا المحقق من خلط وخبط في الحكم على أحاديث رسول الله ﷺ.
قلت: وصله البخاري في «التأريخ الأوسط»؛ كما في «فتح الباري» (٣/ ١٦١)، و«الصغير» (١/ ٤٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٧١)، وابن سعد كما في «فتح الباري» (٣/ ١٦١) من طريق الأعمش عن شقيق فذكره. وانظر لزاماً: «تغليق التعليق» (٢/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧).

(١) هذا التفسير من كلام البخاري، ووافقه جمهور أهل العلم عليه.
(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، ومسلم (٢٣١٥).

الخطاب في «الهداية» قال: ويكره النَّدبُ، والنياحةُ، وخمشُ الوجوه، وشقُّ الجيوبِ، والتَّحفي.

والصواب: القول بالتحريم لما في «الصحيحين» من حديث عبد الله بن مسعود: أن النبيَّ ﷺ قال: «ليس منا من ضَرب الخدودَ، وشقَّ الجيوبَ، ودعى بدعوى الجاهلية»(١).

وفي «الصحيحين» أيضاً عن أبي بُردة قال: وجع أبو موسى وَجَعاً فغُشِيَ عليه ورأسُه في حِجرِ امرأةٍ من أهلِه، فصاحته امرأةٌ من أهلِه فلم يستطع أن يردَّ عليها شيئاً، فلما أفاق قال: «أنا بريءٌ مما بَرىء منه رسولُ الله ﷺ فإن رسولَ الله ﷺ بريءٌ من الصالِقَةِ والحالِقةِ والشّاقَةِ»(٢).

وفي «الصحيحين» أيضاً عن المغيرة بن شعبة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن من نيح عليه يعذب بما نيح عليه»(٣).

وفي «الصحيحين» أيضاً عن أم عطية قالت: «أخذ رسولُ الله ﷺ في البيعة ألا ننوح، فما وَفَّت منّا امرأةٌ إلاّ خمسُ نِسوةٍ»(٤).

وفي «صحيح البخاري» عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «الميتُ يعذَّبُ في قبرِه بما نيح عليه»(٥).

وفي «صحيح مسلم» عن أبي مالك الأشعري: أن النبي ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمرِ الجاهلية لا يتركونهن: الفخرُ في الأحسابِ، والطعنُ في الأنسابِ، والاستسقاءُ بالنجوم، والنياحة». وقال: «النائحةُ إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قَطِران ودِرعٌ من جَرَب»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٩٧)، ومسلم (١٠٣).
(٢) أخرجه البخاري (١٢٩٦)، ومسلم (١٠٤).
(٣) أخرجه البخاري (١٢٩١)، ومسلم (٩٣٣).
(٤) أخرجه البخاري (١٣٠٦)، ومسلم (٩٣٦).
(٥) أخرجه البخاري (١٢٩٢).
(٦) أخرجه مسلم (٩٣٤).

وفي «سُنن أبي داود» عن أسيد بن أبي أسيد عن مرأة من المبايعات قالت: «كان فيما أَخَذ علينا رسولُ الله ﷺ في المعروفِ الذي أُخِذ علينا أن لا نعصيه فيه: أن لا نَخْمش وجهاً ولا ندعو ويلاً ولا نَشُق جيباً ولا ننفشُ شعراً»(١).

وفي «مسند الإمام أحمد» عن أنس قال: أخذ النَّبيُّ ﷺ على النساءِ حين بايعهن أن لا يَنُحن، فقلن: يا رسول الله إن نساءً أسعدننا في الجاهلية أفنسعدهن في الإسلام؟ فقال: «لا إسعادَ في الإسلام»(٢).

وقد تقدَّم قولُه: «ما كان من اليد واللسان فمن الشيطان»(٣)، وقوله: «نَهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوتٍ عندَ مصيبةٍ: خمشُ وجوهٍ وشقُّ جيوب، ورنَّةِ شيطانٍ»(٣).

وفي «مسند الإمام أحمدَ» من حديث أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «الميت يعذبُ ببكاء الحي، إذا قالت النائحةُ: واعضداه، واناصراه، واكاسياه، جُذب الميت وقيل له: أنت عضدها؟! أنت ناصرها؟! أنت كاسيها؟!»(٤).

وفي «صحيح البخاري» عن النعمان بن بشير قال: «أُغمي على عبدالله بن رواحة فجعلت أختُه عَمرة تبكي وتقول: واجبلاه، واكذا واكذا، تعدِّدُ عليه فقال حين أفاق: ما قلت لي شيئاً إلا قيل لي أنت كذا؟! فلما مات لم تبك عليه»(٥).

وكيف لا تكون هذه الخصالُ محرمةً وهي مشتملةٌعلى التسخطِ على الرَّبِّ، وفعلِ ما يناقضُ الصبرَ، والإضرارَ بالنفسِ: من لَطم الوجهِ، وحلقِ الشعرِ ونتفِه، والدعاء عليها بالويلِ والثبورِ، والتظلُّم من الله سبحانه، وإتلافِ المالِ بشقِّ الثيابِ وتمزيقها، وذكر الميت بما ليس فيه، ولا ريب أن التحريمَ الشديدَ يثبت ببعض هذا.

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه أبو داود (٣١٣١)، والبيهقي (٤/ ٦٤). قلت: إسناده صحيح.

(٢) **صحيح** ـ أخرجه عبد الرزاق (٦٦٩٠)، ومن طريقه النسائي (٤/ ١٦)، وأحمد (٣/ ١٩٧)، وابن حبان (٣١٤٦)، والبيهقي (٤/ ٦٢)، عن معمر عن ثابت عنه به. قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٣) (ص ١٦٦) من هذا الكتاب.

(٤) **حسن** ـ أخرجه أحمد (٤/ ٤١٤). قلت: إسناده حسن.

(٥) أخرجه البخاري (٤٢٦٧).

وقال المبيحون لمجرد الندب والنياحة مع كراهتهم له: قد روى حرب عن واثلة بن الأسقع وأبي وائل: أنهما كانا يسمعان النَوحَ ويسكتان.

قالوا: وفي «الصحيحين»[1] عن أم عطية قالت: لما نزلت هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة: ١٢] إلى قوله ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢] كان منه النياحة، فقلت: يا رسولَ اللهِ إلا آل فلان، فإنهم كانوا أسعدوني في الجاهلية فلا بدَّ لي من أن أسعدهم. فقال: «إلا آل فلان».

وفي رواية لهما أنها قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا لا تشركن بالله شيئاً ونهانا عن النياحة، فقبضت منّا امرأةٌ يدها فقالت: فلانةٌ أسعدتني فأنا أريدُ أن أجزيها. قالت: فما قال لها شيئاً، فذهبت فانطلقت ثم رجعت فبايعت.

قالوا: وهذا الإذن لبعضهن في فعلِه يدل على أن النَّهيَ عنه تنزيه لا تحريم، ويتعين حمله على المجرد من تلك المفاسد جمعاً بين الأدِلَّةِ.

قال المـُحَرِّمون: لا تُعارَضُ سُنّةُ رسولِ اللهِ ﷺ بأحدٍ من الناس كائناً من كان، ولا تُضرَبُ سُنَّتُه بعضُها ببعض، وما ذُكِر[2] من النصوص صحيحةٌ صريحةٌ لا تحتمل تأويلاً، وقد انعقد عليها الإجماعُ. وأما المرأة التي قال لها: «إلا آل فلان»، والمرأة التي سكت عنها، فذلك خاص بهما لوجهين: أحدهما: أنه قال لغيرهما لما سألته ذلك: «لا إسعاد في الإسلام». والثاني: أنه أطلق لهما ذلك وهما حديثا عهدٍ بالإسلام، وهما لا[3] يميِّزان بين الجائز من ذلك وبين المحرم، وتأخيرُ البيانِ عن وقتِ الحاجةِ لا يجوز، فَعُلِم أن الحكم لا يعدوهما إلى غيرِهما.

وأما الكلمةُ اليسيرةُ إذا كانت صدقاً لا على وجه النَوْح والتَّسَخُّطِ فلا تُحرَّم ولا تنافي الصبر الواجب، نص عليه أحمد في «مسنده» من حديث أنس: «أن أبا

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٩٢)، ومسلم (٩٣٧).
(٢) في «م»: «ذكرنا».
(٣) في «م»: «لم يميِّزا».

بكر رضي الله عنه دخل على النَّبيِّ ﷺ بعد وفاته؛ فوضع فمه بين عينيه، ووضع يديه على صدغيه وقال: وانبياه واخليلاه واصفياه»[1].

وفي «صحيح البخاري» عن أنس أيضاً قال: لما ثقل على النَّبيِّ ﷺ جعل يتغشَّاه الكربُ فقالت فاطمة: واكرب أبتاه، فقال: «ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم»، فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب رباً دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه. فلما دُفن قالت فاطمة: يا أنس، أطابت أنفسُكم أن تحثوا على رسولِ الله ﷺ التّرابَ[2].

وقال النبي ﷺ: «وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»[3].

وهذا ونحوه من القولِ الذي ليس فيه تَظَلُّمٌ للمقدورِ، ولا تَسَخُّطٌ على الرَّبِّ ولا إسخاطٌ له، فهو كمجرَّدِ البُكاءِ.

فصل

وأما قولُ النبي ﷺ: «إن الميِّتَ ليعذَّبُ بالنياحةِ عليه»[4]؛ فقد ثبت عنه من رواية عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، والمغيرة بن شعبة، وروي نحوه عن عمران بن حصين، وأبي موسى رضي الله عنهم، فاختلفت طرق الناس في ذلك:

فقالت فرقةٌ: يتصرفُ اللهُ في خلقِه بما يشاء، وأفعالُ الله لا تُعلَّلُ، ولا فرقَ بين التعذيبِ بالنَّوْحِ عليه والتعذيبِ بما هو منسوبٌ إليه؛ لأن الله خَالقُ الجميعِ، والله تعالى يؤلِمُ الأطفالَ والبهائمَ والمجانين بغير عمل.

وقالت فرقة: هذه الأحاديثُ لا تصحُّ عن رسول الله ﷺ، وقد أنكرتها

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣١ و٢٢٠) من طريق أبي عمران الجوني عن يزيد بن بابَنَوس عن عائشة. قلت: إسناده ضعيف، لأن يزيد مقبول، وقد وهم المصنف رحمه الله إذ جعله من مسند أنس.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦٢).

(٣) سبق تخريجه (ص ١٦٨).

(٤) سبق تخريجه (ص ١٦٧).

عائشةُ أمُّ المؤمنين، واحتجت بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥، فاطر: ١٨، الأنعام: ١٦٤، الزمر: ٧].

ولما بلغها روايةُ عمر وابنه قالت: إنكم لتحدثون عن غير كاذِبينَ ولا مُتَّهَمَيْنِ، ولكنَّ السمعَ يخطئ. وقالت: إنما مَرَّ النبي ﷺ على قبرِ يهوديٍّ، فقال: «إن صاحبَ هذا القبرِ يُعَذَّبُ، وأهلُه يبكون عليه»[١]. وفي رواية متفق عليها عنها: إنما قال رسول الله ﷺ «إن الله لَيزيدُ الكافرَ عذاباً ببكاء أهله عليه»[٢]. وقالت: حسبُكم القرآنُ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وقالت فرقة أخرى منهم المُزَنِيُّ[٣] وغيرُه: أن ذلك محمولٌ على من أوصى بِه إذ كانت عاداتهم ذلك، وهو كثير في أشعارهم؛ كقول طَرَفَةَ[٤]:

إذا مِتُّ فانعيني بما أنا أهلُه ... وَشُقّي عليَّ الجيْبَ يا ابنةَ مَعْبَد

وقولِ لبيد [يخاطب ابنتيه حينما حضرته الوفاةُ[٥]]:

فقوما فقولا بالذي قد عَلِمتُما[٦] ... فلا تَخمِشا وجهاً ولا تَحلِقا شَعرا

وقولا: هو المرءُ الذي لا صديقه[٧] ... أضاعه[٨]، ولا خان الأمين[٩] ولا غدرَ

إلى الحول ثم اسم السلام عليكُمَا ... ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد اعتذرَ

وقالت طائفةٌ: هو محمولٌ على من سنَّتُه وسنَّةُ قومِه ذلك، إذا لم ينهَهم

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٨٩)، ومسلم (٩٣١).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨٨)، ومسلم (٩٢٩).

(٣) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المصري تلميذ الإمام الشافعي كان رأساً في الفقه، ولد سنة (١٧٥هـ)، وتوفي سنة (٢٦٤هـ). [ترجمته في «وفيات الأعيان» (١/ ٢١٧)، و«طبقات الشافعية» (٢/ ٩٣)، و«البداية والنهاية» (١١/ ٣٦)، و«شذرات الذهب» (٢/ ١٤٨)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٩٢)].

(٤) هو طرفة بن العبد أحد شعراء المعلقات، والبيت من معلقته.

(٥) زيادة من «ظ».

(٦) في «ظ»: «إذا حان يوماً أن يموت أبوكما».

(٧) في «ظ»: «ليس جاره».

(٨) في «ظ»: «مضاعاً».

(٩) في «ظ»: «الصديق».

عنه؛ لأن ترك نهيه دليلٌ على رضاه به، وهذا قولُ ابنِ المبارك وغيرِه.

قال أبو البركات بن تيمية: وهو أصحُّ الأقوالِ كلِّها؛ لأنه متى غَلَب على ظَنّه فعلُهم ولم يوصهم بتركهِ فقد رَضِيَ به، وصارَ كمن تركَ النَّهيَ عن المنكرِ مع القدرة عليه. فأما إذا أوصاهم بتركِه فخالفوه فالله أكرمُ من أن يعذبَه بذلك، وقد حصل بذلك العملُ بالآية مع إجراءِ الخبرِ على عمومه في كثيرٍ من الموارد.

وإنكارُ عائشةَ لذلك بعد روايةِ الثقاتِ لا يُعَوَّلُ عليه، فإنهم قد يحضرون ما لا تحضره، ويشهدون ما تغيب عنه، واحتمالُ السَّهو والغلطِ بعيدٌ، خصوصاً في حقِ خمسةٍ من أكابرِ الصحابَةِ.

وقوله في اليهودي لا يمنع أن يكون قد قال ما رواه عنه هؤلاء الخمسة في أوقات أخر. ثم هي مَحجُوجةٌ بروايتها عنه أنه قال: «إن الله يَزيدُ الكافِرَ عذاباً ببكاءِ أهلِه عليه»[1] فإذا لم يُمنَع زيادةُ الكَافِرِ عذاباً بفعلِ غيره مع كونه مخالفاً لظاهِرِ الآية لم يـُمنَع ذلك في حقِّ المسلم، إن اللهَ سبحانه كما لا يظلمُ عبدَه المسلم لا يظلمُ الكافِرَ، والله أعلم.

فصــل

ولا تحتاجُ هذه الأحاديثُ إلى شيءٍ من هذه التَّكلُّفاتِ، وليس فيها بحمد الله إشكالٌ ولا مخالفةٌ لظاهرِ القرآن ولا لقاعدَةٍ من قواعدِ الشّرعِ، ولا تتضمَّنُ عقوبةَ الإنسانِ بذنبِ غيره؛ فإن النبيَّ ﷺ لم يقل: إن الميِّت يعاقَبُ ببكاءِ أهلِه عليه ونوحِهم، وإنما قال: يعذَّبُ بذلك، ولا ريبَ أن ذلك يؤلمُه ويعذِّبُه، والعذابُ هو: الألمُ الذي يحصلُ له، وهو أعمُّ من العقابِ، والأعمُ لا يستلزمُ الأخصَّ، وقد قال النَّبيُّ ﷺ: «السَّفَرُ قطعةٌ من العذابِ»[2]؛ وهذا العذابُ يحصَلُ للمؤمِن والكافِر حتى أن الميِّتَ ليتألَّمُ بمن يعاقبُ في قبرِه في جوارِه، ويتأذى بذلك كما يتأذى الإنسانُ في الدنيا بما يشاهدُه من عقوبَة جارِه،

(١) سبق تخريجه (ص ١٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠١)، ومسلم (١٩٢٧).

فإذا بكى أهلُ الميِّتِ عليه البكاءَ المحرَّمَ وهوالبكاءُ الذي كان أهلُ الجاهليةِ يفعلونَه، والبكاءُ على الميت عندهم اسمٌ لذلك وهو معروفٌ في نَظْمِهم ونَثرِهم تألـم الميِّت بذلك في قبرِه، فهذا التألُّمُ هُو عذابُه بالبكاءِ عليه، وهذه طريقُ شيخِنا في هذه الأحاديثِ، وبالله التوفيق[1].



(١) أسعد هذه الأقوال المحكية والمذاهب المروية في تأويل حديث: «إن الميت يعذب بما نيح عليه» هو قول ابن المبارك الذي رجحه أبو البركات بن تيمية رحمه الله، وهو قول جمهور أهل العلم، لأنه يجمع بين الأدلة دون تكلف، ويوافق مقاصد الشرع وقواعده دون توقف، وقد بينت ذلك كله في كتابي «بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين» (٣/ ١٦٨ ـ ١٧١).

وأمّا ما رجحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وتابعه تلميذه المصنف رحمه الله عليه فهو مسلك حسن لو سلم لهما من الاعتراض؛ لأنه يَرِدُ عليه أمور من المنقول والمعقول:

أ ـ إن هذا المَسْلَك محمول على أنه تألم الميت ببكاء أهله عليه في القبر كما ورد في رواية لحديث أنس وأخرى لحديث ابن عمر، ولكن وردت أحاديث بعضها عند الشيخين تبين أن ذلك يوم القيامة؛ كحديث المغيرة بن شعبة قال: قال رسول الله ﷺ: «من ينح عليه يعذب بما نيح عليه يوم القيامة»، ومن الواضح أن تأويل العذاب بالتألم بعيد يوم القيامة.

ب ـ تأويل الحديث بالتألم يلغي تخصيص العذاب بالبكاء؛ فإن الميت يتألم من جميع الأعمال السيئة التي يعملها الأحياء، وكذلك يتألم من كل ما يسؤوهم. وبهذا لا يصح تأويل الحديث بتألم الميت، والله أعلم.

الباب التاسع عشر
الإيمان: صبر وشكر

الإيمان نصفان: نصف صبرٍ، ونصف شكرٍ.

قال غير واحدٍ من السلف: «الصبر نصفُ الإيمان».

وقال عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه: «الإيمان نصفان: نصفُ صبرٍ، ونصفُ شكرٍ».

ولهذا جمع الله سبحانه بين الصبر والشكر في قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ في سورة إبراهيم [٥]، وفي سورة حم عسق [٣٣] لآياتٍ، وفي سورة سبأ [١٩]، وفي سورة لقمان [٣١]، وقد ذُكِرَ لهذا التصنيفِ اعتباراتٌ:

أحدها: أن الإيمانَ اسمٌ لمجموعِ القولِ والعملِ والنيَّةِ، وهي ترجعُ إلى شطرين: فعلٍ وتركٍ، فالفعلُ هو العمل بطاعة الله وهو حقيقةُ الشكر، والتركُ هو الصبرُ عن المعصية، والدين كلُّه في هذين الشيئين: فعلِ المأمور، تركِ المحظور.

الاعتبار الثاني: أن الإيمانُ مبنيٌ على ركنين: يقينٍ، وصبرٍ. وهما الركنان المذكوران في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]؛ فباليقين يعلمُ حقيقةَ الأمرِ والنَهيِّ، والثوابِ والعقابِ، وبالصبر يُنَفِّذُ ما أُمِرَ به ويكفُّ نفسَه عما نُهِيَ عنه، ولا يحصل له التصديقُ بالأمرِ والنَّهيِّ أنه من عند الله وبالثَّواب والعقاب إلا باليقين، ولا يمكنه الدوامُ على فعلِ المأمور وكفُّ النفس عن المحظورِ إلا بالصبر، فصار الصبرُ

نصفَ الإيمان، والنصفُ الثاني الشُّكرُ، بفعل ما أُمِر به، وتَركِ ما نُهيَ عنه.

الاعتبار الثالث: أن الإيمانَ قولٌ وعملٌ، والقولُ قولُ القلب واللِّسَانِ، والعملُ عملُ القلبِ والجَوَارِحِ.

وبيانُ ذلك: أن من عَرَفَ الله بقلبه، ولم يُقِرَّ بلسانه لم يكن مؤمناً؛ كما قال عن قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل: ١٤]، وكما قال عن قوم عاد وقوم صالح: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨]، وقال موسى لفرعون: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢]. فهؤلاء حصل [لهم[1]] قولُ القلب: وهو: المعرفةُ والعلمُ، ولم يكونوا بذلك مؤمنين، وكذلك من قال بلسانه ما ليس في قلبه لم يكن بذلك مؤمناً بل كان من المنافقين، وكذلك من عرف بقلبه وأقرَّ بلسانه لم يكن بمجرد ذلك مؤمناً حتى يأتي بعمل القلب من الحبِّ والبُغْض، والموالاةِ والمعاداة؛ فَيُحِبُّ الله ورسولَه، ويوالي أولياءَ اللهِ ويعادي أعداءه، ويستسلمُ بقلبه لله وحدَه، وينقادُ لمتابعة رسوله وطاعته، والتزام شريعته ظاهراً وباطناً، وإذا فعل ذلك لم يكفِ في كمال إيمانه حتى يفعلَ ما أُمِرَ به؛ فهذه الأركانُ الأربعةُ هي أركانُ الإيمان التي قام عليها بناؤه وهي: ترجعُ إلى علم وعملٍ، ويدخلُ في العمل كفُّ النفس الذي هو متعلَّقُ النَّهيِ، وكلاهما لاَ يحصلُ إلا بالصبر، فصار الإيمانُ نصفينِ: أحدُهما الصبرِ، والثاني متولِّدٌ عنه من العلمِ والعملِ.

الاعتبار الرابع: أن النفسَ لها قوّتان: قوة الإقدام، وقوةُ الإحجام، وهي دائماً تَتَرَدَّدُ بين أَحكام هاتين القوَّتين، فتُقْدِمُ عَلَى ما تحبُّه، وتُحْجِمُ عما تكرهُهُ، والدِّينُ كلُّه إِقْدامٌ وإِحْجَامٌ، إقدامٌ على طَاعَة، وإِحْجَامٌ عن معاصِي اللهِ، وكُلٌّ منهما لا يمكن حصولُه إلا بالصبر.

---

(١) زيادة من (ظ).

الاعتبار الخامس: أن الدِّينَ كلَّه رغبةٌ ورهبةٌ، فالمؤمن هو الراغب الراهب. قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]. وفي الدعاءِ عند النوم، الذي رواه البخاريُّ في «صحيحه»: «اللهم إني أسلَمْتُ نفسي إليك، وَوَجَّهتُ وَجهي إليك، وَفَوَّضْتُ أمري إليك، وَأَلجأتُ ظهري إليْكَ رغبةً ورهبَةً»[1].

فلا تجدُ المؤمنَ أبداً إلا راغباً وراهباً، والرغبةُ والرهبةُ لا تقوم إلا على ساقِ الصبرِ، فرهبتُه تحملُه على الصبر، ورغبتُه تقودُه إلى الشكر.

الاعتبار السادس: أن جميعَ ما يباشرُه العبدُ في هذه الدار لا يخرجُ عما ينفعُه في الدنيا والآخرة، أو يَضُرُّه في الدنيا والآخرة، أو ينفعُهُ في أحد الدارين، ويضرُّه في الأخرى، وأشرف الأقسام أن يفعلَ ما ينفعُهُ في الآخرة ويترك الآخرة ويترك ما يضرُّه فيها، وهو حقيقةُ الإيمان، ففعلُ ما ينفعُه هو الشكرُ، وتركُ ما يَضُرُّه هو الصبرُ

الاعتبار السابع: أن العبد لا يَنْفَكُّ عن أمر يفعلُه، ونهيٍ يتركُه، وَقَدَر يجري عليه، وفرضُه في الثلاثةِ الصبرُ والشُّكرُ؛ فَفِعلُ المأمور هو الشكر، وتركُ المحظور والصبرُ على المقدور هو الصبر.

الاعتبار الثامن: إن للعبد فيه داعيان: داعٍ يدعوه إلى الدنيا وشهواتها ولذّاتها، وداعٍ يدعوه إلى الله والدارِ الآخرةِ وما أَعَدَّ فيها لأوليائه من النّعيم المقيم، فعصيانُ داعي الشّهوة والهوى هو الصبر، وإجابةُ داعي الله والدار الآخرة هو الشكر.

الاعتبار التاسع: إن الدين مدارُه على أصلين: العزم والثبات، وهما الأصلان المذكوران في الحديث الذي رواه أحمد والنسائي عن النبي ﷺ: «اللهمَّ إني أسأَلُكَ الثّباتَ في الأَمْرِ، والعزيمةَ على الرُشْدِ»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣١٣)، ومسلم (٢٧١٠).

(٢) **حسن بشواهده** ـ أخرجه النسائي (٣/ ٥٤) والطبراني في «الكبير» (٧١٨٠) عن سعيد الجريري عن أبي العلاء عن شداد بن أوس. قلت: هذا إسناد ظاهره الصحة؛ رجاله ثقات. =

وأصلُ الشُّكرِ صِحَّةُ العزيمةِ، وأصلُ الصَّبر قوَّةُ الثَّباتِ، فمتى أُيِّدَ العَبْدُ بعزيمةٍ وثباتٍ؛ فقد أُيِّدَ بالمعونة والتوفيق.

= لكن الثوري عند الترمذي (٣٤٠٧)، والطبراني في «الكبير» (٧١٧٥)، ويزيد بن هارون عند أحمد (٤/ ١٢٥) وخالد بن عبد الله عند أبي نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٧)، والطبراني في «الكبير» (٧١٧٦ و٧١٧٧): خالفوا حماداً بن سلمة؛ فرووه عن الجريري؛ فأدخلوا بين أبي العلاء وشداد رجلاً من بني حنظلة وهو مبهم لا يعرف، ذكره الحافظ ابن حجر في «تعجيل المنفعة» (ص٥٣٥) فصل فيمن أبهم ولكن ذكر نسبه. وأما بشر ابن المفضل عند الطبراني (٧١٧٨) فذكر رجلان من بني مجاشع. وأما عدي بن الفضل عند الطبراني (٧١٧٩) عن رجلين قد سماهما. فتبين: أن في الإسناد علة خفية؛ فهو ضعيف.

وأخرجه أحمد (٤/ ١٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٦ و٦/ ٧٧ ـ ٧٨)، من طريق الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: كان شداد بن أوس في سفر فنزل منزلاً فقال لغلامه: ائتنا بالشفرة نعبث بها، فأنكرت عليه؛ فقال: ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها وأزمها إلا كلمتي هذه؛ فلا تحفظوها علي، واحفظوا مني ما أقول لكم: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك. . .» الحديث. قلت: رجاله ثقات، لكنه منقطع بين حسان بن عطية وشداد بن أوس.

قال أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٦): «هكذا رواه يحيى وعامة أصحاب الأوزاعي عنه مرسلاً، وجوَّده عنه سويد بن عبد العزيز، وساقه بإسناده من طريق سويد ثنا الأوزاعي عن حسان بن عطية عن أبي عبد اللّه بن مسلم بن مشكم قال: خرجنا مع شداد بن أوس فنزلنا مرج الصفر، فقال: أئتونا بالشفرة نعبث بها (وذكره). قلت: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧١٥٧) من طريق سويد وإسناده فيه ضعف؛ لأن سويداً لين الحديث، لكنها تؤكد أن رواية حسان بن عطية عن شداد بن أوس منقطعة؛ فلا تصلح شاهداً لرواية الحنظلي.

ولكن وجدت له طريقاً آخر: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧١٣٥)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٦) ثنا جعفر الفريابي وسليمان بن أيوب بن حذلم الدمشقي قال: ثنا سليمان بن عبد الرحمن ثنا إسماعيل بن عياش حدثني محمد بن يزيد الرحبي عن أبي الأشعث الصنعاني عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «يا شداد إذا رأيت الناس قد اكتنزوا الذهب والفضة فأكنز هؤلاء الكلمات: اللهم إني أسألك. . . .» الحديث. قلت: إسناده جيد، ورواية إسماعيل بن عياش عن الشاميين مستقيمة.
وبالجملة: فالحديث حسن عندي ـ الآن ـ بهذه الرواية العزيزة، وقد كنت ضعفته من قبل، والحمد لله على توفيقه وهداه لا رب غيره، ولا إله بحق سواه. =

الاعتبار العاشر: إن الدين مبني على أصلين: الحقِّ والصبرِ، وهما المذكوران في قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، ولما كان المطلوبُ من العبد هو العملَ بالحقّ في نفسه وتنفيذُه في الناس.

وكان هذا هو حقيقةُ الشكر لم يمكنه ذلك إلا بالصبر عليه، فكان الصبر نصفَ الإيمان، والله سبحانه وتعالى أعلم.



= وله شاهد لا يفرح به؛ لكن أسوقه للمعرفة من حديث البراء بن عازب عند الطبراني في «الأوسط» (٧٤٠٨)، والكبير (١١٧٢)، وهو حديث ضعيف جداً؛ لأن إسماعيل بن عمر البجلي ضعيف، وشيخه موسى بن مطير متروك؛ كما قال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٢٣)، وبه أعلّه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٧٣).

تكميل: هذا الحديث ضعفه شيخنا حفظه الله في «الكلم الطيب» (١٠٤)، و«المشكاة» (٩٦٥)، «تمام المنة» (ص٢٢٥) و«ضعيف النسائي» (٧٠) و«ضعيف الترمذي» (٦٧٥) و«ضعيف الجامع الصغير» (١٢٨٨). ولقد حصلت بيني وبين شيخنا حفظه الله مذاكرة حول هذا؛ فأخبرني أن قوله قد حطَّ على تحسين الحديث، وأنه خرَّجه بتفصيل في «الصحيحة» (٣٢٢٨)، فليصلح ما ذكر في المراجع المذكورة آنفاً، والله الموفق.

الباب العشرون
في تنازع الناس في الأفضل من الصبر والشكر

حكى أبو الفرج بن الجوزي في ذلك ثلاثةَ أقوال:

أحدها: أن الصبر أفضل.

والثاني: أن الشكر أفضل.

والثالث: أنهما سواء؛ كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «لو كان الصبر والشكر بعيرين ما باليت أيُّهما ركبت».

ونحن نذكرُ ما احتجَّت به كلُّ فرقةٍ، وما لها، وعليها في احتجاجِها بعون اللهِ وتوفيقِه.

قال الصابرون: قد أثنى الله سبحانه على الصبر وأهلِه، ومدحَه، وَأَمرَ به، وعلَّق عليه خيرَ الدنيا والآخرة، وقد ذكرَه الله في كتابه في نحو تسعين موضعاً[1] وقد تقدم من النصوص والأحاديث فيه وفي فضله ما يدل على أنه أفضلُ من الشكر، ويكفي في فضله قولُه ﷺ: «الطاعمُ الشّاكِرُ بمنزلةِ الصائِمِ الصابِر»[2]؛ فذكر ذلك في معرضِ تفضيل الصبرِ ورفع درجتِه على الشكر، فإنه

(١) انظر (ص ١١٥).

(٢) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٢٤٨٦)، وعبد الرزاق (١٩٥٧٣)، ومن طريقه البغوي في «شرح السنة» (٢٨٣٢)، وأحمد (٢/ ٢٨٣)، وأبو يعلى (٦٥٨٢)، والحاكم (٤/ ١٣٦)، وابن حبان (٣١٥) وغيرهم من طريق سعد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة. قلت: إسناده صحيح، وقد علقه البخاري (٩/ ٥٨٢ ـ فتح) بصيغة الجزم.
تنبيه: وقع في رواية الترمذي: أبو سعيد المقبري وهو خطأ من وجوه:
أ ـ أن معن بن محمد يروي عن سعيد المقبري لا عن أبيه؛ كما في «تحفة الأشراف». =

أَلحَقَ الشاكرَ بالصابرِ وشَبَّهَهُ به، وَرُتْبَةَ المُشَبَّهِ به أعلى من رتبة المُشَبَّه، وهذا كقوله: «مُدمِنُ الخَمْرِ كعابِد وَثَنٍ»[1]، ونظائر ذلك.

قالوا: وإذا وازنا بين النصوص الواردة في الصبر والواردة في الشكر وجدنا نصوصَ الصبر أضعافَها، ولهذا لما كانت الصلاةُ والجهادُ أفضلَ الأعمالِ كانت الأحاديثُ فيهما في سائر الأبواب، فلا تَجِدُ الأحاديثَ النبويَّةَ في بابٍ أكثرَ منها في بَابِ الصلاةِ والجهادِ.

قالوا: وأيضاً؛ فالصبر يدخلُ في كلِّ بابٍ بل في كلِّ مسألةٍ من مسائل الدين، ولهذا كان مِنَ الإِيمانِ بمنزلة الرأسِ من الجَسدِ.

قالوا: وأيضاً؛ فاللهُ سبحانه وتعالى عَلَّق على الشكر الزيادةَ؛ فقال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وعلق على الصبر الجزاء بغير حساب.

وأيضاً؛ فإنه سبحانه أطلق جزاءَ الشاكرين فقال: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقَيَّدَ جزاء الصابرين بالإحسان؛ فقال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

= ب ـ اتفقت رواية محمد بن معن عن أبيه مع رواية عمر بن علي المقدمي عن معن بن محمد عند أبي يعلى، فتبيّن أن رواية محمد بن معن عن أبيه عند الترمذي مرجوحة.
تنبيه آخر: وقع في إسناد الحديث عند ابن حبان انقطاع بينه الحافظ في «فتح الباري» (٩/ ٥٨٣).

(١) **حسن** ـ أخرجه أحمد (١/ ٢٧٢)، وعبد الرزاق (١٧٠٧٠)، والبزار (١٩٣٤)، والطبراني في «الكبير» (١٢٤٨)، وابن عدي (٤/ ١٥٢٥)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١١١٦ و١١١٨)، وابن حبان (٥٣٤٧)، وأبو نعيم (٩/ ٢٥٣) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنه. قلت: في إسناده ضعف.
وله شاهد من حديث أبي هريرة. أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١/ ٣٨٦)، وابن ماجه (٣٣٧٥) وغيرهم من طريق محمد بن سليمان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة. قلت: إسناده حسن إن شاء الله؛ لأن سليمان صدوق يخطىء. وله شاهد من حديث عبد الله بن عمر.
وبالجملة: فالحديث لا ينحط عن درجة الحسن إن لم يكن صحيحاً، والله أعلم.

قالوا: وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول اللهُ تعالى: كُلُّ عَمَلِ ابن آدم له إلا الصَوْم؛ فإنّه لي، وأنا أجْزي به»[1]. وفي لفظ: «كلُّ عمل ابن آدم يضاعفُ له الحسنة بِعَشْر أمثالِها قال الله تعالى: إلا الصّومَ فإنّه لي وأنا أجزي به»[2]، وما ذلك إلا لأنّه صبرُ النفس ومنعُها من شهواتها؛ كما في الحديث نفسه: «يَدَعُ شَهْوَته وطعامَه وشَرابه مِن أجلي»، ولهذا قال النبيُّ ﷺ لمن سأله عن أفضلِ الأعمالِ: «عليك بالصَّوم؛ فإنّه لا عِدْلَ له»[3]، ولما كان الصبرُ حَبْسَ النفس عن إجابة داعي الهوى، وكان هذا حقيقةُ الصوم؛ فإنه حَبْسُ النفس عن إجابة داعي شهوةِ الطعامِ والشرابِ والجماعِ، فُسِّر الصبرُ في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥] إنه: الصوم، وسُمِّي رمضانُ: شهر الصبر.

وقال بعض السلف: «الصومُ نصفُ الصبر»، وذلك أنّ الصبر حَبْسُ النفس عن إجابة داعي الشهوة والغضب، فإن النفسَ تشتهي الشَّيءَ لحصولِ اللَّذَّةِ بإدراكهِ وتغضب لنفرتها من المؤلم لها، والصومُ صبرٌ عن مقتضى الشهوةِ فقط وهي شهوةُ البطن والفرج دون مقتضى الغضب، ولكن من تمام الصومِ وكماله صبرُ النفس عن إجابةِ داعي الأمرين، وقد أشار إلى ذلك النَّبيُّ ﷺ في الحديث الصحيح، وهو قوله: «إذا كان يومُ صوم أحدِكم فلا يَجْهَلُ ولا يَصْخَب، فإن أحدٌ سابّه أو شاتَمه فليقل: إنّي صائِمٌ»[4]؛ فأرشد ﷺ إلى تعديل قوى الشّهوةِ والغضَبِ، وأنَّ الصائمَ ينبغي له أن يحتمي من إفسادِهما لصومِه، فهذه تُفْسِدُ صومَه، وهذه تُحْبِطُ أجرَه؛ كما قال في الحديث الآخر: «من لم يَدَع قولَ الزّورِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٢٧)، ومسلم (١١٥١) (١٦١).

(٢) أخرجه مسلم (١١٥١) (١٦٤).

(٣) **صحيح** - أخرجه النسائي (٤/ ١٦٥ و١٦٥ - ١٦٦)، وأحمد (٥/ ٢٤٨ - ٢٤٩ و٢٥٥ و٢٥٨)، وعبد الرزاق (٧٨٩٩)، والطبراني (٧٤٦٣ و٧٧٦٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٥)، وابن حبان (٣٤٢٥ و٣٤٢٦)، وابن خزيمة (١٨٩٣)، والحاكم (١/ ٤٢١) من طريق رجاء بن حيوة عن أبي أمامة مرفوعاً. قلت: إسناده صحيح؛ رجاله ثقات.

(٤) أخرجه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١) (١٦٣).

والعَمَلَ به؛ فليس لله حاجةٌ في أن يَدَع طعامَه وشرابَه»[1].

قالوا: ويكفي في فضل الصبر على الشكر قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [المؤمنين: ١١١]، فجعل فوزهم جزاء صبرهم. وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩] لا شيء يعدلُ معيته لعبده؛ كما قال بعض العارفين: «ذهب الصابرون بخير الدنيا والآخرة لأنهم نالوا معية الله». وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وهذا يتضمنُ الحراسةَ والكَلاَءَةَ والحفظ للصبر لحكمه، وقد وعد الصابرين بثلاثة أشياء كل واحد خير من الدنيا وما عليها وهي: صلواته تعالى عليهم، ورحمته لهم، وتخصيصهم بالهداية في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧] وهذا مفهم لحصر الهدى فيهم. وأخبر أن الصبر من عزم الأمور في آيتين من كتابه، وأمر رسوله أن يَتَشَبَّه بصبر أولي العزم من الرسل، وقد تقدّم ذكرُ ذلك[2].

قالوا: وقد دلَّ الدليلُ على أَنَّ الزُّهْدُ في الدنيا والتقلُّلَ منها مهما أمكن أفضل من الاستكثارِ منها، والزهدُ فيها حال الصابر، والاستكثارُ منها حال الشاكر.

قالوا: وقد سئل المسيح صلوات الله وسلامه عليه عن رجلين مَرّا بكنز فتخطاه أحدهما، ولم يلتفت إليه، وأخذه الآخر وأنفقه في طاعة الله تعالى، أيهما أفضل؟. فقال: الذي لم يلتفت إليه وأعرض عنه أفضل عند الله.

قالوا: ويدل على صحة هذا أن النَّبيَّ ﷺ عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فلم يأخذها، وقال: «بل أجوعُ يوماً، وأشبَعُ يومَاً»[3]، ولو أخذها

---

(١) أخرجه البخاري (١٩٠٣).
(٢) (ص ٦٣).
(٣) **ضعيف جداً** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٤٧)، وأحمد (٥/ ٢٥٤) من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة، وذكر حديثاً طويلاً مرفوعاً. قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن عبيد الله بن زحر ضعيف وشيخه علي بن يزيد الألهاني متروك.

لأنفقها في مرضاة الله تعالى وطاعته، فآثر مقامَ الصَّبر عنها والزهد فيها.

قالوا: وقد عُلِم أن الكمالَ الإنسانيِّ في ثلاثة أمور: علوم يعرفُها، وأعمال يعملُ بها، وأحوال ترتب له على علومه وأعماله.

وأفضلُ العلم والعمل والحال العلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله، والعمل بمرضاته، وانجذاب القلب إليه بالحبِّ والخوفِ والرجاء، فهذا أشرفُ ما في الدنيا وجزاؤه أشرف ما في الآخرة.

وأجلُّ المقاصدِ معرفةُ الله ومحبته، والأنس بقربه والشوق إلى لقائه، والتنعم بذكره، وهذا أجل سعادة الدنيا والآخرة وهذا هو الغاية التي تُطلب لذاتها، وإنما يشعرُ العبد تمامَ الشعور بأنّ ذلك عينُ السعادَةِ إذا انكشفَ له الغطاءُ وفارق الدنيا ودخلَ الآخرةَ، وإلا فهو في الدنيا وإن شعرَ بذلك بعضَ الشعورِ فليس شعورُه به كاملاً للمعارضاتِ التي عليه والمِحَن التي امتُحِنَ بها، وإلا فليست السعادةُ في الحقيقة سوى ذلك، وكل العلوم والمعارف تبعٌ لهذه المعرفة، مرادةٌ لأجلها، وتفاوت العلوم في فضلها بحسب [قرب][1] إفضائها إلى هذه المعرفة وبُعدِها، فكل علمٍ كان أقربَ إفضاءً إلى العلم بالله وأسمائِه وصفاتِه فهو أعلى مما دونَهُ، وكذلك حالُ القلب، فكل حالٍ كان أقربَ إلى المقصودِ الذي خُلِق له فهو أشرفُ مما دونَهُ، وكذلك الأعمالُ، فكلُّ عملٍ كان أقربَ إلى تحصيلِ هذا المقصود كان أفضلُ من غيره، ولهذا كانت الصلاةُ والجهادُ من أفضل الأعمال لقُرْبِ إفضائها إلى [هذا] [2]المقصودِ.

وهكذا يجب أن يكون، فإنه كلما كان الشيءُ أقربَ إلى الغايةِ كان أفضلَ من البعيد[3] عنها، فالعملُ المُعِدُّ للقلبِ المُهَيِّئُ له لمعرفة اللهِ وأسمائِه وصفاتِه ومحبتِه وخوفِه ورجائِه أفضلُ مما ليس كذلك، وإذا اشتركت عدَّةُ أعمالٍ في هذا الإفضاءِ فأفضلُها أقربُها إلى هذا المفضِي، ولهذا اشتركت الطاعاتُ في هذا

(١) زيادة من «م».
(٢) زيادة من «ظ».
(٣) في «ظ»: «القريب»، وهو خطأ.

الإفضاءِ فكانت مطلوبةً للهِ، واشتركت المعاصي في حَجْبِ القلبِ وَقَطْعِه عن هذه الغايةِ فكانت مَنْهيّاً عنها، وتأثير[1] الطاعات والمعاصي بحسب درجاتِها.

وههنا أمرٌ ينبغي التَّفَطُّن له، وهو أنه قد يكون العملُ المعينُ أفضل منه في حقِّ غيره: فالغنيُّ الذي بلغ له مالٌ كثيرٌ، ونفسُه لا تسمحُ له ببذلِ شيءٍ منه؛ فصدقتُه وإيثارُه أفضلُ له من قيامِ اللَّيلِ وصيامِ النهارِ نافلةً.

والشّجاعُ الشّديدُ الذي يهابُ العدُّو سطوتَه، وقوفُه في الصفِّ ساعةً وجهادُه أعداءَ اللَّهِ أفضلُ من الحجِّ والصوم والصدقة والتطوعِ.

والعالمُ الذي قد عرف السُّنَّةَ والحلالَ والحرامَ وطرقَ الخيرِ والشرِ، مخالطتُه للناس، وتعليمُهم، ونصحُهم في دينهم أفضلُ من اعتزالِه، وتفريغ وقته للصلاةِ وقراءة القرآنِ والتسبيح.

وَوَليُّ الأمرِ الذي قد نَصَبَه الله للحكم بين عباده، جلوسُه ساعةً للنظر في المظالم، وإنصاف المظلوم من الظالم، وإقامةِ الحدودِ، ونصرِ المُحِقِّ، وقمعِ المُبْطِل أفضلُ من عبادة سنين من غيره.

ومن غلبت عليه شهوةُ النساءِ؛ فصومُه له أنفعُ وأفضلُ من ذكر غيره وصدقته.

وتأمَّل توليةَ النَّبيِّ ﷺ لعمرو بن العاص وخالد بن الوليد وغيرهما من أمرائه وعمّاله وترك تولية أبي ذرّ، بل قال: «إنّي أراك ضَعيفاً، وإنّي أُحِبُّ لك ما أُحِبُّ لنفسي؛ لا تَأَمَّرَنَّ على اثنين، ولا تولينَّ مالَ يتيم»[2] وأمره وغيره بالصيام، وقال: «عليك بالصَومِ؛ فإنّه لا عِدْلَ له»[3]، وأمر آخر بأن «لا يغضب»[4]،

---

(١) في «ظ»: «تأثر».

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٦).

(٣) مضى تخريجه (ص ١٨٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦١١٦) من حديث أبي هريرة. وله شواهد عن جارية بن قدامة، وسفيان بن عبد الله الثقفي، وأبي الدرداء رضي الله عنهم.

وَأَمَر ثالِثاً بأن «لا يزالُ لسانُه رَطْبًا من ذكرِ الله»[1] ، ومتى أراد الله بالعبد كمالاً وفَّقَه لاستفراغِ وُسْعِه فيما هو مُستعدٌّ له قابلٌ له قد هُيِّيءَ له، فإذا استفرغ وُسَعه بَزَّ [2]على غيره، وفاقَ الناس فيه؛ كما قيل:

ما زال يسبقُ حتى قال حاسدُه   هذا طريقٌ إلى العلياءِ مختصرٌ

وهذا كالمريض الذي يشكو وجعَ البطن مثلاً، إذا استعمل دواءَ ذلك الداء انتفعَ به، وإذا استعمل دواءَ وجعِ الرأس لم يصادفْ داءَه، فالشُّحُ المطاعُ مثلاً من المُهلكات ولا يزيله صيامُ مائة عام ولا قيام ليلها، وكذلك داء اتباع الهوى والإعجاب بالنفس لا يلائمه كثرةُ قراءة القرآن، واستفراغ الوسع في العلم والذكر والزهد، وإنما يزيلُه إخراجُه من القلب بضدِّه.

ولوقيل: [أيما][3] أفضل الخبزُ أو الماء؟ لكان الجواب: إن هذا في موضعه أفضلُ، وهذا في موضعه أفضلُ.

وإذا عرفت هذه القاعدةِ فالشُّكر ببذلِ المال عَمَلٌ صالحٌ يحصلُ به للقلبِ حالٌ وهو زوالِ البخلِ والشُّحِّ بسبب خروج الدنيا منه، فتهيأ لمعرفة الله ومحبَّتِه فهو دواءٌ للداءِ الذي في القلب يمنعُه من المقصود.

وأما الفقيرُ الزاهدُ؛ فقد استراح من هذا الداءِ والدواءِ وتوفَّرت قوتُه على استفراغِ الوسع في حصول المقصود.

ثم أوردوا على أنفسهم سؤالاً؛ فقالوا: فإن قيل: فقد حثَّ الشَّرعُ على الأعمال، وانفصلوا عنه بأن قالوا: الطبيبُ إذ أثنى على الدواءِ لم يَدُلّ على أن الدواء يرادُ لعينه ولا أنه أفضلُ من الشّفاءِ الحاصل به، ولكن الأعمال علاجٌ

---

(١) صحيح ـ أخرجه الترمذي (٣٣٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٣)، وأحمد (٤/ ١٩٠)، وابن حبان (٨١٤)، والحاكم (١/ ٤٩٥) من طريق معاوية بن صالح عن عمرو بن قيس الكندي عن عبد الله بن بُسْر أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به؛ فذكره مرفوعاً. قلت: صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٢) فاق وتقدم.

(٣) زيادة من «ظ».

لمرض القلوبِ، ومرضُ القلوب مما لا يشعرُ به غالباً، فوقع الحثُّ على العملِ المقصودِ وهو شفاء القلب، فالفقير الآخذُ لصدقتك يستخرجُ منك داءَ البخل كالحَجّامِ يستخرجُ منك الدَّمَ المُهلِكَ.

قالوا: وإذا عُرِف هذا عُرِفَ أن حال الصابرِ حال المحافظِ على الصحة والقوة، وحالَ الشاكر حالَ المتداوي بأنواع الأدوية لإزالة موادِّ السُّقم.

فصل

قال الشاكرون: لقد تعديتم طورَكم، وفضلتم مقاماً غيرُه أفضلُ منه، وقدمتم الوسيلةَ على الغايةِ، والمطلوبَ لغيره على المطلوب لنفسه، والعملَ الكامل على الأكمل، والفاضلَ على الأفضل، ولم تعرفوا للشكر حقَّه ولا وَفَّيتُموه مرتَبَتَه.

وقد قرن الله تعالى ذكرَه الذي هو المراد من الخلقِ بذكرِه، وكلاهما هو المرادُ بالخلقِ والأمر، والصبرُ خادمٌ لهما، ووسيلةٌ إليهما وعونٌ عليهما، قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقرن سبحانه الشُّكرَ بالإيمانِ وأخبر أنه لا غرضَ له في عذاب خلقه إن شكروا وآمنوا به فقال: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ﴾ [النساء: ١٤٧] أي: إن وفَّيتم ما خُلِقتُم له، وهو الشكر والإيمان، فما أصنعُ بعذابكم [بعد][1] هذا.

وأخبر سبحانه أن أهلَ الشكر هم المخصوصون بمِنّته عليهم من بين عباده، فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

وقسّم الناس إلى شكور وكفور، فأبغضُ الأشياء إليه الكفرُ وأهلُه، وأحبُّ الأشياء إليه الشّكرُ وأهلُه، قال تعالى في الإنسان: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإنسان: ٣]، وقال نَبِيُّهُ سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ

---

(١) زيادة من «ظ».

﴿رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْۗ﴾ [الزمر: ٧].

وهذا كثيرٌ في القرآن يقابل سبحانه بين الشكرِ والكفر؛ فهو ضدُّه.

قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

والشاكرون هم الذين ثبتوا على نعمةِ الإيمان؛ فلم ينقلبوا على أعقابهم.

وعلّق سبحانه المزيدَ بالشكرِ، والمزيد منه لا نهاية له؛ كما لا نهايةَ لشكره.

وقد وقف سبحانه كثيراً من الجزاء على المشيئة؛ كقوله: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ﴾ [التوبة: ٢٨]، وقوله في الإجابة: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ﴾ [الأنعام: ٤١]، وقوله في الرِّزق: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٣٧]، وقوله في المغفرة: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٢٩]، وقوله في التوبة: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ﴾ [التوبة: ١٥]، وأطلق جزاء الشكر إطلاقا حيث ذُكِر؛ كقوله: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، و﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

ولما عرف عَدُوُّ الله إبليسُ قَدْرَ مقام الشكر وأنه من أَجَلِّ المقامات وأعلاَها، جعل غايته أن يسعى في قطع الناس عنه، فقال: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ۝١٧﴾ [الأعراف: ١٧].

ووصف سبحانه الشاكرين بأنهم قليل من عباده فقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وذكر الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول: اللهم اجعلني من الأقلين. فقال: ما هذا؟ فقال: يا أمير المؤمنين إن الله

تعالى قال: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]؛ فقال عمر: صدقت[1].

وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على أوَّلِ رسولٍ بعثه إلى أهل الأرض بالشكر؛ فقال: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ۝٣﴾ [الإسراء: ٣]، وفي تخصيص نوح ههنا بالذكرِ وخطابُ العباد بأنهم ذريته إشارةٌ إلى الاقتداء به؛ فإنه أبوهم الثاني، فإن الله تعالى لم يجعل للخلق بعد الغَرَق نَسْلاً إلا من ذريته؛ كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ [الصافات: ٧٧]؛ فأَمر الذريةَ أن يتشبهوا بأبيهم في الشُّكرِ؛ فإنه كان عَبْداً شكوراً.

وقد أخبر سبحانه إنما يعبُدُه من شَكَرَه، فمن لم يشكرْه لم يكنْ من أهل عبادته؛ فقال: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وأمر عبدَه موسى أن يتلقى ما أتاه من النُّبُوَّة والرِّسالة والتَّكليم بالشكر؛ فقال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وأولُ وَصِيَّةٍ وصَّى اللهُ بها الإنسان بعدما عَقِلَ عنه، بالشكر له وللوالدين؛ فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ۝١٤﴾ [لقمان: ١٤].

وأخبر أن رضاه في شكره؛ فقال تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧].

وأثنى سبحانه على خليلهِ إبراهيمَ بشُكْرِ نعمه؛ فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢٠ ـ ١٢١]؛ فأخبر عنه سبحانه بأنه أمّةٌ؛ أي: قدوة يُؤتَمُّ به في الخير، وأنه قانتاً لله، والقانتُ: هو المطيعُ المقيم على طاعته، والحنيف: هو المقبلُ على الله المعرضُ عمّا سواه، ثم ختم له بهذه الصفات بأنه شاكرٌ لأنعمه؛ فجعل الشكرَ غايةَ خليله.

---

(١) «الزهد» (ص١٤٢). قلت: إسناده ضعيف.

وأخبر سبحانه أن الشكرَ هو الغايةُ من خلقِه وأمره، بل هو الغايةُ التي خلَقَ عبيدَه لأجلها: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، فهذه غايةُ الخلق وغايةُ الأمر؛ فقال: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

ويجوز أن يكون قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ تعليلاً لقضائه لهم بالنَّصرِ، ولأمرِه لهم بالتقوى، ولهما معا، وهو الظاهر، فالشكر غايةُ الخلق والأمر، وقد صرَّح سبحانه بأنه غايةُ أمره وإرساله الرسول في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢].

قالوا: فالشكر مرادٌ لنفسه، والصبرُ مرادٌ لغيره، والصبرُ إنما حُمِد لإفضائه وإيصاله إلى الشكرِ؛ فهو خادمُ الشكر.

وقد ثبت في «الصحيحين» عن النبي ﷺ أنه قام حتى تَفَطَّرت قَدَماه، فقيل له: أتفعلُ هذا وقد غَفَر الله لك ما تقدم من ذنبِك وما تأخر؟ قال: «أفلا أكون عبْداً شَكوراً»[(١)]. وثبت في «المسند» و«الترمذيِّ» أن النَّبِيَّ ﷺ قال لمعاذ: «واللَّهِ إني لأُحِبُّك، فلا تنسَ أن تقول دُبر كلِّ صلاةٍ: اللهمَّ أعنّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسْنِ عبادَتِك»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٣٦)، ومسلم (٢٨١٩) من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه. وأخرجه البخاري (٤٨٣٧)، ومسلم (٢٨٢٠) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) **صحيح** ـ أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٩٠)، وأبو داود (١٥٢٢)، والنسائي (٣/ ٥٣)، وفي «عمل اليوم والليلة» (١٠٩ و١١٧)، وأحمد (٥/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥ و٢٤٧)، وابن حبان (٢٠٢٠) و(٢٠٢١)، وابن خزيمة (٧٥١)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١١٠ و٢١٨ و٢٥٠)، وأبو نعيم (١/ ٢٤١)، والحاكم (١/ ٢٧٣ و٣/ ٢٧٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤١٠)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١١٥) وغيرهم من طرق عنه. قلت: وهو صحيح، وهو مسلسل بالمحبة. =

وقال ابن أبي الدنيا : حدثنا إسحاق بن إسماعيل، حدثنا أبو معاوية وجعفر ابن عون عن هشام بن عروة [عن ابن المنكدر] [١] قال: كان من دعاء النبي ﷺ: «اللهمّ أعنّي على ذكرِك، وشكرِك، وحسنِ عبادتك» [٢].

قال: وحدثنا محمود بن غيلان حدثنا المؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة حدثناحميد الطويل عن طلق بن حبيب عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أربعٌ من أُعطِيَهُنَّ فقد أُعطِيَ خيرَ الدنيا والآخرة: قلباً شاكراً، ولسانا ذاكراً، وبدناً على البلاء صابراً، وزوجَةً لا تَبْغيه خَوْناً في نفسها ولا في ماله» [٣].

= وله شاهدان من حديث عبد الله بن مسعود، وأبي هريرة، وهي صحيحة، وقد تكلمت عليها في تخريج «الوصية الصغرى» (ص١١ ـ ١٢).
تنبيه: عزو المصنف رحمه الله الحديث إلى الترمذي وَهْمٌ منه.

(١) زيادة من «الشكر» لابن أبي الدنيا و«شعب الإيمان» للبيهقي.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤١١)، من طريق جعفر بن عون عن هشام بن عروة عن محمد بن المنكدر وذكره مرسلاً. قلت: رجاله ثقات، لكنه مرسل، وبه أعله البيهقي.

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٣٤) ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤٢٩) بهذا الإسناد. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١١٢٧٥) و«الأوسط» (٧٢١٢)، وأبو نعيم في «الحلية (٣/ ٦٥) من طريق محمد بن غيلان به. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن مداره على المؤمل بن إسماعيل، وهو ضعيف كثير الخطأ سيِّىء الحفظ.
تنبيه: وقع في إسناد الطبراني في «الأوسط» موسى بن إسماعيل، وكذلك في «مجمع البحرين» (٢٢٤٩)، وموسى بن إسماعيل ثقة محتج به في الصحيحين، وكذلك اغتر به جماعة من الحفاظ؛ فحكموا على الإسناد بالصحة وفرقوا بينه وبين ما في «الكبير».
قلت: وهو وهم لا شك فيه؛ فقد أخرجه الطبراني في «الكبير»، والبيهقي في «الآداب» (١٠٣٦) من طريق ابن أبي الدنيا، وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» وكلهم قالوا: المؤمل بن إسماعيل. وممن اغتر بذلك وفرق بين إسناد «الأوسط» و«الكبير» الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٧٣) فقال: «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» ورجال الأوسط رجال الصحيح»، والمنذري في «الترغيب والترهيب (٣/ ٦٧)، وقال: «رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» وإسناد أحدهما جيد، واغتر بقولهما المناوي فقال في «فيض القدير» (١/ ٤٦٥): «وبذلك يعرف أن إهمال المؤلف الطريق الصحيح وإشهاره الضعيف من سوء التصرف، هذا وقد رمز لحسنه». وهذا يؤكد أن هذا الوهم قديم لتتابع هؤلاء=

وذكر أيضا من حديث القاسم بن محمد عن عائشة عن النبي ﷺ قال: «ما أنعمَ اللهُ على عبدٍ نَعمَةً فَعلِم أنها من عند اللهِ إلا كَتَب الله له شُكْرَها، وما علم اللّه من عبدٍ نَدَامةً على ذنبٍ إلا غَفَر الله له قبل أن يستغفِرَه، وإن الرجلَ يشتري الثوبَ بالدينارِ فيلبسُه فيحمد الله فما يبلغ ركبَتَيه حتى يُغْفَرَ له»[1].

وقد ثبت في «صحيح مسلم»[2] عنه ﷺ أنه قال: «إن اللهَ ليرضى عن العبد يأكلُ الأكلةَ فيحمده عليها، ويشربُ الشَّرْبَة فيحمدُه عليها» فكان هذا الجزاءُ العظيم الذي هو أكبرُ أنواع الجزاء؛ كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبه: ٧٢] في مقابلة شكره بالحمد.

وذكر ابن أبي الدنيا من حديث عبد الله بن صالح حدثنا أبو زهير يحيى بن عطارد القرشي عن أبيه قال: قال: رسول الله ﷺ: «لا يرزقُ اللهُ عبداً الشُكْرَ فيحرمه الزِّيادَة، لأن اللهَ تعالى يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]»[3].

= الأئمة عليه، وقد نبه على ذلك كله شيخنا حفظه الله في «الضعيفة» (١٠٦٦)؛ فجزاه الله خيراً، ومنه استفدت أصل هذا التنبيه.

(١) **ضعيف جداً** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤٧)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٧٩). قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن هشام بن زياد متروك.
وأخرج الحاكم (٤/ ٢٥٣) شطره الثاني وصححه وتعقبه الذهبي وأعله بهشام. وتابعه سليمان بن داود المنقري قال: نا السكن أبو عمرو البرجمي قال الوليد بن أبي هشام عن القاسم بن محمد به. أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٥٠٣). قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن سليمان بن داود المنقري متروك، والوليد بن هشام مجهول.
قال الطبراني: تفرد به سليمان. قلت: هكذا قال، لكن أخرجه الحاكم (١/ ٥١٤) من طريق محمد بن جامع العطار ثنا السكن بن أبي السكن البرجمي ثنا الوليد بن هشام عن القاسم بن محمد به. قال الحاكم: «هذا حديث لا أعلم في إسناده أحداً ذكر بجرح. وتعقبه الذهبي بقوله: «بلى قال ابن عدي: محمد بن جامع العطار لا يتابع على أحاديثه». وذكر له البيهقي في «شعب الإيمان» متابعات كلها ساقطة.
وبالجملة: فالحديث ضعيف جداً، والله أعلم.

(٢) برقم (٢٧٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٣)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٠٨ ـ هندية). قلت: إسناده مرسل ضعيف.

وقال الحسنُ البصري: «إن اللهَ ليمتعُ بالنعمةِ ما شاء، فإذا لم يُشْكَر عليها قَلَبَها عذاباً»[1]. ولهذا كانوا يسمُّون الشكرَ الحافِظَ، لأنه يحفظُ النِّعم الموجودةَ، والجالبَ؛ لأنه يَجْلِبُ النِّعَمَ المفقودة.

وذكر ابن أبي الدنيا عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لرجل من همذان[2]: «إن النِّعمَةَ موصولةٌ بالشُّكرِ، والشُّكْرُ يتعلَّقُ بالمزيدِ، وهما مقرونان في قَرْنٍ، فلن يَنْقطِعَ المزيدُ من الله حتى يَنْقطِعَ الشُّكْرُ من العَبْدِ»[3].

وقال عمر بن عبد العزيز: «قَيّدوا نِعَمَ الله بِشُكرِ الله»[4]. وكان يقال: «الشكرُ قَيدُ النِّعم».

وقال مُطَرِّفُ بنُ عبدالله: «لئن أُعافى فَأَشكرُ أحب إليّ مِن أن أُبتَلى فَأَصبر»[5].

وقال الحسن: «أكثروا من ذكرِ هذه النِّعم، فإن ذِكرهَا شُكْرٌ»[6].

وقد أمر الله تعالى نَبيه أن يُحَدِّثَ بنعمةِ ربه؛ فقال: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٧). قلت: إسناده ضعيف فيه المبارك بن فضالة وهو مدلِّس وقد عنعنه.

(٢) هكذا في الأصول وفي «الشكر» و«شعب الإيمان»: «همدان».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٨)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢١٤ ـ هندية). قلت: إسناده ضعيف؛ لأنه معضل.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٧)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٢٦). وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ٣٤٠). قلت: إسناده ضعيف؛ لأن عبد الله بن خراش ضعيف.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٨ و٦٥ و١٨٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٢١ ـ هندية) و«المدخل» (٤٥٨)، وأحمد في «الزهد» (ص٢٤٢)، ووكيع في «الزهد» (٢٠١)، وهناد في «الزهد» (٤٤٢)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ١٤٣ ـ ١٤٤)، وعبد الرزاق (١١/ ٥٣/ ٢٠٤٦٧)، والفسوي في «المعرفة والتأريخ» (٢/ ٨٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٠٠) وغيرهم من طرق عنه. قلت: وهو صحيح.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٣٣)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٠٧ ـ هندية)، وابن المبارك في «الزهد» (١٤٣٤). قلت: إسناده ضعيف؛ لأن المبارك بن فضالة مدلس، وقد عنعن.

فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى: ١١]. والله تعالى يُحِبُّ من عبدِه أن يَرى عليه أَثَر نعمتِه، فإن ذلك شُكْرَها بلسانِ الحال.

وقال علي بن الجعدي[1]: سمعت سفيان الثوري يقول: إن داود عليه الصلاة والسلام قال: «الحمدُ لله حَمْداً كما ينبغي لِكَرمِ وجهِه وعزِّ جلالِه، فأوحى اللهُ إليه: يا داودُ أَتعبتَ الملائِكةَ»[2].

وقال شُعبةُ: حدثنا فضيل بن فضالة عن أبي رجاء العطاردي قال: خرج علينا عمران بن الحصين وعليه مطرف خَزٍّ [3] لم نَره عليه قبل ولا بعد، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إذا أنعمَ اللهُ على عبدٍ نِعمَةً يُحبُّ أن يرى أثرَ نعمتِه على عبدِه»[4].

---

(١) هكذا في «الأصول»، وفي مصادر التخريج: «الجعد».

(٢) **صحيح** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٣٧) ومن طريقه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٩٣ ـ ١٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٦٢ ـ هندية).
قلت: إسناده صحيح.

(٣) ثوب حرير مربع ذو أعلام.

(٤) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٤/ ٤٣٨)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٠)، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢٩١ و٧/ ١٠)، والحاكم في «المعرفة» (ص١٦١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢٧١)، و«شعب الإيمان» (٦٢٠٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٨/ ٣٧)، والطبراني في «الكبير» (٨/ ١١٢/ ٢٨١)، من طريق روح بن عبادة عن شعبة به.
قلت: إسناده صحيح، رجاله ثقات، رجال الشيخين غير فضيل بن فضالة وهو القيسي البصري روى عنه شعبة، ووثقه ابن معين وابن حبان وابن شاهين وقال أبو حاتم: «شيخ»، وقال الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٣٢): «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات»، وقد وقع عند ابن سعد (٤/ ٢٩١) الفضل بن فضالة رجل من قريش و(٧/ ١٠) والمفضل بن فضالة رجل من قريش، وهو غلط فقد وقع عند أحمد وابن أبي الدنيا على الصواب الفضيل بن فضالة رجل من قيس، وهكذا جزم أمير المؤمنين في الحديث البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٢١): «فضيل بن فضالة القيسي عن أبي رجاء وعبيد الله بن أبي بكرة روى عنه شعبة يعد من البصريين». وأقره الطحاوي في «المشكل» (٧/ ٣٧) فقال: «وفضيل بن فضالة هو امرؤ من قيس هكذا زعم البخاري». وقد فات هذا شيخنا ـ حفظه الله ـ واغتر بما في «الطبقات»؛ فضعف الإسناد؛ فقال في «الصحيحة» (١٢٩٠): وهذا إسناد ضعيف رجاله ثقات غير مفضل بن فضالة هذا وهو ابن أبي أمية=

وفي صحيفة عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «كلوا واشربوا وتصدّقوا في غير مَخِيلَة ولا سَرَفٍ، فإن الله يحبُّ أن يرى أثرَ نعمتِهِ على عبدِه»[1].

وذكر شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن أبيه قال: أتيت رسولَ ﷺ وأنا قَشِفُ الهيئة[2] فقال: «هل لك مِن مالٍ؟» قال: قلت: نعم، قال: «من أيِّ المال؟» قلت: من كلِّ المال، قد أتاني الله من الإبلِ والخيلِ والرّقيق والغَنَمِ. قال: «فإذا آتاك اللهُ مالاً فَلْيُرَ عليك»[3]. وفي بعض المراسيل:

= أبو مالك البصري أخو مبارك ضعيف».

وللحديث طريق آخر أخرجه الطبراني (١٨/ ١٤٩/ ٤١٨) من طريق يزيد بن هارون أنا زياد الجصاص ثنا الحسن ثنا عمران، وذكره بنحوه.

وله شاهد من حديث أبي الأحوص عن أبيه مرفوعاً. وآخر من حديث أبي هريرة.

وبالجملة: فالحديث صحيح لا ريب فيه؛ والله أعلم.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥١)، وأحمد (٢/ ١٨١)، والحاكم (٤/ ١٣٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٥١ ـ هندية)، و«الآداب» (٦٦٣)، من طريق همام عن قتادة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعاً. وأخرج شطره الأول النسائي (٥/ ٧٩)، وابن ماجه (٣٦٠٥)، وأحمد (٢/ ١٨١)، وابن أبي شيبة (٨/ ٢١٧) من طريق يزيد بن هارون عن همام. وأخرج الترمذي شطره الآخير (٢٨١٩) من طريق عفان بن مسلم حدثنا همام به. قلت: هذا إسناد حسن.

وأخرجه الطيالسي (٢٢٦١) من طريق همام عن رجل عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، دون قوله: «في غير مخيلة ولا سرف». والمبهم لعله قتادة، كما في المصادر السابقة.

ولشطره الأخير شاهد عند أحمد (٢/ ٣١١) من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف فيه شريك بن عبد الله القاضي وهو سيىء الحفظ، وابن موهب وهو ضعيف.

وله شاهد من حديث ابن عمر عند ابن عبد البر في «التمهيد» (٣/ ٢٥٤) وفيه سفيان بن وكيع وهو ضعيف.

وبالجملة: فالحديث صحيح بمجموع ذلك؛ والله أعلم.

(٢) رث الهيئة.

(٣) **صحيح** ـ أخرجه أبو دواد (٤٠٦٣)، والترمذي (٢٠٠٦)، والنسائي (٨/ ١٩٦)، وأحمد (٣/ ٤٧٣ و٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧)، والطيالسي (١٣٠٣ و١٣٠٤)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٢)، وابن حبان (٣٤١٠ و٥٤١٦ و٥٤١٧)، والطحاوي في «المشكل» (٨/ ٤٣)، =

«إن اللهُ يحبُّ أن يَرى أَثَر نعمتِه على عبدِه في مأكلِه ومشرَبِه»[1].

وروى عبدالله بن يزيد المقرىء عن أبي معمر عن بكر بن عبدالله، رفعه: «من أُعطي خيراً فرُؤي عليه سُمّي حبيب الله مُحَدِّثاً بنعمة الله، ومن أعطيَ خيراً ولم يُرَ عليه سمي بغيضَ اللهِ معادياً لنعمة الله»[2].

وقال فضيل بن عياض: كان يقال: من عرفَ نعمَةَ الله بقلبِه وحمدَه بلسانِه لم يستتم ذلك حتى يَرى الزيادَة لقول الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. وقال: «من شُكْرِ النِعمة أن يُحَدَّث بِها»[3].

وقد قال تعالى: «يا ابن آدم، إذا كنت تتَقَلَّبُ في نعمتي وأنت تَتَقَلَّبُ في معصِيَتي فاحذرني لاأصرعك[4] بين معاصي، يا بن آدم اتقني وَنَم حيثُ شئت»[5].

وقال الشعبي: «الشُكْرُ نصفُ الإيمانِ، واليقينُ الإيمانُ كلُّه»[6].

= والحاكم (٤/ ١٨١)، والطبراني (١٩/ ٦٠٧/ ٦٢٢ و٦٢٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١٠) و«الأسماء والصفات» (٧٤٢)، وابن سعد (٦/ ٢٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٣١١٨) من طرق عن أبي الأحوص عن أبيه به. قلت: إسناده صحيح.

(١) **ضعيف جداً** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٣). قلت: فيه عنعنة ابن جريج، وعلي بن زيد بن جدعان، وعبد المجيد بن عبد العزيز ضعيفان، وهو مرسل؛ فالحديث ضعيف جداً؛ لأن إسناده واهٍ بمرة.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٤)، وفي «العيال» (٣٦٤) عن بكر بن عبد الله مرسلاً. قلت: إسناده ضعيف لإرساله.

(٣) أخرجهما ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٦). قلت: إسناده ضعيف؛ لأن فيه إبراهيم بن الأشعث خادم الفضيل بن عياض يروي عنه الرقائق، تكلموا فيه، قال الحافظ في «لسان الميزان» (١/ ٣٦) وابن حبان في «الثقات» (٨/ ٦٦): «يغرب وينفرد فيخطىء ويخالف».

(٤) هكذا في مصادر التخريج، وفي الأصول: «لأصرعك».

(٥) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٧) وعنه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢١٥ ـ هندية) بإسناد الأثر المتقدم.

(٦) **حسن** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٨) ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤٤٨) من طريق محمد بن عبد الملك القرشي ثنا أبو عوانة عن المغيرة عن عامر قال: «الشكر نصف الإيمان، والصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله». قلت: إسناده حسن.

وقال أبو قِلابَةَ: «لا تضركم دنيا [إذا][1] شَكَرتُموها»[2].

قال الحسن: «إذا أنعم اللهُ على قومٍ سألَهم الشكرَ، فإذا شكروه كان قادراً على أن يزيدَهم، وإذا كفروه كان قادراً علَى أن يبعثَ نعمتَه عليهم عذاباً»[3].

وقد ذم اللهُ سُبحانه الكنود، وهو: الذي لا يَشْكُرُ نَعمَه. قال الحسن: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العاديات: ٦] [يُعَدِّدُ][4] المصائب وينسى النِّعم»[5].
وقد أخبر النَّبِيُّ ﷺ أن النِّساءَ أكثرُ أهلِ النار بهذا السبب، قال: «لو أحسنْتَ إلى إحداهنَّ الدهرَ ثم رأتَ مِنك شَيئاً قالت: ما رأيتُ منكَ خيراً قط»[6]؛ فإذا كان هذا بترك شكرِ نعمةِ الزَّوجِ وهي في الحقيقةِ من الله، فكيف بمن تَرَكَ شكرَ نعمة الله.

يا أيها الظالمُ في فِعلِه … والظُّلْمُ مردودٌ على من ظَلَم
إلى متى أنت وحتى متى … تَشْكو المصيباتِ وَتنْسى النِّعَم[7]

ذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي عبد الرحمن الشامي[8] عن الشَّعبي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ « التَّحَدُّث بالنِّعْمِة شُكْرٌ، وترْكُها كُفْرٌ،

---

(١) زيادة من مصادر التخريج.
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥٩) من طريق سريج بن يونس حدثنا عبد الوهاب الثقفي عن أيوب عنه. قلت: إسناده حسن.
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٠) ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢١٦) حدثنا سريج ثنا روح ثنا عوف عن الحسن. قلت: إسناده صحيح.
(٤) هكذا في «مصادر التخريج»، وفي الأصول: «يَعُدُّ».
(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٢) ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٤٦٢٩) حدثنا خالد بن خداش ثنا مهدي بن ميمون عن شعيب بن الحباب عن الحسن. وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (٣٠/ ٢٧٨) من طريق مهدي بن ميمون. قلت: إسناده صحيح. وله طريق آخر أخرجه البيهقي في «الشعب» (١٠٠١١) من طريق فضل بن سهل نا أبو النضر، عن محمد بن طلحة عن خلف بن حوشب عن الحسن.
(٦) أخرجه البخاري (٢٩)، ومسلم (٩٠٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنه.
(٧) قال ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٣): أنشدني محمود الوراق ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٦٣٠).
(٨) هكذا في مصادر التخريج، وفي «الأصول»: «السلمي».

ومن لا يشكر القليلَ لا يشكر الكثيرَ، ومن لا يشكر الناس لا يشكرِ اللهَ، والجماعةُ بَرَكةٌ والفُرْقَة عذابٌ»[1].

وقال مُطرِّف بن عبدالله: «نظرت في العافية والشكرِ، فوجدت فيهما خيرَ الدنيا والآخرة، ولئن أُعافى فأشْكُر أحبّ إلي من أن أُبتلى فَأَصبر»[2].

ورأى بكر بن عبد الله المزني حمّالاً عليه حملُه وهو يقول: الحمدُ لله أستغفرُ الله. قال: فانتظرته حتى وضع ما على ظهره وقلت له: أَما تحسنُ غير هذا؟ قال: بلى، أُحسن خيراً كثيراً، أقرأ كتاب الله، غير أن العبدَ بين نعمةٍ وذنبٍ، فأحمد الله على نعمِه السابغة، واستغفره لذنوبي. فقلت: الحمّالُ أفقه من بكر[3].

وذكر الترمذي من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أوّلها إلى آخرها فَسَكتوا. فقال: «قرأتها على الجنِّ ليلةَ الجنِّ فكانوا أحسنَ رَدّاً منكم؛ كنت كلّما أتيت على قوله ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣] قالوا: لا بشيءٍ من نِعَمِكَ رَبّنا نُكَذِّبُ فَلَكَ الحَمْدُ»[4].

---

(١) **حسن** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٤) ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٠٥ ـ هندية). قلت: إسناده ضعيف جداً؛ فيه عمرو بن إسماعيل الهمداني متروك فلا يفرح به. ولكن تابعه الحسن بن ناصح عند الخرائطي في «فضيلة الشكر» (٨٣) دون قوله: «والجماعة بركة والفرقة عذاب».
وأخرجه أحمد (٤/ ٢٧٨ و٣٧٥) وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٤/ ٣٧٥) وغيرهما من طريق أبي وكيع الجراح بن مليح عن أبي عبد الرحمن عن الشعبي عن النعمان بن بشير. قلت: إسناد حسن، رجاله ثقات وفي أبي عبد الرحمن هو القاسم بن عبد الرحمن، والجراح بن مليح كلام لا ينزل عن مرتبة الحسن.
وبالجملة: فالحديث حسن.

(٢) مضى تخريجه (ص ١٩٤).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٦). قلت: إسناده ضعيف للانقطاع بين محمد بن نشيط وبكر بن عبد الله المزني.

(٤) **حسن لغيره** ـ أخرجه الترمذي (٣٢٩١)، والحاكم (٢/ ٤٧٣)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠١٣ ـ هندية) و«دلائل النبوة»=

وقال مِسْعَر: «لما قيل لآل داود: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣] لم يأتِ على القومِ ساعةٌ إلا وفيهم مُصَلٍّ»[١].

وقال عون بن عبدالله: «قال بعضُ الفقهاء: أنّى رأيتُ في أمري لم أر خيراً إلا شر معه، إلا المعافاة والشكر، فربّ شاكرٍ في بلائه وربّ معافى غير شاكر، فإذا سألتم الله فاسألوهما جميعاً»[٢].

وقال أبو أمامة[٣]: لبس عمر بن الخطاب قميصاً، فلما بلغ ترقوته قال: الحمد لله الذي كساني ما أُواري به عورتي، وأتجمّل به حياتي. ثم مَدَّ يديه فنظر كلَّ شيءٍ يزيدُ على يديه فقطعه ثم أنشأ يحدثُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لبِس ثوباً أحسبه جديداً، فقال: حين يبلغ ترقوته، أو قال: قبل أن يبلغ ركبتيه مثل ذلك، ثم عمد إلى ثوبه الخَلَق فَكسا به مِسكيناً لم يزل في جوارِ الله، وفي ذمّة الله، وفي كنفِ الله حيّاً وميتّا ما بقي من ذلك الثوب سِلْكٌ»[٤].

= (٢/ ٢٣٢)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٠٧٤)، من طريق الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن محمد عن جابر. قلت: إسناده ضعيف؛ كما قال الترمذي؛ فإن زهير بن محمد رواية الشاميين عنه غير مستقيمة، وهذا منها؛ لأن الوليد بن مسلم شامي، وهو مدلس لكنه صرح بالتحديث عند الحاكم.

وله شاهد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٧/ ٧٢)، وأبو بكر البزار (ص ٢٢١ ـ زوائده) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٠١)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٨). قلت: في إسناده عمرو بن مالك البصري وهو ضعيف لكنه قُرن عند ابن جرير بمحمد بن عباد وهو صدوق يخطىء فيقوي أحدهما الآخر لكن في يحيى بن سليم الطائفي مقال من قبل حفظه.

وبالجملة: فالحديث حسن بمجموع ذلك؛ والله أعلم.

(١) **صحيح مقطوع** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٧٤)، وعنه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥٢٤). قلت: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٧٧). قلت: إسناده ضعيف فيه المسعودي وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة مختلط، والراوي عنه يزيد بن هارون سمع منه بعد اختلاطه.

(٣) في «الأصول»: «أبو معاوية» وفي مصادر التخريج: «أبو أمامة».

(٤) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٧٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٧٤٩)، =

وقال عون بن عبد الله: «لبس رجلٌ قميصاً جديداً فحمدَ اللهَ؛ فَغُفِر له، فقال رجلٌ: [لا] [(١)] أرجعُ حتى أشتري قميصاً فألبسه وأحمدُ الله»[(٢)].

وقال شريح: ما أُصيب عبدٌ بمصيبة إلا كان لله عليه فيها ثلاثُ نِعم: ألا تكونَ كانت في دينه، وألا تكون أعظمَ مما كانت، وأنها لا بدَّ كائنة فقد كانت[(٣)].

وقال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز: ما قَلَّب عمرُ بن عبدالعزيز بصرَه إلى نعمةٍ أنعم الله بها عليه إلا قال: «اللهم إنّي أعوذُ بك أن أبدل نعمَتك كفراً، وأن أكفرها بعد أن عرفتُها، وأن أنساها ولا أثني بها» [(٤)].

وقال روح بن القاسم: «تَنَسَّكَ رجلٌ فقال: لا آكلُ الخبيصَ؛ لا أقومُ بشكره. فقال الحسن: هذا أحمق، وهل يقومُ بشكرِ الماء البارد؟»[(٥)].

وفي بعض الآثار الإلهية: «يقولُ الله عز وجل: ابن آدم، خيري إليك نازلٌ

= والحاكم (٤/ ١٩٣)، وابن حجر في «نتائج الأفكار» (١/ ١٢٥) من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة به. قلت: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ لأن علي بن يزيد الألهاني متروك ومن دونه ضعيف.
وأخرجه الترمذي (٣٥٦٠)، وابن ماجه (٣٥٥٧)، وأحمد (١/ ٤٤)، وابن السني (٢٧٢). من طريق أصبغ بن زيد عن أبي العلاء الشامي عن أبي أمامة عن عمر. قال الترمذي: غريب. قلت: وهو كما قال؛ لأن أبا العلاء الشامي مجهول.
وبالجملة: فالحديث ضعيف؛ لأن الطريق الأول لا يفرح به.

(١) زيادة من «مصادر التخريج».
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٧٦). قلت: إسناده ضعيفِ جداً؛ لأن فيه خالد بن عمرو بن محمد الأموي متهم بالكذب والوضع.
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٨٠).
(٤) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦٧). قلت: إسناده ضعيف؛ لأن الوليد ابن مسلم مدلس، ولم يصرح بالتحديث.
(٥) **صحيح** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٦٣) وأحمد في «الزهد» (٢٦٤) من طريق إسماعيل بن إبراهيم حدثني روح بن القاسم.

وشرُّكَ إليَّ صاعدٌ، أَتَحَبَّبُ إليك بالنّعم، وتَتَبَغَّضُ إليَّ بالمعاصي، ولا يزالُ مَلَكٌ كريم قَد عَرَج إليَّ منك بعملٍ قَبيحٍ»[1].

قال ابن أبي الدنيا: حدثني أبو علي قال: كنت أسمع جاراً لي يقول في الليل: «يا إلهي خيرُك عَلَيَّ نازلٌ وشرّي إليك صاعدٌ، كم من مَلك كريم قد صَعد إليك منيّ بعملٍ قبيح، وأنت مع غناك عني تَتَحبَّبُ إليّ بالنّعم، وأنا مع فقري إليك وفاقتي أتمقَّتُ إليك بالمعاصي، وأنت في ذلك تَجْبرُني وتَستُرني وترزُقني»[2].

وكان أبو المغيرة إذا قيل له: كيف أصبحت يا أبا محمد؟ قال: «أصبحنا مُغْرَقين في النِّعم عاجزين عن الشكر، يتحبَّبُ إلينا رَبُّنا وهو غَنيٌّ عنا، ونتمقَّتُ إليه ونحن إليه محتاجون»[3].

وقال عبدالله بن ثعلبة: «يا إلهي من كرمِك أنّك تطاعُ ولا تُعصى، ومن حلمك أنك تُعصى وكأنّك لا تُرى، وأي زمن لم يعصِك فيه سكانُ أرضِك وأنت بالخير عَوّاد»[4].

وكان معاوية بن قُرّة إذا لبس ثوباً جديداً قال: «بسم الله والحمدُ لله»[5].

وقال أنس بن مالك: «ما مِن عَبدٍ تَوكَّل بعبادةِ الله إلا غَرَّمَ[6] اللهُ السمواتِ والأرضَ، يعني[7] رِزقَهُ، فَجَعَله في أيدي بني آدم يعمَلونه حتى يُدفع عنه إليه،

---

(١) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤٣)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٦٩ ـ هندية)، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٩٤)، وابن قدامة المقدسي في «العلو» (٨٧) عن مالك بن دينار. قال الذهبي في «العلو للعلي العظيم» (ص٩٧): «إسناده مظلم». قلت: وجاء نحوه عن وهب بن منبه عند أبي نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٧).

(٢) أخرجه ابن أبي الدينا في «الشكر» (٤٤).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤٥).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤٦)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٤٦).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤٨).

(٦) في «الأصول»: «عزم» وفي «الشكر»: غرم».

(٧) في «الأصول»: «تعبر»، وفي «الشكر»: «يعني».

فإنْ قَبلَه العبد أوجب عليه الشكر، وأن أباه وَجَد الغنيُّ الحميد عباداً فقراء يأخذون رزقَه ويشكرون له»[1].

وقال يونس بن عبيد: قال رجل لأبي تميمة: كيف أصبحت؟ قال: «أصبحتُ بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل: ذنوبٌ سترها اللهُ فلا يستطيع أن يُعَيِّرني بها أحدٌ، ومودةٌ قَذَفها اللهُ في قلوبِ العبادِ لا يبلُغُها عمَلي»[2].

وروى ابن أبي الدنيا عن سعيد المقبري عن أبيه عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام قال: «يا ربِّ ما الشُّكرُ الذي ينبغي لك؟» قال: «لا يزالُ لسانُك رَطْباً من ذكري»[3].

وروى سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: دعا رجل من الأنصار من أهل قُباء النبيَّ ﷺ فانطلقنا معه، فلما طَعِمَ وَغَسلَ يديه قال: «الحمدُ لله الذي يُطْعِمُ ولا يُطْعَم، منّ علينا فهدانا، وأطعَمَنا وَسَقانا، وكُلَّ بلاءٍ حَسَنٍ أبلانا، الحمدُ لله غير مُوَدَّع ربي ولا مكافأ ولا مكفور ولا مُسْتَغْنىً عنه، الحمدُ لله الذي أطعم من الطعام وسقى من الشراب، وكسى من العُري، وهدى من الضلالة، وبَصّرَ من العَمَى، وَفضَّل على كثيرٍ من خَلْقِه تفضيلاً، الحمد لله رب العالمين»[4].

---

(١) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤٩). قلت: إسناده ضعيف، وهو عنده مرفوعاً وليس موقوفاً كما صنع المصنف رحمه الله.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤٠). قلت: إسناده ضعيف.

(٣) **صحيح** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٣٩)، ومن طريقه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٩٤)، وابن المبارك في «الزهد» (٩٤٢). وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ١١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٤) في سياق أطول. كلهم من طريقين عن ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري به. قلت: إسناده صحيح.

(٤) **حسن** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٥)، وعنه الحاكم (١/ ٥٤٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٦٧ ـ هندية) و«الدعوات الكبير» (٤٥٧). وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٠١)، وابن السني (٤٨٧)، وابن حبان (٥٢١٩)، والطبراني في «الدعاء» (٨٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٤)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص٢٣٥) كلهم من طريق زهير بن محمد عن سهيل عنه به. قلت: إسناده حسن، =

وفي «مسند الحسن بن الصباح»[1] من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبدٍ نعمَةً في أهلٍ ولا مالٍ أو ولدٍ فيقول: ما شاء اللهُ، ولا قوةَ إلا بالله، فيرى فيه آفةً دون الموتِ»[2].

ويذكر عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ دخل عليهما فرأى كسرةً ملقاةً؛ فمسَحها، وقال: «ياعائشة، أحسني جوارَ نِعَم الله، فإنها قَلَّ ما نفرت عن أهلِ بيتٍ فكادت أن ترجعَ إليهم»[3] ذكره ابن أبي الدنيا.

= محمد بن زهير رواية الشاميين عنه غير مستقيمة، والراوي عنه هو بشر بن منصور السلمي وهو بصري، والله أعلم.

(١) في «الأصول»: «لصلاح».

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١)، وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٣٩)، وابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٩٣)، من طريق الحسن بن الصباح به.
وأخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٥٩)، والطبراني في «الأوسط» (٤٢٦١)، وفي «الصغير» (١/ ٢١٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٠٧ ـ هندية) وفي «الأسماء والصفات» (٣٣٨)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٩٨ ـ ١٩٩) من طريق عمر بن يونس عن عيسى بن عون الحنفي عن حفص بن الفرافصة الحنفي عن عبد الملك بن زرارة عن أنس وذكره. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٠): «فيه عبد الملك بن زرارة وهو ضعيف». قلت: وفيه علة أخرى وهو عيسى بن عون لا يصح حديثه؛ كما قال الأزدي.

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢)، وعنه البيهقي في «الشعب» (٤٢٣٦)، من طريق الوليد الموقّري عن الزهري عن عروة عن عائشة. قال البيهقي: «الموقري ضعيف، ورواه أيضاً خالد بن إسماعيل المخزومي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وهو أيضاً ضعيف، وروي عن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن هشام، والله أعلم بصحته». قلت: وأخرجه من طريق الوليد بن محمد الموقري ابن ماجه (٣٣٥٣) والموقري متروك؛ فالإسناد واهٍ بمرة.
وأخرجه من طريق خالد بن إسماعيل المخزومي: ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٩١٢)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١١/ ٢٢٩). قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن خالد بن إسماعيل المخزومي نقل الذهبي في «الميزان» (١/ ٦٢٧): «قال الدارقطني: متروك، وقال ابن عدي: كان يضع الحديث».
ومن طريق محمد بن جعفر: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤٢٣٧ ـ هندية) ومحمد بن جعفر مجهول الحال. وأخرجه الخرائطي في «فضيلة الشكر» (٦٨) من طريق القاسم بن=

وقال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا صالح عن أبي عمران الجوني عن أبي الخلد قال: قرأت في مسألة داود أنه قال: «يا ربِّ كيف لي أن أشكُرَ وأنا لا أَصِلُ إلى شُكرِك إلا بِنَعِمِك؟ قال: فأتاه الوحَيُ: يا داود، أليس تَعْلَمُ أن الذي بك من النِّعَم منّي؟ قال: بلى يا رب. قال: فإنّي أرضى بذلك منك شُكْراً»[1]. وقال عبدالله بن أحمد: حدثنا أبو موسى الأنصاري حدثنا أبو الوليد عن سعيد بن عبد العزيز قال: كان من دعاء داود: «سبحان مُستخرجِ الشكرِ بالعطاءِ، ومستخرجِ الدعاءِ بالبلاءِ»[2].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثني الأعمش عن المنهال عن عبد الله بن الحارث قال: «أوحى الله إلى داود: أَحِبَّنِي وأحبّ عبادَتي وَحبِّبْني إلى عبادي، قال: يا ربّ هذا حبُّك وحبُّ عبادِك فكيف أُحَبِبُك إلى عبادِك، قال: تذكُرني عندهم فإنهم لا يذكرون مني إلا الحَسَن»[3]. فَجَلَّ جلالُ ربِّنا وتبارك اسمُه وتعالى جدُّه وتقدَّست أسماؤه وجلّ ثناؤه ولا إله غيره.

وقال أحمد: حدثنا عبد الرزاق عن عمران قال: سمعت وَهْبَاً يقول: «وجدتُ في كتاب آل داود: بعزَّتي إن من اعتصَمَ بي فإن كادته السماوات بمن فيهن والأرضون بمن فيهن، فإني أجعلُ له من بين ذلك مَخرَجا، ومن لم يعتصم

= غصن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة. قلت: والقاسم بن غصن ضعيف.
وبالجملة: فالحديث ضعيف، وطرقه لا تصلح أن يقوي بعضها بعضاً لشدة ضعفها.
والحديث صححه المصنف رحمه الله في «شفاء العليل» فلم يصب.

(١) **ضعيف جداً** ـ أخرجه أحمد في «الزهد»(٩١)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٥٦). وأخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٥) وعنه البيهقي في «الشعب» (٤١٠١) كلهم من طريق صالح المري عن أبي عمران به. قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن صالحاً المري متروك.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص٩٨). قلت: إسناده ضعيف؛ فيه الوليد بن بن مسلم، وهو مدلس، وقد عنعنه.

(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٩١) بإسناد مغاير: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان بن عيينة عن عطاء بن السائب قال: سمعت أبا عبد الله الجدلي قال: وذكر الأثر.

بي فإني أقطع يديه من أسبابِ السماء وأخسفُ به من تحت قدميه الأرضَ فأجعله في الهواءِ، ثم أَكِلُهُ إلى نفسِه، كفى بي لعبدي مالاً إذا كان عبدي في طاعتي أعطيتُه قبل أن يسألني، وأجبتُه قبل أن يَدْعُوَني، وإنّي أعلم بحاجتِه التي ترفق به من نَفْسِه»[1].

وقال أحمد: حدثنا سيار حدثنا حفص حدثنا ثابت قال: «كان داود عليه السلام قد جَزَّأ ساعاتِ الليل والنّهار على أهلِه، فلم يكن ساعةٌ من ليلٍ أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائمٌ يصلي فيها، قال: فَعَمَّهم تبارك وتعالى في هذه الآية: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]»[2].

قال أحمد: حدثنا [عبدالرحمن حدثنا][3] جابر بن يزيد عن المغيرة بن عيينة[4]: «قال داود: يا رب هل بات أحدٌ من خلقك الليلة أطول ذكراً مني؟ فأوحى الله إليه: نعم، الضفدع. وأنزل الله عليه: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. قال: يا ربّ كيف أطيقُ شكرَك وأنت الذي تُنْعِمُ عليَّ ثم ترزُقني على النّعمةِ الشّكرَ، ثم تزيدني نعمةً بعد نعمة، فالنِّعَمُ منك والشكر مِنك، فكيف أطيقُ شكَرك؟ قال: الآن عرفتني يا داود»[5].

قال أحمد: وحدثنا عبدالرحمن حدثنا الربيع بن صبيح عن الحسن قال: قال نبي الله داود: «إلهي لو أن لِكلِّ شعرةٍ مني لسانين يسبّحانِك الليلَ والنّهارَ والدهرَ ما وَفَيّت حقَّ نعمةٍ واحدةٍ»[6].

---

(١) أخرجه أبو نعيم (٤/ ٢٥ ـ ٢٦) بإسناد آخر. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣١٨) ومن طريقه أبو نعيم (٤/ ٣٨).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (١/ ١٤١ ـ المحققة)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٢٧).

(٣) زيادة من «مصادر التخريج».

(٤) هكذا في «الأصول»، و«الزهد»، والصواب «عتيبة»؛ كما في «الشعب» و«كتب التراجم».

(٥) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٨٨)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٠٠).
قلت: إسناده لا بأس به، وعبد الرحمن هو ابن مهدي، وشيخه هو جابر بن يزيد بن رفاعة البجلي لا بأس به. وقد وهم فيهما محقق «الشعب».

(٦) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٨٨). قلت: فيه ضعف؛ لأن الربيع بن صبيح سيِّىء=

وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي عِمران الجوني عن أبي الخلد قال: قال موسى: «يا رب كيف لي أن أشكُرَك وأصغرُ نعمةٍ وضعتَها عندي من نعمِك لا يجازي بها عملي كله؟» قال: «فأتاه الوحي: يا موسى، الآن شكرتني»[1].

قال بكر بن عبدالله: «ما قال عبدٌ قطّ الحمدُ لله إلا وَجَبَت عليه نعمة بقولِه الحمدُ لله، فجزاء تلك النعمةِ أن يقولَ الحمدُ لله، فجاءت نعمةٌ أخرى؛ فلا تَنفَد نِعَمُ الله»[2].

وقال الحسن: سمع نبيُّ الله رجلاً يقول: الحمدُ لله بالإسلام، فقال: «إنّك لتحمد الله على نعمةٍ عظيمةٍ»[3].

وقال خالد بن معدان: سمعت عبد الملك بن مروان يقول: «ما قال عبدٌ كلمةً أحبّ إلى الله وأبلغ في الشكر عنده من أن يقول: الحمدُ لله الذي أنعمَ علينا وهدانا للإسلام»[4].

= الحفظ. وله إسناد آخر أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٥)، وعنه البيهقي في «الشعب» (٤٢٥٩) من طريق عبيد الله بن عمر الجشمي ثنا معاوية بن عبد الكريم ثنا الحسن به. قلت: إسناده صحيح.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٦)، وعنه البيهقي (٨/ ٣٦٠ ـ هندية). وأخرجه أحمد في «الزهد» (ص٨٥)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٥٦). من طريق صالح المري عن أبي عمران به. قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن صالحاً المري متروك.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٧) ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٩٥). قلت: إسناده فيه ضعف؛ لأن عبد العزيز بن بحر المروزي فيه مقال.
وله إسناد آخر عند ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩٩).

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩)، وعنه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٧٩) عن المعتمر بن سليمان عن أبي الأشهب عن الحسن مرسلاً. قلت: إسناده ضعيف؛ لإرساله. وقال البيهقي: «ورويناه مرسلاً عن منصور بن صفية». قال محقق «الشكر»: ولم يسنده. قلت: بل أسنده (٤١٨٠) أخبرنا أبو طاهر الفقيه أخبرنا أبو بكر القطان حدثنا أحمد بن يوسف حدثنا محمد بن يوسف قال: ذكر سفيان عن منصور بن صفية، وذكر نحوه مرسلاً. وأخرجه في «الدعوات الكبير» (٢٤٧) وقال: «هذا منقطع، وقد روي من أوجه أخر موصولاً، وهذا مع انقطاعه أصح». قلت: رجاله ثقات؛ لكنه مرسل. وهذا الطريق لا يشهد للأول لاتفاقهما في علة الإرسال.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٠). قلت: إسناده حسن.

وقال سليمان التيمي: «إن اللهَ سبحانه أنعمَ على العبادِ على قَدره، وكلَّفَهم الشُكْرَ على قُدْرَتِهم»[١].

وكان الحسن إذا ابتدأ حديثه يقول: «الحمد لله، ربّنا لك الحمدُ بما خلقتنا ورزقتنا، وهديتَنا، وعَلَّمتَنا، وأنقذتَنا، وفَرَّجت عنا، لك الحمدُ بالإسلام والقرآن، ولك الحمدُ بالأهلِ والمالِ والمعافاةِ، كَبَتَّ عدوَّنا، وَبَسَطت رزقَنا، وأظْهرتَ أمننا، وَجَمَعَت فُرقَتنا، وأَحسَنتَ معافاتنا، ومِن كلِّ ما سألناك ربنا أعطيتنا، فلك الحمدُ على ذلك حمداً كثيراً، لك الحمدُ بكلِّ نعمةٍ أنعمت بها علينا في قديمٍ أو حديثٍ أو سِرٍّ أو علانيةٍ أو خاصةٍ أو عامّة أو حيٍّ أو ميتٍ أو شاهدٍ أو غائبٍ، لك الحمدُ حتى ترضى، ولك الحمدُ إذا رضيت»[٢].

وقال الحسن: قال موسى: «يا ربِّ كيف يستطيع آدمُ أن يؤدي شُكْرَ ما صنعت إليه؟ خلقتَه بيدِك، ونفخت فيه من روحِك، وأسكنته جَنّتَك، وأمرت الملائكةَ فسجدوا له، فقال: يا موسى عَلِم أن ذلك مني؛ فَحَمَدني عليه، فكان ذلك شُكْرُ ما صنعت إليه»[٣].

وقال سعد بن مسعود الثقفي: «إنما سُمّي نوح عبداً شكوراً، لأنه لم يَلْبَس جديداً ولم يأكل طعاماً إلا حَمِد الله»[٤].

وكان علي بن أبي طالب إذا خَرَج من الخلاءِ مَسَح بطنَه بيده وقال: «يالها

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٨)، وعنه البيهقي (٤٥٧٨).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١١)، وعنه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤٦٠).
قلت: إسناده حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٢)، وعنه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤٢٧).
قلت: إسناده واهٍ بمرة؛ فيه عمر بن إسماعيل الهمداني متروك.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٤)، وعنه ابن عساكر (١٧/ ٣٣٥/ ١). وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٥/ ١٩)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٣٧٢)، والطبراني في «الكبير» (٥٤٢٠) كلهم من طريق أبي حصين عن عبد الله بن سنان عن سعد به. قلت: رجاله ثقات، وفيه عنعنه أبي الحصين؛ فإنه مدلس. فإن سمعه من عبد الله بن سفيان؛ فالإسناد صحيح لكن سقط عند ابن أبي الدنيا «عبد الله بن سفيان».

من نعمةٍ لو يعلمُ العبادُ شُكْرَها»[١].

وقال مخلد بن الحسين : «كان يقال: الشكرُ تركُ المعاصي»[٢].

وقال أبو حازم: «كلُّ نعمةٍ لا تُقَرِّبُ من الله فهيَ بلِيَةٌ»[٣].

وقال أبو سليمان: «ذِكْرُ النِّعَمِ يورثُ الحبَّ لله»[٤].

وقال حماد بن زيد: حدثنا ليث عن أبي بُردة قال: قدمت المدينة فلقيت عبدَ الله بن سلام فقال لي: ألا تدخل بيتاً دخله النَّبيُّ ﷺ ونُطعمُك سُوَيْقاً وتمراً؟ ثم قال: «إن الله إذا جمعَ الناسَ غداً ذكَّرهم بما أنعم عليهم، فيقول العبدُ: ما آية ذلك؟ فيقول: آيةُ ذلك أنّك كنت في كُربَةٍ كذا وكذا قد دعوتني فكشفتها، وآية ذُلك أنّك كنت في سفرٍ كذا وكذا فاستصحبتني فصحبتك. قال: يُذَكِّرُه حتى يَذْكُر فيقول: آيةُ ذلك أنك خطبت فلانة بنت فلان وخَطَبها معك خُطّاب فزوّجتُك وَرَدَدْتُهم»[٥].

«يقف عبدُه بين يديه فيعدد عليه نِعَمَه. فبكى ثم بكى ثم قال: إنّي لأرجو الله أن لا يُقعِدَ اللهُ عبداً بين يديه؛ فيعذبه»[٦].

وروى ليث بن أبي سليم عن عثمان عن ابن سيرين عن أنس بن مالك

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا (١٣)، والبيهقي (٤٤٦٨). قلت: إسناده مسلسل بالمتروكين والمتهمين؛ فيه حبان بن علي العنزي متروك، والأصبع بن نباتة وسعد بن طريف متهمان بالرفض والكذب.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤١)، وعنه البيهقي (٤٥٤٧) عن محمد بن لوط الأنصاري. قلت: إسناده حسن.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٣٠)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٣٧) بإسناد ضعيف لجهالة الراوي عن أبي حازم.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢١). قلت: إسناده ضعيف؛ فيه عبد العزيز بن عمير الدمشقي مجهول.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٢). قلت: إسناده ضعيف؛ فيه ليث بن أبي سليم، وهو مختلط.

(٦) صنيع المؤلف يوهم أنه تكملة الأثر السابق وهو قد ورد بإسناد آخر عند ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٣)؛ لكنه ضعيف؛ فيه محمد بن عباد مقبول.

قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالنِّعَمِ يوم القيامة والحسنات والسيئات؛ فيقول الله عز وجل لِنِعْمةٍ من نِعَمِه: خُذي حقَّك من حسناتِه فما تترك من حسنةٍ إلا ذهبت بها»[(١)].

وقال بكر بن عبدالله المزني: «ينزلُ بالعبد الأمرُ فيدعو الله فيصرف عنه، فيأتيه الشيطانُ فيضعف شكره، يقول: إن الأمرَ كان أيسر مما تذهب إليه. قال: أو لا يقول العبدُ كان الأمر أشد مما أذهب إليه، ولكن الله صرفه عني»[(٢)].

وذكر بن أبي الدنيا عن صدقة بن يسار قال: بينا داود عليه السلام في محرابه إذ مرت به ذَرّةٌ فنظر إليها وَفكَّر في خَلْقِها وَعَجِب منها وقال: ما يعبأ الله بهذه؟ فأنطقها الله فقالت: ياداود، أتُعجبُك نفسُك؟ فوالذي نفسي بيده لأنا على ما آتاني الله من فَضلِه أَشْكَرُ منك على ما آتاك الله من فضله»[(٣)].

وقال أيوب: «إن من أعظمِ نعمِ الله على عبدِه أن يكون مأموناً على ما جاء به النبّي ﷺ»[(٤)].

وقال سفيان الثوري: «كان يُقال: ليس بفقيه من لم يَعُدَّ البلاء نعمَةً والرخاء مصيبَةً»[(٥)].

وقال زاذان[(٦)]: «مما يجب لله على ذي النّعمةِ بحق نعمتِه أن لا يُتَوَصَّل بها إلى معصيةٍ»[(٧)].

---

(١) **ضعيف جداً** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٤). قلت: إسناده ضعيف جداً؛ فيه صالح بن موسى الطلحي وهو متروك، وليث بن أبي سليم مختلط.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٦). قلت: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٣٥)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٦٠). قلت: إسناده فيه عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روّاد صدوق يخطىء.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الشكر» (٧٩). قلت: إسناده صحيح.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٨١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٥٥ و٨/ ٢٤٢) وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/ ٩٤)، وابن بطة في «إبطال الحيل» (ص٢٧)، من طريقين عن عبد الله بن المبارك عنه. قلت: إسناده صحيح.

(٦) هكذا في «الأصول»، وفي «مصادر التخريج»: «زياد».

(٧) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٨٢).

قال ابن أبي الدنيا: أنشدني محمود الوراق»[1].

إذا كـان شُكْـري نِعـمَـة الـلـه نِـعْـمَـة	عَلَيّ ما له في مِثلِها يَجِبُ الشُّكْرُ
فـكـيـفَ وُقـوعُ الـشُّـكْـرِ إلاّ بِـفَـضْـلِـه	وإن طـالَـت الأيـامُ واتَّـصَـلَ الـعُـمُـرُ
إذا مَـسَّ بـالـسَّـرّاءِ عَـمَّ سُـرُورُهـا	وإن مَـسَّ بـالـضَّـرّاءِ أعـقَـبَـهـا الأَجْـرُ
ومـا مِـنـهُـمـا إلا لـه فـيـه مِـنَّـةٌ	تـضـيـقُ بـهـا الأوهـامُ والـبَـرُّ والـبَـحْـرُ

وقد روى الدَّراورديُّ عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ـ يعني قال الله عز وجل ـ : «إن المؤمن عندي بمنزلة كل خير، يحمدني وأنا أنزعُ نفسَه من بين جنبيه»[2].

ومر محمد بن المنكدر بشابٍّ يغامزُ[3] امرأةً؛ فقال: «يا فتى ما هذا جزاءُ نِعَمِ الله عَليك»[4].

وقال حماد بن سلمة عن ثابت قال: قال أبو العالية: «إنّي لأرجو أن لا يَهلكَ عبدٌ بين اثنتين: نعمةٍ يحمدُ الله عليها، وذنبٍ يَستغفرُ منه»[5].

وكتب ابنُ السَّماك إلى محمد بن الحسن ـ حين وُلِّيَ القضاءَ بالرقَّةِ ـ : «أما بعد، فلتكن التّقوى من بالك على كلِّ حال، وَخف الله من كلِّ نعمَةٍ أنعمَ بها عليك من قِلَّةِ الشُّكْرِ عليها مع المعصيةِ بها، فإن في النّعم حُجَّةً وفيها تَبِعَةً، فأما

(١) في «الشكر» (٨٣).

(٢) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٢/ ٣٤١ ـ ٣٦١)، والبزار (٧٨١ ـ كشف الأستار)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٨٤)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٢٨) وغيرهم من طريق عمرو بن أبي عمرو به. قلت: إسناده حسن.
وله شاهد من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أخرجه أحمد (١/ ٢٦٨ و٢٧٣ ـ ٢٧٤ ـ ٢٩٧) والنسائي (٤/ ١٢). قلت: إسناده صحيح، وأحد الرواة عن عطاء بن السائب هو سفيان بن عيينة، وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط.
وبالجملة: فالحديث صحيح بمجموع ذلك.

(٣) في «الشكر»: يقاوم.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٨٦).

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٨٨، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣١٩) من طريق حماد بن سلمة عنه به. قلت: إسناده صحيح.

الحُجَّةُ بها فالمعصيةُ بها، وأمّا التَّبِعَةُ فيها فَقِلَّةُ الشكرِ عليها، فعفى الله عنك كلما ضيعت من شكرٍ أو ركبت من ذنبٍ أو قصَّرت من حقٍّ»[1].

ومرّ الربيع بن أبي راشد برجل به زَمانَةٌ[2]؛ فجلس يحمدُ الله ويبكي، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: «ذكرتُ أهلَ الجنّة وأهلَ النّار فشبَّهت أهل الجنّةِ بأهلِ العافية وأهل النار بأهل البلاءِ، فذلك الذي أبكاني»[3].

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إذا أحبَّ أحدُكم أن يرى قَدْرَ نعمةِ الله عليه فلينظر إلى مَن هو تحته ولا ينظرُ إلى من هو فوقه»[4]. قال عبد الله بن المبارك: أخبرني يحيى بن عبيد الله قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا هريرة، فذكره.

وقال ابن المبارك: حدثنا يزيد بن إبراهيم عن الحسن قال: قال أبو الدرداء: «من لم يعرف نِعَمَ اللهِ إلا في مطعمِه ومشربِه، فقد قلَّ عمله، وحضَر عذابُه»[5].

قال ابن المبارك: أخبرنا مالك بن أنس عن إسحاق بن عبدالله بن أبي

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٨٩).

(٢) عاهة.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٧٨). قلت: إسناده فيه ضعف؛ لأن النضر بن إسماعيل ليس بالقوي.

(٤) **ضعيف جداً** ـ أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٤٣٣) وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩١). قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن يحيى بن عبيد الله بن وهب متروك.
ومعنى الحديث صحيح؛ فقد أخرج البخاري (٦٤٩٠)، ومسلم (٢٩٦٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فُضِّلَ عليه».

(٥) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٥٥١)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤٦٧) من طريق يزيد بن إبراهيم عن الحسن به. وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢١٠) من طريق يونس بن عبيد عن الحسن. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن الحسن لم يسمع من أبي الدرداء. وله طريق آخر عند أبي نعيم في «الحلية» (٥/ ١٣٣) لا بأس به.

طلحة عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه سَلَّم عَلَى رجل فرد عليه السلام، فقال عمر للرجل: كيف أنت؟ قال الرجل: أحمد إليك الله. قال: «هذا أردت منك»[١].

قال ابن المبارك: وأخبرنا مسعود عن علقمة بن مرثد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لعلنا نلتقي في اليوم مراراً يسأل بعضنا عن بعض، ولم يرد بذلك إلا ليُحمَدَ اللَّهُ عز وجل»[٢].

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] قال: «لا إله إلا الله»[٣].

وقال ابن عينية: «ما أنعم اللهُ على العباد نعمةً أفضل من أن عَرَّفهم لا إله إلا الله. قال: وأن لا إله إلا الله في الآخرة كالماء في الدّنيا»[٤].

وقال بعض السلف في خطبته يوم عيد: «أصبحتم زهراً وأصبح الناس غُبْراً، أصبح الناسُ ينسجون وأنتم تلبسون، وأصبح الناسُ يعطون وأنتم تأخذون، وأصبح الناسُ ينتجون وأنتم تركبون، وأصبح الناسُ يزرعون وأنتم

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٦١) ومن طريقه ابن المبارك في «الزهد» (٢٠٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (١١٣٢)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩٣)، والبيهقي في «الشعب» (٤٤٥٠). قلت: إسناده صحيح.
وروي مرفوعاً من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٣٧٧) بإسناد فيه رشدين بن سعد وهو ضعيف، وقد ضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٤٦)، ثم حسّنه (١٠/ ١٤٠) وهو المعتمد؛ لأن له شاهداً عند البيهقي في «شعب لاالإيمان» (٤٤٤٩) وغيره.

(٢) أخرجه ابن المبارك (٢٠٧)، وعنه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٤٥١). قلت: إسناده منقطع؛ لأن علقمة بن مرثد لم يلق عبد الله بن عمر كما يظهر من ترجمته.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩٥)، وابن جرير في «التفسير» (٢١/ ٧٨)، والبيهقي في «الشعب» (٤٥٠٢)، و«الأسماء والصفات» (ص١٠٩) من طريقين عنه. قلت: هو صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩٦)، وعنه البيهقي (٤٥٠٠)، وأبو نعيم (٧/ ٢٧٢)، من طريق إسحاق بن إبراهيم به. قلت: إسناده صحيح.

تأكلون، فبكى وأبكاهم»[1].

وقال عبدُ الله بن قُرط الأزدي ـ وكان من الصحابة ـ على المنبر وكان يومَ أضحى ورأى على الناس ألوانَ الثّيابِ: «يا لها من نعمةٍ ما أشبعها، ومن كرامةٍ ما أظهرها، ما زال على قوم شيئا أشد من نعمةٍ لا يستطيعون رَدّها، وإنما تثبت النعمةُ بشكر المُنْعَمِ عليه للمُنْعِم»[2].

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: «إن رجلاً بُسِطَ له من الدنيا فانتزع ما في يديه فجعل يحمدُ الله ويثني عليه، حتى لم يكن له فِراشٌ إلا بارية[3]، قال: فجعل يحمد الله ويثني عليه. وبُسط لآخر من الدنيا فقال لصاحب البارية: أرأيتك أنت على ما تحمد الله؟ قال: أحمده على ما لو أعطيت به ما أعطي الخلق لم أعطهم إياه. قال: وما ذاك؟ قال: أرأيتك بصرك، أرأيتك لسانك، أرأيتك يديك، أرأيتك رجليك»[4].

وجاء رجلٌ إلى يونس بن عبيد يشكو ضيقَ حالِهِ، فقال له يونس: «أَيَسُرُّك بِبَصرك هذه مائة ألف درهم؟ قال الرجل: لا. قال: فبيديك مائة ألف؟ قال: لا. قال: فبرجليك مائة ألف؟ قال: لا. قال: فَذَكَّره نعمَ الله عليه، فقال يونس: أرى عندك مئين الألوف وأنت تشكو الحاجة»[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩٧). قلت: إسناده ضعيف؛ فيه إسحاق بن داود، وله مناكير كذا في «اللسان».

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩٨)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٩٥) من طريق هشام بن عمار ثنا صدقة بن خالد ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثني سليم ابن عامر قال سمعت عبد الله بن قُرط الأزدي وذكره. قلت: إسناده حسن.

(٣) الحصر.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٠٠)، وعنه البيهقي في «الشعب» (٤٤٦٢) بإسناد حسن، رجاله ثقات غير سعيد بن أشعب وهو صدوق، قاله الإمام أحمد كما في «تعجيل المنفعة» (ص١٥١)، ووثقه ابن حبان وروى عنه جماعة في الثقات.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٠١)، وعنه البيهقي في «الشعب» (٤٤٦٣). وأخرجه أبو نعيم (٣/ ٢٢) من طريق آخر عن بعض البصريين عنه به. قلت: مداره على الرجل البصري المجهول؛ فالإسناد ضعيف.

وكان أبو الدرداء يقول: «الصحة الملك»[1].

وقال جعفر بن محمد رضي الله عنه: «فقد أبي بَغْلَةً له فقال: إن ردها الله عليَّ لأحمدنه بمحامد يرضاه، فما لبث أن أُتِي [بها][2] بسرْجها ولجامِها، فركبها فلما استوى عليها وَضَمَّ إليه ثيابَه رَفَعَ رأسَه إلى السماء فقال: الحمد لله! لم يزد عليها، فقيل له في ذلك فقال: هل تركتُ وأبقيتُ شيئاً، جعلتُ الحمدَ كله لله»[3].

وروى ابن أبي الدنيا من حديث سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة عن أبيه عن جده قال: بعث رسول الله ﷺ بَعْثاً من الأنصارِ وقال: «إن سلَّمَهم الله وغنمهم فإن لله عَلَيّ في ذلك شُكْراً. قال: فلم يلبثوا أن غَنِموا وسَلِموا، فقال بعضُ أصحابه: سمعناك تقولُ إنْ سَلَّمَهم اللهُ وغَنَّمَهُمْ فإنّ للهِ عَلَيَّ في ذلك شُكْراً، قال: «قد فَعَلْت، اللهم لك الحَمْدُ شُكْراً ولك المَنُّ فَضْلاً»[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٠٢).

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٠٦)، ومن طريق البيهقي (٤٠٨٢) ـ هندية)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٨٦) وإسناده صحيح.

(٤) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٠٥)، وعنه البيهقي في «الشعب» (٤٠٨١) من طريق سليمان بن سالم مولى آل جحش عند سعد بن إسحاق به.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ١٣٠/ ٣١٦) من طريق سليمان بن سالم مولى آل جحش به. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٨٥): «فيه سليمان بن سالم المدني وهو ضعيف». قلت: هذا وهم من الهيثمي قلده فيه محققا «الشكر» و«المعجم الكبير»؛ فإن سليمان بن سالم هو مولى عبد الرحمن بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف، وقيل مولى آل جحش كما جاء منسوباً في الإسناد، ويكنى أبا الربيع ذكره البخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ١٨)، وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ١١٩)، ونقل عن أبيه قوله فيه: شيخ، وابن حبان في «الثقات» (٨/ ٢٧٣) وكلهم فرقوا بينه وبين سليمان ابن سالم أبي داود المدني، ولكن الذهبي ذهل فجعلهما واحداً في «الميزان»، وتعقبه الحافظ في «اللسان» (٣/ ٩٢ ـ ٩٣).
وفيه أيضاً إسحاق بن كعب بن عجرة مجهول الحال.
وله شاهد من حديث علي: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤٠٨٠). وقال الحاكم: «تفرد به عيسى بن عبد العلوي». قلت: قال الدارقطني: «متروك»، وقال ابن حبان: «يروي=

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: قال محمد بن المنكدر لأبي حازم: «يا أبا حازم، ما أكثر من يلقاني فيدعو لي بالخير، ما أعرفُهم وما صنعت إليهم خيراً قط» فقال أبو حازم: «لا تظن أن ذلك من قِبَلِك، ولكن انظر إلى الذي ذلك من قِبَلِهِ فاشكره».

وقرأ أبو عبدالرحمن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [مريم: ٩٦]»[(١)].

وقال علي بن الجعد: حدثنا عبدالعزيز بن أبي سلمة المَاجِشُون قال: حدثني من أُصَدِّقه أن أبا بكر الصّديق رضي الله عنه كان يقول في دعائه: «أسألُك تمامَ النِّعمَة في الأشياءِ كلِّها، والشكرَ لك عليها حتى ترضى وبعد الرضى، والخِيرةَ في جميعِ ما تكون فيه الخيرةُ بجميع ميسر الأمورِ كلِّها لا معسورها يا كريم»[(٢)].

وقال الحسن: «ما أنعم الله على عبدِه نعمةً فقال الحمدُ لله إلا كان ما أعطى أكثر مما أخذ»[(٣)]. قال ابن أبي الدنيا: بلغني عن سفيان بن عيينة أنه قال:

= عن آبائه أشياء موضوعة»؛ كما في «اللسان» (٤/ ٣٩٩). وهذا منها، فقد رواه عن أبيه عن جده عن علي.

وبالجملة: فالحديث ضعيف.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٠٨)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٣٣). قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم متروك.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١١٠). قلت: إسناده ضعيف؛ لجهالة الراوي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١١١)، وعنه البيهقي في «الشعب» (٤٠٩٤). قلت: إسناده ضعيف؛ فإن يوسف بن ميمون الصباغ ضعيف.

وروي مرسلاً عن الحسن: أخرجه هناد في «الزهد» (٧٧٦) من طريق يوسف بن ميمون عن الحسن مرسلاً. قلت: إسناده ضعيف؛ لضعف يوسف بن ميمون الصباغ، ولإرساله.

وله شاهد من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة فقال الحمد لله إلا كان الذي أعطاه أفضل مما أخذ»: أخرجه ابن ماجه (٣٨٠٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٥٨)، والبيهقي في «الشعب»=

هذا خَطَأ، لا يكونُ فعلُ العبدِ أفضلَ من فعلِ الله[1]. ثم قال: وقال بعضُ أهلِ العلم: إنّما تفسيرُ هذا أن الرجُلَ إذا أنْعَم اللهُ عليه نعمةً وهو ممن يجب عليه أن يحمدَه، عرفه ما صنع به، فيشكر الله كما ينبغي له أن يشكرَه، [فوهب الله عز وجل له شكر العبادة التي في النعمة][2] فكان الحمدُ له أفضل.

قلت: لا يَلزمُ الحَسَن ما ذُكِر عن ابن عيينة؛ فإن قولَه الحمدُ لله نِعَمةٌ من نعم الله، والنِّعمَةُ التي حمد الله عليها أيضاً نِعمَةٌ من نِعَم الله، وبعضُ النِّعمِ أجَلُّ من بعض، فنعمةُ الشكر أجلُّ من نعمةِ المال والجاه والولد والزوجةِ ونحوها والله أعلم. وهذا لا يستلزم أن يكون فعلُ العبدِ أفضلَ من فعل الله، وإن دلَّ على أن فعلَ العبد للشكرِ قد يكونُ أفضل من بعض مفعول الله وفعلِ العبد هو مفعولُ الله، ولا ريبَ أن بعضَ مفعولاته أفضل من بعض[3].

وقال بعضُ أهل العلم: «لَنِعَمُ اللهِ علينا فيما زَوَى عنَّا من الدنيا أفضلُ من نعمه علينا فيما بسط لنا منها، وذلك أن الله لم يرضَ لنبيِّه الدنيا، فإن أكون فيما رضي الله لنبيه وأَحبَّ له أَحبُّ إلي من أن أكون فيما كَرِه له وسخِطَه»[4].

وقال ابن أبي الدنيا: بلغني عن بعضِ العلماء أنه قال: «ينبغي للعالم أن

= (٤٠٩١)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (١) من طريق أبي عاصم حدثنا شبيب بن بشر عن أنس وذكره مرفوعاً. قلت: إسناده حسن، رجاله ثقات غير شبيب بن بشر صدوق يخطىء، وحسنه البوصيري.

وله شاهد من حديث أبي أمامة: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٧٧٩٤). قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن فيه سويد بن عبد العزيز متروك.

قلت: فالمرفوع صحيح بحديث أنس ومرسل الحسن، وأما حديث أبي أمامة فلا يفرح به لشدة ضعفه، والله أعلم.

(١) قال البيهقي (٨/ ٣٥٥ ـ هندية) متعقباً له: «هذه غفلة من عالم، وذاك لأن العبد لا يصل إلى حمد الله وشكره إلاّ بتوفيقه، وإنما فضله لما فيه من حسن الثناء على الله عز وجل ومدحه إياه ليس ذلك في النعمة الأولى».

(٢) زيادة من «الشكر».

(٣) قلت: إذا صح الأثر بطل النظر، ولا ريب أن ما روي عن الحسن قد صح مرفوعاً من وجوه أُخر، فلا حاجة للتأويل والتعليل، والله أعلم.

(٤) انظر «الشكر» لابن أبي الدنيا (١١٢).

يحمدَ الله على ما زوى عنه من شهواتِ الدنيا كما يحمدُه على ما أعطاه، وأين يقع ما أعطاه اللهُ، والحسابُ يأتي عليه إلى ما عافاه الله ولم يبتله به فيشغل قلبه ويتعب جوارحه، فيشكر ربه على سكون قلبه وجمع هَمِّهِ»[1].

وَحُدِّثَ عن ابن أبي الحواري قال: جلس فضيل بن عياض وسفيان ابن عيينة ليلةً إلى الصباح يتذاكران النِّعَم، فجعل سفيان يقول: «أنعمَ اللَّه علينا في كذا وكذا، وأنعم علينا في كذا وفعل بنا كذا»[2].

و[حدثني محمد بن يحيى بن أبي حاتم][3] حدثنا عبدالله بن داود عن سفيان في قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢] قال: «يُسْبِغ عليهم النِّعم ويَمْنَعهم الشُكْرَ»[4]. وقال غير سفيان: كلما أحدثوا ذنباً أحدث لهم نِعمَةً [5]. وسئل ثابت البناني عن الاستدراج؛ فقال: «ذلك مكرُ الله بالعبادِ المُضَيِّعين»[6].

وقال يونس في تفسيرها: «إن العبدَ إذا كانت له عند الله منزلة فحفظها وبقي عليها ثم شكر اللهَ بما أعطاه، أعطاه أشرفَ منها، وإذا هو ضَيَّع الشكرَ استدرجه اللهُ، وكان تضييعه الشكرَ استدراجاً»[7].

وقال أبو حازم: «نعمةُ الله فيما زوى عنّي من الدنيا أعظم من نعمته فيما أعطاني منها، إني رأيته أعطاها أقواماً فهلكوا»[8]. وكلُّ نعمة لا تُقَرِّبُ من الله

---

(١) المصدر السابق (١١٣).

(٢) المصدر نفسه (١١٤).

(٣) زيادة من «الشكر».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١١٥، ١١٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٨٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/٧). قلت: إسناده صحيح.

(٥) تكملة للحديث السابق؛ فقد رواه البيهقي متصلاً به، وفيه زيادة: قال ابن داود: تُنْسى.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا (١١٧)، وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٨٩) حدثني علي بن الحسن عن شيخ له أن ثابتاً البناني سئل. قلت: إسناده ضعيف؛ لجهالة الراوي عن ثابت البناني.

(٧) انظر «الشكر» (١١٨)، وهو تكملة للأثر السابق؛ كما في «الأسماء والصفات».

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٢٠)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٣/٢٣٣) حدثني=

بليةٌ، وإذا رأيت الله يتابعُ عليك نِعَمَه وأنت تَعصيه؛ فاحذَرْه[١].

وذكر كاتبُ الليث عن هقل عن الأوزاعي أنه وعظهم فقال في موعظته: «أيها الناس تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة التي تَطَّلِعُ على الأفئدة، فإنكم في دار الثواب فيها قليلٌ وأنتم فيها مرجون خلائف من بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفعها وزهرتها، فهم كانوا أطولَ منكم أعماراً، وأمدَّ أجساماً، وأعظمَ آثاراً، فقطعوا الجبالَ وجابوا[٢] الصخورَ، وَنقَبوا في البلادِ مؤيدين بِبطشٍ شديدٍ وأجسام كالعماد، فما لبثت الأيامُ والليالي أن طوت مددَهم ، وَعَفَت آثارَهم، وأخوت منازلهم، وأنست ذكرَهم، فما تُحسُّ منهم من أحدٍ ولا تَسمع لهم ركزاً، كانوا يلهون آمنين لبياتِ قوم غافلين أو لصباح قوم نادمين، ثم إنكم قد علمتم الذي نَزَل بساحتهم بياتاً من عقوبةِ الله فأصبح كثيرٌ منهم في دارهم جاثمين، وأصبح الباقون ينظرون في آثارهم نقمةً وزوالَ نعمةٍ ومساكن خاوية، فيها آيةٌ للذين يخافون العذابَ الأليم وعبرة لمن يخشى، وأصبحتم من بعدهم في أجلٍ منقوص، ودنيا مقبوضةٍ، وزمان قد وَلّى عفوه وذهب رخاؤه، فلم يبق منه إلا حمأةُ شرٍ، وصبابةُ كدرٍ وأهاويلُ عبرٍ، وعقوبات غير، وإرسال فتن، وتتابع زلازل، ورذلة خلف، بهم ظهرَ الفسادُ في البرِّ والبحر، ولا تكونوا أشباهاً لمن خدعَه الأملُ، وغرَّه طولُ الأجل، وَتَبَلَّغ بطول الأماني، نسألُ الله أن يجعلنا وإياكم ممن وَعى إنذاره، وَعَقِل بُشراه، فَمَهَّدَ لنفسه»[٣].

وكان يقال: «الشكر ترك المعصية»[٤].

= أبو بكر بن أبي النضر ثنا سعيد بن عامر عن بعض أصحابه وذكره. قلت: إسناده ضعيف؛ لجهالة الراوي عن أبي حازم.

(١) من كلام أبي حازم؛ كما في «الشكر» لابن أبي الدنيا (٣١)، و«فضيلة الشكر» للخرائطي (٧٣). قلت: إسناده صحيح.

(٢) نحتوا.

(٣) انظر «الشكر» (٣٠). قلت: إسناده ضعيف؛ لأن فيه كاتب الليث وهو سيِّىء الحفظ.

(٤) سبق تخريجه (ص ٢٠٩).

وقال ابن المبارك: قال سفيان: «ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمَةً، والرخاء مصيبة»[١].

وكان مروان بن الحكم إذا ذُكِر الإسلام قال: «بنعمةِ ربّي وصلتُ إليه لا بما قدمت يدي ولا بإرادتي؛ إني كنت خاطئاً»[٢].

وَكَم مِن مَدْخَلٍ لو مُتَّ فيه ... لَكُنْتَ نكالاً في العَشِيرَةْ
وقيتَ السوءَ والمكروه فيه ... وَظَفرت بنعمةٍ منه كبيرة
وكم من نعمة لله تمسي ... وتصبح في العيان وفي السريرة[٣]

دُعِيَ عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى قوم على ريبةٍ، فانطلق ليأخذهم فتفرَّقوا قبل أن يبلغهم، فأعتق رقبةً شكراً لله أن لَا يكون جرى على يديه خزيُ مسلم[٤].

قال يزيد بن هارون: أخبرنا أصبغ بن يزيد أن نوحاً عليه السلام كان إذا خرج من الخلاء قال: «الحمدُ لله الذي أذاقني لَذَّته، وأبقى منفعته في جسدي، وأذهب عني أذاه»؛ فَسُمّي عبداً شكوراً[٥].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني العباس بن جعفر [ثنا شاذ بن فياض][٦] عن الحارث بن شبل قال: حدثتنا أم النعمان أن عائشة حدثتها عن النبي ﷺ: «أنه لم يقم عن خلاءٍ قَط إلا قاله»[٧].

---

(١) سبق تخريجه (ص ٢١٠).
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٢١). قلت: إسناده ضعيف.
(٣) هو من شعر أحمد بن موسى الثقفي؛ كما في «الشكر» (١٢٣).
(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٢٤). قلت: إسناده فيه بكر بن أبي مريم ضعيف. وأخرجه عبد الله في «زوائد الزهد» (ص١٦١)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٦٠) من طريق آخر بمعناه. قلت: فيه انقطاع وهو بهما حسن.
(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٢٨)، وعنه البيهقي في «الشعب» (٤١٥٥). قلت: إسناده صحيح.
(٦) زيادة من «مصادر التخريج».
(٧) هكذا في «م»، وفي «ظ»: قال: الحمد لله. وما في «م» هو الصواب الموافق لما في مصادر التخريج، والمراد: قال دعاء نوح عليه السلام الآنف. قلت: أخرجه ابن أبي=

وقال رجل لأبي حازم: ما شكرُ العينين يا أبا حازم؟ قال: إن رأيت بهما خيراً أعلنته، وإن رأيت بهما شراً سترته. قال: فما شكر الأذنين؟ قال: إن سمعت بهما خيراً وعيته، وإن سمعت بهما شراً دفعته. قال: فما شكر اليدين؟ قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولا تمنع حقاً لله هو فيهما. قال: فما شكر البطن؟ قال: أن يكون أسفلهُ طعاماً وأعلاه علماً. قال: فما شكر الفرج؟ قال: قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٧]. قال: فما شكر الرجلين؟ قال: إن علمت ميتاً تغبطه استعملت بهما عمله، وإن مقته رغبت عن عمله وأنت شاكر لله، وأما من شكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه، فما ينفعه ذلك من الحرِّ والبردِ والثلج والمطر[١].

وذكر عبدالله بن المبارك: أن النَّجاشي أرسل ذات يوم إلى جعفر وأصحابه، فدخلوا عليه وهو في بيت عليه خلقان جالس على التراب، قال جعفر: فأشفقنا منه حين رأيناه على تلك الحال، فلما رأى ما في وجوهنا قال: إني أبشركم بما يسركم، إنه جاءني من نحو أرضِكم عين لي فأخبرني أن الله قد نصرَ نبيَّهُ ﷺ وأهلك عدوَّه وأُسِرَ فلانٌ وفلانٌ وقُتِلَ فُلاَنٌ وفُلاَنٌ، التقوا بوادٍ يقال له بدر كثيرُ الأراكِ كأني أنظر إليه، كنت أرعى به لسيدي ـ رجل من بني ضمرة ـ؛ فقال له جعفر: ما بالك جالساً على التراب، ليس تحتك بساط وعليك هذه الأخلاق؟ قال: إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى ﷺ: إن حقّاً على عبادِ الله أن يُحْدِثوا لله تواضعاً عندما أحدث الله لهم من نعمة، فلما أحدث الله لي نصر

= الدنيا في «الشكر» (١٢٧) ـ وعنه البيهقي في «الشعب» (٤١٥٤) ـ والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ٢١٤)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٢١) عن شاذ بن فياض به. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن الحارث بن شبل ضعيف، كما في «اللسان» (٢/ ١٥٢).

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٢٩)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٤٣) وغيرهما. قلت: إسناده ضعيف؛ لجهالة الراوي عن أبي حازم.

نَبِيِّهِ أحدثت لِلَّه هذا التواضعَ[1].

وقال حبيب بن عبيد: «ما ابتلى الله عبداً إلاَّ كان له عليه فيه نعمةً إلاَّ يكون أشدَّ منه»[2].

وقال عبدالملك بن إسحاق[3]: «ما من الناس إلا مبتلى بعافية لينظر كيف شكره، أو بلية لينظر كيف صبره»[4].

وقال سفيان الثوري: «لقد أنعم الله على عبد في حاجة أكثر من تضرعه إليه فيها»[5].

و«كان رسولُ الله ﷺ إذا جاءه أَمْرٌ يَسرُّهُ خَرّ لله ساجداً شكراً له عز وجل»[6]. ذكره أحمد[7].

وقال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه: خرج علينا النَّبيُّ ﷺ، فتوجه

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٣٠)، ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ١٣٤).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا (١٣١) بإسناد حسن.

(٣) هكذا في «الأصول»، والصواب: «أبجر» كما في مصادر التخريج.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٨٥) من طريق حسين الجعفي عنه به.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٣٤). قلت: إسناده فيه جهالة.

(٦) **حسن لغيره** ـ أخرجه أبو داود (٢٧٧٤)، والترمذي (١٥٧٨)، وابن ماجه (١٣٩٤)، والدارقطني (١/ ٤١٠ و٤/ ١٤٨)، والحاكم (١/ ٢٧٦)، والبيهقي (٢/ ٣٧٠) وغيرهم من طريق أبي عاصم عن بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبيه عن أبي بكرة وذكره. قلت: إسناده فيه ضعف؛ لأن بكاراً لَيِّن.

وله شواهد عن أنس، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، والبراء بن عازب تدل على ثبوت سجود الشكر، وانظرها مفصلة في «إرواء الغليل»، وبخاصة أن عمل السلف جرى عليه. قال الترمذي: «والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم رأوا سجدة الشكر». وقال البغوي في «شرح السنة» (٣/ ٣١٦): «سجود الشكر سنة عند حدوث نعمة لما كان ينتظرها أو اندفاع بلية ينتظر انفكاكها، أو رؤية مبتلى بعلة أو معصية، ويخفي سجوده عن المعلول يحمله ذلك على الكفران، ويُظهر للعاصي لعله يتوب».

(٧) هذا لفظ ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٣٥)، ولم أجده في «المسند» ولا غيره من كتب الإمام أحمد بهذا اللفظ، وإنما أخرجه (٥/ ٤٥) بلفظ آخر وإسنادهما كالسابق.

نحو صدقته، فدخل، فاستقبل القبلة، فَخَرَّ ساجداً، فأطال السجودَ، فقلت: يا رسولَ الله سجدت سجدةً حسبت أن يكون اللهُ قد قَبَض نَفْسَك فيها، فقال: «إن جبريل أتاني فَبَشَّرَني أن الله عز وجل يقول لك: من صلّى عليك صليت عليه، ومن سَلَّم عليك سَلَّمت عليه؛ فسجدت لله شكرا». ذكره أحمد[1].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: خرجنا مع النَّبيِّ ﷺ من مكة نريدُ المدينةَ، فلما كنّا قريباً من عَزْوَر[2] نزل ثم رفع يديه ودعا الله ساعةً ثم خَرّ ساجداً، فمكث طويلاً ثم قام فرفع يديه ساعة ثم خَرّ ساجداً، فعله ثلاثاً وقال: «إني سألت ربّي وشفعت لأمتي فأعطاني ثلث أمتي فخررت ساجداً شكراً لربي، ثم رفعت رأسي فسألت ربي فأعطاني الثلث الآخر؛ فخررت ساجداً لربي». رواه أبو داود[3].

---

(١) **حسن لغيره** ـ أخرجه أحمد (١/ ١٩١)، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٧)، والحاكم (١/ ٥٥٠)، والبيهقي (٢/ ٣٧١)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٣٨)، والضياء في «المختارة» (٩٢٦)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٢٣٧)، وابن أبي عاصم في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٤٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٥٧)، وابن شاهين في «الترغيب» (١٤) وغيرهم من طريق عمرو بن أبي عمر عن عاصم بن عمر بن قتادة عن عبد الواحد بن محمد بن عبدالرحمن بن عوف به. قال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٢٨٧): «رجاله ثقات». قلت: إسناده ضعيف؛ لأن محمد بن عبد الواحد مجهول ولم يوثقه غير ابن حبان وقد اختلف فيه على عمرو بن أبي عمر.

وله طريق آخر: أخرجه أحمد (١/ ١٩١)، والبيهقي (٢/ ٣٧٠)، وأبو يعلى (٨٦٩) من طريق يزيد بن الهاد عن عمرو بن أبي عمر عن عبد الرحمن بن الحويرث عن محمد بن جبر عن عبد الرحمن بن عوف به. قلت: إسناده ضعيف فيه عبد الرحمن بن الحويرث صدوق سيِّء الحفظ؛ لكنه يعتبر به في الشواهد.

وله طريق آخر عن أبي سندر الأسلمي عن مولى لعبد الرحمن بن عوف وذكره: أخرجه أبو يعلى (٨٤٧)، وابن أبي عاصم في «فضل الصلاة على النبي ﷺ» (٥٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥٥٥). قلت: فيها مجهولان.

وله طريق آخر: أخرجه أبو يعلى (٨٥٨). قلت: إسناده ضعيف؛ لأن موسى بن عبيدة وشيخه قيس بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة ضعيفان.

وبالجملة: فالحديث بمجموع ذلك لا ينحط عن درجة الحسن، والله أعلم.

(٢) ويقال: عزوزا، ثنية بالجحفة عليها الطريق من المدينة إلى مكة.

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه أبو داود (٢٧٧٥)، وعنه البيهقي (٢/ ٣٧٠)، من طريق يحيى بن=

وذكر محمد بن إسحاق في كتاب «الفتوح» قال: «لما جاء المُبَشِّرُ يومَ بدر بقتل أبي جهل استحلفه رسولُ الله ﷺ ثلاثةَ أيمان بالله الذي لا إله إلا هو: لقد رأيته قتيلاً، فحلف له، فَخَرَّ رسولُ الله ﷺ ساجداً»[1].

وذكر سعيد بن منصور: أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سَجَدَ حين جاءَهَ قَتْلُ مُسَيْلِمَةَ[2].

وذكر أحمد: أن علياً رضي الله عنه سَجَد حين وَجَد ذا الثُّدَيَّة في الخوارج[3].

وسجد كعب بن مالك في عهد النبي ﷺ لما بُشِّر بتوبةِ الله عليه[4]، والقصة في «الصحيحين»[5].

فإن قيل: فَنِعمُ الله دائماً مستمرةٌ على العبد فما الذي اقتضى تخصيص النعمةِ الحادثةِ بالشكرِ دون الدائمةِ، وقد تكون المستدامةُ أعظمَ؟ **قيل**: **الجوابُ من وجوه**:

= الحسن بن عثمان عن الأشعث بن إسحاق بن سعد عن عامر بن سعد عن أبيه. قلت: إسناده ضعيف؛ يحيى بن الحسن وشيخه مجهولان.

(١) **ضعيف** ـ أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٨٩) عن ابن إسحاق معضلاً. وخبر مقتل أبي جهل دون ذكر السجود: أخرجه البخاري (٣٩٦٢)، ومسلم (١٨٠٠) وغيرهما.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ٢٩٥)، والبيهقي (٢/ ٣٧١) من طريق محمد بن عبيد الله أبي عون عن رجل أن أبا بكر لما أتاه فتح اليمامة سجد. وأخرجه عبد الرزاق (٣/ ٣٥٨) عن أبي عون ولم يذكر الرجل. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن فيه رجلاً لم يُسَمَّ، وباقي رجاله ثقات.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ١٠٧ ـ ١٠٨ و١٤٧). قلت: إسناده ضعيف؛ لأن طارق بن زياد مجهول. وتابعه مالك بن الحارث: أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٢٩٥)، والبيهقي (٢/ ٣٧١)، وعبد الرزاق (٣/ ٣٥٨)، ومالك بن الحارث مجهول. وتابعه زياد بن صبرة الحنفي: أخرجه ابن أبي شيبة (١٢/ ٢٩٧). قلت: وهذه الطرق تدل على أنه له أصلاً ثابتاً، والله أعلم.

(٤) أخرج السجود منفصلاً عبد الرزاق (٣/ ٣٥٧/ ٩٥٦١)، ومن طريقه ابن ماجه (١٣٩٣) عن الزهري عن عبد الرحمن عن أبيه. قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥) أخرجه بتمامه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩) عن الزهري به.

أحدها: أن النعمةَ المتجددة تُذَكِّرُ بالمستدامةِ، والإنسان موكَّلٌ بالأدنى.

الثاني: أن هذه النعمةَ المتجددةَ تستدعي عبوديةً مجددةً، وكان أسهلُها على الإنسان وأحبُّها إلى الله السجودُ شكراً له.

الثالث: أن المتجددةَ لها وقعٌ في النفوسِ، والقلوبُ بها أعلَقُ، ولهذا يهنى بها، ويعزى بفقدها.

الرابع: أن حدوثَ النِّعم توجبُ فرح النفسِ وانبساطها، وكثيراً ما يَجُرُّ ذلك إلى الأشَر والبَطَر، والسجودُ ذلٌّ لله وعبوديةٌ وخضوعٌ، فإذا تلقى به نعمته لسروره وفرح النفس وانبساطها فكان جديراً بدوام تلك النعمة، وإذا تلقاها بالفَرَح الذي لا يحبُّه اللهُ والأشر والبطر كما يفعله الجُهَّالُ عندما يُحْدِثُ اللّهُ لهم من النِّعَم، كانت سريعةَ الزوالِ، وشيكةَ الانتقالِ، وانقلبت نقمةً، وعادت استدراجاً. وقد تقدَّم أَمْرُ النّجاشِيِّ: فإنّ الله إذا أحدثَ لعبدِه نعمةً أحبَّ أن يُحدثَ لها تواضعاً[1].

وقال العلاء بن المغيرة: بَشَّرتُ الحسنَ بموت الحجّاجِ، وهو مُخْتفٍ؛ فَخَرّ لله ساجداً[2].

فصل

ومن دقيق نِعَمِ الله على العبد التي لا يكادُ يُفْطَنُ لها: أنه يَغْلِقُ عليه بابَه، فيُرْسِلُ اللهُ إليه من يطرقُ عليه البابَ يسأله شيئاً من القوتِ؛ ليعرِّفه نعمتَه عليه[3].

---

(١) (ص ٢٢١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٣٧) بإسناد ضعيف. وأخرج الخرائطي في «فضيلة الشكر» (٦٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/١٥٩) عن علي بن زيد بن جدعان: كنا عند الحسن وهو متوارٍ في منزل أبي خليفة العبدي؛ فجاء رجل فقال: يا أبا سعيد توفي الحجاج؛ فَخَرَّ ساجداً. قلت: وإسناده ضعيف؛ لأن علياً بن زيد ضعيف.

وبالجملة: فالأثر بطريقيه له أصل ثابت، والله أعلم.

(٣) مقتبس من كلام سلام بن أبي مطيع؛ كما في «الشكر» (١٣٩)، و«الحلية» (٦/١٨٨ - ١٨٩).

وقال سلام بن أبي مطيع: دخلت على مريضٍ أعوده فإذا هو يَئِنُّ، فقلت له: اذكر المطروحين على الطريقِ، اذكر الذين لا مأوى ولا لهم من يخدمهم. قال: ثم دخلت عليه بعد ذلك فسمعته يقول لنفسه: اذكري المطروحين في الطريق، اذكري من لا مأوى له ولا له من يخدمه[١].

وقال عبدالله بن أبي نوح: قال لي رجل على بعضِ السواحل: كم عاملته ـ تبارك اسمه ـ بما يكره فعاملك بما تحب؟ قلت: ما أحصي ذلك كثرة. قال: فهل قصدت إليه في أمرٍ كَرَبك فَخَذَلك؟ قلت: لا والله، ولكنه أحسن إليّ وأعانني. قال: فهل سألته شيئاً فلم يعطيكه؟ قلت: وهل منعني شيئاً سألته؟ ما سألته شيئاً قَطّ إلا وأعطاني، ولا استعنت به إلا أعانني. قال: أرأيت لو أن بعض بني آدم فعل بك بعض هذه الخِلال ما كان جزاؤه عندك؟ قلت: ما كنت أقدر له مكافأةً ولا جزاءً. قال: فربُّك أحقُّ وأحرى أن تُدْئِبَ نفسك له في أداء شكرِه، وهو المحسنُ قديماً وحديثاً إليك، والله لشكره أيسرُ من مكافأة عبادِه، أنه تبارك وتعالى رضي من العباد بالحمدِ شكراً[٢].

وقال سفيان الثوري: «ما كان اللهُ ليُنعِم على عبدٍ في الدنيا فيفضحه في الآخرة، ويحق على المُنعم أن يتمّ النِّعمَةَ على من أنعم عليه»[٣].

وقال ابن أبي الحواري: قلت لأبي معاوية: ما أعظَمَ النعمة علينا في التوحيد، نسأل الله أن لا يُسْلِبنا إيّاه. قال: يحق على المُنعِمِ أن يُتِمَّ النعمةَ على من أنعم عليه، والله أكرمُ من أن ينعمَ بنعمةٍ إلا أتمَّها، ويستعمل بعمل إلا قبله[٤].

وقال ابن أبي الحواري: قالت لي امرأة: أنا في بيتي قد شُغِل قلبي.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا (١٤٠)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٨٩). قلت: إسناده ضعيف للانقطاع بين ابن أبي الدنيا وسعيد بن عامر.

(٢) «الشكر» (١٤١).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا (١٤٢) وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٦). بإسناد حسن.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا (١٤٣ و١٤٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٧٢) من طريقين عن أحمد بن أبي الحواري. قلت: إسناده صحيح.

قلت: وما هو؟ قالت: أريدُ أن أعرفَ نِعَم الله علي في طرفة عين، أو أعرف تقصيري عن شكر النعمة علي في طرفة عين. قلت: تريدين ما لا تهتدي إليه عقولنا[١].

وقال ابن زيد: «إنه ليكون في المجلسِ الرجلُ الواحدُ يحمد الله عزَّ وجل، فيقضي لذلك المجلس حوائجَهم كلهم»[٢].

قال: وفي بعضِ الكتب التي أنزلها الله تعالى أنه قال: «سُرّوا عبدي المؤمن، فكان لا يأتيه شيء إلا قال: «الحمدُ لله الحمد للّه ما شاء الله». قال: رَوِّعوا عبدي المؤمن، فكان لا يطلع عليه طليعةٌ من طلائِع المكروه إلا قال: «الحمدُ لله الحمد للّه». فقال الله تبارك وتعالى: إن عبدي يحمدني حين روَّعته كما يحمدني حين سَرَرْته، أدخِلوا عبدي دار عزي كما يحمدني على كل حالاته»[٣].

وقال وهب: «عَبَدَ اللهَ عَابِدٌ خمسين عاماً، فأوحى اللهُ إليه إنّي قد غفرتُ لك. قال: أي ربّ، وما تغفر لي ولم أذنبْ. فأذن اللهُ لعِرْق في عنقه يضرب عليه، فلم يَنَم ولم يُصَلِّ، ثم سَكن فنام، ثم أتاه مَلَكٌ فشكا إليه، فقال: ما لقيت من ضربان العنق[٤] فقال الملك: إن ربَّك يقول: إنَّ عبادَتك خمسين سنة

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٤٥)، وعنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (ص٣٩٥ ـ تراجم النساء) وبلغني عن ابن أبي الحواري. قلت: إسناده منقطع بين ابن أبي الدنيا وابن أبي الحواري.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٤٦)، وعنه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٣٦). قلت: إسناده صحيح إلى ابن زيد، وهو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٤٧) ـ ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (٤١٧٤) ـ وابن أبي يعلى في «الطبقات» (١/ ١٣٦) من طريق الحسن ثنا الحارث ثنا عبد الله بن موهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: ذكر بعض أهل العلم أن في بعض الكتب التي أنزل الله، وذكره. قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن عبد الرحمن بن زيد متروك، ومع ذلك صححه محقق «الشكر» (!) ولعله يقصد إسناده إلى عبد الرحمن بن زيد، والله أعلم.

(٤) في «م»: «العرق» وهو الموافق لما في مصادر التخريج.

تعدلُ سكونَ [ذلك[1]] العِرْق»[2].

وذكر ابن أبي الدنيا أن داود قال: «يا رب أخبرني ما أدنى نعمِك عَلَيَّ؟ فأوحى الله إليه: يا داود تنفس؛ فتنفس، قال: هذا أدنى نعمي عليك»[3].

فصل

وبهذا يتبين معنى الحديث الذي رواه أبو داود من حديث زيد بن ثابت وابن عباس: «إن اللّٰه لو عَذّب أهلَ سماواته وأهلَ أرضِه لعذَّبَهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم، ولو رحمهم لكانت رحمتُه خيراً لهم من أعمالِهم»[4].

والحديثُ الذي في الصحيح: «لن يُنْجِي أحداً منكم عملُه» قالوا: ولا أنت يا رسولَ الله؟ قال: «ولا أنا، إلا أن يَتغَمَّدَنِيَ اللهُ برحمةٍ منه وفضلٍ»[5]؛ فإن أعمالَ العبدِ لا توافي نعمةً من نعمِ الله عليه.

وأما قول بعض الفقهاء: إن من حَلَف أن يحمدَ الله بأفضل أنواع الحمد

---

(١) زيادة من مصادر التخريج.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٤٨)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٤/٦٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٠٢). قلت: إسناده ضعيف؛ لضعف عبد الله بن صفوان، وهو: ابن بنت وهب؛ كما في «لسان الميزان» (٣/٣٠٢).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٤٩)، وعنه البيهقي في «الشعب» (٤٣٠٣).

(٤) **صحيح** - أخرجه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧)، وأحمد (٥/١٨٢ و١٨٥ و١٨٩)، وابن حبان (٧٢٧)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٤٥)، والطبراني في «الكبير» (٤٩٤٠)، والبيهقي (١٠/٢٠٤)، وابن بطة في «الإبانة» (١٤٤٣ - ١٤٤٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١٠٩٣ و١٢٣٢)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجة» (٢/٥٩ - ٦٠) من طريق ابن سنان عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي عن زيد بن ثابت مرفوعاً وذكره في قصة وقعت لابن الديلمي. قلت: إسناده صحيح.
وله طريق آخر عن ابن الديلمي: أخرجه الآجري في «الشريعة» (١/٣٧٣)، وفيه أبو صالح كاتب الليث وهو ضعيف. ولم أجده من حديث ابن عباس، وإنما روي موقوفاً عن أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما؛ كما في مصادر حديث زيد.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤٦٣)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

كان بِرُّ يمينِه أن يقولَ: الحمدُ لله حمداً يوافي نعمَة ويكافيء مزيدَه. فهذا ليس بحديثٍ عن رسول الله ﷺ ولا عن أحدٍ من الصَّحابة، وإنما هو إسرائيلي عن آدم، وَأَصح مِنه: «الحمدُ لله غير مكفي ولا مُوَدَّعٍ ولا مستغنى عنه ربنا»، ولا يمكن حَمْدُ العبد وشكرُه أن يوافي نِعمَةً من نعم الله فضلاً عن موافاتِه جميع نعمِه، ولا يكون فعلُ العبد وحمدُه مكافياً للمزيد، ولكن يحمل على وجهٍ يَصِحُّ، وهو: أن الذي يستحقه اللهُ سبحانه من الحمدِ حمداً يكون موافياً لِنِعَمِهِ ومكافئاً لمزيده، وإن لم يَقْدِرْ العبدُ أن يأتي به، كما إذ قال: «الحمدُ لله ملءَ السماوات وملءَ الأرضِ وملءَ ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعدُ، وعدد الرمالِ والتُّراب والحَصى والقَطْر، وعدَدَ أنفاسِ الخلائق، وعدَدَ ما خلقَ اللهُ وما هو خالقٌ»، فهذا إخبارٌ عما يستحقه من الحمدِ لا عما يقع من العبدِ من الحمد.

فصل

وقال أبو المليح: قال موسى: «يا ربّ ما أفضلُ الشُّكرِ؟ قال: أن تشكرني على كلِّ حالٍ»[1].

وقال بكر بن عبدالله: قلت لأخٍ لي: أوصني. فقال: ما أدري ما أقول، غير أنَّه ينبغي لهذا العبد أنّ لا يفتر من الحمدِ والاستغفار، فإنَّ ابن آدم بين نعمةٍ وذنب، ولا تصلح النعمةُ إلا بالحمدِ والشكرِ، ولا يصلح الذنبُ إلا بالتوبة والاستغفار، فأوسعني علماً ما شئت[2].

وقال عبد العزيز بن أبي رواد: رأيت في يدِ محمد بن واسع قُرْحَةً، فكأنه رأى ما شَقَّ عليَّ منها، فقال لي: «أتدري ماذا لله عليَّ في هذه القُرْحَةِ من نعمةٍ حين لم يجعلها في حَدَقتي، ولا طَرف لساني، ولا على طرفِ ذكري؟»[3]؛ فهانت عليَّ قرحتُه[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٥١). قلت: إسناده إسناد ضعيف جداً؛ لأن عباد بن موسى مجهول، وشيخه عبيد الله بن حميد متروك.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٥٠). قلت: إسناده ضعيف جداً كسابقه.

(٣) في الأصول: ذكرني، وما أثبته هو الصواب؛ كما في «الشكر».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٥٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٥٢) من طريق=

وروى الجريريُّ عن أبي الورد عن اللجلاج[1] عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ أتى على رجلٍ وهو يقول: اللهم أني أسألُك تمامَ النعمةِ. فقال: «ابنَ آدم هل تدري ما تمامُ النِّعمَة؟» قال: يا رسول الله دعوتُ دعوةً أرجوا بها الخيرَ، فقال: «إن تمامَ النِّعمةِ فوزٌ من النارِ ودخولٌ في الجنة»[2].

وقال تميم[3] بن سلمة: «حُدِّثتُ أن الرجلَ إذا ذكرَ اسم الله على أولِ طعامِه وحمده على آخرِه لم يُسْأَل عن نعيمِ ذلك الطعام»[4].

ويدلُّ على فضلِ الشكر على الصبر، أنَّ الله سبحانه يُحِبُّ أن يُسأل العافِيَةَ، وما يُسأل شيئاً أحبّ إليه من العافية، كما في «المسند»[5] عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أبو بكر رضي الله عنه على المنبر ثم قال: «سلوا الله العافية؛ فإنَّه لم يُعْطَ عبداً بعد اليقين خيراً من العافيةِ»[6]. وفي

= يحيى بن سليم عن عبد العزيز بن أبي رواد رواه عنه وذكره. قلت: إسناده فيه ضعف؛ لأن يحيى صدوق سيِّىء الحفظ.

(١) في «الأصول»: «الجلاح»، والتصحيح من مصادر التخريج.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٥٦) واللفظ له، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٥)، والترمذي (٣٥٢٧)، وأحمد (٥/ ٢٣١)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١/ ١٥٧)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٠٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٢٦ ـ ١٢٧) وغيرهم من طريق الجريري به. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن أبا الورد بن ثمامة مجهول الحال.

(٣) في «الأصول»: «بهم»، والتصحيح من «الشكر».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٥٩). قلت: إسناده صحيح.

(٥) ليس في المسند بهذا الإسناد بل في غيره كما سيأتي تخريجه بعد هذا الحديث.

(٦) **صحيح** ـ هذا الحديث مشهور عن أبي بكر الصديق: أخرجه أحمد (١/ ٣ و٥)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٤)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٢٠)، وابن ماجه (٣٨٤٩)، والحاكم (١/ ٥٢٩) وغيرهم من طريق سليم بن عامر عن أوسط بن إسماعيل البجلي عن أبي بكر الصديق مرفوعاً ـ وقد جعله المصنف موقوفاً فلم يصب. قلت: إسناده صحيح.

وللحديث طرق أخرى عن أبي بكر: أخرجها أحمد (١/ ٨ و٩) وأبو بكر المروزي في «مسند أبي بكر» (٤٧ و٤٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٣٥)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٢١)، والخطيب في «تاريخه» (٤/ ٣٨١)، والضياء في «الأحاديث المختارة» (١ و٢) وغيرهم.

حديث آخر: «أنَّ النّاس لم يُعطوا في هذه الدنيا شيئاً أفضلَ من العفو والعافية، فسلوهما اللّهَ عز وجل»[1].

وقال لعمه العباس: «يا عَمُّ أكثر من الدعاءِ بالعافيةِ»[2]. وفي «الترمذي»: قلت: يا رسول الله، علِّمني شيئاً أسأله الله. قال: «سَلِ اللهَ العافيةَ»؛ فمكثت أياماً ثم جئت فقلت: علّمني شيئاً أسأله الله، فقال لي: «يا عباسُ، يا عمَّ رسولِ الله، سَلِ اللهَ العافِيَةَ في الدنيا وفي الآخرة»[3].

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٥٤)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٢١)، والبزار في «البحر الزخار» (٢٣)، وأبو بكر المروزي في «مسند أبي بكر» (٥٣) من طريق حسين بن علي عن زائدة عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قام أبو بكر على المنبر فقال: لقد علمتم ما قام به فيكم رسول الله ﷺ عام أول في مقامي هذا، ثم أعادها، ثم بكى ثم أعادها ثم بكى فقال: فذكره مرفوعاً بهذا اللفظ.
قلت: إسناده حسن ورجاله ثقات غير عاصم، وهو: ابن بهدلة؛ كما جاء صريحاً في إسناد البزار، وزائدة، هو: ابن قدامة الإمام الثبت الحجة، وقد خفي أمره على أخينا محقق كتاب «الشكر» فقال حفظه الله: «إسناده ضعيف، زائدة هو ابن أبي الرقاد، قال ابن حجر فيه: منكر الحديث»؛ فإن زائدة بن قدامة روى عن عاصم بن بهدلة أبي النجود كما في «تهذيب الكمال» وكذلك بالرجوع إلى تلاميذ عاصم تبين أن زائدة بن أبي الرقاد لم يرو عنه.

(٢) **حسن** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٥٣)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٦١ ـ ٢٦٢/ ١١٩٠٨)، والطبري في «تهذيب الآثار» (١١٩٦)، والحاكم (١/ ٥٢٩) من طريق هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال لعمه العباس: وذكره.
قلت: إسناده حسن ورجاله ثقات غير هلال بن خباب، فإنه تغير بآخره ؛ فحديثه لا ينحط عن درجة الحسن، والله أعلم.

(٣) **صحيح لغيره** ـ أخرجه الترمذي (٣٥١٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٢٦)، وأحمد (١/ ٢٠٩)، والحميدي (٤٦١)، والطيالسي (١٢٧٩ ـ منحة)، والبزار (٤/ ١٣٩/ ١٣١٣ و١٣١٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٢٠٦)، والطبراني في «الدعاء» (١٢٩٥) من طريق يزيد بن أبي زياد عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن العباس قال: قلت: وذكره. قال الترمذي: صحيح.
قلت: لكن يزيد بن أبي زياد ضعيف من قبل حفظه، نعم هو صحيح بطرقه؛ فقد تابعه عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الحارث به: أخرجه البزار في «المسند» (١٣١٢) ولكن فيه ضعف؛ فإن عبد الملك ثقة فقيه تَغَيَّر حفظه وربما دلس.
وللحديث شواهد من حديث أنس، وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهما؛ فهو صحيح=

وقال في دعائه يوم الطائف: «إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي، غير أن عافيتكَ أوسعُ لي»[1] فلاذ بعافيتِهِ كما استعاذَ بها في قوله: «أعوذ برضاك من سَخَطِك، وأعوذ بمعافاتك من عُقوبَتك، وأعوذ بِك مِنك»[2].

وفي حديث آخر: «سلو الله العافية والمعافاة»[3]. وهذا السؤال يتضمن العفوَ عمَّا مضَى، والعافيةَ في الحَالِ، والمعافَاةَ في المستقبل بدوام العافيةِ واستمرارِها.

وكان عبدالله التيمي يقول: «أكثروا من سؤال الله العافية، فإنَّ المبتلى وإِن اشتدَّ بلاؤُه ليس بأحق بالدعاءِ من المعافى الذي لا يأمن [من][4] البلاء، وما المبتلون اليوم إلاَّ من أهل العافية بالأمس، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم، ولو كان البلاءُ يجرُّ إلى خيرٍ ما كنَّا من رجالِ البَلاَءِ. إنه رُبَّ بلاء قد أجهد في الدنيا وأخزى في الآخِرَةِ، فما يأمنُ[5] من أطال المقامَ على معصية الله أن يكون قد بقي له في بَقِيَّةِ عمره من البلاء ما يُجهدَهُ في الدنيا ويفضحه في الآخرة، ثم يقول بعد ذلك: الحمد لله الذي إن نعدَّ نعمه لا نحصيها، وإن ندأب له عملاً لا نجزيه، وإن نُعَمَّر فيها لا نبليها»[6].

= بطرقه وشواهده، وعلى ذلك يحمل كلام الترمذي. وأما الأخ محقق «الشكر» (ص٦٦)؛ فصحح إسناده من طريق يزيد بن أبي زياد، والظاهر أنه خفي عليه أمره، والله أعلم.

(١) **ضعيف** ـ مضى تخريجه (ص ٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦) من حديث عائشة.

(٣) **حسن** ـ أخرجه الترمذي (٣٥٥٨)، وأحمد (١/ ٣)، والبزار في «البحر الزخار» (١/ ٩٤/ ٣٤)، وأبو بكر المروزي في «مسند أبي بكر» (٤٧) من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل عن معاذ بن رفاعة بن رافع عن أبيه عن أبي بكر الصديق. وقال البزار: «هذا الحديث لا نعلمه يروى عن رفاعة بن رافع عن أبي بكر إلا من هذا الوجه، ولا روى رفاعة بن رافع عن أبي بكر إلاّ هذا الحديث».
قلت: عبد الله بن محمد بن عقيل صدوق فيه لين، ومعاذ بن رفاعة صدوق؛ فالحديث حسن، وبخاصة أنه يشهد له الحديث المتقدم (ص٢٣١)، والله أعلم.

(٤) زيادة من «ظ».

(٥) في «الأصول»: «يؤمن»، وهو خطأ ظاهر.

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٥٧).

ومَرّ رسول الله ﷺ برجل يسألُ الله الصَّبر؛ فقال: «لقد سألتَ البلاء؛ فاسأَل العافيةَ»[1].

وفي «صحيح مسلم»[2] أنه ﷺ: عاد رجُلاً قد هَفَت ـ أي: هزل ـ فصار مثل الفرخِ؛ فقال ﷺ: «هل كنت تدعو الله بشيء أو تسأله إياه؟» قال: نعم، كنت أقولُ اللهمَّ ما كنت مُعَاقبني به في الآخرة فعجِّلهُ لي في الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «سبحان اللّه لا تطيقه ولا تستطيعه، أفلا قلت: اللهم ربَّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقِنا عذاب النار» فدعى الله له فشفاه.

وفي «الترمذي» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: دعاء حفظته من رسول الله ﷺ لا أَدعهُ: «اللهم اجعلني أُعَظِّمُ شكرَكَ، وأُكثِرُ ذكرَك، وأتَّبع نصيحتَك، وأحفظُ وصيَّتَك»[3].

وقال شيبان: كان الحسن إذا جلس مجلساً يقول: «لك الحمدُ بالإسلام، ولك الحمدُ بالقرآن، ولك الحمدُ بالأهل والمال، بسطت رزقنا، وأظهرت أمننا، وأحسنت معافاتنا، ومن كل ما سألناك أعطيتنا، فلك الحمد كثيرا كما تنعم

---

(١) تتمة لحديث معاذ السابق في دعاء بتمام العافية مضى تخريجه (ص ٢٣٠).

(٢) برقم (٢٦٨٨) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه الترمذي (٣٦٦٧ ـ التحفة)، وأحمد (٢/ ٣١١ و٤٧٧)، وأبو داود الطيالسي (٢٥٥٣)، والبيهقي في «الدعوات» (٢٣٢) من طريق الفرج بن فضالة عن أبي سعيد أو أبي سعد عن أبي هريرة وذكره مرفوعاً. قال الترمذي: هذا حديث غريب. وقال المباركفوري (١٠/ ١٨): «في إسناده الفرج بن فضالة وهو ضعيف».

قلت: إسناده ضعيف؛ لأن أبا سعد أو أبا سعيد المديني أو الحمصي أو الشامي مجهول تفرد بالرواية عنه فرج، وفرج ضعيف.

تنبيهان: الأول: نسب غير واحد من المصنفين الحديث للترمذي منهم المزي في «تحفة الأشراف» (١٠/ ٤٥٤)؛ ولكنه سقط من نسخة شاكر، ونسخة عارضة الأحوذي.

الآخر: وقع عند الترمذي أبو سعيد المقبري بدلاً من أبي سعيد المدني وهو خطأ لسببين: الأول: أن المزي عزاه للترمذي في ترجمة أبي سعيد أو أبي سعد الحمصي عن أبي هريرة. الآخر: أنه في مصادر التخريج: أبو سعيد أو أبو سعد الحمصي أو المديني وفي بعضها الشامي.

كثيراً؛ أعطيت خيراً كثيراً؛ وصرفت شراً كثيراً، فلوجهك الجليل الباقي الدائم الحمدُ»[1].

وكان بعض السلف يقول: «اللهم ما أصبح بنا من نعمةٍ أو عافيةٍ أو كرامةٍ في دينٍ أو دنيا جرت علينا فيما مضى وهي جاريةٌ علينا فيما بَقِيَ، فإنها منك وحدك لا شريك لك، فلك الحمدُ بذلك علينا، ولك المنّ، ولك الفضل، ولك الحمد عدد ما أنعمت به علينا وعلى جميع خلقك لا إله إلا أنت»[2].

وقال مجاهد: إذا كان ابن عمر في سفرٍ فطلع الفجرُ رفع صوتَه ونادى: «سَمِعَ سامعٌ بحمدِ اللهِ ونِعَمِهِ وحُسنِ بلائه علينا ثلاثاً، اللهم صاحِبْنا فَأَفْضِل علينا، عائذاً بالله من النار ولا حول ولا قوة إلا بالله» ثلاثاً [3].

وذكر الإمام أحمد: «أنَّ الله سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام: يا موسى كُن يقظانَ مرتاداً لنفسك أخداناً، وكلُّ خدن لا يواتيك على مسرتي فلا تَصْحَبْهُ؛ فإنَّه عدوٌّ لك، وهو يقسي قلبك، وأَكْثِر من ذكري حتى تستوجبَ الشكرَ، وتستكملَ المزيدَ»[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٦١ و٢٠١) بإسنادين عن الحسن ولكن بأخصر مما هنا.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٦٠)، وعنه ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ١٩٤).

(٣) **صحيح** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٦٣). قلت: إسناده صحيح.
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٤٣٤/ ٢٠٩٢٩) من طريق آخر عن مجاهد، وقال الأخ محقق «الشكر»: إسناده صحيح. قلت: فيه يزيد بن أبي زياد الهاشمي ضعيف؛ فالإسناد ضعيف.
وقد روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة: أخرجه مسلم (٢٧١٨): أن النبي ﷺ كان إذا كان في سفر وأسحر يقول: «سمع سامع بحمد الله وحسن بلائه علينا، ربنا صاحِبْنا، وأفضل علينا، عائذاً بالله من النار».

(٤) **صحيح** ـ أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٠٨)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٢٢٢) من طريق الحسن بن ربيع حدثني أبو الأحوص عن محمد بن النضر الحارثي وذكره بلاغاً. وتابعه محمد بن الحسين وخلف بن تميم قالا: ثنا سلام بن سليم حدثني محمد ابن النضر الحارثي وذكره: أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٦٤). =

وقال الحسن: «خلق اللهُ آدمَ حين خلقَه فأخرج أهلَ الجنّة من صفحتِه اليمنى، وأخرج أهل النار من صفحته اليُسرى، فدّبوا على وجهِ الأرض منهم الأعمى والأصم والمبتلي، فقال آدم: يا رب ألا سوّيت بين ولدي؟ قال: يا آدم إنّي أريدُ أن أُشكر»[1].

وفي «السنن» عنه ﷺ: «من قال حين يصبح: اللهمّ ما أصبح بي من نعمة أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر إلا أدى شكرَ ذلك اليوم، ومن قال ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته»[2].

= قلت: إسناده صحيح؛ لأن مداره على أبي الأحوص وهو سلام بن سليم عن محمد بن النضر الحارثي وهم ثقات. وقد وهم الأخ محقق «الشكر» وهماً شديداً، ففرق بين أبي الأحوص وسلام بن سليم؛ فظن أن سلام بن سليم هو سلام الطويل المتروك، ولذلك قال عن إسناد ابن أبي الدنيا ضعيف جداً؛ لضعف سلام بن سليم؛ كما في «الميزان» للذهبي (٢/ ١٧٥) وسلام بن سليم هو أبو الأحوص، كما يظهر من شيوخه وتلاميذه؛ فإن الحسن بن ربيع وخلف بن تميم رويا عنه وليس عن سلام الطويل؛ فتبين: أن إسناد أحمد وأبي نعيم لا يختلف عن إسناد ابن أبي الدنيا، لأن مدارها جميعاً على سلام بن سليم أبي الأحوص عن محمد بن النضر الحارثي.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٦٥)، وعنه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٢٧).
قلت: فيه الحكم بن سنان وهو ضعيف.
وله طريق آخر: أخرجه عبد الرزاق (١٠/ ٤٢٤/ ١٩٥٧٦)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٢٨). وله طريق ثالث: أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٥٠٨/ ١٧٠٧٦).
وبالجملة: فالأثر ثابت عن الحسن بمجموع هذه الطرق، والله أعلم.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه أبو داود (٥٠٧٣)، والنسائي في «الكبري» (٦/ ٥) و«عمل اليوم والليلة» (٧) ومن طريقه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤١)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٦٦)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٤١)، و«شعب الإيمان» (٤٠٥٩)، والطبراني في «الدعاء» (٣٠٧)، وابن حبان (٢٣٦١ ـ موارد)، والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ١١٥/ ١٣٢٨)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٣/ ٢٥٨) من طريق سليمان بن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الله بن عنبسة عن عبد الله ابن غنّام البياضي عن النبي ﷺ وذكره.
قلت: إسناده ضعيف؛ لضعف عبد الله بن عنبسة؛ فإنه مجهول، ومع ذلك جوّد إسناده النووي في «الأذكار» (٢١١ ـ بتحقيقي)، وحسنه الحافظ ابن حجر في «نتائج الأفكار» (ق ٨٦/أ)، وصححه ابن حبان (!). =

ويذكر عن النبي ﷺ: «منْ ابتلي فَصَبَرَ، وأُعطي فشكَرَ، وظُلم فَغَفرَ، وظَلَمَ فاستغفر، أولئك لهم الأمن وهم مهتدون»[1].

ويذكر عنه ﷺ أنه أوصى رجلاً بثلاث، فقال: «أكثر من ذكرِ الموت يشغلك عما سواه، وعليك بالدعاءِ فإنك لا تدري متى يُستجاب لك، وعليك بالشكر فإن الشكرَ زيادةٌ»[2].

= **تنبيه**: وقع عند ابن حبان: «عبد الله بن عباس» بدل: «عبد الله بن غنّام»، وهو تصحيف قديم قاله أبو نعيم في «معرفة الصحابة» كما في «أسد الغابة» (٣/ ٢٥٨)، وقال ابن عساكر: «إنه خطأ»، وأقرهما الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٥/ ٣٤٥)، و«الإصابة» (٢/ ٣٥٧). وقال الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (١٥/ ٤٢٤): «وهو خطأ».

قلت: لا يرد على أقوال هؤلاء الجهابذة ما أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٣٠٦) ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (١٥/ ٣٩٠/ ٣٩١) حدثنا أبو حبيب يحيى بن نافع المصري ثنا سعيد بن أبي مريم ثنا سليمان بن بلال، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن عبد الله بن عنبسة، عن ابن عباس وذكره. ثم قال الطبراني: «هكذا رواه سعيد بن أبي مريم. قال: عن عبد الله بن عنبسة عن ابن عباس وخالفه ابن وهب وغيره».

قلت: رواية سعيد بن أبي مريم شاذة؛ لأنه خالف الجماعة.

وفي رواية للنسائي (٨٨٧٦ ـ تحفة) عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب وقال: ابن عباس، وهو خطأ.

(١) **ضعيف جداً** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٦٧)، والطبراني في «الكبير» (٦٦١٤)، والبيهقي في «الشعب» (٤١١٧)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦) من طريق محمد بن المعلى الكوفي عن زياد بن خيثمة عن أبي داود عن عبد الله بن سخبره عن سخبرة مرفوعاً. قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٨٤): «فيه أبو داود الأعمى وهو متروك».

قلت: اتهمه بعض أهل العلم بالكذب والوضع، وفيه عبد الله بن سخبرة وهو مجهول؛ فالإسناد واه بمرة.

(٢) **ضعيف جداً** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٦٨) وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣٠٥) عن إسحاق بن إسماعيل ثنا سفيان حدثني رجل أن النبي ﷺ (وذكره).

قلت: إسناده معضل وفيه رجل مبهم. وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (٤/ ٨٤ ـ ضعيف) إلى ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت» عن سفيان عن شريح مرسلاً.

ورواه الأصبهاني في «الترغيب» (٤/ ٢٠٠/ ٢) من طريق إبراهيم بن الأشعث قال: قال فضيل بن عياض بلغني أن رسول الله ﷺ أوصى رجلاً وذكره.

قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن إبراهيم بن الأشعث ضعيف، وهو معضل أيضاً. =

ويذكر عنه ﷺ أنه كان إذا أكل قال: «الحمد للّه الذي أطعمني وسقاني وهداني، وكل بلاء حسن أبلاني، الحمد للّه الرازق ذي القوة المتين، اللهم لا تنزع منّا صالحاً أعطيتنا ولا صالحاً رزقتنا واجعلنا لك من الشاكرين»[1].

وَيُذكر عنه ﷺ أنه كان إذا أكل قال: «الحمد لله الذي أطعمَ وَسَقى وسوَّغه وجعل له مَخْرجاً»[2].

وكان عروة بن الزبير إذا أُتِي بطعامٍ لم يَزَلْ مُخَمَّراً [3] حتى يقول هذه الكلمات: «الحمد لله الذي هدانا وأطعمنا وسقانا ونَعَّمَنا، الله أكبر، اللهم أَلِفْتَنا نعمتَك ونحن بكل شرف أصبحنا وأمسينا بخير نسألك تمامَها وشكرَها، لا خير إلا خيرُك ولا إله غيرُك إله الصالحين وربّ العالمين، الحمد لله، لا إله إلا الله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، اللهم بارك لنا فيما رزقتنا، وقنا عذاب النار»[4].

= **وبالجملة**: فالحديث واه، وطرقه لا يشد بعضها بعضاً؛ لأن علتها متحدة وهي الإعضال.

(١) **موضوع** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٧٠) من حديث أنس. قلت: إسناده فيه خالد بن محدوج أبو روح متهم بالكذب؛ كما في «الميزان» (١/ ٦٤٢).

(٢) **صحيح** ـ أخرجه أبو داود (٣٨٥١)، والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٢٠١)، وفي «عمل اليوم والليلة» (٢٨٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٧٢)، وابن حبان (٥٢٢٠)، والطبراني في «الكبير» (٤٠٨٢)، و«الأوسط» (٥٣٨٤)، و«الدعاء» (٨٩٧)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٧١)، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٤٥٥)، و«شعب الإيمان» (٤١٦٠)، والبغوي في «شرح السنة» (٢٨٣٠)، والخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٦٢)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (ص١٢٩) من طرق عن أبي عقيل القرشي زهرة بن معبد عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي عن أبي أيوب رضي الله عنه وذكره مرفوعاً.

قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات، وصححه النووي في «الأذكار» (٦٥٥ ـ بتحقيقي)، والحافظ في «نتائج الأفكار»، وشيخنا في «الصحيحة» (٧٠٥ و٢٠٦١).

(٣) مغطى.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٦٩)، عن أبي موسى قال: كان عروة وذكره.

قلت: إسناده صحيح إن سمع أبو موسى وهو إسرائيل بن موسى نزيل الهند من عروة، ورجاله ثقات.

وقال وهب بن منبه: «رؤوسُ النِّعمِ ثلاثةٌ: فأولها نعمةُ الإسلام التي لا تتم نعمةٌ إلا بها، والثانية نعمة العافية التي لا تطيب الحياةُ إلا بها، والثالثة نعمةُ الغنى التي لا يتم العيش إلا بها»[1].

وقدم سعيد الجريري من الحج؛ فجعل يقول: أَنْعَم اللهُ علينا في سفرِنا بكذا وكذا، ثم قال: «تعدادُ النِّعمِ من الشُّكرِ»[2].

ومَرَّ وهبٌ بمبتلى أعمى مجذوم مقعد عريان به وَضَحٌ[3] وهويقول: «الحمد لله على نعمه» فقال رجل كان مع وهب: أي شيءٍ بقي عليك من النعمة تحمد الله عليها؟ فقال له المبتلى: ارم ببصرِك إلى أهلِ المدينة فانظر إلى كثرةِ أهلها، أفلا أحمد الله أنه ليس فيها أحدٌ يعرفه غيري[4].

ويذكر عن النبي ﷺ أنَّه قال: «إذا أنعم الله على عبدٍ نعمةً؛ فحمده عندها؛ فقد أدّى شكرها»[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٧٢)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٦٨) حدثنا عبد الله بن محمد بن عون ثنا روح بن عبد الرحمن عن شيخ من بني تميم عن وهب بن منبه وذكره. قلت: إسناده ضعيف؛ لجهالة الراوي عن وهب.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٧٣)، وعنه أبو نعيم في الحلية» (٦/ ٢٠٠).

(٣) البَرَص.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٧٤)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٦٨)، والبيهقي في «الشعب» (٤١٧٧). قلت: إسناده لا بأس به.

(٥) **ضعيف جداً** - أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٧٥) من طريق محمد بن عمرو قال: سمعت السري بن عبد الله وهو على الطائف فأصابنا مطر فخطب الناس فقال: «أيها الناس احمدوا الله عز وجل على ما وضع لكم من رزقه؛ فإنه بلغني عن النبي ﷺ أنه قال: «وذكره». قلت: إسناده ضعيف جداً فيه علتان: الأولى: جهالة السري بن عبد الله. الثانية: الإعضال، فقد ذكره بلاغاً.
وأخرجه الحاكم (١/ ٥٠٧ - ٥٠٨)، وعنه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٠٩٠)، والديلمي في «مسند الفردوس» (٦٢٧٢) من حديث جابر مرفوعاً بلفظ «ما أنعم الله على عبد من نعمة؛ فقال: الحمد لله إلاّ وقد أدّى شكرها، فإن قالها الثانية جدد الله ثوابها، فإن قالها الثالثة غفر الله له ذنوبه». قال الحاكم: صحيح الإسناد، وتعقبه الذهبي بقوله: «ليس بصحيح، قال أبو زرعة: عبد الرحمن ابن قيس كذاب»، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٤٣٧ - ٤٣٨): «وفي إسناده عبد الرحمن ابن قيس أبو معاوية=

وذكر عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أن بُخْتُنَصَّر أتى بدانيال فَأمر به فَحُبِس في جُبٍّ، وأضرى أسدين ثم خَلّى بينهما وبينه، ثم فتح عليه بعد خمسة أيام، فوجده قائماً يصلي، والأسدان في ناحيةِ الجبِّ لم يعرضا له، فقال له: ما قلت حين دفع عنك؟ قال: قلت الحمدُ لله الذي لا ينسى مَن ذكرَه، والحمد لله الذي لا يُخَيِّبُ من رجاه، والحمد لله الذي لا يَكِلُ من توكَّلَ عليه إلى غيره، والحمد لله الذي هو ثقتنا حين تنقطع عنا الحِيَلُ، والحمد لله الذي هو رجاؤنا حين يسوء ظننا بأعمالنا، والحمد لله الذي يكشفُ عنا ضُرَّنا بعد كُربتنا، والحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحساناً، والحمد لله الذي يجزي بالصبر نجاةً»[1].

ويذكر عنه ﷺ: أنَّه كان إذا نظر في المرآة قال: «الحمد لله الذي أحسنَ خَلْقي وَخُلُقي، وزان منّي ما شان من غيري»[2].

وقال ابن سيرين: كان ابن عمر يكثرُ من النَّظَر في المرآة، وتكون معه في الأسفارِ، فقلت له: ولِمَ؟ قال: «انظر فما كان في وجهي زَيْنٌ، فهو في وجه غيري شَيْنٌ، أحمدُ الله عليه»[3].

= الزعفراني واهي الحديث، وهذا الحديث مما أنكر عليه». ومع ذلك رمز له السيوطي في «الجامع الصغير» بالصحة، ولكن تعقبه المناوي في «فيض القدير» (٥/ ٤٢٩) بقول الذهبي، ولذلك جزم شيخنا حفظه الله في «الضعيفة» (٢٠١٠) «بأنه موضوع».

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٧٦). قلت: إسناده مظلم؛ أبو مسكين القرشي هو طلحة بن زيد متهم بالوضع، وأبو البختري وهو سعيد ابن فيروز لم يسمع من علي.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٧٧)، وعنه البيهقي في «الشعب» (٤١٤٥) من طريق ابن أبي فديك قال بلغني عن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ.

قلت: هذا إسناد ضعيف فيه علتان: الأولى: الانقطاع بين إسماعيل بن مسلم بن أبي فديك وجعفر بن محمد الباقر. الثانية: الإرسال.

وله شاهد من حديث ابن عباس، وآخر من حديث أنس وأسانيدها واهية جداً، كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٣٨ و١٣٩). ولا أعلم حديثاً يصح في دعاء المرآة؛ فكل ما روي في ذلك ضعيف، والله أعلم.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٧٨). قلت: إسناده ضعيف جداً؛ فيه محمد بن عون الخراساني متروك.

وسُئل أبو بكر بن أبي مريم: ما تمام النعمة؟ قال: «أن تضعَ رجْلاً على الصراط ورِجْلاً في الجنة»[1].

وقال بكر بن عبد الله: «يا ابن ادم إن أردت أن تعرف قَدْرَ ما أنعم الله عليك فَغَمِّض عينَيك»[2].

وقال مقاتل في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] قال: «أما الظاهرة فالإسلام، وأما الباطنة فَسَتْرُه عليكم بالمعاصي»[3].

وقال ابنُ شَوْذَبَ: قال عبدالله يعني ابن مسعود رضي الله عنه: «إنَّ لله على أهلِ النار مِنّة لو شاء أن يعذبهم بأشد من النار لعذبهم»[4].

وقال أبو سليمان الداراني: «جلساء الرحمن يوم القيامة مَن جَعَل فيهم خصالاً: الكَرم، السَّخَاء، والحِلم، والرأفة، والرحمة، والشكر، والبِرَّ، والصَّبْرَ»[5].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه [قال رسول الله ﷺ][6]: «من رأى صاحبَ بلاءٍ فقال: الحمدُ لله الذي عافاني مما ابتلاك به، وفضلني عليك وعلى جميع خلقِه تفضيلاً، فقد أدّى شكرَ تلك النعمة»[7].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٨١) بإسناد جيد.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٨٢).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٨٣)، وعنه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٨٤).
قلت: إسناده ضعيف؛ فيه روح بن عبد الواحد الحراني ليس بالمتقن.
وروي هذا التفسير مرفوعاً من حديث ابن عباس: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٤١٨٥ و٤١٨٦) وقال: «وقد روي فيها حديث مسند بإسنادين فيهما ضعف». وهو كما قال.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٨٤)، وعنه البيهقي في «الشعب» (٤٢٥٧).
قلت: إسناده ضعيف؛ لجهالة محمد بن مخلد الحراني.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٨٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/٢٢٦) من طريق موسى بن عمران الجصاص قال: سمعت أبا سليمان الداراني قال وذكره.
قلت: إسناده صحيح.

(٦) زيادة من مصادر التخريج، فإن الحديث مرفوع وليس موقوفاً.

(٧) **حسن لغيره** - أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٨٧)، والبيهقي في «الشعب» (٤١٢٩)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٣) بهذا اللفظ. =

وقال عبدالله بن وهب: سمعت عبدالرحمن بن زيد يقول: «الشكرُ يأخذُ بِجِذْمِ[1] الحمدِ وأصلِه وفرعِه. قال: ينظر في نعم الله: في بدنِه وسمعِهِ وبصرِه ويديه ورجليه وغيرِ ذلك، ليس من هذا شيءٌ إلا فيه نعمةٌ من اللهِ، حقٌّ على العبدِ أن يعملَ في النِّعمَةِ التي هي في بدنِه للهِ في طاعتِهِ ونِعْمَةٌ أخرى في الرزق، وحقٌّ عليه أن يعمل لله فيما أنْعَمَ عليه به من الرزق بطاعتِهِ، فمن عَمِلَ بهذا كان قد أَخذَ بِجِذم الشكرِ أصله وفرعِه»[2].

= وأخرجه الترمذي (٣٤٣٢)، والطبراني في «الأوسط» (٤٧٢٤)، و«الصغير» (١/ ٢٤١) و«الدعاء» (٧٩٩)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٤٦١) من طريق عبد الله بن عمر العمري عن سهيل بن أبي صالح عن أبي هريرة. قال الترمذي: «غريب من هذا الوجه». وقال الطبراني: «لم يروه عن سهيل إلاّ عبد الله تفرد به مطرف». قلت: هو كما قال الترمذي ضعيف، ورجاله ثقات غير عبد الله بن عمر العمري (المكبر) فإنه ضعيف، ومع ذلك حسّنه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٣٨).

وله شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنه: أخرجه الطبراني في «الدعاء» (٧٨٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٣)، و«أخبار أصبهان» (١/ ٢٧١)، وعنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٥/ ٢٢٥/ ٢) من طرق عن مروان بن محمد الطاطري ثنا الوليد بن عتبة ثنا محمد بن سوقه عن نافع عن ابن عمر مرفوعاً.

قال أبو نعيم: «غريب من حديث محمد، تفرَّد به مروان عن الوليد». قلت: رجاله ثقات غير الوليد بن عتبة. فقد عرفه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ١٥٠)، فقال: «معروف الحديث»، وجهله أبو حاتم فقال في «الجرح والتعديل» (٩/ ١٣): «مجهول».

قلت: عرفه أمير المؤمنين في الحديث البخاري، ومن علم حجة على من لا يعلم.

وثمت أمر آخر: أنهم ذكروا في الرواة عنه محمد بن عبد العزيز الرملي، وهنا روى عنه مروان بن محمد، وبهذا يترجح قول البخاري على مقالة أبي حاتم وغيره ممن لم يعرفه، وكأنه لذلك قال الحافظ في «التقريب»: مستور؛ أي يستشهد به وحديثه يصلح للمتابعة. فالحديث إن لم يكن حسناً لذاته بهذه الطريق، فهو حسن لغيره بحديث أبي هريرة المتقدم، وبذلك فالحديث ثابت ولله الحمد والمنة على الإسلام والسنة.

وله شاهد عن عمر: أخرجه الترمذي (٣٤٩٢) وغيره بإسناد ضعيف جداً؛ لأن فيه عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير اتفقوا على تضعيفه، وهذا يدل على أنه متروك كما جزم بذلك الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٤٧) وحققته مفصلاً في كتابي: «القول الموثوق في تصحيح حديث السوق» فلا يفرح بهذا الشاهد، وإنّما ذكرته للمعرفة.

(١) أصله.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٨٨). قلت: إسناده صحيح إلى عبد الرحمن بن زيد.

وقال كعب: «ما أنعم اللهُ على عبدٍ من نعمة في الدنيا، فشكرَها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نفعها في الدنيا، ورفَع له بها درجةً في الآخرة، وما أنعم الله على عبد نعمة في الدنيا، فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها، إلا مَنَعَه الله نفْعها في الدنيا وفتح له طبقاتٍ من النار يعذبه إن شاء، أو يتجاوزَ عنه»[1].

وقال الحسن: «من لا يرى لله عليه نعمةً إلا في مطعمٍ أو مشربٍ أو لباسٍ؛ فقد قَصُر علمُه، وَحضَر عذابُه»[2].

وقال الحسن يوماً لبكر المزني: هات يا أبا عبد الله دعوات لإخوانك. فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي ﷺ، ثم قال: «والله ما أدري أيّ النعمتين أفضل عليّ وعليكم: أنعمة المسلَكِ، أم نعمة المخرج إذا أخرجه منا». قال الحسن: إنها لمن نعمة الطعام[3][4].

وقالت عائشة رضي الله عنها: «ما من عبد يشربُ الماءَ القُراح فيدخل بغير أذى، ويَخرج الأذى إلا وجب عليه الشّكرُ»[5]. قال الحسن: «يا لها من نعمةٍ:

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٨٩)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٤٣). قلت: فيه أبو الورد بن ثمامة ضعيف وشيخه عمرو بن مرداس مجهول؛ فالإسناد ضعيف.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٩٠). قلت: إسناده ضعيف، فيه رجاء صاحب السقط ضعيف.

وأخرجه ابن أبي الدنيا (٩٢)، وعنه البيهقي (٤١٥٢) من طريق حمزة بن العباس ثنا عبدان أنبا عبد الله ثنا يزيد بن إبراهيم عن الحسن قال أبو الدرداء وذكره.

وأخرجه أبو نعيم (١/ ٢١٠) من طريق يونس بن عبيد عن الحسن به. قلت: الحسن لم يسمع من أبي الدرداء. وأخرجه أبو نعيم (٧/ ١٣٣) من طريق جبير بن نفير عن أبي الدرداء. قلت: إسناده لا بأس به.

وبالجملة: فهو من قول أبي الدرداء أصح.

(٣) هكذا في «الأصول» وفي «مصادر التخريج»: «العظام».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٩١)، وعنه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٥٨)، قلت: إسناده فيه نظر؛ لأن فيه هشام بن سلمان فيه مقال؛ كما في «اللسان».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٩٢). قلت: إسناده ضعيف جداً؛ فيه عمرو بن واقد متروك، وشهر بن حوشب ضعيف.

تدخل كلُّ لذة وتخرج مسرحاً[1]، لقد كان ملكٌ من ملوك هذه القريةِ يرى الغلامَ من غلمانِه يأتي الجُبَّ فيكتال[2] منه ثم يجرجر قائماً فيقول: يا ليتني مثلك ما يشرب حتى يقطع عنه[3] العطش، فإذا شرب كان له في تلك الشربة موتات. يا لها مِن نعمةٍ»[4].

وكتب بعض العلماء إلى أخٍ له: «أما بعد: فقد أصبح بنا من نِعَم اللهِ ما لا نُحصيه مع كثرةِ ما نعصيه، فما ندري أيهّما نَشْكُرُ، أجميل ما يَسَّرَ أم قبيحَ ما سَتَرَ؟»[5].

وقيل للحسن: هاهنا رجل لا يجالسُ الناس، فجاء إليه فسأله عن ذلك فقال: «إنّي أمسي وأصبح بين ذنب ونعمة، فرأيت أن أشغلَ نفسي عن الناسِ بالاستغفارِ من الذنبِ والشكر لله على النعمة، فقال له الحسن: «أنت عندي يا عبد الله أفقه من الحسن، فالزم ما أنت عليه»[6].

وقال ابن المبارك: سمعت علياً بنَ صالح يقول في قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. قال: «أي: من طاعتي»[7].

---

(١) هكذا في «الأصول» وفي «مصادر التخريج»: «سُرُحاً»، ولعله الصواب، ومعناه: سهلاً سريعاً.

(٢) هكذا في «الأصول»، وفي مصادر التخريج: «يكتاز»، وهو الصواب، ومعناه: يملاء الكوز، ويغترف به.

(٣) هكذا في «الأصول»، وفي مصادر التخريج: «عنقه».

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٩٣)، وعنه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٥٩). قلت: إسناده حسن. وهذا القول ذكر بعضه ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٤/٢٠٩) ثم قال: «وكان بهذا الملك أسْرٌ، وهو احتباس بوله، فتمنّى حال غلامه».

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٩٤).

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٩٦). قلت: إسناده فيه محمد بن يزيد بن خنيس ضعيف.

(٧) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٣٢٠)، ومن طريقه ابن جرير في «التفسير» (١٣/ ١٨٦)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٩٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢١٢). قلت: وهو صحيح.

والتحقيق: أن الزيادة من النِعَم، وطاعته من أجلِّ نِعَمِهِ.

وذكر ابن أبي الدنيا: أن محاربَ بن دِثّار كان يقول بالليل ويرفع صوته أحياناً: «أنا الصغيرُ الذي ربيتَهُ فلك الحمدُ، وأنا الضعيفُ الذي قوّيتَه فلك الحمدُ، وأنا الفقيرُ الذي أغنيته فلك الحمدُ، وأنا الصُعلوكُ الذي موَّلته فلك الحمد، وأنا العَزَب الذي زوّجته فلك الحمدُ، وأنا الساغِبُ [1] الذي أشبعته فلك الحمد، وأنا العاري الذي كَسَوته فلك الحمدُ، وأنا المسافر الذي صاحبته فلك الحمدُ، وأنا الغائب الذي رَدَدته فلك الحمد، وأنا الراجل الذي حَمَلته فلك الحمدُ، وأنا المريض الذي شفيته فلك الحمد، وأنا السّائل الذي أعطيته فلك الحمد، وأنا الداعي الذي أجبتَه فلك الحمد، ربّنا ولك الحمدُ حمداً كثيراً»[2].

وكان بعض الخطباء يقول في خطبته: «اختط لك الأنفَ فأقامه وأتمَّه، فأحسن تمامه، ثم أدار منك الحَدَقة فجعلها بجُفونٍ مُطْبِقَةٍ وبأشفارٍ[3] مُغْلَقَةٍ، ونقلك من طبقةٍ إلى طبقةٍ، وحَنَّنَ عليك قلبَ الوالدين برقَّةٍ ومِقَةٍ[4]، فنِعمَةُ الله عليك مَورِقَةٌ، وأياديه بك مُحْدِقَةٌ»[5].

وكان بعض العلماء يقول في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ﴾ [إبراهيم: ٣٤] : «سبحان من لم يجعل لِحَدٍّ معرفةِ نِعَمِه إلا العلم بالتقصير عن معرفتها، كما لم يجعل لِحَدٍّ إدراكه أكثر من العلم أنه لا يُدْرك، فجعل معرفةَ نعمه بالتقصير عن معرفتها شكراً، كما شكر علم العالمين أنهم لا

---

(١) الجائع.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٩٩)، و«التهجد» (٤٢)، وعنه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٧٦) بإسناد فيه عنبسة بن الأزهر الشيباني صدوق ربما أخطأ. وتابعه الليث ابن سعد: أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص ٩٨ ـ ٩٩). قلت: فهو صحيح بذلك، والله أعلم.

(٣) جمع شفْرُ، وهو حرف الجفن الذي ينبت عليه الهدب.

(٤) المحبة.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٠٠)، وعنه البيهقي في «الشعب» (٤١٥٠). قلت: إسناده صحيح، وهو من قول أبي طالب وهو: زيد بن أخزم الطائي الثقة الحافظ.

يدركونه فجعله إيماناً، عِلْمَاً منه أن العباد لا يتجاوزون ذلك»[1].

وقال عبدالله بن المبارك: أخبرنا المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خصلتان من كانتا فيه كتبهُ اللهُ صابراً شاكراً، ومن لم يكونا فيه لم يكتبْهُ صابراً شاكراً؛ من نظرَ في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به، ومن نظر في دنياه إلى من هو دونه فحمدَ اللهَ على ما فضله به عليه كتبه الله صابرا شاكرا، ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ونظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه اللهُ صابراً شاكراً»[2].

وبهذا الإسناد عن عبد الله بن عمرو موقوفاً عليه: « أربعُ خصالٍ من كنَّ فيه بَنَى اللهُ له بيتاً في الجنة: من كان عصمةُ أمره لا إله إلا الله، وإذا أصابته مصيبةٌ قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وإذا أُعطي شيئا قال: الحمدُ لله، وإذا أذنب قال: أستغفر الله»[3].

وقال ابن المبارك عن شِبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣] قال: «لم يأكل شيئاً إلا حمدَ اللهَ عليه، ولم يشرب شراباً قطُّ إلا حَمِدَ الله عليهَ،[ولم يمش مشياً قطُّ إلا حَمِدَ الله عليه][4]، ولم يبطش بشيء قط إلا حمد الله عليه، فأثنى الله عليه أنه كان عبداً شكوراً»[5].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٠٢)، وعنه البيهقي في «الشعب» (٤٣٠٤).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (١٨٠ ـ زوائد نعيم) ـ وعنه ابن أبي الدنيا (٢٠٤)، والترمذي (٢٥١٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤١٠٢) ـ وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣١٠) من طريق ابن ثوبان عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب به.
قلت: إسناده ضعيف؛ لأن المثنى بن الصباح ضعيف، وقد اختلفت نسخ الترمذي في نقل الحكم على الحديث ففي بعضها: «غريب»، وفي البعض الآخر: «حسن غريب»، والقول بالضعف هو الأنسب. وضعفه البغوي والمناوي وشيخنا في «الضعيفة» (١٩٢٤).

(٣) أخرجه عبد الله بن المبارك في «الزهد» (١٨٢ ـ زوائد نعيم)، وعنه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٠٥). قلت: إسناده ضعيف كسابقه.

(٤) زيادة من «م»، وهو الموافق لما في مصادر التخريج.

(٥) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٩٤١)، وعنه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٠٦)، =

وقال محمد بن كعب: «كان نوح إذا أكل قال: الحمدُ لله، وإذا شرب قال: الحمدُ لله، وإذا لبس قال: الحمدُ لله، وإذا ركب قال الحمدُ لله، فسمّاه الله عبداً شكوراً»[1].

وقال ابن أبي الدنيا: بلغني عن بعض الحكماء قال: «لو لم يعذِّب اللهُ على معصيته، لكان ينبغي أن لا يُعصَى لشكرِ نعمته»[2].

ولله تبارك وتعالى على عبده نوعان من الحقوق لا ينفك عنهما:

أحدهما: أمرُه ونهيُهُ اللَّذَانِ هما محضُ حقِّه عليه.

والثاني: شُكرُ نِعَمه التي أنعم بها عليه.

فهو سبحانه يطالبه بشكر نعمِه وبالقيام بأمرِه، فمشهد الواجب عليه لا يزال يشهدُ تقصيرَه وتفريطَه وأنه محتاج إلى عفو الله ومغفرته، فإن لم يداركه بذلك هلك، وكُلَّمَا كان أفقهَ في دين اللهِ كان شهودُه للواجب عليه أتمَّ، وشهودُه لتقصيره أعظم، وليس الدِّينُ بمجرد ترك المحرمات الظاهرَةِ بل بالقيام مع ذلك بالأوامر المحبوبة لله، وأكثر الديّانين لا يعبأون منها إلا بما شاركهم فيه عمومُ الناس.

وأما الجهادُ والأمرُ بالمعروفِ والنَّهْيُ عن المنكرِ والنَّصِيحةُ للهِ ورسولهِ

= والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٥٧)، وابن عساكر (١٧/ ٣٣٥/ ١). قلت: رجاله ثقات لكن ابن أبي نجيح ربما دلس، ولم يصرح بالتحديث، لكن تابعه ابن جريج عند الطبري في «التفسير» (١٥/ ١٦) مختصراً؛ فالأثر بذلك صحيح، والله أعلم.

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٩٤٠) ومن طريقه ابن أبي الدنيا (٢٠٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨/ ٤٠١/ ٤١٥٧ ـ هندية)، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص٦٦ ـ ٦٧) وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ٤١) من طريق هشام بن سعد قال: سمعت محمد بن كعب وذكره. قلت: إسناده حسن؛ لأن هشاماً صدوق له أوهام، وباقي رجاله ثقات.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٠٨)، وعنه البيهقي (٨/ ٤٤٦/ ٤٢٢٧ ـ هندية)، بلغني عن بعض الحكماء. قلت: إسناده ضعيف للانقطاع بين ابن أبي الدنيا وبعض الحكماء.

وعباده ونصرةُ اللهِ ورسوله ودينِهِ وكتابِهِ، فهذه الواجباتُ لا تخطر ببالهم، فضلاً عن أن يريدوا فعلها، وفضلاً عن أن يفعلوها، وأقلُّ الناس ديناً وأمقتهم إلى الله من ترك هذه الواجبات وإن زَهَدَ في الدنيا جميعاً، وقلَّ أن ترى منهم من يَحْمَرُّ وجهُه وَيُمَعِّرُه لله، ويغضبُ لحرماته، ويبذلُ عرضه في نصرة دينه، وأصحابُ الكبائرِ أحسنُ حالاً عند الله من هؤلاء.

وقد ذكر أبو عُمر وغيرُه: «أن اللهَ تعالى أَمر ملكاً من الملائكةِ أن يخسف بقريةٍ، فقال: يا رب إن فيهم فلاناً الزاهد العابد قال: به فابدأ، وأسمعني صوتَه، إنه لم يَتَمَعَّرْ وجهُه فيَّ يومٌ قطُّ»[1].

وأما شهودُ النِّعمة فإنه لا يدعُ له رؤيةَ حسنةٍ من حسناته أصلاً ولو عمل أعمال الثَّقَلين، فإن نعم الله سبحانه أكثر من أعماله، وأدنى نعمةٍ تستنفدُ عَمَلَه، فينبغي للعبد ألا يزالَ ينظر في حقِّ الله عليه.

قال الإمام أحمد: حدثنا حجاج حدثنا جرير بن حازم عن وهب قال: «بلغني أن نبيَّ الله موسى عليه السلام مر برجل يدعو ويتضرع، فقال: يا رب

---

(١) **ضعيف جداً** ـ أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٣٩٠ ـ مجمع البحرين)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٥٩٥)، وابن الأعرابي في «معجمه» (ق/١٩٩/أ) من طريق عبيد بن إسحاق العطار نا عمار بن سيف عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعاً.
قلت: إسناده ضعيف جداً فيه علل:
الأولى: عبيد بن إسحاق العطار ضعيف؛ كما نص على ذلك الحافظان الذهبي وابن حجر.
الثانية: عمار بن سيف متروك، كما قال الدارقطني وغيره.
وقد وقع عند ابن الأعرابي وصف عمار بأنه شيخ صدق وهو من قول تلميذه عبيد بن إسحاق وهو ضعيف كما ترى. ولذلك قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٧٠): «رواه الطبراني في «الأوسط» من رواية عبيد بن إسحاق العطار عن عمار بن سيف وكلاهما ضعيف». وقال العراقي كما في «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» (٢٠٣٧): «رواه الطبراني في «الأوسط» والبيهقي في «الشعب»، وضعفه، وقال: المحفوظ من قول مالك بن دينار». قلت: قول مالك: أخرجه البيهقي في «الشعب» (٧٥٩٤) وقال: «هذا هو المحفوظ من قول مالك بن دينار وقد روي من وجه آخر ضعيف مرفوعاً»، وكأنه لذلك لم يذكره المصنف مرفوعاً؛ فأحسن.

ارحمه فإني قد رحمتُه. فأوحى اللهُ إليه: لو دعاني حتى تنقطع قواه ما استجبت له حتى ينظر في حقّي عليه»[1].

فمشاهدةُ العبدِ النِّعْمَةَ والوَاجِبَ لا تدعُ له حسنةً يراها، ولا يزال مُزْرِياً على نفسه ذامّاً لها وما أقربه من الرحمة إذا أعطى هذين المشهدين حقَّهما، والله المستعان.



(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١١١).

الباب الحادي والعشرون

الحكم بين الفريقين، والفصل بين الطائفتين

نقول: كلُّ أمرين طُلِبت الموازنةُ بينهما ومعرفةُ الراجح منهما على المرجوح، فإن ذلك لا يمكن إلا بعدَ معرفَةِ كلٍّ منهما، وقد ذكرنا حقيقة الصبر وأقسامه وأنواعه، ونذكر حقيقة الشُّكْرِ وماهيته.

قال في «الصَّحَاح»: الشُكرُ الثناءُ على الـمُحسِنِ بما أولاكَهَ من المعروف، يقال: شكَرتُهُ، وشَكَرْتُ لَهُ. واللام أفصحُ.

وقوله تعالى: ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] يحتمل أن يكون مَصْدراً كالقعود، وأن يكون جمعاً كالبرود والكفور.

والشُّكْران خلافُ الكُفْرانِ، وتَشَكرْتُ له مثل شكرت له. والشَّكُورَ من الدَّوَابِّ ما يكفيه العَلَفُ القليلُ. واشتكَرَتِ السماءُ اشتدَّ وقعُ مطرِها. واشتكرَ الضرعُ امتلأ لَبَناً، تقول: منه شَكِرَتِ النَّاقةُ بالكسر تَشْكَرُ شَكَراً فهي شَكِرَةٌ، وشَكِرَت الشَّجَرَةُ تَشكَر شَكَراً إذا خرج منها الشَّكِيرُ، وهو ما ينبُت حول الشجرة من أصلها.

فتأمل هذا الاشتقاق وقابل[1] بينه وبين الشكر المأمور به، وبين الشكر الذي هو جزاء الربِّ الشّكُورِ، كيف نجد في الجميع معنى الزيادة والنماء.

ويقال: أيضاً: دابةٌ شَكُورٌ، إذا أظهرت من السِّمَنِ فوق ما تُعطى من العلفِ.

---

(١) في «م»: «طابق».

وشُكرُ العبد يدور على ثلاثة أركان، لا يكون شاكراً إلا بمجموعها:

أحدها: اعترافه بنعمة الله عليه.

والثاني: الثناء عليه بها.

والثالث: الاستعانة بها على مرضاته.

وأما قول الناس في الشكر: فقالت طائفة: «هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع». وقيل: «الشكرُ هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه إليه، فَشُكْرُ العَبْدِ ثَنَاؤُهُ عليه بذكر إحسانه إليه»[1]. وقيل: «شكر النعمة مشاهدةُ المِنَّةِ، وحفظُ الحُرْمَة، والقيامُ بالخدمة»[2]. وقيل: «شكر النعمة أن ترى نفسك فيها طُفَيْلِيّاً»[3]. وقيل: «الشكر معرفة العجز عن الشكر»[4].

ويقال: «الشكر على الشكر أتم من الشكر، وذلك أن ترى شكرك بتوفيقه، وذلك التوفيق من أجلِّ النِّعَم عليك، تشكرُ على الشكر، ثم تشكره على الشكر؛ ألاَّ ترى نفسك للنعمة أهلاً»[5]. وقيل: «الشكر استفراغُ الطاقة في الطاعة»[6].

وقيل: «الشاكر الذي يشكر على الموجود، والشَّكُورُ الذِي يشكرُ على المفقود»[7]. وقيل: «الشاكر الذي يشكر على الرِّفد، والشكور الذي يشكر على الرَّدِّ»[8]. وقيل: «الشاكر الذي يشكر على النفع، والشكور الذي يشكر على المنع»[9]. وقيل: «الشاكر الذي يشكر على العطاء، والشكور الذي يشكر على البلاء»[10].

---

(١) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٤).

(٢) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٤) ونسبه إلى لأبي بكر الوراق.

(٣) «الرسالة القشيرية» ونسبه إلى حمدون القصار.

(٤) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٤) ونسبه لأبي عثمان.

(٥) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٤).

(٦) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٥) ونسبه لرويم.

(٧) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٥).

(٨) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٥).

(٩) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٥).

(١٠) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٥).

وقال الجنيد: «كنت بين يدي السَّري ألعبُ، وأنا ابنُ سبع سنين، وبيننا جماعة يتكلّمون في الشكر، فقال لي: يا غلام، ما الشكرُ؟ فقلت: ألاّ تعصي الله بنعمة، فقال: يوشك أن يكون حظُّك من الله لسانَك، فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السري»[1].

وقال الشبلي: «الشكرُ رؤية المُنْعِم لا رؤية النعم»[2]. وهذا ليس بجيد، بل من تمام الشكر أن تشهدَ النعمةَ من المُنعِم.

وقيل: «الشكر قيد الموجود وصيد المفقود»[3].

وقال أبو عثمان: «شكرُ العامّة على المطعم والملبَس، وشُكر الخَواصّ على ما يرد على قلوبهم من المعاني»[4].

وحبس السلطانُ رجلاً؛ فأرسل إليه صاحبه: أُشكر الله، فَضُرِب، فأرسل إليه: أُشكر الله. فجيء بمحبوس مجوسي مبطون[5]، فَقُيِّدَ فجعل حلقة من قيده في رجلِه وحلقة في الرجل المذكور، فكان المجوسي يقوم بالليل مرات فيحتاج الرجلُ أن يقفَ على رأسه حتى يفرغ، فكتب إليه صاحبه: اشكر الله، فقال له: إلى متى تقول اشكر الله، وأي بلاء فوق هذا؟ فقال: ولو وُضع الزِّنّارُ الذي في وسطه في وسطك كما وضع القيد الذي في رجلِه في رجلك ماذا كنت تصنع؟ فاشكر الله[6].

ودخل رجل على سهل بن عبد الله فقال: اللِّصُّ دخل داري وأخذ متاعي، فقال: اشكر الله، فلو دخل اللص قلبك، وهو الشيطان، وأفسد عليك التوحيد ماذا كنت تصنع[7]؟

---

(١) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٥).
(٢) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٥).
(٣) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٥).
(٤) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٥).
(٥) عليل البطن.
(٦) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٦).
(٧) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٦).

وقيل: «شكر التلذذ بثنائه على ما لم يستوجبه من عطائه»[1]. وقيل: «إذا قصرت يدُك عن المكافأة فليطل لسانُك بالشكر»[2]. وقيل: «أربعة لا ثمرةَ لهم: مشاورة الأصم، ووضع النعمة عند من لا يشكرها، والبَذْرُ في السِّباخ، والسّراج في الشمس»[3].

والشكر يتعلقُ بالقلبِ واللِّسَانِ والجوارحِ: فالقلب للمعرفة والمحبّة، واللِّسان للثناء والحمد، والجوارح لاستعمالها في طاعة المشكور وكفِّها عن معاصيه.

وقال الشاعر:

أفادتكم النعَّماءُ مني ثلاثةً ... يدي ولساني والضَّمير المُحَجَّبا

والشّكر أخصُّ بالأفعال، والحمدُ أخصُّ بالأقوال، وسببُ الحمدِ أَعَمُّ من سبب الشكر، ومتعلقُ الشكرِ وما به الشكر أعمُّ مما به الحمد، فما يُحمدُ الربُّ تعالى عليه أعمُّ مما يُشكَر عليه، فإنه يُحمد على أسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه، ويُشكر على نعمه، وما يُحمَدُ به أخصُّ مما يُشكر به، فإنه يُشْكَر بالقلب واللسان والجوارح، ويحَمدُ بالقلبِ واللِّسانِ.

إذا عُرِفَ هذا فَكُلٌّ مِنَ الصَّبرِ والشُّكر داخلٌ في حقيقةِ الآخر لا يمكن وجودُه إلا به، وإنما يَعَبَّرُ عن أحدِهما باسمه الخاص به باعتبار الأغلب عليه والأظهر منه، وإلا فحقيقةُ الشكر إنّما يلتئِم من الصبر والإرادة والفعل، فإن الشكرَ هو العملُ بطاعة الله وتركُ معصيته، والصّبر أصلُ ذلك. فالصّبر على الطاعة وعن المعصية هو عينُ الشكر، وإذا كان الصَّبرُ مأموراً به، فأداؤه هو الشّكرُ.

فإن قيل: فهذا يُفْهَمُ منه اتحادُ الصّبر والشّكر، وأنهما اسمان لمسمّى واحد، وهذا مُحَالٌ عقلاً ولغةً وعُرفاً، وقد فَرّق الله سبحانه بينهما.

---

(١) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٦).

(٢) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٦).

(٣) «الرسالة القشيرية» (ص١٧٦ ـ ١٧٧).

قيل: بل هما معنيان متغايران، وإنّما بَيّنّا تلازمَهما وافتقارِ كلٍّ واحد منهما في وجود ماهيته إلى الآخر، ومتى تجرَّد الشكرُ عن الصبر بَطَل كونه شكراً، وإذا تجرد الشكر عن الصبر بطل كونه صبراً؛ أمّا الأولُ فظاهرٌ، وأما الثاني إذا تجرد عن الشكر كان كفوراً، ومنافاة الكفور للصبر أعظم من منافاة السخوط.

فإن قيل: بل ههنا قسم آخر وهو: أن لا يكون كفوراً ولا شَكوراً بل صابراً على مَضضٍ وكراهَةٍ شديدةٍ، فلم يأت بحقيقةِ الشكرِ ولم يخرج عن ماهية الصبر. **قيل**: كلامنا في الصبر المأمورِ به الذي هو طاعة، لا في الصبر الذي هو تَجَلُّدٌ كصبر البهائم، وصبر الطاعة لا يأتي به إلا شاكر، ولكن اندرج شكرُه في صبرِه فكان الحكم للصبرِ، كما اندرج صبرُ الشكور في شكرِه فكان الحكمُ للشكر.

فمقامات الإيمان لا تعدَم بالتنقلِ فيها بل تندرج وينطوي الأدنى في الأعلى، كما يندرج الإيمانُ في الإحسان، وكما يندرج الصبر في مقامات الرضى لا أن الصبر يزول، ويندرج الرضى في التفويض، ويندرج الخوف والرجاء في الحبِّ لا أنهما يزولان.

فالمقدور الواحد يتعلَّق به الشكر والصبر سواء كان محبوباً أو مكروهاً، فالفقر مثلاً يتعلق به الصبر وهو أخص به لما فيه من الكراهة، ويتعلق به الشكر لما فيه من النعمة، فمن غلب شهودُ نعمته وتلذَّذ به واستراح واطمأن إليه عدَّه نعمةً يَشْكُر عليها، ومن غلب شهودُ ما فيه من الابتلاءِ والضيق والحاجة عدَّه بليةً يَصبِر عليها، وعَكْسُه الغني.

على أن الله سبحانه ابتلى العبادَ بالنّعم كما ابتلاهم بالمصائِب، وَعَدَّ ذلك كلَّه ابتلاءً؛ فقال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: ٣٥]. وقال: ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر: ١٥ ـ ١٦]. وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف: ٧]. وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

فأخبر سبحانه أنَّه خَلَق العالم العُلوي والسُّفلي، وَقَدَّر أجلَ الخَلْقِ، وخَلَق ما على الأرضَ للابتلاءِ والاختبارِ، وهذا الابتلاءُ إنّما هو ابتلاءُ صبرِ العباد وشكرِهم في الخير والشَّرِّ والسَّرّاء والضَّرّاء، فالابتلاء من النّعم من الغِنَى والعافية والجاه والقدرة، وتأتي الأسباب أعظم الابتلاءَيْن، والصبر على طاعةِ الله أشقُّ الصَّبْرَيْن. كما قال الصحابةُ رضي الله عنهم: «ابتلينا بالضَّراءِ فصبرنا، وابتلينا بالسَّرّاءِ فلم نَصبِر»[1].

والنعمة بالفقر والمرض وقبض الدنيا وأسبابها وأذى الخلق قد يكون أعظمَ النِّعمَتَيْن، وفرضُ الشكر عليها أوجب من الشكر على أضدادِها، فالربُّ تعالى يبتلي بنعمه، وَيُنعِمُ بابتلائه.

غير أنَّ الصبر والشكر حالتان لازمتان للعبد في أمْرِ الربِّ ونهيه وقضائه وقدره لا يُسْتَغنى عنهما طرفةَ عين.

والسؤالُ عن أيهما أفضلُ؟ كالسّؤال عن الحسِّ والحركةِ أيهما أفضل؟ وعن الطعامِ والشراب أيهما أفضل؟ وعن خوف العبد ورجائه أيهما أفضل؟.

فالمأمور لا يُؤدّى إلا بصبرٍ وشُكرٍ، والمحظورُ لا يترك إلا بصبرٍ وشُكرٍ. وأما المقدورُ الذي يُقَدَّرَ على العبد من المصائب فمتى صبر عليها اندرج شكره في صبره، كما يندرج صبرُ الشاكرِ في شكره. ومما يُوَضِّحُ هذا: أن الله سبحانه امتحَن العبدَ بنفسِه وهواه وأوجَبَ عليه جهادَهما في الله، فهو في كلِّ وقتٍ في مجاهدةِ نفسِه حتى تأتي بالشُّكرِ المأمور به، ويصبِرُ عن الهوى الـمَنهِي عن طاعته، فلا يَنْفَكُّ العبدُ عنهما، غنياً كان أو فقيراً، معافى أو مبتلى.

وهذه هي مسألةُ الغنيِّ الشَّاكرِ والفقير الصّابِرِ أيُّهما أفضلُ؟.

وللناس فيها ثلاثة أقوال: وهي التي حكاها أبو الفرج بن الجوزي وغيرُه في عموم الصبر والشكر أيهما أفضل، وقد احتجت كلُّ فرقة بِحُجَجٍ وأدلَّةٍ على قولِها.

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٤) عن عبد الرحمن بن عوف وحسّنه. قلت: وهو كما قال.

والتحقيق أن يقال: أفضلهما أتقاهما لله تعالى؛ فإن فُرِضَ استواؤهما في التقوى استويا في الفضل، فإن الله سبحانه لم يفضل بالفقر والغنى كما لم يفضل بالعافية والبلاء، وإنما فضل بالتقوى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقد قال ﷺ: «لا فضلَ لعربي على عجَمي، ولا فضل لعجمي على عَرَبي إلا بالتّقوى، الناسُ من آدم، وآدم من تراب»[(١)].

والتقوى مبنية على أصلين: الصَّبرِ والشّكرِ، وكل من الغني والفقير لا بدَّ له منهما، فمن كان صبرُه وشكرُه أَتَمَّ كان أفضَلَ.

فإن قيل: فإذا كان صبرُ الفقير أتمَّ وشكرُ الغني أتم فأيّهما أفضَلُ، **قيل**: أتقاهما لله في وظيفته ومقتضى حاله، ولا يصحُّ التفضيلُ بغير هذا ألبتة. فإنَّ الغني قد يكونُ أتقى لله في شكرِه من الفقير في صبرِه، وقد يكون الفقيرُ أتقى لله في صبرِه من الغني في شكرِه، فلا يَصِحُّ أن يقال: هذا بغناه أفضلُ ولا هذا بفقرِه أفضلُ.

ولا يَصِحُّ أن يقال: هذا بالشكر أفضل من هذا بالصبر، ولا بالعكس، لأنهما مطيّتان للأيمان لا بُدَّ منهما، بل الواجب أن يقال: أقومهما بالواجب والمندوبِ هو الأفضل، فإنَّ التفضيل تابعٌ لهذين الأمرين. كما قال تعالى في الأثر الإلهي: «ما تَقَرَّبَ إليَّ عبدي بمثل مداومة ما افترضت عليه، ولا يزالُ عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافِل حتى أحبَّه»[(٢)]. فأيّ الرجلين كان أقومَ بالواجبات وأكثرَ نوافلَ كان أفضلَ.

فإن قيل: فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «يدخُلُ فقراءُ أمّتي الجنّةَ قبل

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٥/٤١١) من طريق سعيد الجريري عن أبي نضرة حدثني من سمع خطبة رسول الله ﷺ. قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات، وجهالة الصحابي لا تضر.

(٢) جزء من حديث الولي المشهور: أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أغنيائهم بنصفِ يومٍ وذلك خمسمائة عام»[1]. **قيل**: هذا لا يدلُّ على فضلِهم على الأغنياءِ في الدرجةِ وعُلُوِّ المنزلة وإن سبقوهم في الدخول، فقد يتأخرُ الغنيُّ والسلطانُ العادلُ في الدخولِ لحسابِه، فإذا دخل كانت درجتُه أعلى ومنزلتهُ أرفع كسبقِ الفقيرِ القفل في المضائقِ وغيرها، ويتأخرُ صاحبُ الأحمالِ بعدَه.

فإن قيل: فقد قال النبي ﷺ للفقراء لما شكوا إليه زيادَة عملِ الأغنياء عليهم بالعِتْقِ والصَّدَقة: «ألا أدلّكم على شيءٍ إذا فعلتموه أدركتم به من سَبَقكم» فدلَّهم على التَّسبيحِ والتَّحميدِ والتّكبيرِ عقب كلِّ صلاة، فلما سمع الأغنياءُ ذلك عملوا به، فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[2]

---

(١) **صحيح لغيره** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٥٣ و٢٣٥٤)، والنسائي في «التفسير» (٢/ ٩٢)، وابن ماجه (٤١٢٢)، وأحمد (٢/ ٢٩٦ و٣٤٣ و٤٥١ و٥١٢ و٥١٣ و٥١٩)، وابن حبان (٦٧٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٢٤٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥٩١٢ و٧/ ٩١ و٩٩ و١٠٠ و٨/ ٢١٢ و٢٥٠)، وفي أخبار أصبهان (١/ ٣٢٤)، وهناد في «الزهد» (٥٨٩)، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٠٩، ٣٥١)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٢٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٣٠١/ ١٠٣٨٢)، في «البعث والنشور» (٤٠٨)، وأبو يعلى (١٠/ ٤١١/ ٦٠١٨) من طرق عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً. قلت: إسناده حسن؛ لأن محمد بن عمرو صدوق. وله طريق أخرى عند أحمد (٢/ ٥١٢ ـ ٥١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٠٧)، وأخبار أصبهان» (٢/ ٥٩)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٠٩) عن أسود ثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش عن أبي صالح عنه به. قلت: إسناده حسن؛ لأن أبا بكر بن عياش حسن الحديث. وله طريق أخرى عند أحمد (٢/ ٥١٩) والبيهقي في «البعث والنشور» (٤٠٦ و٤٠٧) عن سليمان بن داود أنا سعيد عن الجريري قال: سمعت أبا نضرة يحدث عن شتير بن نهار عن أبي هريرة. قلت: إسناده فيه ضعف.
وبالجملة: فالحديث صحيح بطرقه، وله شواهد من حديث أبي سعيد الخدري، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم.

(٢) أخرجه البخاري (٨٤٣) دون قوله: «فلما سمع الأغنياء ذلك...» ومسلم (٥٩٥)، والسياق له من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
تنبيه: نبه الحافظ رحمه الله في «فتح الباري» (٢/ ٣٣٠) على أن هذه الزيادة عند مسلم مرسلة عن أبي صالح. ثم ذكر له شاهدين لكن في إسنادهما ضعف، وانفصل إلى قوله: «فعلى هذا لم يصح بهذه الزيادة إسناد، إلاّ أن هذين الطريقين يقوى بهما مرسل أبي صالح».

[الحديد: ٢١]. وهذا يدلُّ على ترجيح حال الغني الشاكر.

قيل: هذا حُجَّةٌ للقولِ الذي نَصَرْناه، وهو: أن أفضلَهما أكثرُهما نوافل، فإن استويا وهاهنا قد ساوى الأغنياء الفقراء في أعمالهم المفروضة والنافلة، وزادوا عليهم بنوافل العتق والصدقة، وفضلوهم بذلك فساووهم في صبرهم على الجهاد والأذى في الله والصبر على المقدور، وزادوا عليهم بالشكر بنوافل المال، فلو كان للفقراء بصبرهم نوافل تزيد على نوافل الأغنياء لفضلوهم بها.

فإن قيل: إن النبي ﷺ عُرِضت عليه مفاتيحُ كنوزِ الدنيا فَرَدَّها، وقال: «بل أشبَعُ يوماً وأجوعُ يوماً»[1].

وقال هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «خَرَج رسولُ الله ﷺ من الدّنيا ولم يَشْبَع من خُبْزِ البُرِّ»[2] و«مات ودرعُه مرهونةٌ عند يهودي على طعامٍ أَخَذَه منه»[3].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وكيع حدثنا الأعمش عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»[4].

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن محمد حدثنا عباد بن عباد حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها: دخلت عَلَيّ

---

(١) مضى تخريجه (ص ١٨٤).

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٠) عن هشام بهذا اللفظ. وأخرجه مسلم (٢٩٧٠) (٢٤) عن هشام به ولفظه: «ما شبع آل محمد من خبز البُر ثلاثاً حتى مضى لسبيله». وأخرجه البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠) من طريق الأسود عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما شبع آل محمد ﷺ منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعاً حتى قبض»

(٣) أخرجه البخاري (٢٩١٦ و٤٤٦٧)، ومسلم (١٦٠٣).

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٦)، و«الزهد» (ص١٣). وأخرجه وكيع في «الزهد» (١١٩) وعنه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٢٤٠) وعنه مسلم (١٠٥٥). وأخرجه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥) من طريق محمد بن فضيل عن أبيه عن عمارة به.

امرأةٌ من الأنصار، فرأت فراشَ النَّبيِّ ﷺ عباءة مثنية، فرجعت إلى منزلها فبعثت إلي بفراشَ حشوه الصّوف، فدخل عليَّ ﷺ فقال: «ما هذا؟» فقلت: فلانة الأنصارية دخلت عليَّ فرأت فراشك فبعثت إليَّ بهذا. فقال: «رديه» فلم أرده، وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال لي ذلك ثلاث مرات، فقال: «يا عائشة رديه، فوالله لو شئتُ لأجرى اللهُ معي جبال الذهب والفضة» فرددته[1].

ولم يكن الله سبحانه ليختار لرسوله إلا الأفضل، هذا مع أنّه لو أخذ الدنيا لأنفقها كلها في مرضاة الله، ولكان شكره بها فوق شكر جميع العالمين.

قيل: احتج بحالِ رسول الله ﷺ كلُّ واحدةٍ من الطائفتين.

والتحقيق: أن الله سبحانه وتعالى جمع له بين [المقامين][2] كليهما على أتم الوجوه، وكان سيد الأغنياء الشاكرين وسيد الفقراء الصابرين، فحصل له [من][3] الصبر على الفقر ما لم يحصل لأحد سواه، ومن الشكر على الغنى ما لم يحصل لغني سواه، ومن تأمل سيرتَه وجدَ الأمرَ كذلك، فكان ﷺ أصبرُ الخلقِ في مواطنِ الصّبرِ، وأشْكَرَ الخلقِ في مواطن الشكر، وربه تعالى كَمَّلَ له مراتبَ الكمال فجعله في أعلى رُتَبِ الأغنياء الشاكرين، وفي أعلى مراتب الفقراء الصابرين. قال تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ [الضحى: ٨].

وأجمع المفسرون: أن العائل هو الفقير، يقال: عَالَ الرجل يَعِيلُ، إذا افتقر، وأَعَال يُعِيل: إذا صار ذا عِيَالٍ، مثل: لبن وأثمر وأثرى، إذا صار ذا لبن وثمر وثروة، وعَالَ يَعُول: إذا جار، ومنه قول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ [النساء: ٣]. قيل: المعنى ألا تَكْثُر عِيالُكم. والقول هو الأول لوجوه:

أحدها: أنه لا يُعرف في اللُّغة عَالَ يَعُول إذا كَثُرَ عياله، وإنما المعروف في

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٢٠). وأخرجه أبو الشيخ في «أخلاق النبي ﷺ» (ص١٣٦) من طريق عباد بن عباد عن مجالد به. قلت: إسناده ضعيف؛ فيه مجالد بن سعيد، وهو ضعيف.

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) زيادة من «م».

ذلك عال يعيل، وأما عال يعول فهو بمعنى الجور ليس إلا، هذا الذي ذكره أهل اللغة قاطبة.

الثاني: أنه سبحانه قابل ذلك بالعدل الذي نقلهم عند خوفهم من فقده إلى الواحدة والتسري بما شاؤوا من ملك أيمانهم، ولا يحسن هنا التعليل بعدم العيال.

[ويوضحه الوجه][1] **الثالث**: أنه سبحانه نقلهم عند الخوف من عدم القِسْطِ في نكاح اليتامَى إلى من سواهن من النساء لئلا يقعوا في ظلم أزواجهم اليتامَى، وجوَّز لهم نكاحَ الواحدةِ وما فوقها إلى الأربع، ثم نقلهم عند خوف الجور وعدم العدل في القِسمَة إلى الواحدة أو النوع الذي لا قسمة عليهم في الاستمتاع بهن، وهن الإماء، فانتظمت الآيةُ ببيان الجائز من نكاح اليتامى والبوالغ والأولى من ذينك القسمين عند خوف العدل، فما لكثرة العيال مدخل هاهنا ألبتةَ.

[ويوضحه الوجه][2] **الرابع**: أنه لو كان المحذورُ كثرةَ العيال لما نقلهم إلى ما شاءوا من كثرةِ الإماء بلا عددٍ؛ فإن العيالَ كما يكونون من الزوجاتِ يكونون من الإماء، ولا فرق؛ فإنه لم ينقلهم إلى إماء الاستخدام بل إلى إماء الاستفراش.

[ويوضحه الوجه][3] **الخامس**: أن كثرةَ العيال ليس أمراً محذوراً مكروهاً للربِّ تعالى، كيف وَخَيْرُ هذه الأمة أَكثَرُها نساءً[4]. وقد قال النبي ﷺ: «تَزوّجوا الودودَ الوَلودَ، فإني مكاثِرٌ بكم الأمَمَ»[5]؛ فأمر بنكاح الولودِ؛ ليحصل منها ما يكاثِر به الأمَمَ يومَ القيامة.

---

(١) زيادة من «م».

(٢) زيادة من «م».

(٣) زيادة من «م».

(٤) كما ورد عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عند البخاري (٥٠٦٩).

(٥) **صحيح لغيره** ـ أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٦/ ٦٥ ـ ٦٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٥٠٨)، والحاكم (٢/ ١٦٢)، والبيهقي (٧/ ٨١)، وابن حبان (٤٠٥٦ و٤٠٥٧)، والمحاملي في «الأمالي» (٣٩٣) من طريق يزيد بن هارون عن المستلم بن سعيد عن منصور بن زاذان عن معاوية بن قرة عن النبي ﷺ. قلت: إسناده حسن رجاله=

والمقصودُ أنه سبحانه جعل نَبِيَّه غنياً شاكراً بعد أن كان فقيراً صابراً، فلا تحتج به طائفة لحالها إلا كان للطائفة الأخرى أن تحتج به أيضاً لحالها.

فإن قيل: فقد كان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من الشاكرين، وقد قال الإمام أحمد في «مسنده»: حدثنا عبد الصمد، حدثنا عمارة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: بينما عائشة في بيتها سمعت صوتاً في المدينة، فقالت: ما هذا؟ فقالوا: عِيرٌ لعبد الرحمن قَدِمَت من الشام تحمل من كل شيء. قال: وقد كانت سبعمائة بعير، فارتَجَّت المدينة من الصوت. فقالت عائشة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رأيت عبدَ الرحمن بن عوف يدخلُ الجنَّةَ حَبْواً» فبلغ ذلك عبد الرحمن فقال: إن استطعتُ لأدخلنها قائماً، فجعلها بأحمالها وأقتابها كلها في سبيل الله(١).

قيل: قد قال الإمام أحمد: هذا الحديث كذب منكر. قالوا: وعُمارة يروي أحاديث مناكير، وقال أبو حاتم الرازي: عمارة بن زاذان لا يحتج به(٢).

قال أبو الفرج(٣): «وقد روى الجراح بن منهال بإسناده عن عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ قال له: «يا ابن عوف إنك من الأغنياء، وإنّك لا تدخل

= ثقات غير المستلم بن سعيد؛ فإنه صدوق. وله شاهد من حديث أنس، وآخر من حديث عبد الله بن عمرو؛ فيتقوى بها ويصح.

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١١٥)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٣).

(٢) كما في «الموضوعات » لابن الجوزي (٢/ ١٣).

(٣) في «الموضوعات» (٢/ ١٣).

ثم قال: «وبمثل هذا الحديث الباطل تتعلق جهلة المتزهدين، وَيَرَوْن أن المال مانع من السبق إلى الخير ويقولون: إذا كان ابن عوف يدخل الجنة زحفاً لأجل ماله، كفى ذلك في ذم المال. والحديث لا يصح، وحاشا عبد الرحمن المشهود له بالجنة أن يمنعه ماله من السبق؛ لأن جمع المال مباح، وإنما المذموم كسبه من غير وجهه ومنع الحق الواجب فيه، وعبد الرحمن مُنَزَّه عن الحالين. وقد خلّف طلحة ثلاثمائة حمل من الذهب، وَخَلَّفَ الزبير وغيره، ولو علموا أن ذلك مذموم لأخرجوا الكل. وكم قاص يتشوق بمثل هذا الحديث يحث على الفقر ويذم الغنى، فيالله در العلماء الذين يعرفون الصحيح، ويفهمون الأصول».

الجنة إلا زَحْفاً، فأقرض ربَّك يُطلق قدميك» قال أبو عبد الرحمن النسائي: هذا حديث موضوع، والجراح متروك الحديث، وقال يحيى: ليس حديث الجراح بشيء، وقال ابن المديني: لا يكتب حديثه، وقال ابن حبان: كان يكذب. وقال الدراقطني: متروك.

فإن قيل: فما تصنعون بالحديث الذي رواه البَيهَقِيُّ من حديث أحمدَ بن علي بن إسماعيل بن محمد حدثنا سليمان بن عبد الرحمن أخبرني خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن عطاء بن أبي رباح عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: «يا ابن عوف إنك من الأغنياء ولن تدخل الجنة إلا زحفاً، فأقرض الله يُطلق قدميك». قال: وما الذي أقرض يا رسول الله؟. قال: «تتبرأ مما أمسيت فيه» قال: أمن كله أجمع يا رسول الله؟ قال: «نعم». فخرج وهو يهتم بذلك، فأتاه جبريل فقال: «مُرْ ابن عوف فليُضِف الضَّيْفَ، وليُطْعم المساكين، وليبدأ بمن يعول، وليعط السائل، فإذا فعل ذلك كان تزكيةَ ما هو فيه»[1].

قيل: هذا الحديث باطلٌ لا يصحُّ عن رسول الله ﷺ؛ فإن أَحَدَ رواته خالد بن يزيد بن أبي مالك. قال الإمام أحمد: ليس بشيء، وقال ابن معين: واه، وقال النسائي: غير ثقة، وقال الدراقطني: ضعيف، وقال يحيى بن معين: لم يرض أن يكذب على أبيه حتى كذب على الصحابة.

فإن قيل: ما تصنعون بالحديث الذي قاله الإمام أحمد: حدثنا الهذيل بن ميمون عن مطرح بن يزيد عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فسمعت فيها خَشْفَةً بين يديّ، قلت: ما هذا؟ قال: بلال. فمضيت فإذا أكثر أهل الجنة فقراء المهاجرين

---

(١) **ضعيف جداً** ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٠٦٤)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٨٨٤)، والحاكم (٣/ ٣١١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ٤٢١ ـ ٤٢٢/ ١٦١٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٩٩ و٨/ ٣٣٤)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١٣١) من طريق سليمان بن عبد الرحمن عن خالد بن يزيد بن أبي مالك به. قلت: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ لأن خالد بن يزيد اتفقوا على تضعيفه بل اتهمه ابن معين، ومع ذلك صححه الحاكم لكن الذهبي ردّه، وهو الحق.

وذراري المسلمين ولم أر فيها أحدا أقل من الأغنياء والنساء. قيل لي: أما الأغنياء فهم في الباب يحاسبون ويمحصون، وأما النساء فألهاهن الأحمران: الذهب والحرير. ثم خرجنا من أحد أبواب الجنة الثمانية، فلما كنت عند الباب أتيت بكفةٍ فَوُضِعْتُ فيها ووضعت أمتي في كفةٍ فرجَحْتُ بها، ثم أُتي بأبي بكر فَوُضِعَ في كفَّةٍ وجيء بجميع أمتي فوُضعوا في كفةٍ فَرَجَحَ أبو بكر، ثم أتي بعمر فوُضِعَ في كَفَّةٍ ووُضِعَت أمتي في كفةٍ فرجَحَ عمرُ، وعُرِضت عَلَيَّ أمَّتِي رجلاً رجلاً فجعلوا يمرون، واستَبطأتُ عبدَ الرَّحمنِ بنَ عوفٍ، ثم جاء بعد الإياس فقلت: عبد الرحمن، فقال: بأبي وأمي يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما خَلَصْتُ إليك حتَّى ظننت أني لا أَصلُ إليك إلا بعد المَشِيبات. قلت: وما ذاك؟ قال: من كثرة مالي أحاسب فأمحص»[1].

قيل هذا حديث لا يحتج بإسناده، وقد أدخله أبو الفرج هو والذي قبله في كتاب «الموضوعات»، وقال: أما عبيد الله بن زحر فقال يحيى: ليس بشيء، وعلي ابن يزيد متروك، وقال ابن حبان: عبيد الله يروي الموضوعات عن الأثبات وإذا رَوَى عن علي بن يزيد أتى بالطامات، وإذا اجتمع في إسنادِ خَبَرِ عبيدُ الله بنُ زحر وعليٌّ بنُ يزيد والقاسِمُ بنُ عبد الرحمن لم يكن متنُ ذلك الخبر إلا مما عملته أيديهم.

قال أبو الفرج[2]: وبمثل هذا الحديث الباطل يتعلق جملة[3] المتزهدين،

---

(١) **باطل** ـ أخرجه أحمد (٥/ ٢٥٩)، ومن طريقه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٤).
وأخرجه الطبراني (٧٨٠٩) عن مطرح بالشطر الأول فقط (بذكر بلال) وأخرج الشطر الثاني (بذكر أبي بكر وعمر) (٧٨٦٤) من طريق آخر عن عبيد الله بن زحر به. قلت: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ لأن علي بن يزيد الألهاني متروك. وأخرجه الطبراني (٧٩٢٣) بتمامه من طريق صدقة بن عبد الله عن الوليد بن جميل قال: سمعت القاسم يحدث عن أبي أمامة به. قلت: صدقة ضعيف، والوليد تكلموا فيه، فالإسناد واه.
وبالجملة: فالحديث باطل، والله أعلم.

(٢) كلام أبي الفرج بن الجوزي عقب حديث عائشة، وليس عقب حديث أبي أمامة، وانظره حيث نقلته بتمامه في «الحاشية» (ص ٢٦٠).

(٣) هكذا في «الأصول» ، وفي «الموضوعات»: «جهلة».

وَيَرَوْن أن المالَ مانِعٌ من السَبَقِ إلى الخير، ويقولون: إذا كان ابنُ عوفٍ يدخل الجنة زحفاً لأجل ماله كفى ذلك في ذمِّ المالِ، والحديث لا يصح وحاشا عبدُ الرحمنَ المشهودُ له بالجنة أن يمنعهُ ماله السَبَقَ؛ لأن جَمعَ المالِ مباحٌ، وإنما المذمومُ كسبه من غير وجهه، ومنع الحق الواجب فيه، وعبد الرحمن مُنَزَّهٍ عن الحالين.

وقد خَلّفَ طلحةُ ثلاثَمِائَةَ حملاً من الذهب، وخلَّفَ الزبيرُ وغيرُه، ولو علموا أن ذلك مذمومٌ لأخرجوا الكُلَّ. وكم قاصٍّ يتسوف[1] بمثل هذا الحديث يحث على الفقر ويذم الغنى، فلله در العلماء الذين يعرفون الصحيح ويفهمون الأصول انتهى.

قلت: وقد بالغ في ردِّ هذا الحديثِ، وتجاوزَ الحدَّ في إدخالِهِ في الأحاديثِ الموضوعَةِ المختلَقَةِ على رسول اللَّهِ ﷺ، وكأنه استعظَمَ احتباسَ عبدِ الرحمن بنِ عوفٍ وهو أحدُ السابقين الأولين المشهودِ لهم [بالجنة][2] عن السبق إليها ودخول الجنة حبواً، ورأى ذلك مناقضاً لِسَبقِهِ ومنزلتِهِ التي أعدَّهَا اللهُ له في الجنَّةِ، وهذا وهمٌ منه رحمه الله.

وَهَبْ أنَّهُ وَجَدَ السَّبيلَ إلى الطعنِ في هذين الخبرين أفيجد سبيلاً إلى القدح في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراءُ المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام»؟[3]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي حديث ابن عمر[4] الذي رواه مسلم في «صحيحه»[5] عن النبي ﷺ: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً».

---

(١) هكذا في «الأصول» وفي «الموضوعات»: «يتشوق».
(٢) زيادة من «ظ».
(٣) مضى تخريجه (ص ٢٥٦).
(٤) هكذا في «الأصول»، والصواب ابن عمرو، وهو عبد الله بن عمرو بن العاص.
(٥) برقم (٢٩٧٩) (٤/ ٢٢٨٥).

وفي «مسند الإمام أحمد» عنه عن النبي ﷺ: «هل تدرون أول من يدخل الجنة؟». قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «فقراء المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره، يموت أحدُهم وحاجتُه في صدره لا يستطيع لها قضاء»[1].

وفي «جامع الترمذي» من حديث جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً»[2].

فهذا الحديثُ وأمثالُهُ صحيحٌ صريحٌ في سَبْقِ فُقَرَاء الصحابَة إلى الجَنَّةِ لأغنيائهم، وهم في السَبَقِ متفاوتون، فمنهم من يسبق خمسمائة عام، ومنهم من يسبق بأربعين عاماً، ولا يقدح ذلك في منزلة المتأخرين في الدخول فإنهم قد

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٢/ ١٦٨)، وعبد بن حميد (٣٥٢)، والبزار (٣٦٦٥ ـ كشف الأستار»، والطبراني في «الكبير» (١٣/ ١٥١ ـ ١٥٢)، و«الأوائل» (ص٣٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٤٧)، و«صفة الجنة» (٨١)، وابن حبان (٧٤٢١)، والحاكم (٢/ ٧١ ـ ٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٩٥٤ ـ هندية و١٠٣٨٠)، و«البعث والنشور» (٤١٤)، والآجري في «الشريعة» (١١٧٩)، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (٥٦)، وابن جرير في «التفسير» (٤/ ٢١٦)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (ق٢١٣) كلهم من طريق أبي عشانة المعافري عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً. قلت: وهو صحيح.

(٢) **ضعيف جداً** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٥٥) عن عمرو بن جابر الحضرمي عن جابر بن عبد اللّه رضي الله عنه مرفوعاً. قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن فيه عمرو بن جابر وهو أبو زرعة الحضرمي؛ قال الذهبي في «الميزان»: «هالك، قال أحمد: روى عن جابر مناكير، وبلغني أنه كان يكذب، وقال النسائي: ليس بثقة». ومن مناكيره: أنه روى هذا الحديث بلفظ آخر عند أحمد (٣/ ٣٢٤): «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً».

وله شاهد من حديث أبي الدرداء: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٩٤) ترجمة حميد بن حماد بن أبي الخوار ثنا مغيرة بن زياد ثنا إسماعيل بن عبيد بن عبد الله عن أم الدرداء، قال سمعتها تروي عن أبي الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً». قال ابن عدي: «يحدث عن الثقات بالمناكير .... وهو قليل الحديث، وبعض أحاديثه على قلته لا يتابع عليه». قلت: ضعفه شيخنا في «الضعيفة» (٤/ ٤٠٠) ثم قال حفظه الله: «والمحفوظ أن هذه المدة: «أربعين خريفاً» إنما قالها ﷺ في فقراء المهاجرين، وأما فقراء المسلمين عامة فيدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة».

يكونون أرفعَ منزلةً ممن سبقهم إلى الدخول وإن تأخروا بعدهم للحسابِ؛ فإن الإمامَ العادلَ يُوقَفُ للحساب ويسبقه من لم يَلِ شيئاً من أمور المسلمين إلى الجنة، فإذا دخل الإمامُ العادِلُ بعدَهُ كانت منزلتُه أعلَى من منزلةِ الفقِيرِ، بل يكون أقربَ الناس من الله منزلةً؛ كما في «صحيح مسلم» عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابرَ من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمينٌ؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما وُلّوا»[1].

وفي «الترمذيِّ» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: « إن أحبَّ الناس إلى الله يوم القيامة وأقربَهُم منه مجلساً إمامٌ عادلٌ، وأبغضُ النَّاس إلى الله يوم القيامَةِ وأشدُّهُم عذاباً إمامٌ جائر»[2].

فالإمامُ العادلُ والغنيُّ قد يتأخرُ دخولُ كلٍّ منهم للحساب ويكون بعد الدخول أرفع منزلة من الفقير السابق، ولا يلزم من احتباس عبد الرحمن بن عوف لكثرةِ ماله حتى يحاسبه عليه ثم يلحق برسول ﷺ وأصحابه غضاضةٌ عليه، ولا نقصٌ من مرتبته، ولا يضادُّ ذلك سَبَقَه وكونَه مشهوداً له بالجنة.

وأما حديثُ دخوله الجنة زَحْفاً؛ فالأمرُ كما قال فيه الإمام أحمد رحمه الله: أنه كذبٌ منكرٌ، وكما قال النسائي: إنَّه موضوع[3].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه الترمذي (١٣٢٩)، وأحمد (٣/ ٢٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٨٨)، و«شعب الإيمان» (٧٣٦٦) من طريق فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد وذكره مرفوعاً. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن عطية وهو ابن سعد العوفي ضعيف.

(٣) هكذا سياق كلام الإمام ابن القيم رحمه الله في «الأصول» وهو صريح في موافقته للإمام أحمد والإمام النسائي في الحكم على هذا الحديث بأنه كذب موضوع، وهذا يناقض كلامه المتقدم في الإنكار على ابن الجوزي رحمه الله في إدخاله هذا الحديث في زمرة الأحاديث الموضوعة مع أن ابن الجوزي تابع في ذلك الإمامين أحمد والنسائي.

وقد أقرَّ الحافظ بن حجر في «القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد» (ص٤١) بأن الحديث كذب فقال: «والذي أراه عدم التوسع في الكلام عليه فإنه يكفينا=

ومقاماتُ عبد الرحمن وجهادُه ونفقاتُه العظيمةُ وصدقاتُه تقتضي دخولَه مع المارّين كالبرق أو كالطرف أو كأجاويد الخيل ولا يدعه يدخلها زَحْفاً.

فصل

واللهُ سبحانه كما هو خالقُ الخلقِ فهو خالقُ ما به غِناهُم وفقرُهم؛ فخلق الغنى والفقرَ ليبتلي بهما عباده أيُّهُمَا أحسنُ عَمَلاً، وجعلهما سبباً للطاعةِ والمعصيةِ والثوابِ والعقابِ، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: «بِالشِدَّةِ والرَّخاءِ والصِّحَّةِ والسَّقَمِ والغِنَى والفَقْرِ والحَلاَلِ والحَرَامِ وكُلُّهَا بلاء»[1]. وقال ابن زيد: «نبلوكم بما تحبون وما تكرهون؛ لِننظُرَ كيف صبركم وشكركم فيما تحبون وما تكرهون». وقال الكلبي: «الشَّرُّ بِالفقرِ والبلاءِ؛ والخَيْرُ بالمَالِ والوَلَدِ». فأخبر سبحانه أن: الغِنَى والفَقرَ مَطِيَّتَا الابتلاء والامتحان.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥، ١٦]؛ فأخبر سبحانه أنّه يبتلي عبده بإكرامه له وبتنعيمه له، وبسط الرزق عليه كما يبتليه بتضيق الرزق وتقديره عليه، وأن كليهما ابتلاء منه وامتحان.

ثم أنكرَ سبحانَه عَلَى من زَعَمَ أنَّ بَسْطَ الرزقِ وتَوسِعَتَهُ إِكْرَامٌ من اللَّهِ لعبده وأنَّ تضييقَه عليه إِهَانَةٌ منه له؛ فقال: ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: ليس الأمر كما يقول الإنسانُ بل قد أَبْتَلِي بِنِعمتي وأُنعِم ببلائي، وإذا تأملت ألفاظ الآية وجدت هذا المعنى يلوحُ على صفحاتها ظاهراً للمتأمِّل.

= شهادة الإمام أحمد بأنه كذب، وأولى محامله أن نقول: «هو من الأحاديث التي أمر الإمام أحمد أن يضرب عليها، فإما أن يكون الضربُ ترك سهواً، وإما أن يكون بعض من كتبه عن عبد الله كتب الحديث وأخل بالضرب، والله أعلم».

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٩/١٩)، واللالكائي في «شرح السنة» (١٠٠٧)، وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٦٢٩)، عزوه لابن المنذر وابن أبي حاتم.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف: ٧]؛ فأخبر سبحانه أنه زَيَّن الأرض بما عليها من المال وغيره للابتلاء والامتحان، كما أخبر أنه خلق الموتَ والحياةَ لذلك، وَخَلَق السماواتِ والأَرضَ لهذا الابتلاء أيضاً، فهذه ثلاثةُ مواضع في القرآن يُخبر فيها سبحانه أنه: خَلَقَ العالمَ العُلْوِيَّ والسُّفْلِيَّ وما بينهما، وأجلَ العالم وأجل أهلِهِ، وأسبابَ معائشهم التي جعلها زينةً للأَرضِ من الذهبِ والفضَّةِ والمساكِنِ والملاَبِسِ والمراكِبِ والزُرُوعِ والثِّمَارِ والحَيَوَانِ والنِّسَاءِ والبَنِينَ وغيرِ ذلك، كلُّ ذلك خلقه للابتلاء والامتحَانِ؛ ليختبر خَلقَهُ أيُّهم أطوع له وأرضى فهو الأحسن عملاً.

وهذا هو الحقُّ الذي خلق به وله السماواتُ والأرضُ وما بينهما وغايتُه الثوابُ والعقابُ، وفواته وتعطيله هو العبث الذي نزه اللَّهُ نفسَهُ عنه، وأخبر أنه يتعالى عنه، وأن مُلكَه الحقَّ وتفرُّدَه بالإلهية وحده وبربوبية كلِّ شيء ينفي هذا الظنَّ الباطلَ والحسابَ الكاذِبَ؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]. فنَزَّه سبحانه نفسَهُ عن ذلك كما نَزَّهها عن الشّريك والولَدِ والصَّاحِبَةِ وسائرِ العُيوبِ والنقائِصِ من السِّنَةِ والنَّومِ واللُّغوبِ والحاجةِ واكترائِه بحفظ السّماواتِ والأرضِ، وَتَقَدُّمِ الشفعاء بين يديه بدون إذنِه كما يظنُّه أعداؤه المشركون الذين يُخْرِجُون عن علمِهِ جزئياتِ العالَمِ أو شيئاً منها، فكما أن كمالَه المقدسَ وكمالَ أسمائِه وصفاته يأبى ذلك ويمنع منه، فكذلك يُبطِلُ خلقه لعباده عبثاً وتركهم سدى لا يأمرُهم ولا ينهاهم ولا يَرُدُّهم إليه؛ فَيُثِيبُ مُحسِنَهم بإحسانِه ومسِيئَهم بإساءَتِه، ويعرف المبطلون منهم أنهم كانوا كاذبين، ويُشهدهم أن رسلَه وأتباعَهم كانوا أولى بالصِّدقِ والحقِّ منهم، فمن أنكر ذلك فقد أنكر إلٰهيتَه وربوبيتَه وملكَه الحقَّ، وذلك عينُ الجُحُودِ والكُفرِ به سبحانه؛ كما قال المؤمن لصاحبه الذي حاوره في المعاد وأنكره: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ

﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧]؛ فأخبر أن إنكارَه للمعادِ كفرٌ بذاتِ الربِّ سبحانه.

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٥]؛ وذلك أن إنكارَ المعاد يتضمَّنُ إنكارَ قدرةِ الرَّبِّ وعِلْمِهِ وحِكْمَتِهِ ومُلْكِهِ الحقِّ وربوبيتِهِ وإلهيتِهِ؛ كما أن تكذيبَ رسلِه وجحدَ رسالتهم يتضمَّنُ ذلك أيضاً؛ فمن كَذَّب رسُلَه وجحدَ المعاد؛ فقد أنكر ربوبيته سبحانه، ونفى أن يكون ربُّ العالمين.

والمقصود: أنه سبحانه وتعالى خلَق الغنى والفقر مطيتين للابتلاء والامتحان، ولم يُنَزِّل المَالَ لمجرَّدِ الاستمتاع به؛ كما في «المسند» عنه ﷺ قال: «يقول الله تعالى إنا نَزَّلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ولو كان لابن آدم واد من مال لابتغى إليه ثانياً، ولو كان له ثان لابتغى له ثالثاً، ولا يملأ جوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ»[1]؛ فأخبر سبحانه أنّهُ أنزلَ المال ليستعانَ به على إقامةِ حقِّه بالصلاةِ، وإقامةِ حقِّ عبدِه بالزكاةِ لا للاستمتاع والتَّلذُّذِ كما تأكل الأنعام.

فإذا زاد المال عن ذلك أو خرجَ عن هذين المقصودين؛ فإن الغرضَ والحكمةَ التي أُنزل لها كان التُّرابُ أولى به، فرجع هو والجوفُ الذي امتلأ به

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٥/ ٢١٩)، والطبراني في «الكبير» (٣٣٠٠ و٣٣٠١) «الأوسط» (٢٤٤٦)، وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٩٢)، والقطيعي في «جزء الألف دينار» (١٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٧٧) من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي واقد الليثي عن النبي ﷺ وزاد في آخره: «ثم يتوب الله على من تاب».

وخالفه ربيعة بن عثمان؛ فرواه عن زيد بن أسلم عن أبي مرواح عن أبي واقد به: أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٣٠٣) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٨١) وقال: رواية هشام أصح، وكذلك رواه عبد الله بن جعفر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن أبي واقد به. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٠): «رواه أحمد والطبراني رجال أحمد رجال الصحيح». قلت: لا شك أن رواية هشام أصح؛ لأن ربيعة بن عثمان صدوق له أوهام وتابع هشاماً على الجادة عبد الله بن جعفر، وهذا إسناده صحيح رجاله ثقات. وله شاهد في «الصحيحين» عن ابن عباس: أخرجه البخاري (٦٤٣٦)، ومسلم (١٠٤٩).

بما خُلق له من الإيمان والعلم والحكمةِ فإنه خلق لأن يكون وعاءً لمعرفَةِ ربِّه وخالقِه، والإيمانِ به، ومَحبَّتِه وذكرِه، وأنزلَ عليه من المالِ ما يستعينُ به على ذلك، فعطَّلَ الجاهلُ باللهِ وبأمرِ اللهِ وبتوحيدِ الله وبأسمائِه وصفاتِه جوفَه عما خُلِق له وملأَه بمحبَّةِ المالِ الفَانِي الذاهبِ الذي هُو ذاهبٌ عن صاحبِهِ أو بالعكس وجَمعِهِ والاستكثار منه، ومع ذلك فلم يمتلِئ بل ازداد فقراً وحِرصاً إلى أن امتلأ جوفَه بالتُّرابِ الذي خُلق منه فرجَعَ إلى مادَّتِهِ الترابيةِ التي خُلِق منها هو ومالُه، ولم تَتَكَمَّل مادتُه بامتلاء جوفه من العِلم والإيمانِ اللَّذين بهما كمالُه وفلاحُه وسعادتُه في معاشِهِ ومعَادِهِ. فالمال إن لم ينفع صاحبَه ضرَّه ولابدَّ، وكذلك العلمُ والملكُ والقدرةُ كلُّ ذلك إن لم ينفعه ضرَّهُ فإن هذه الأمورَ وسائلُ لمقاصِدَ يتوسَّلُ بها إليها في الخيرِ والشرِ، فإن عُطِّلَت عن التَّوسُّلِ بها إلى المقاصد والغايات المحمودة تُوُسِّل بها إلى أضدادها، فأربحُ الناسِ من جعلَهَا وسائِلَ إلى الله والدارَ الآخِرَةِ وذلك الذي ينفعُه في معاشه ومعادِهِ، وأخسرُ الناسِ من توسَّلَ بها إلى هواهُ ونيلِ شهواتِه وأغراضِه العاجِلَةِ فخسر الدنيا والآخرة، فهذا لم يجعل الوسائلَ مقاصد، ولو جعلها كذلك لكان خاسراً، لكنه جعلها وسائلَ إلى ضدِّ ما جُعِلت له، فهو بمثابة من توسَّل بأسبابِ اللّذة إلى أعظمِ الآلام وأدوائها.

فالأقسام أربعةٌ لا خامس لها:

أحدها: معطلُ الأَسْبابِ معرضٌ عنها.

الثاني: مُكِبٌّ عليها واقفٌ مع جَمْعها وتحصيلِها.

الثالث: متواصل بها إلى ما يضرُّه ولا ينفعُه في معاشه ومعاده فهؤلاء الثلاثة في الخسران.

الرابع: متوصلٌ بها إلى ما ينفعه في معاشِه ومعادِه وهو الرابحُ.

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ـ ١٦].

وقد أشكل فهمُ هذه الآية على كثيرٍ من الناس حيث فهموا منها: أن من كان له إرادةً في الدنيا وزينتها فله هذا الوعيد، ثم اختلفوا في معناها:

فقالت طائفة منهم ابن عباس: من كان يريد تعجيلَ الدنيا فلا يؤمن بالبعث ولا بالثواب ولا بالعقاب. قالوا: والآية في الكُفَّارِ خاصةً على قول ابن عباس.

وقال قتادة: من كانت الدنيا هَمَّه وسَدمَه[1] ونيته وطلبه جازاه الله في الدنيا بحسناته ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنه يجازى بها، وأما المؤمن فيجزى في الدنيا بحسناته ويثاب عليها في الآخرة.

قال هؤلاء: فالآية في الكفار بدليل قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [هود: ١٦].

قالوا: والمؤمن يريد الدنيا والآخرة؛ فأما من كانت إرادتُه مقصورةً على الدنيا فليس بمؤمن.

وقال ابن عباس رضي اللَّه عنهما في رواية أبي صالح عنه: نزلت في أهل القبلة.

قال مجاهد: هم أهلُ الرِّياءِ.

وقال الضحاك: من عمل صالحاً من أهل الإيمان من غير تقوى عُجِّل له ثوابُ عمله في الدنيا.

واختار الفراء هذا القولَ، وقال: من أراد بعملِه من أهل القبلةِ ثوابَ الدنيا عُجِّل له ثوابه وُلم يُبْخَس.

وهذا القولُ أَرْجَح، ومعنى الآية على هذا: من كان يريدُ بعمله الحياةَ الدنيا وزينتَهَا وهذا لا يكون مؤمناً ألبتَةَّ، فإن العاصِيَ والفَاسِقَ ولو بالغَا في المعصيةِ والفِسْقِ فإيمانُهما يحملُهما على أن يعملا أعمالَ البِرِّ لله فيريدان بأعمالِ البِرِّ وجهَ الله وإن عملاً بمعصيته، فأما مَن لم يُرد بعمله وجهَ الله إنما أرادَ به

---

(١) حرصه، ومبلغ علمه، واهتمامه.

الدُّنيا وزينتَها فهذا لا يدخل في دائرةِ أهل الإيمان، وهذا هو الذي فَهِمَه معاويةُ من الآية، واستشهد بها على حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم في «صحيحه»[1] في الثلاثة الذين هُم أَوَّلُ من تُسَعَّرُ بهم النار يوم القيامة: القاريء الذي قرأ القرآن ليقال فلان قارىء، والمتصدقُ الذي أنفق أموالَه ليقال فلان جواد، والغازي الذي قتل في الجهاد ليقال هو جريء.

وكما أن خيارَ خَلقِ الله هم النَّبِيُّونَ والصدِّيقُون والشُّهَدَاءُ والصالحون، فشِرارُ الخلق من تَشَبَّه بهم وليس منهم؛ فَمن تَشَبَّه بأهلِ الصِّدقِ والإخلاصِ وهو مُراءٍ كمن تَشَبَّه بالأنبياءِ وهو كاذبٌ.

وقال ابن أبي الدنيا: حدّثني مُحمد بن إدريس قال: أخبرني عبد الحميد بن صالح حدثنا قطن بن الحباب[2] عن عبد الوارث عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يومُ القيامةِ صارت أمتي ثلاثَ فِرَقٍ: فرقةً يعبدون اللهَ عز وجل للدنيا، وفرقةً يعبدون رياءً وسمعةً، وفرقة يعبدونه لوجهِه ولدارِه؛ فيقولُ للذين كانوا يعبدونه للدنيا: بعزَّتي وجلالي ومكاني ما أردتم بعبادتي؟ فيقولون: بعزَّتِك وجلالك ومكانك الدنيا، فيقول: إنّي لم أقبل من ذلك شيئاً اذهبوا بهم إلى النار. ويقول للذين كانوا يعبدون رياءً سمعةً: بعزَّتي وجلالي ومكاني ما أردتم بعبادتي؟ فيقولون: بعزتك وجلالك ومكانك رياءً وسمعةً. فيقول: إني لم أقبل من ذلك شيئاً اذهبوا بهم إلى النار، ويقول للذين كانوا يعبدونه لوجهه وداره: بعزتي وجلالي ومكاني ما أردتم بعبادتي؟ فيقولون: بعزَّتك وجلالك [ومكانك][3] وجهَك ودارَك، فيقول: صدقتم اذهبوا بهم إلى الجنة»[4].

---

(١) برقم (١٩٠٥).

(٢) هكذا في «الأصول»، وفي «مصادر التخريج»: «قطري الخشاب».

(٣) زيادة من «ذم الدنيا».

(٤) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذمِّ الدنيا» (٤١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٨٠٨) من طريق قطري الخشاب به. قلت: إسناده ضعيف، لأن عبد الوارث مولى أنس منكر الحديث، كما في «اللسان» (٤/ ٨٥).

هذا حديثٌ غَنِيٌّ عن الإسنادِ والقرآنُ والسُّنَّةُ شاهدان بِصِدقه[1]، وَيدُلُّ على صِحَّة هذا القولِ في الآية قوله تعالى: ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هود: ١٥]، وذلك على أنها في قوم لهم أعمال لم يريدوا بها وجه الله، وأنهم أرادوا بها الدنيا ولها عملوا؛ فَوَفّاهم الله ثوابَ أعمالِهم فيها من غير بَخْسٍ وأفضوا إلى الآخرة بغير عمل يستحقون عليه الثواب، وهذا لا يقع ممن يؤمن بالآخرة إلا كما يقع منه كبائرُ الأعمال وقوعاً عارضاً يتوب منه ويراجعُ التّوحيد.

وقال ابن الأنباري: فعلى هذا القول المعنى في قوم من أهل الإسلام يعملون العمل الحَسَنَ لتستقيمَ به دنياهُم غير متفكرين في الآخرة [وما ينقلبون إليه، فهؤلاء يُعَجَّل لهم جزاءُ حسناتهم في الدنيا، فإذا جاءت الآخرة][2] كان جزاؤهم عليها النار إذا لم يريدوا بها وجه الله، ولم يقصدوا التماس ثوابه وأجره.

ثم أورد أصحابُ هذا القول على أنفسهم سؤالاً قالوا: فإن قيل: الآية الثانية على هذا القول توجب تخليدَ المؤمنِ المريدِ بعمله الدنيا في النار.

وأجابوا عنه: بأن ظاهرَ الآيةِ يدُلُّ على أن من راءى بعمله ولم يلتمس به

---

(١) هكذا قال الشيخ الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله، ولي مع هذا الإطلاق وقفات وفيه نظرات تحوي من الحقِّ شذرات:
الأولى: لا ينسب إلى النبي ﷺ قولاً ما لم يصح سنداً، لأن الأسانيد قوائم الأحاديث، ولو كان كل قول صحيح يشهد له الكتاب والسنة على العموم تصح نسبته لرسول الله ﷺ لَطَرَّقْنا الكاذبين والوضاعين على سنة سيد المرسلين.
الثانية: أن الحديث لا يستغني عن الإسناد؛ فالإسناد وسيلة لمعرفة صحيح الأحاديث وسقيمها.
الثالثة: أن الأولى أن يثبت الإمام ابن قيم الجوزية ما صح سنده ومتنه وفي السنة ما يغني عن هذا الحديث الضعيف وأمثاله؛ كما قال ابن المبارك رحمه الله: «في الصحيح ما يغني عن الضعيف» وبخاصة أن الإمام ابن قيم الجوزية أورده كأصل ثم أراد أن يستدل على صحة معناه بالقرآن والسنة.
الرابعة: أن هذا الحديث فيه لفظ منكر وباطل وهو إثبات «المكان» لله تعالى، وهذا لم يثبت في شيء من الكتاب والسنة وعقيدة السلف الصالح.

(٢) زيادة من «ظ» بها يستقيم المعنى.

ثوابَ الآخرةِ بل كانت نيتُه الدنيا فإن اللهُ يبطلُ إيمانَه عند الموافاة فلا يوافي ربَّه بالإيمان؛ قالوا: ويدل عليه قوله: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦]، وهذا يتناول أصلَ الإيمان وفروعه.

وأجابت فرقةٌ أخرى: بأن الآيةَ لا تقتضي الخلودَ الأبدي في النار، وإنما تقتضي أن الذي يستحقونه في الآخرة النار، وأنهم ليس لهم عملٌ صالحٌ يرجون به النجاة، فإذا كان مع أحدهم عمود التوحيد فإنه يخرج به من النار مع من يخرج من أصحاب الكبائر الموحِّدين، وهذا [هو][1] جوابُ ابنُ الأنباري وغيره.

والآيةُ بحمد الله لا إشكالَ فيها واللهُ سبحانه ذكرَ جزاء من يريدُ بعملِه الحياةَ الدنيا وزينتَها وهو النار، وأخبر بحبوطِ عمله وبطلانِه فإذا أحبط ما ينجو به وبَطَل لم يبق معه ما ينجِيه، فإن كان معه إيمانٌ لم يرد به الدنيا وزينتها بل أراد الله به الدار الآخرة، لم يدخل هذا الإيمانُ في العمل الذي حبط وبطل، وأنجاه إيمانُه من الخلود في النار، وإن دخلها بحبوط عمله الذي به النَّجاة المطلقة.

والإيمان إيمانان: إيمانٌ يمنع من دخول النار، وهو: الإيمانُ الباعثُ على أن تكون الأعمالُ لله يُبتغى بها وجهه وثوابه. وإيمانٌ يمنعُ الخلودَ في النار وإن كان مع المرائي شيء منه، وإلا كان من أهل الخلود؛ فالآية لها حُكْمُ نظائرها من آياتِ الوعيد، والله الموفق.

وذلك قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، ومنه قوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩].

فهذه ثلاثةُ مواضعَ من القرآن يشبه بعضُها بعضاً، ويصدق بعضُها بعضاً

(١) زيادة من «م».

وتجتمع على معنى واحد، وهو: أن من كانت الدنيا مرادَه، ولها يعمل في غاية سعيه لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن كانت الآخرةُ مرادَه، ولها يعمل وهي غاية سعيه فهي له.

بقي أن يقال: فما حكم من يريد الدنيا والآخرة فإنه داخلٌ تحت حكم الإرادتين فبأيهما يلحق؟ قيل: من هاهنا نشأ الإشكالُ وَظَنَّ من ظنَّ من المفسرين أن الآيةَ في حقِّ الكافر، فإنه هو الذي يريدُ الدنيا دون الآخرةِ، وهذا غير لازم طرداً ولا عكساً؛ فإن بعضَ الكفار قد يريد الآخرةَ، وبعضَ المسلمين قد لا يكون مرادُه إلا الدنيا، والله تعالى قد عَلَّقَ السعادة بإرادةِ الآخرةِ، والشقاوة بإرادة الدنيا، فإذا تَجَرَّدَت الإرادتان تَجَرَّدَ موجبُها ومقتضاها، وإن اجتمعتا فحكم اجتماعِهِما حكمُ اجتماع البرِّ والفجور والطّاعة والمعصية والإيمان والشرك في العبد، وقد قال تعالى لخيرِ الخلقِ بعد الرُّسل: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢] وهذا خطاب للذين شهدوا معه الوقعة ولم يكن فيهم منافقٌ، ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما شعرتُ أن أحدَ أصحابِ رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى كان يومُ أحد ونزلت هذه الآية»[(١)]، والذين أُريدوا في هذه الآيةِ هم الذين أَخْلَوا مركزَهم الذي أَمَرَهم رسولُ الله ﷺ بحفظِه وهم من خيار المسلمين، ولكن هذه إرادةٌ عارضةٌ حملتهم على تركِ المركز والإقبالِ على كسب الغنائم بخلاف من كان مرادُه بعمله الدنيا

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه ابن جرير في «التفسير» (٤/ ٨٥ ـ ٨٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٤٩)، والواحدي في «الوسيط» (١/ ٥٠٤)، والطبراني في «الأوسط» (١٣٩٩)، وابن أبي شيبة كما في «المطالب العالية» (٣/ ٣١٤) وغيرهم من طريق أسباط بن نصر عن السدي عن عبد خير عن عبد الله بن مسعود. قلت: فيه ضعف؛ لأن أسباط بن نصر صدوق كثير الخطأ يغرب. وله طريق آخر عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن مسعود: أخرجه أحمد (٤٤١٤) وصححه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله. قلت: هو حسن؛ لأن عطاء بن السائب صدوق اختلط لكن رواية حماد بن سلمة عنه قبل الاختلاط، فالإسناد حسن.

وبالجملة: فالحديث بمجموع ذلك صحيح، وقد صححه السيوطي كما في «الدر المنثور» (٢/ ٣٤٩)، وحسنه العراقي كما في «المغني عن حمل الأسفار» (٤/ ٢١٩).

وعاجلها، فهذه الإرادة لون وإرادة هؤلاء لون.

وههنا أمر يَجِب التنبيه له؛ وهو: أنه لا يمكن إرادة الدنيا وعاجلها بأعمال البر دون الآخرة مع الإيمان بالله ورسوله ولقائه أبداً، فإن الإيمانَ بالله والدار الآخرة يستلزم إرادة العبد لرحمة الله والدار الآخرة بأعماله، فحيث كان مرادُه بها الدنيا فهذا لا يجامع الإيمان أبداً وإن جامع الإقرار والعلم فالإيمانُ وراء ذلك، والإقرارُ والمعرفةُ حاصلان لمن شَهِدَ اللهُ سبحانه له بالكفرِ مع هذه المعرفة كفرعونَ وثمودَ واليهودِ الذين شاهدوا رسولَ الله ﷺ وعرفوه كما عرفوا أبناءهم وهم من أكفر الخلق، فإرادةُ الدنيا وعاجِلها بالأعمال قد تجامع هذه المعرفة والعلم، ولكن الإيمان الذي هو وراءَ ذلك لا بُدّ أن يريد صاحبُه بأعماله اللهَ والدارَ الآخِرَة، والله المستعان.

والمقصود: أنه سبحانه جعل الغنى والفقر ابتلاءً وامتحاناً للشكر والصبر والصدق والكذب والإخلاص والشرك. قال تعالى: ﴿لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [التغابن: ١٥]؛ فجعل الدنيا عَرَضاً عاجلاً ومتاعَ غُرورٍ، وجعل الآخرةَ دارَ جزاءٍ وثوابٍ، وحَفَّ الدنيا بالشَّهواتِ وَزَيَّنها بها؛ كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤] فأخبر سبحانه أن هذا الذي زَيّن به الدُّنيا من ملاذِّها وشَهواتِها وما هو غايةُ أماني طلابها ومؤثريها على الآخرة وهو سبعة أشياء:

النِّساءُ اللَّاتي هُنَّ أعظمُ زينتِها وشهواتِها وأعظمُها فتنةً.

والبنين الذين بهم كمالُ الرجل وفخرُه وكرمُه وعِزُّه.

والذهبُ والفضةُ اللَّذان هما مادَّةُ الشّهواتِ على اختلاف أجناسِها وأنواعِها.

والخيلُ المُسَوَّمَةُ التي هي عِزُّ أصحابِها وفخرُهم وحصونُهم، وآلةُ قهرهم لأعدائِهم في طلبهم وهربهم.

والأنعامُ التي منها ركوبُهم وطعامُهُم ولباسُهُم وأثاثُهم وأمتعتُهم وغيرُ ذلك من مصالِحِهم.

والحرثُ الذي هو مادةُ قوتهم وقوتُ أَنْعَامِهِم ودوابِهِم وفاكهتِهِم وأدويتهم وغيرِ ذلك.

ثم أخبر سبحانه أن ذلك كلَّه متاعُ الحياةِ الدنيا، ثم شَوَّق عبادَه إلى متاعِ الآخرةِ، وأعلَمَهم أنّه خيرٌ من هذا المتاع وأبقى؛ فقال: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ١٥]، ثم ذكر سبحانه من يستحق هذا المتاع ومن هم أهله الذين هم أولى به؛ فقال: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾ [آل عمران: ١٦، ١٧]؛ فأخبر سبحانه أن ما أعدَّ لأوليائه المتقين من متاع الآخرة خيرٌ من متاع الدنيا وهو نوعان: ثواب يتمتّعون به، وأكبرُ منه وهو رضوانُه عليهم قال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]؛ فأخبر سبحانه عن حقيقةِ الدنيا بما جعله مشاهداً لأولي البصائر، وأنها لعبٌ ولهوٌ تلهو بها النفوسُ، وتلعب بها الأبدان، واللعب واللهو لا حقيقةَ لهما، وأنهما مشغلةٌ للنفس مضيعةٌ للوقت يقطع بها الجاهلون العمرَ فيذهب ضائعاً في غير شيء.

ثم أخبر: أنها زينةٌ زُيِّنَتَ للعيونِ وللنفوسِ فأخذت بالعيونِ وبالنفوسِ استحساناً ومحبةً، ولو باشرت القلوبُ معرفةَ حقيقتِها ومآلها ومصيرِها لأبغضتها، ولآثرت عليها الآخرةَ، ولما آثرتها على الآجِلِ الدائِمِ الذي هو خيرٌ وأبقى.

قال الإمام: حدثنا وكيع حدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن إبراهيمَ

عن علقمةَ عن عبدِالله رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «مالي وللدنيا، إنما مثلي ومثل الدنيا، كمثل راكب قال[1] في ظلِّ شجرةٍ في يوم صائِفٍ، ثم راح وتركها»[2].

وفي «جامع الترمذي» من حديث سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تَزِنُ عند الله جناح بَعوضةٍ ما سقى كافراً منها شُربَة ماءٍ»[3]. قال الترمذي: حديث صحيح.

وفي «صحيح مسلم» من حديث الـمُستَورِدِ بنِ شدادٍ: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) استظل وقت القيلولة.

(٢) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، وابن ماجه (٤١٠٩)، وأحمد (١/ ٣٩١ و٤٤١) وفي «الزهد» (١٣ و١٨)، ووكيع في «الزهد» (٦٤)، والطيالسي» (٢٧٧)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢١٧)، وهناد في «الزهد» (٦٨٣)، ونعيم بن حماد في «زوائد الزهد» (١٩٥)، وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٦٧)، والحاكم (٤/ ٣١٠)، وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١٣٣)، و«قصر الأمل» (١٢٦)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١٨٣) وعنه أبو الشيخ في «الأمثال» (١٩٨ ـ ١٩٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٠٢، ٤/ ٢٣٤)، والرامهرمزي في «الأمثال» (٢٠)، وأبو الشيخ في «أخلاق النبي» (١٦٥)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (ق ١٤٣/ ب) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤١٥)، وفي «دلائل النبوة» (١/ ٢٩٢) وأبو يعلى (٥٢٢٩ و٥٥٩٢)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٣١٠) من طريق المسعودي به. قلت: إسناده صحيح.

(٣) **صحيح لغيره** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٢٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٦٦) من طريق عبد الحميد بن سليمان عن أبي حازم عن سهل بن سعد به. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن فيه عبد الحميد بن سليمان وهو ضعيف.

ولكن تابعه زكريا بن منظور عن أبي حازم به: أخرجه ابن ماجه (٤١١٠)، والحاكم (٤/ ٣٠٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٦٦٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٢٧). قال الحاكم: «صحيح الإسناد»، وتعقبه الذهبي بقوله: «زكريا ضعفوه».

قلت: لم يتفقوا على تضعيفه بل قوّاه بعضهم؛ كابن معين، وأحمد بن صالح المصري، وقال ابن عدي: «يكتب حديث».

وبالجملة: فالحديث حسن بطريقيه. وله شواهد عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وجماعة من الصحابة، ومرسل الحسن، ومرسل عمرو بن مرة.

وبالجملة: فالحديث صحيح بذلك، وانظر لزاماً كتابي: «بهجة الناظر شرح رياض الصالحين» (٤٧٧).

«ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليَمِّ؛ فلينظر بما يرجع، وأشار بالسبابة»[1].

وفي «الترمذي» من حديثه قال: كنت مع الرَّكب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السَخْلَةِ الميتة، فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه هانت على أهلِها حتى أَلقوها»، قالوا ومن هوانها ألقوها يا رسول الله قال: «فالدنيا أهونُ على الله من هذه على أهلِها»[2].

وفي «الترمذي» أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا مَلعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكرَ اللهِ وما والاَه، وعالماً أو متعلِّماً»[3].

والحديثان حسنان[4].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٥٨).

(٢) **حسن لغيره** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٢١)، وابن ماجه (٤١١١)، وأحمد (٤/ ٢٢٩)، وابن المبارك في «الزهد» (٥٠٨)، وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٢)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٢٤٩) من طريق مجالد بن سعيد عن قيس بن أبي حازم عن المستورد وذكره. قال الترمذي: حسن. قلت: فيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف، لكن له شواهد منها حديث جابر عند مسلم (٢٩٥٧)؛ فالحديث حسن به. وله شواهد كُثُر عن عبد الله بن عباس، وأبي هريرة وغيرهم.

(٣) **صحيح لغيره** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٢٢)، وابن ماجه (٤١١٢)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (١٢٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٧٠٨)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٣٦) من طريق عبد الرحمن بن ثابت قال: سمعت عطاء بن قرة سمعت عبد الله بن ضمرة عن أبي هريرة به. قال الترمذي: حسن. قلت: إسناده حسن.
وتابعه وهيب بن الورد العابد عن عطاء بن قرة به: أخرجه البغوي في «شرح السنة» (٤٠٢٨) مرسلاً لم يذكر أبا هريرة. قلت: وهو صحيح بذلك.
وله شواهد عن جمع من الصحابة منهم: جابر بن عبد الله، وأبو الدرداء، وأبو سعيد، وعبد الله بن مسعود، وعلي، وقد خرجتها وتكلمت على أسانيدها في كتابي «تنقيح الإفادة المنتقى من مفتاح دار السعادة» (ص١٢٣ ـ ١٢٤)؛ فأغنى عن التكرار والإعادة.

(٤) انظر تخريجهما.

قال الإمام أحمد: حدثنا هيثم بن خارجة: أنبأنا إسماعيل بن عياش عن[1] عبد الله بن دينار البهراني قال: قال عيسى عليه السلام للحوارين: «بحق أقول لكم: إن حلاوةَ الدنيا مرارةُ الآخرة، وإن مرارةَ الدنيا حلاوةُ الآخرة، وأن عباد الله ليسوا بالمتنعمين، بحقٍّ أقول لكم: إن شرَّكم عملاً عالمٌ يحبُّ الدنيا ويؤثرُها على الآخرَةِ، أنه لو يستطيع جعل الناس كلهم في عمله مثله»[2].

وقال أحمد: حدثنا يحيى بن إسحاق، قال: أخبرني سعيد بن عبد العزيز عن مكحول قال: قال عيسى بن مريم عليه السلام: «يا معشر الحواريين أيّكم يستطيع أن يبني على موج البحرِ داراً؟» قالوا: يا روح الله ومن يقدر على ذلك؟ قال: «إياكم والدنيا فلا تتخذوها قراراً»[3].

وفي كتاب «الزهد» لأحمد بن حنبل: أن عيسى بن مريم عليه السلام كان يقول: «بحق أقول لكم: إن أكل الخبز وشرب الماء العَذْبِ ونوماً على المزابلِ مع الكلاب كثير لمن يريد أن يَرِثَ الفِردوس»[4].

وفي «المسند» عنه ﷺ: «إن الله ضَرَبَ طعامَ ابن آدم مثلاً للدنيا، وإن قَزَّحَهُ ومَلَّحَهُ؛ فلينظر إلى ماذا يصير»[5].

---

(١) في «الأصول»: «ابن» وهو تصحيف.

(٢) انظر «الزهد» (ص١١٩)، و«ذم الدنيا» (١٣٨).

(٣) انظر «الزهد» (ص١١٨) بإسناد آخر.

(٤) «الزهد» (ص ٧٦).

(٥) **صحيح** ـ أخرجه عبد الله في «زوائد المسند» (٥/ ١٣٦)، وابن حبان (٧٠٢)، وابن أبي عاصم في «الزهد» (٢٠٥)، والطبراني في «الكبير» (٥٣١)، والمروزي في «زوائد الزهد» (٤٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٦٥٢ و١٠٤٧٣)، و«الزهد الكبير» (٤١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥٤) من طريق أبي حذيفة موسى بن مسعود عن سفيان الثوري عن يونس بن عبيد عن الحسن عن عُتي،عن أُبي بن كعب به. قلت: رجال إسناده ثقات غير أبي حذيفة؛ ففيه كلام من جهة حفظه.
وتابعه إسماعيل بن عُلَية: أخرجه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (ق٨/ب ـ ٩/أ). وتابع عبدُ السلام بن حرب سفيانَ الثوري: أخرجه ابن صاعد في «زوائد الزهد» (٤٩٥).
فالإسناد صحيح إلاّ ما يخشى من تدليس الحسن، ولكن قال شيخنا في «الصحيحة» (٣٨٢): «لكنها عن تابعي فيمكن تمشيتها». =

ثم أخبر سبحانه وتعالى عنها أنها يُفاخِرُ بعضنا بعضاً بها، فيطلبها، ليفخَر بها على صاحبه، وهذا حالُ كلِّ من طلب شيئاً للمفاخَرةِ من مالٍ أو جاه أو قوةٍ أو علمٍ أو زُهْدٍ.

والمفاخرةُ نوعان: مذمومةٌ ومحمودةٌ.

فالمذمومةُ: مفاخرةُ أهلِ الدنيا بها.

والمحمودةُ: أن يطلبَ المفاخَرَةَ في الآخرةِ، فهذه من جنسِ المنافسة المأمور بها، وهي أن الرجلَ ينفس على غيره بالشيء، ويغارُ أن ينالَه دونه، ويأنفُ من ذلك ويحمي أنفه له.

يقال: نفست عليه الشيء، أنفسه نفاسة إذا ضننت به ولم تحبَّ أن يصيرَ إليه دونك، والتنافسُ تفاعلٌ من ذلك، كأن كل واحدٍ من المتنافسِين يريد أن يسبق صاحبَه إليه، وحقيقة المنافسة الرَّغبة التَّامة والمبادرةُ والمسابقةُ إلى الشيء النَّفيسِ.

ثم أخبر تعالى عنها أنها تكاثُرٌ في الأموالِ والأولادِ؛ فيجب على كلِّ واحد أن يكثر بَني جنسه في ذلك، ويفرح بأن يرى نفسَه أكثرَ من غيره مالاً وولداً وأن يقالَ فيه ذلك، وهذا من أعظم ما يُلهي النفوسَ عن الله والدار الآخرةِ؛ كما قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر: ١ ـ ٤]، والتكاثر في كلِّ شيء؛ فكلُّ من شَغَلَه وألهاه التكاثُرُ بأمرٍ من الأمور عن اللهِ والدارِ الاخرةِ، فهو داخل في حكمِ هذه الآيةِ، فمن الناسِ من يلهيه التكاثرُ بالمالِ، ومنهم من يلهيه التكاثرُ بالجاه أو بالعلم، فيجمعهَ تكاثُراً وتفاخُراً، وهذا أسوأُ حالاً عند اللهِ ممن يكاثرُ بالمالِ

= وللحديث شواهد عن الضحاك بن سفيان عند أحمد (٣/ ٤٥٢). قلت: إسناده فيه ضعف؛ لأن علي بن زيد بن جدعان ضعيف، ورواه أيضاً عن الحسن فعاد إلى الحسن وعنعنته. وآخر من حديث سلمان: أخرجه ابن المبارك (٤٩١)، والطبراني (٦١١٩) وغيرهما من طريق سفيان عن عاصم عن أبي عثمان عن سلمان. قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات؛ فصح بذلك الحديث، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

والجاه فإنّه جعل أسبابَ الآخرة للدنيا، وصاحب المال والجاه استعملَ أسبابَ الدنيا لها وكاثرَ بأسبابها.

ثم أخبر سبحانه وتعالى عن مصيرِ الدنيا وحقيقتِها وأنها بمنزلة غيثٍ أعجبَ الكفارَ نباتُه.

والصحيحُ ـ إن شاء الله ـ أنَّ الكفارَ هم الكُفارُ بالله، وذلك عُرْفُ القرآن حيث ذكروا بهذا النَّعتِ في كل موضع، ولو أرادَ الزُّراعَ، لذكرهم باسمهم الذي يُعرفون به كما ذكرهم به في قوله: ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾، [الفتح: ٢٩]، وإنما خَصَّ الكُفَّار به لأنّهم أشدُّ إعجاباً بالدنيا فإنها دارُهم التي لها يعملون ويكدحون؛ فهم أشدُّ إعجاباً بزينتها وما فيها من المؤمنين.

ثم ذكر سبحانه عاقبةَ هذا النبات وهو اصفراره وَيُبْسُه، وهذا آخرُ الدنيا ومصيرها، ولو ملكها العبد من أوَّلها إلى آخرها فنهايتها ذلك، فإذا كانت الآخرة انقلبت الدنيا واستحالت إلى عذاب شديد، أو مغفرة من الله وحسن ثوابه وجزائه؛ كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «الدنيا دارُ صِدْقٍ لمن صَدَقها، ودارُ عافيةٍ لمن فَهم عنها، ومطلبُ نُجْحٍ لمن سالم، فيها مساجدُ أنبياءِ الله، ومهبط وحيه، ومصلى ملائكته، ومتجر أوليائه، فيها اكتسبوا الرحمة، وربحوا فيها العافية، فمن ذا يذمها وقد آذَنَتْ بَيْنِها، ونَعَتْ نفسَها وأهلَها، فتمثلت ببلائها، وشوَّقت بسرورها إلى السُّرور تخويفاً وتحذيراً وترغيباً، فَذَمَّها قوم غداة النّدامة، وحمدها آخرون ذكّرتهم فذكروا، ووعظتهم فاتّعظوا، فيا أيها الذّامُّ للدنيا المغترُّ بتغريرها متى استذمت إليك، بل متى غرّتك، أبمنازل آبائك في الثرى، أم بمضاجعِ أمهاتِك في البلا؟ كم رأيت موروثاً، كم علَّلت بكفيك عليلاً، كم مرضت مريضاً بيديك تبتغي له الشفاء، وتستوصف له الأطباء؟ ثم لم تنفعه شفاعتُك، ولم تسعفه طلبتُك، مُثِّلت لك الدنيا غداة مصرعه ومصرعك ومضجعه ومضجعك».

ثم التفت إلى المقابر فقال: «يا أهل الغربة ويا أهل التربة أما الدور فسكنت، وأما الأموال فقسمت، وأما الأزواج فنكحت، فهذا خبر ما عندنا، فهاتوا خبر ما عندكم».

ثم التفت إلينا فقال: «أما لو أذن لهم لأخبروكم أن خير الزاد التقوى»[١].

فالدنيا في الحقيقة لا تُذَمُّ وإنما يتوجه الذَّمُّ إلى فعلِ العبد فيها، وهي قنطرةٌ أو معبرٌ إلى الجنةِ أو إلى النّار، ولكن لما غلبت عليها الشَّهواتُ والحظوظُ والغَفْلَة والإعراضُ عن الله والدار الآخرة، فصار هذا هو الغالبُ على أهلها وما فيها، وهو الغالبُ على اسمها، صار لها اسم الذَّمِّ عند الإطلاقِ وإلا فهي مبنى الآخرة ومزرعتها، ومنها زادُ الجنة وفيها اكتسبت النفوسُ الإيمانَ ومعرفةَ الله ومحبّتَه وذكرَه ابتغاء مرضاته، وخير عيش ناله أهلُ الجنة في الجنة إنما كان بما زرعوه فيها، وكفى بها مَدْحاً وفضلاً لأولياء الله فيها من قرة العيون، وسرورِ القلوب، وبهجة النّفوس، ولذةِ الأرواح، والنعيم الذي لا يشبه نعيم بذكره ومعرفته ومحبته وعبادته والتوكل عليه والإنابة إليه والأنس به والفرح بقربه والتذلُّل له ولذَّةِ مناجاته والإقبال عليه والاشتغال به عمن سواه، وفيها كلامُه ووحيه وهداه وروحُه الذي ألقاه من أمره فأخبر به من شاء من عباده.

ولهذا فَضَّلَ ابنُ عقيل وغيرُه هذا على نعيمِ الجنة، وقالوا: هذا حقُّ الله عليهم وذاك حظهم ونعيمهم، وحقه أفضل من حقهم.

قالوا: والإيمان والطاعةُ أفضلُ من جزائِه.

والتحقيق: أنه لا يصحُّ التفضيل بين أمرين في دارين مختلفتين، ولو أمكن اجتماعُهما في دارٍ واحدةٍ لأمكن طلبَ التفضيل.

والإيمانُ والطاعةُ في هذه الدار أفضلُ ما فيها، ودخولُ الجنّة والنَّظَرُ إلى وجه الله جلَّ جلاله وسماعُ كلامِه والفوزُ برضاه أفضلُ ما في الآخرة.

فهذا أفضلُ ما في هذه الدار، وهذا أفضلُ ما في الدار الأخرى، ولا يَصِحُّ أن يقال: فأي الأمرين أفضل؟ فهذا أفضل الأسباب، وهذا أفضل الغايات، وبالله التوفيق.

ولما وصف سبحانه حقيقةَ الدّنيا وبَينَ غايتها ونهايتَها وانقلابها في الآخرة

---

(١) انظر «ذم الدنيا» (١٤٧).

إلى عذابٍ شديدٍ ومغفرة من الله وثوابٍ، أمرَ عبادَه بالمسابقة والمبادرة إلى ما هو خيرٌ وأبقى، وأن يؤثرَه على الفاني المنقطعِ المَشُوبِ بالأنكادِ والتنغيصِ.

ثم أخبر أن ذلك فَضْلُه يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، وقال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

ثم ذكر سبحانه أن المالَ والبنين زينةُ الحياة الدنيا، وأن الباقياتِ الصالحاتِ، وهي: الأعمالُ والأقوالُ الصالحةُ التي يبقى ثوابُها ويدوم جزاؤها خير ما يؤمِّله العبد ويرجو ثوابَه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]، ولما أخبر عبادَه عن آفات هذه الدار دعا عبادَه إلى دارِ السلام التي سَلِمت من التَّغيير والاستحالة والزوال والفناء وَعَمَّ عبادَه بالدعوة إليها عدلاً، وخصَّ من شاء بالهداية إلى طريقها فضلاً.

وأخبر سبحانه أن الأموالَ والأولاد لا تُقرِّبُ الخَلْقَ إليه، وإنما يُقرِّبُهم إليه تقوى الله ومعاملتُه فيهم، وحَذَّر سبحانه عبادَه أن تلهيهم أموالُهم وأولادُهم عن ذكره، وأخبر أن مَن فَعَلَ ذلك فَهو الخاسِرُ حقيقةً لا من قَلَّ مالُه وولدهُ في الدنيا، ونهى نبيّه ﷺ أن يَمُدَّ عينيه إلى ما متَّعَ به أهلَ الدنيا فيها فتنةً لهم واختباراً، وأخبر أن رزْقَه الذي أعدَّه له في الآخرة خيرٌ وأبقى من هذا الذي مُتّعوا به، وأخبر سبحانه أنه آتاه السَّبع المثاني والقرآن العظيم وذلك خيرٌ وأفضلُ مما مَتّع به أهلَ الدنيا في دنياهم، وجعل ما آتاه مانعاً له من مَدِّ عينيه إلى ذلك، فهذا العطاءُ في الدنيا وما ادّخر له من رزقِ الآخرةِ خيرٌ مما مُتِّعَ به أهل الدنيا فلا تَمُدّن عينيك.

وإذا عُرِف أن الغنى والفقرَ والبلاءَ والعافيَةَ فتنةٌ وابتلاءٌ من الله لعبدِه يمتحن بها صبرَه وشكرَه علم أن الصبر والشكر مطيتان للإيمان لا يُحْمَل إلا عليهما،

ولا بدَّ لكل مؤمن منهما، وكل منهما في موضعه أفضل، فالصبر في مواطن الصبر أفضل، والشكر في مواطن الشكر أفضل، هذا إن صَحَّ مفارقة كلٍّ واحد منهما للآخر، وأما إذا كان الصبرُ جزءَ مسمى الشُّكر، والشُّكْرُ جزء مسمى الصَّبْرِ، وكلٌّ منهما حقيقةٌ مركّبَةٌ من الأَمرين معاً كما تقدّم بيانه، فالتفضيل بينهما لا يَصِحُّ إلا إذا جُرِّد أحدُهما عن الآخر، وذلك فَرَضٌ ذهني يُقدِّرُه الذهنُ ولا يوجدُ في الخارج، ولكن يَصِحّ على وجهٍ وهو: أن العبدَ قد يغلب صبرُه على شكرِه الذي هو قَدْر زائدٌ على مُجَرَّدِ الصبرِ من الأقوالِ والأعمالِ الظاهرة والباطنة فلا يبقى فيه اتساعٌ لغير صَبرِ النَّفْس على ما هو فيه لقوَّةِ الواردِ وضيق المحلِّ، فتنصرف قُواه كُلُّها إلى كَفِّ النفسِ وحبسِها لله، وقد يغلب شكرُه على صبرِه بالأقوالِ والأعمالِ الظاهرة والباطنة على قوّةِ كفِّه لنفسه وحبسها لله فتكون قوةُ إرادتِه وعمله أقوى من قوة امتناعه وحبس نفسه.

واعتبر هذا بشخصين: أحدهما حاكم على نفسِه، متمكن من حبسِها عن الشَّهوات قليل التَّشَكِّي للمصيبات وذلك جلُّ عمله. وآخرٌ كثيرُ الإعطاءِ لفعل الخير القاصرِ والمتعدي، سَمْحُ النَّفْس بِبَذل المعروفِ. وآخر ضعيفُ النفس عن قوّةِ الصبر.

فللنَفْسِ قوتان: قوة الصبر والكف وإمساك النفس، وقوة البَذْل وفعل الخير والإقدام على فعل ما تكملُ به. وكمالها باجتماع هاتين القوتين فيها.

والنّاس في ذلك أرْبَعُ طبقاتٍ، فأعلاهم من اجتمعت له القوتان، وَسَفَلَتهم من عُدِمِ القوتين، ومنهم من قوَّةُ صبره أكملُ من قوةِ فِعلهِ وَبَذْلهِ، ومنهم من هو بالعكسِ في ذلك.

فإذا فضل الشكر على الصبر فإما أن يكون باعتبارِ ترجيحِ مقامٍ علَى مقامٍ، وإما أن يكون باعتبار تجريدِ كلٍّ من الأمرين عن الآخر وقطع النَّظَرِ عن اعتباره.

وتمامُ إيضاحِ هذا بمسألةِ الغني الشاكرِ والفقير الصابرِ، فلنذكرُ لها باباً يخصُّها، ويكشِفُ عن الصوابِ فيها.



الباب الثاني والعشرون

في اختلاف الناس في الغني الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل؟ وما هو الصواب في ذلك؟

هذه مسألةٌ كَثُرَ فيها النِّزاعُ بين الأغنياءِ والفقراءِ واحتجت كلُّ طائفةٍ على الأخرى بما لم يُمْكِنْها دَفْعُه من الكتاب والسُّنَّةِ والآثارِ والاعتبارِ، ولذلك يظهرُ للمتأمِّل تكافؤ الطائفتين، فإنَّ كلاً منهما أَدْلت بِحُجَجٍ لا تُدْفَعُ والحقُّ لا يعارضُ بعضُه بعضاً، بل يجبُ اتِّباعُ موجبِ الدليلِ أين كان، وقد أكثر الناسُ الكلام في المسألة من الجانبين، وصنّفوا فيها من الطرفين، وَتَكلّم الفقهاءُ والفقراءُ والأغنياءُ والصوفية وأهلُ الحديث والتفسير لشمول معناها وحقيقتها للناس كلِّهم، وحكوا عن الإمام أحمد فيها روايتين ذكرهما أبو الحسين في كتاب «التمام»[(١)] فقال: مسألةُ الفقيرِ الصابرِ أفضلُ مِن الغني الشاكر في أَصَحِّ الروايتين. وفيه رواية ثانية: الغني الشاكر أفضل. وبها قال جماعة منهم ابن قتيبة.

وَوَجَّه الأولى واختارها أبو إسحاق بن شاقلا والوالد السعيد.

قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الفرقان: ٧٥] قال محمد بن علي بن الحسين: ﴿ٱلْغُرْفَةَ﴾ الجنة. ﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾ قال: على الفقر في الدنيا.

وعن[(٢)] أنس عن النبي ﷺ قال: «اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً،

---

(١) «التمام لما صحَّ في الروايتين والثلاث والأربع عن الإمام» ابن أبي يعلى، (٢/ ٣٠٢).

(٢) في «ظ»: «وروى» وهو الموافق لما في «التمام».

واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة»؛ فقالت عائشة: ولِمَ يا رسول الله؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً، يا عائشة لا تردي المسكين ولو بشق تمرة، يا عائشة أحبي المساكين وَقَرِّبيهم، فإن اللهَ يقرِّبُك يوم القيامة»[1].

قلت: لا حجة له في واحدةٍ من الحجتين:

أما الآية فالصبر فيها يتناول صبرَ الشاكر على طاعته، وصبره عن معصيته، وصبر المبتلى بالفقر وغيره على بلائه، ولو كان المرادُ بهذا الصبرَ على الفقرِ وحدَه لم يدل رجحانه على الشكر، فإن القرآن كما دلَّ على جزاءِ الصَّابرين دلَّ على جزاءِ الشّاكرين أيضاً؛ كما قال تعالى: ﴿وَسَنَجْزِي ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، ﴿وسيجزي الله الشّاكرين﴾ [آل عمران: ١٤٤]. بل قد أخبر أن رضاه في الشكر، ورضاه أكبر من جزائه بالجنات وما فيها، وإذا جزى اللهُ الصّابرين الغرفةَ بما صبروا لم يدلّ ذلك على أنه لا يجزي الشاكرين الغرفةَ بما شكروا.

وأما الحديث فلا حجةَ فيه لوجهين:

أحدهما: أنه لا يحتج بإسناده، فإنه من رواية محمد بن ثابت الكوفي عن الحارث بن النعمان، والحارث هذا لم يحتج به أصحاب الصحيح، بل قال فيه البخاري: منكر الحديث، ولذلك لم يُصحِّح الترمذي حديثَه هذا ولا حسّنه ولا سكتَ عنه بل حكم بغرابته.

والجواب الثاني: أن الحديثَ لو صحَّ لم يدلّ على مطلوبهم؛ فإن المسكنة

---

(١) **حسن لغيره** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٥٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٢)، و«شعب الإيمان» (١٣٨٠ ـ هندية)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٤١ ـ ١٤٢)، من طريق الحارث بن النعمان الليثي عن أنس به. قلت: إسناده ضعيف جداً، لأن الحارث قال فيه البخاري في «الضعفاء الصغير»: «منكر الحديث»، وهذا تضعيف شديد منه، فقد ذكر الذهبي في «الميزان» (١/ ٦) أنه قال: «كل من قلت فيه: منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه». وله شواهد عن أبي سعيد الخدري وابن عباس وعبادة ابن الصامت وبعضها يعتبر بها وبمجموعها يكون الحديث حسناً لغيره؛ كما بينته في «الكشاف الحثيث في شرح تأويل مختلف الحديث» (٣٨)؛ فانظره غير مأمور.

التي يُحبُّها الله من عبدِه ليست مسكنةَ فقرِ المال، بل مسكنة القلبِ وهي انكسارُه وذلُّه وخشوعُه وتواضُعُه لله، وهذه المسكنةُ لا تنافي الغنى ولا يشترط لها الفقر، فإن انكسار القلب لله ومسكنته لعظمته وجلاله وكبريائه وأسمائه وصفاته أفضل وأعلى من مسكنة عدم المالِ كما أنّ صبر الواجد عن معاصي اللَّهِ طوعاً واختياراً وخشيةً من اللّه ومَحَبَّةً له أعلى من صبر الفقير العاجز.

وقد آتى اللهُ جماعةً من أنبيائِه ورسُلِه الغِنَى والملكِ ولم يخرجهم ذلك عن المسكنة لله.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا الجريري عن أبي السليل قال: «كان داود النّبي ﷺ يدخل [المسجد][1] فينظر أغمص حلقة من بني إسرائيل فيجلس إليهم، ثم يقول: مسكين بين ظهراني مساكين»[2]، وهذا مع ما آتاه الله من الملك والغنى والبَسْطة زيادة على النُّبوَّة.

قال أبو الحسين[3]: وروى أبو برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن فقراء المسلمين ليدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار أربعين خريفاً حتى يتمنى أغنياء المسلمين يوم القيامة أنهم كانوا فقراء في الدنيا»[4].

قلت: هذا الحديثُ ثابتٌ عن النَّبيِّ ﷺ من رواية جماعةٍ من الصحابة[5] منهم: أبو هريرة، وعبدُ الله بنُ عمرو، وجابرُ بنُ عبد الله، وروي عن أبي سعيد وأنس بن مالك، ولا يدلّ ذلك على عُلوِّ درجتهم إذا دخلوا الجنة قبل الأغنياء، بل إنما يدل على السبق لعدم ما يحاسبون عليه، ولا ريب أن وليَّ الأمر العادلَ يتأخرُ دخولُه للحساب و كذلك الغنيُّ الشاكرُ، ولا يلزم من تأخُّر

---

(١) زيادة من «ظ».

(٢) «الزهد» (ص٩٢).

(٣) «التمام» (٢/ ٣٠٣).

(٤) **ضعيف جداً** ـ أخرجه الديلمي في «مسند الفردوس» (٨٨٣)، وإليه عزاه المتقى الهندي في «كنز العمال» (٦/ ٤٧٥) وقال: «وفيه نفيع بن الحارث متروك». قلت: فالإسناد ضعيف جداً.

(٥) مضى تخريجها (ص ٢٥٦).

دخولهما نزولُ درجتِهما عن درجة الفقير كما تقدم[1]، وإنَّما تَمَنِّي الأغنياء أنهم كانوا في الدّنيا فقراء، فإن صَحت هذه اللفظة[2] لم تَدُلّ على انحطاطِ درجتهم كما يَتمنّى القاضي العادلُ في بعض المواطن يوم القيامة أن لم يقض بين اثنين في تمرةٍ لما يرى من شِدَّة الأمر؛ فمنزلةُ الفقرِ والخمولِ، ومنزلةُ السَلاَمَةِ، ومنزلةُ الغِنَى والولاَيَةِ، ومنزلةُ الغَنيمة أو العطب.

قال أبو الحسين[3]: وروى ابن عمر أن النبي ﷺ قام في أصحابه فقال: «أي الناس خير؟» فقال بعضهم: غني يعطي حق نفسه وماله، فقال النبي ﷺ: «نعم الرجل هذا وليس به، ولكن خير الناس مؤمن فقير يعطي على جهد»[4].

قلت: لم يُذْكَر لهذا الحديث إسنادٌ فيُنظَرُ فيه، وحديثٌ لا يُعلم حالُه لا يحتجُّ به، ولو صحَّ لم يكن فيه دليلٌ؛ لأنه تضمن تفضيلَ فقيرٍ يتصدّق من جُهْدِ فَمَعَهُ فَقرُ الصابرين وغنى الشاكرين، فقد جمع بين موجب التفضيل وسببه، ولا ريب أن هذا أفضل الأقسام الثلاثة، ودرهمه الواحدُ يسبقُ مائة ألف درهم من غيره؛ كما قال النبي ﷺ: «سبق درهمٌ مائة ألف درهم» قالوا: يا رسول الله كيف سبق درهم مائة ألفَ درهم؟ قال: «رجلٌ كان له درهمان فأخذ أحدَهما فتصدّق به، وآخرٌ له مالٌ كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها»[5].

رواه النسائي من حديث صفوان بن عيسى حدثنا ابن عجلان عن زيد بن

---

(١) (ص٢٥٠) من هذا الكتاب.

(٢) لم تصح؛ كما تقدم (ص ٢٨٧).

(٣) في «الأصول»: «أبو الحسن»، والصواب ما أثبته.

(٤) **موضوع** ـ ذكره ابن أبي يعلى القاضي في «التمام» (٢/ ٣٠٣) ولم يذكر إسناده؛ كما قال ابن القيم رحمه الله. لكن الحديث عزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (٣/ ٤٨١ ـ فيض القدير) للديلمي، وقال المناوي: «قال الحافظ العراقي: سنده ضعيف جداً»، وقال شيخنا في «ضعيف الجامع الصغير» (٢٨٩٨): «موضوع».

(٥) **حسن** ـ أخرجه النسائي (٥/ ٩٥)، وابن خزيمة (٢٤٤٣)، والحاكم (١/ ٤١٦)، والبيهقي (٤/ ١٨١)، وابن حبان (٣٤٤٧) من طرق عن صفوان بن عيسى به. قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. قلت: إسناده حسن؛ لأن ابن عجلان صدوق لم يخرج له مسلم إلاّ متابعة.

أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وذكر البيهقي من حديث الثوري عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه قال: جاء ثلاثةُ نَفَرٍ إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال أحدُهم: كانت لي مائة أوقية فتصدّقت منها بعشرة أواقٍ، وقال الآخر: كانت لي مائة دينار فتصدّقت منها بعشرة دنانير، وقال الآخر: كان لي عشرة دنانير فتصدّقت منها بدينار، فقال: «كلكم في الأجر سواء كلكم قد تَصَدَّق بِعُشْرِ ماله»[١].

وقال أبو سعيد بن الأعرابي حدثنا ابن أبي العوام حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أبو الأشهب عن الحسن قال: قال رجل لعثمان بن عفان رضي الله عنه: ذهبتم يا أصحاب الأموال بالخير تتصدقون وتعتقون وتحجون وتنفقون، فقال عثمان: «وإنكم لتغبطوننا وإنا لنغبطكم، قال: فوالله لدرهم ينفقه أحدٌ من جهدٍ خيرٌ من عشرة آلاف درهم غيضٍ من فيض»[٢].

وفي «سنن أبي داود» من حديث الليث عن أبي الزبير عن يحيى بن جعدة عن أبي هريرة أنه قال: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المُقِل، وابدأ بمن تعول»[٣].

---

(١) **ضعيف جداً** ـ أخرجه البيهقي في «السنن» (٤/ ١٨٢)، و«الشعب» (٣١٨١ ـ هندية)، وأحمد (١/ ٩٦ و١١٤)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٠٦/ ٢٠٠٥١)، والبزار في «المسند» (٨٤١) من طريق سفيان به. قلت: إسناده ضعيف جداً؛ من أجل الحارث الأعور.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣١٨٢. هندية) من طريق ابن الأعرابي به. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٧٧٠) عن جعفر بن حيان وهو أبو الأشهب عن الحسن به. قلت: إسناده ضعيف؛ مداره على الحسن وهو مدلس ولم يصرح بالتحديث، ولم يسمع من عثمان.

(٣) **صحيح** ـ أخرجه أبو داود (١٦٧٧)، وأحمد (٢/ ٣٥٨)، وابن خزيمة (٢٤٤٤ و٢٤٥١)، وابن حبان (٣٣٤٦)، وابن أبي الدنيا في «العيال» (٤)، والحاكم (١/ ٤١٤) وعنه البيهقي في «السنن» (٤/ ٨٠) و«الشعب» (٣١٨٠ ـ هندية). قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. قلت: إسناده صحيح لكن يحيى بن جعدة ليس من رجالهما.

وفي «المسند» و«صحيح ابن حبان» من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الصدقة أفضل، قال: «جهد من مُقِل»[1].

وفي «سنن النسائي» من حديث علي الأزدي[2] عن عبيد بن عمير عن عبد الله بن حُبْشِي أن النَّبِيِّ ﷺ سئل أي الأعمال أفضل؟ قال: «إيمانٌ لا شكَّ فيه، وجهاد لا غلولَ فيه، وحجةٌ مبرورة» قيل: فأي الصلاة أفضل؟ قال: «طول القيام» قيل: فأي الصدقة أفضل؟ قال: «جهد من مقل» قيل: فأي الهجرة أفضل؟ قال: «من هجر ما حرم الله عليه» قيل: فأي الجهاد أفضل؟ قال: «من أهريق دمُه وعُقِرَ جوادُه»[3].

---

(١) **ضعيف جداً** ـ فقرة من حديث أبي ذر الطويل أخرجه أحمد (٥/ ١٧٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٢٩٨ ـ هندية)، والبزار (١٦٠ ـ كشف الأستار) كلهم من طريق المسعودي عن أبي عمرو الدمشقي عن عبيد بن الخشخاش عن أبي ذر. قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٦٠) «فيه المسعودي ثقة ولكنه اختلط». قلت: فيه علة أخرى، وهو: أبو عمرو الدمشقي وهو متروك؛ كما قال الدارقطني؛ فالإسناد ضعيف جداً.
وأخرج الحديث كله ابن حبان (٣٦١) وأبو نعيم (١/ ١٦٦ ـ ١٦٨) من طريق إبراهيم بن هشام بن يحيى الغساني عن أبيه عن جده عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر. قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن إبراهيم بن هشام متهم بالكذب.
وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٦٩٩)، والبيهقي (٩/ ٤) من طريق يحيى بن سعيد القرشي عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي ذر. قلت: فيه يحيى بن سعيد متروك لا يحل الاحتجاج به.
وله شاهد من حديث أبي أمامة: أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦)، والطبراني في «الكبير» (٧٨٧١) من طريق معان بن رفاعة عن علي بن يزيد عن القاسم عنه به. قلت: إسناده ضعيف جداً؛ لأن علي بن يزيد الألهاني متروك، وضعفه ابن كثير والهيثمي.
وبالجملة: فطرق الحديث وشواهده لا يفرح بها لشدة ضعفها.

(٢) في «الأصول»: «الأوزاعي» وهو تصحيف صححته من مصادر التخريج.

(٣) **حسن** ـ أخرجه أبو داود (١٣٢٥ و١٤٤٩)، والنسائي (٥/ ٥٨ و٨/ ٩٤)، وأحمد (٣/ ٤١١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٤)، والبيهقي (٣/ ٩، ٩/ ١٦٤)، وابن الأعرابي في «المعجم» (١١٨٨)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٦) وفي «الآحاد والمثاني» (٢٥٢٠)، والدارمي (١/ ٢٧١) وغيرهم من طريق حجاج بن محمد الأعور عن ابن جريج أخبرني عثمان بن أبي سليمان عن علي الأزدي عن عبيد بن عمير به. قلت: إسناده حسن رجاله ثقات غير علي الأزدي، فإنه صدوق.

وهذه الأحاديثُ كلُّها تدلُ على أن صدقةَ جُهدِ المُقِلِّ أفضلُ من صدقة كثيرِ المالِ ببعضِ ماله الذي لا يتبيَّنُ أثرُ نقصانِه عليه وإن كان كثيراً، لأن الأعمَال تتفاضلُ عند الله بتفاضلِ ما في القلوب لا بكثرتها وصُوَرِها، بل بقوَّة الداعي وصِدْق الفاعلِ وإخلاصِه وإيثارِه الله على نفسه، فأين صدقةُ من آثر الله على نفسِه برغيفٍ هو قوتُه إلى صدقة من أخرج مائة درهم من بعضِ ماله غيضاً من فيض؛ فرغيف هذا درهمه في الميزان أثقل من مائة ألف هذا، وبالله المستعان.

واحتجوا بما رواه ابن عدي من حديث سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد عن أبيه عن عطاء سمع أبا سعيد الخدري يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم توفَّني فقيراً، ولا توفني غنياً»[1].

وهذا الحديث لا يَصِحُّ؛ فإن خالد بن يزيد هذا هو خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك الدمشقي أجمعوا على ضعفه وعدم الاحتجاج بحديثه؛ قال أحمد: ليس بشيء، وقال ابن معين: واه، ونسبه يحيى إلى الكذب، وقد تقدم فيه.

وقد سئل شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن هذه المسألة؛ فقال: قد تنازع كثير من المتأخرين في الغني الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل؛ فرجَّح هذا طائفة من العلماء والعباد، ورجَّح هذا طائفة أخرى من العلماء والعباد، وحكي في ذلك عن الإمام أحمد روايتان.

وأما الصحابة والتابعون رضي الله عنهم فلم يُنْقَل عن أحدٍ منهم تفضيل أحد الصنفين على الآخر.

---

(١) **ضعيف جداً** ـ أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ٨٨٤)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٦١٥) و«الدعاء» (١٤٢٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٠٦) من طريق سليمان به. وأخرجه الحاكم (٤/ ٣٢٢)، والبيهقي (٧/ ١٣) من طريق سليمان ولفظه: «اللهم أحيني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين، وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة». وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. قلت: وهذا منهما عجيب وبخاصة الذهبي رحمه الله؛ فإنه ذكر خالداً في «الميزان» وساق أقوال أئمة الصنعة في تضعيفه، وكلها تتفق على ذلك بل اتهمه بن معين، وساق أحاديث أنكرت عليه منها هذا الحديث.

وقد قالت طائفة ثالثة: ليس لأحدهما على الأخرى فضيلة إلا بالتقوى؛ فأيهما أعظم إيماناً وتقوى كان أفضل، فإن استويا في ذلك استويا في الفضيلة.

وقال: وهذا أَصَحُّ الأقوال؛ لأن نصوصَ الكتاب والسنة إنما تُفَضِّلُ بالإيمان والتقوى، وقد قال تعالى: ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥]، وقد كان في الأنبياء والسابقين الأولين من الأغنياء من هو أفضل من أكثر الفقراء، وكان فيهم من الفقراء من هو أفضل من أكثر الأغنياء، والكاملون يقومون بالمقامين فيقومون بالشكر والصبر على التَّمَامِ كحالِ نَبِيِّنَا ﷺ، وحال أبي بكر وعمرَ رضي الله عنهما.

ولكن قد يكون الفَقْرُ لبعض الناس أَنْفَعَ والغنى لآخرين أنفع؛ كما تكون الصحة لبعضهم أنفع والمرض لبعضهم أنفع كما في الحديث الذي رواه البغويُّ وغيرُه عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربِه تبارك وتعالى: «إن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقرُ ولو أغنيتُه لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الصِّحَّةُ ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا السَّقَمُ وإن ولو شفيته لأفسده ذلك، إني أدبر عبادي، إني بهم خبير بصير»[1].

وقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إن فقراء المسلمين يدخلون الجَنَّة قبل الأغنياء»[2].

---

(١) ضعيف ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٢١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣١٨)، والأصبهاني في «الترغيب» (٢٠٤)، والربعي في «جزء من حديثه» (ق ٢١٦/ ٢) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٣٢٧)، والقشيري (٢/ ٦١٠) من طريق الحسن بن يحيى الخشني حدثنا صدقة بن عبد الله الدمشقي عن هشام الكناني عن أنس بن مالك، وذكره.
قال شيخنا في «الصحيحة» (٤/ ١٨٩): «وإسناده ضعيف مسلسل بالعلل: الأولى: هشام الكناني لم أعرفه. الثانية: صدقة بن عبد الله وهو أبو معاوية السمين ضعيف. الثالثة: الحسن بن يحيى وهو الخشني وهو صدوق كثير الغلط».

(٢) مضى تخريجه (ص ٢٥٦).

وفي الحديث الآخر لما علم الفقراءُ الذكرَ عقب الصلاةِ سمع بذلك الأغنياء فقالوا مثل ما قالوا، فذكر ذلك الفقراءُ للنَّبِيِّ ﷺ فقال: «﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [الحديد: ٢١]»[1]؛ فالفقراء يتقدمون في دخول الجنة لخفَّة الحساب عليهم، والأغنياء يُؤَخَّرُون لأجل الحساب عليهم، ثم إذا حوسب أحدهم فإن كانت حسناتُه أعظمَ من حسناتِ الفقيرِ كانت درجتُه في الجنة فوقَه، وإن تأخر في الدخول. كما أن السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ـ ومنهم عُكّاشة بن محصن ـ قد يدخل الجنة بحسابٍ من يكون أفضل من أحدهم في الدرجات لكن أولئك استراحوا من تعب الحساب.

فهذا في الفقر المذكور في الكتاب والسُّنَّة وهو ضدُّ الغنى الذي يبيح أخذ الزكاة أو الذي لا يوجب الزكاة.

ثم قد صار في اصطلاح كثير من الناس: الفقرُ عبارة عن الزهدِ والعبادَةِ والأخلاَقِ. ويسمون من اتّصَفَ بذلك فقيراً وإن كان ذا مال، ومن لم يتصف بذلك قالوا: ليس بفقير وإن لم يكن له مال، وقد يُسَمَّى هذا المعنى تصوفاً.

ومن الناس من يُفَرِّق بين مُسمّى الفقير والصوفيِّ، ثم من هؤلاء من يَجعل مسمى الفقير أفضل، ومنهم من يجعل مسمى الصوفي أفضل.

والتحقيق في هذا الباب: أنه لا ينظر إلى الألفاظ المحدثة بل ينظر إلى ما جاء به الكتاب والسّنة من الأسماء والمعاني، والله قد جعل وصف أوليائه الإيمانَ والتقوى فمن كان نصيبه من ذلك أعظم كان أفضلَ، والأغنياء بما سوى ذلك، والله أعلم.



(١) مضى تخريجه (ص ٢٥٦).

الباب الثالث والعشرون

حجة الفقراء من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار

قالت الفقراء: لم يذكر الله سبحان الغنى والمال في القرآن إلا على أحد وجوه:

الأول: على وجه الذم، كقوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦ ـ ٧]، وقوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]، وقوله: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۝٣٣ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝٣٤ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣ ـ ٣٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [الكهف: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ [آل عمران: ١٤] الآية، ونظائر ذلك كثيرة.

الوجه الثاني: أن يذكره على وجه الابتلاء والامتحان كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ﴾ [التغابن: ١٥]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ۝٥٦﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، وقال تعالى مُخبِراً عن ابتلائه بالغنى كما ابتلى بالفقر: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾ [الفجر: ١٥] الآية، وقال تعالى:

﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

الوجه الثالث: إخباره سبحانه وتعالى: أن الأموال والأولاد لا تقرِّبُ إليه شيئاً، وإنما يقرِّبُ إليه الإيمانُ والعملُ الصالحُ كما قال: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

الوجه الرابع: إخبارُه: أن الدنيا والغنى والمال إنما جعلها متعة لمن لا نصيب له في الآخرةَ، وأن الآخرة جعلها للمتقين فقال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]، وإلى هذا المعنى أشار النَّبيُّ ﷺ بقوله لعمر: «أما ترضى أن تكون لهم الدّنيا ولنا الآخرة»، وسيأتي الحديث[1].

الوجه الخامس: أنه سبحانه لم يذكر المُتْرَفين وأصحابَ الثَّروة إلا بالذَّمِّ كقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الواقعة: ٤٥]، وقوله: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿لَا تَرْكُضُوا۟ وَٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَآ أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٣].

الوجه السادس: أنه سبحانه ذَمَّ مُحِبَّ المال، فقال: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾ [الفجر: ١٩، ٢٠]، فذَمَّهم بِحُبِّ المال وعَيَّرَهم به.

الوجه السابع: أنه سبحانه ذَمَّ متمني الدنيا والغنى والسَّعَةِ فيها، ومدح من أنكر عليهم وخالفهم، فقال تعالى عن أغنى أهل زمانه: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٧٩، ٨٠] فأخبروا أن ما عند الله

---

(١) أخرجه البخاري (٢٤٦٨)، ومسلم (١٤٧٩) (٣٤).

خير من الدنيا لمن آمن وعمل صالحاً، ولا يُلَقّى هذه الوصيةَ وهي الكلمة التي تكلَّمَ بها الذين أوتوا العلم أو المثوبَة والجنَّةَ التي دَلَّ عليها قوله: ﴿ثوابُ الله خيرٌ﴾ والسيرة والطريقة التي دل عليها قوله ﴿لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًاۚ﴾ وعلى كل حال لا يُلَقّى ذلك إلا الصَّابِرون على الفَقرِ وعن الدنيا وشهواتِها وما أُترِفَ فيه الأغنياءُ، وقد شَهِدَ الله سبحانه لهم أنهم من أهل العِلمِ دون الذين تَمَنّوا الدنيا وزينَتَها.

الوجه الثامن: أنه سبحانه أنكر على من ظَنَّ أن التفضيل يكون بالمال الذي يحتاج إليه لإقامة الملك، فكيف بما هو زيادةٌ وفَضْلَةٌ؟ فقال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، فَرَدَّ اللّهُ سبحانه قولهم، وأخبرَ سبحانه أن الفَضْلَ ليس بالمال كما توهَّموه، وأن الفَضْلَ بالعِلْمِ لا بالـمَالِ.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨]، ففضلُه ورحمتُه العِلمُ والإيمانُ والقُرآنُ، والَّذِي يجمعونه هو المالَ وأسبابَه. ومثله قوله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

الوجه التاسع: أنه سبحانه أخبر أن التَّكاثر في جمع المال وغيره ألهى الناس وشغلهم عن الآخرة والاستعداد لها، وَتَوَعَّدَهم على ذلك فقال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [التكاثر: ١ ـ ٤]، فأخبر سبحانه أن التكاثر شَغَلَ أهل الدنيا وألهاهم عن الله والدارِ الآخرة حتى حضرهم الموت، فزاروا المقابر، ولمَ يفِيقُوا من رَقْدَةِ من ألهاهم التكاثر، وجعل الغايةَ زيارةَ المقابر دون الموت إيذاناً بأنهم غير مستوطنين ولا مستقرين في القبور، وأنهم فيها بمنزلة الزائرين يحضرونها مدَّةً ثم يظعنُون عنها كما كانوا في الدنيا كذلك زائرين لها غير مستقرين فيها، ودار القرار هي الجنة أو النار. ولم يُعَيِّن سبحانه الـمُتَكَاثَرَ به بل ترك ذكرَهُ إما لأنَّ

المذمومَ هو نفسُ التَكاثُرُ بالشْيءِ لأن المتكاثر به كما يقال شغلك اللعبُ واللّهُو ولم يذكر ما يَلعَبُ ويَلْهو به، وأما إرادة الإطلاق وهو كل ما تكاثر به العبد غيره من أسباب الدنيا من مالٍ أو جاهٍ أو عبيدٍ أو إماءٍ أو بناءٍ أو غراسٍ أو علمٍ لاَ يبغِي به وجهَ الله أو عملٌ لا يقربه إلى الله، فكل هذا من التكاثر الـمُلْهي عن اللّه والدّارِ الآخرة.

وفي «صحيح مسلم»[1] من حديث عبد الله بن الشخير أنه قال: انتهيت إلى النّبيِّ ﷺ وهو يقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ قال: «يقول ابنُ آدم مالي مالي: وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت، أو أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت».

ثم أوعد سبحانه من ألهاه التكاثر وعيداً مؤكدا إذا عاين تكاثره هباءً منثوراً، وَعَلِم دنياه التي كاثر بها إنما كانت خدعاً وغروراً؛ فوجد عاقبةَ تكاثرِه عليه لا له، وخَسِر هنالك تكاثرَه كما خَسِر أمثالَه، وبدا له من الله ما لم يكن في حسابه، وصار تكاثرُه الذي شغلَه عن اللّه والدّارِ الآخرةِ من أعظمِ أسباب عذابِه؛ فَعُذِّبَ بتكاثره في دنياه، ثم عُذِّب به في البرزخ، ثم يُعَذَّبُ به يوم القيامة فكان أشقى بتكاثره إذ أفاد منه العَطَب دون الغنيمةَ والسلامة فلم يَفُزْ من تكاثره إلا بأن صار من الأقلين ولم يحفظ به علوه به في الدنيا [إلا][2] بأن حصل مع الأسفلين فيا له تكاثراً ما أقَلَّهُ ؟! وزرءاً ما أجله؟! من غنى جالباً لكل فقر، وخيراً تَوَصَّلَ به إلى شرٍّ يقول صاحبُه إذا انكشف عنه غطاؤه: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ [الفجر: ٢٤]، وعملت فيه بطاعة الله قبل وفاتي ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠] تلك كلمةٌ يقولُها فلا يَعَوَّلُ عليها، ورجعةٌ يَسْأَلُها فلا يُجابُ إليها.

وتأمل قولَه أولاً ﴿رَبِّ﴾ استغاث بربه، ثم التفت إلى الملائكة الذين أُمِروا بإحضاره بين يدي ربه تبارك وتعالى فقال: ﴿ٱرْجِعُونِ﴾ ثم ذكر سببَ سؤالِ

---

(١) برقم (٢٩٥٨).

(٢) زيادة من «ظ».

الرَّجعةَ وهو: أن يستقبل العملَ الصالحَ فيما تَرَك خلْفَه من مالِه وجاهِه وسلطانِه وقُوَّتِه وأسبابِه، فيقال له: ﴿كَلَّآ﴾، لا سبيل لك إلى الرُّجْعَى وقد عُمِّرت ما يتذَكَّر فيه من تذَكَّر.

ولما كان شأنُ الكريم الرحيم أن يجيبَ من استغاث، وأن يفسح له في المهْلة؛ ليتذكَّر ما فاته، أخبر سبحانه أن سؤالَ هذا الـمُفْرِّطِ الرّجْعَةَ كلمةٌ هو قائلها لا حقيقة تحتها، وأن سجيَّتَه وطبيعته تأبى أن تعملَ صَالِحاً لو أجيبَ، وأنما ذلك شيء يقوله بلسانه، وأنه لو رُدَّ لَعَادَ لما نُهيَ عنه، وأنه من الكاذبين، فَحِكْمَةُ أحكم الحاكمين وعزتُه وعلمُه وحمدُه يأبى إجابتَه إلى ما سأل فإنه لا فائدَةَ في ذلك، ولو رُدّ لكانت حالتُه الثانية مثلَ حالتِه الأولى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الأنعام: ٢٧، ٢٨].

وقد حام أكثر المفسرين حول معنى هذه الآية، وما أوردوا. فراجع أقوالهم تجدها لا تُشْفِي عليلاً ولا تروي غَليلاً، ومعناها أجل وأعظم مما فسروها به، ولم يتفطنوا لوجه الإضراب بل ولا للأمر لذي بدا لهم، وكانوا يخفونه، وظنوا أن الذي بدا لهم العذابُ، فلما لم يروا ذلك ملتئماً مع قوله ﴿مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾ قَدّروا مضافاً محذوفاً وهو خبر ﴿مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ﴾، فدخلَ عليهم أمْرٌ آخرٌ لا جواب لهم عنه وهو: أن القوم لم يكونوا يخفون شركَهم وكفرَهم بل كانوا يُظْهِرونه ويدعون إليه ويحاربون عليه، ولما عَلموا أن هذا واردٌ عليهم، قالوا: إن القوم في بعض موارد القيامة ومواطنها أخفوا شركهم وجحدوه، وقالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فلمّا وُقِفُوا على النار بدا لهم جزاءُ ذلك الذي أخفوه. قال الواحدي: وعلى هذا أهل التفسير.

ولم يصنع أربابُ هذا القولِ شيئاً؛ فإن السياق والإضراب بل والإخبار عنهم بأنهم لو رُدّوا لعادوا لما نُهو عنه، وقولهم: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ لا يلتئم بهذا الذي ذكروه فتأمله.

وقالت طائفةٌ منهم الزجاجُ: بل بدا للأتباع ما أخفاه عنهم الرؤساء من أمر البعث. وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير، وفيه من التكليف ما ليس بخاف.

وأجودُ من هذا ما فهمه الـمُبَرِّدُ من الآية قال: كأن كفرَهم لم يكن بادياً لهم إذ خفيت عليهم مُضَرَّتُه. ومعنى كلامه: أنهم لما خَفِيَت عليهم مضرةُ عاقبته ووبالُه فكأنه كان خَفِياً عنهم لم تظهر لهم حقيقته، فلما عاينوا العذاب ظهرت لهم حقيقتُه وشره.

قال: وهذا كما تقول لمن كنت حدثته في أمر قبل: وقد ظهر لك الآن ما كنت قلت لك، وقد كان ظاهراً له قبل هذا.

ولاَ يسْهُلُ أن يُعَبّرَ عن كفرهم وشركهم الذي كانوا ينادون به على رؤوس الأشهاد ويدعون إليه كل حاضرٍ وبادٍ بأنهم كانوا يخفونه لخفاءِ عاقبته عنهم، ولا يقال لمن أظهر الظلم والفساد وقتل النفوسَ والسعي في الأرض بالفساد أنه أخفى ذلك لجهله بسوء عاقبته وخفائها عليه.

فمعنى الآية ـ والله أعلم بما أراد من كلامه ـ: أن هؤلاء المشركين لما وُقِفوا على النّار وعاينوها وعلموا أنهم داخلوها تَمَنّوا أنهم يُرَدون إلى الدنيا فيؤمنون بالله وآياته ولا يُكَذِّبُون رسلَه، فأخبر سبحانه أن الأمرَ ليس كذلك وأنهم ليس في طبائعهم وسجاياهم الإيمانُ، بل سَجِيَّتُهم الكفرُ والشِّرِكُ والتكذيبُ، وأنهم لو رُدّوا لكانوا بعد الرَّدِّ كما كانوا قبله، وأخبر أنهم كاذبون في زعمهم أنهم لو رُدُّوا لآمنوا وصَدقوا.

فإذا تقرر مقصودُ الآية ومرادُها تَبَيَّن معنى الإضراب بـ ﴿بَلْ﴾، وتبين معنى الذي بَدا لهم والذي كانوا يخفونه. والحاملُ لهم على قولهم: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾، فالقوم كانوا يعلمون أنهم كانوا في الدنيا على باطل وأن الرسل صَدَقوهم فيما بَلَّغوهم عن الله، وتيقنوا ذلك وتحققوه ولكنهم أخفوه ولم يظهروه بينهم بل تواصوا[1] بكتمانه، فلم يكن الحاملُ لهم على تمنّي الرجوع

---

(١) في «ظ»: «تواصلوا».

والإيمان معرفة ما لم يكونوا يعرفونه من صدق الرسل، فإنهم كانوا يعلمون ذلك ويخفونه، وظهر لهم يوم القيامةِ ما كانوا يَنْطُوون عليه من علمهم أنهم على باطلٍ وأن الرُسُلَ على الحقِّ، فعاينوا ذلك عَيَاناً بعد أن كانوا يكتمونه ويخفونه، فلو رُدّوا لَـمَا سَمَحَت نفوسُهم بالإيمان، ولعادُوا إلى الكفرِ والتكذيبِ، فإنهم لم يتمنوا الإيمانَ لِعلمِهم يومئذٍ أنه هو الحقُّ وأن الشركَ باطلٌ، وإنما تمنوا لما عاينوا العذابَ الذي لا طاقةَ لهم باحتماله، وهذا كمن كان يُخْفِي مَحبَّةَ شَخْصٍ ومعاشرتَه وهو يعلم أن حُبّه باطلٌ وأن الرُشْدَ في عدولِه عنه، فقيل له: إن اطلع عليه وليُّه عاقبك، وهو يعلم ذلك ويكابِر، ويقول: بل مَحَبَّتُه ومعاشرته هي الصواب، فلما أَخَذَه وليُّه؛ ليعاقبه على ذلك، وتيقن العقوبة تمنى أن يُعفى من العقوبه، وأنه لا يجتمع به بعد ذلك وفي قلبه من مَحَبَّتِه والحِرْصِ على معاشرته ما يحملُه على المعاودةِ بعد معاينة العقوبة بل بعد أن مَسَّته وأنهكته، فظهر له عند العقوبة ما كان يُخفي من معرفته بخطئه وصواب ما نهاه عنه ولو رُدَّ لعادَ لما نُهِيَ عنه.

وتأمل مطابقة الإضراب لهذا المعنى وهو نفي قولهم أن لو رددنا لآمنا وصدقنا، لأنه ظهر لنا الآن أن ما قاله الرُسُلُ هو الحقُّ، أي: ليس كذلك بل كنتم تعلمون ذلك وتعرفونه وكنتم تُخفونه، فلم يظهر لكم شيء لتكونوا عالمين به لِتُعذَرُوا بل ظهر لكم ما كان معلوماً وكنتم تتواصون بإخفائِه وكِتمانِه والله أعلم.

ولا تستطل هذا الفصلَ المعترضَ في أثناء هذه المسألةِ فلعله أهم منها وأنفع، وبالله التوفيق.

فلنرجع إلى تمام الكلام فيها وقوله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥﴾ [التكاثر: ٥] جوابه محذوف دَلَّ عليه ما تقدم، أي: لما ألهاكم التكاثر، وإنما وجد هذا التكاثر وإلهاؤه عما هو أولى بكم لما فقد منكم علمُ اليقينِ، وهو العلمُ الذي يصل به صاحبُه إلى حدِّ الضروريات التي لاَ يُشَكُّ ولا يُمارَى في صحَّتِها وثبوتها، ولو وصلت حقيقةُ هذا العلم إلى القلب وباشرته لما ألهاه عن موجِبِه وتَرتب أثرهُ عليه، فإن مجرَّدَ العلم بقُبْحِ الشيء وسوء عواقبه قد لا يكفي

في تركه، فإذا صار له علمُ اليقين كان اقتضاء هذا العلم لتركه أَشَدَّ، فإذا صار عينَ يقين كجملةِ المشاهدات كان تَخَلُّفُ موجبه عنه من أندرِ شيءٍ، وفي هذا المعنى قال حسانُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه في أهل بدر:

سِرْنا وساروا إلى بَدْرٍ لِحَتْفِهِم ... لو يعلمونَ يقينَ العِلْمِ ما ساروا

وقوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [التكاثر: ٣، ٤]، قيل: تأكيد لحصول العلم كقوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝﴾ [النبأ: ٤، ٥] وقيل: [ليس](١) تأكيداً بل العلم الأول المعاينةُ ونزولُ الموتِ، والعلمُ الثاني في القبرِ، هذا قول الحسن ومقاتل ورواه عطاء عن ابن عباس.

ويَدُلُّ على صحةِ هذا القول عدة أوجه:

أحدُها: أن الفائدةَ الجديدة والتأسيس هو الأصل، وقد أمكن اعتبارُهُ مع فخامَةِ المعنى وجلالته وعدم الإخلال بالفصاحة.

الثاني: توسط ﴿ثُمَّ﴾ بين العلمين، وهي مؤذنة بتراخي ما بين المرتبتين زماناً وخطراً.

الثالث: أن هذا القول مطابق للواقع فإن المحتضر يعلمُ عند المعاينَةِ حقيقَةَ ما كان عليه، ثم يعلم في القبر وما بعده ذلك علماً هو فوق [العلم](٢) الأول.

الرابع: أن علياً بنَ أبي طالب رضي الله عنه وغيرَه من السلف فهموا من الآية عذاب القبر.

قال الترمذيُّ: حدثنا أبو كُرَيْبٍ حدثنا حَكّامُ بن أَسْلَم الرازي عن عمرو بن أبي قيس عن الحَجّاج عن المنهال بن عمرو عن زِرٍّ عن علي رضي الله عنه قال: «ما زِلْنَا نَشُكُّ في عذابِ القبر حتى نَزَلت ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝﴾ [التكاثر: ١](٣)». قال الواحدي: يعني أن معنى قوله: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝﴾ [التكاثر: ٣] في القبر.

---

(١) زيادة من «م».

(٢) زيادة من «ظ».

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٥٥)، والطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٨٢ ـ ٥٨٣)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٥١٧٧) وقال الترمذي: «غريب». قلت: وهو كما قال؛ فإن الإسناد ضعيف؛ لأن فيه الحجاج بن أرطأة وهو صدوق كثير الخطأ والتدليس.

الخامس: أن هذا مطابق لما بعده في قوله ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر: ٦، ٧] فهذه الرؤية الثانية غير الأولى من وجهين: إطلاق الأولى وتقييد الثانية بعد اليقين، وتقدُّم الأولى وتراخي الثانية عنها، ثم ختم السورة بالإخبار المؤكَّدِ بواو القَسَم ولام التأكيد والنون الثقيلة عن سؤال النعيم فكل أحد يُسأل عن نعيمه الذي كان فيه في الدنيا هل ناله من حلاله وَوَجْهِهِ أم لا؟ فإذا تخلص من هذا السؤال سُئل سؤالاً آخرَ هل شكر الله تعالى عليه فاستعان به على طاعته أم لا؟ فالأول سؤال عن سبب استخراجه، والثاني عن محل صرفه كما في جامع الترمذي من حديث عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر [عن ابن مسعود](1) عن النبيِّ ﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامةِ من عند ربه حتى يُسأل عن خمس: عن عُمُرِه فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وفي ماذا عَمِلَ فيما عَلِمَ»(2).

وفيه أيضاً عن أبي بَرزة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أبلاه»(3). قال هذا حديث صحيح.

---

(1) زيادة من سنن الترمذي.

(2) **ضعيف جداً** ـ أخرجه الترمذي (٢٤١٦)، والبزار في «مسنده» (٤/ ٢٦٦/ ١٤٣٥ ـ البحر الزخار)، وأبو يعلى في «مسنده» (٩/ ١٧٨/ ٥٢٧١)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٨/ ٩٧٧٢)، و«الصغير» (٦٤٨ ـ الروض)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٧٦٣ ـ ٧٦٤)، والبيهقي في «الشعب» (٢/ ٢٨٦/ ١٧٨٤) و«الزهد» (رقم ٧١١)، والخطيب في «التاريخ» (١٢/ ٤٤٠)، و«الموضح» (٢/ ٣٣١) وغيرهم من طريق الحسين بن قيس الرَّحَبِي حدثنا عطاء به. قال الترمذي: «حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ إلاّ من حديث الحسين بن قيس، وحسين بن قيس يضعف في الحديث من قبل حفظه. قلت: مداره على الحسين بن قيس وهو متروك، فالإسناد ضعيف جداً.

(3) **حسن لغيره** ـ أخرجه الترمذي (٢٤١٧)، والروياني في «مسنده» (٢/ ٣٣٧/ ١٣١٣) والدارمي في «سننه» (١/ ١٤٤/ ٥٣٧)، والآجري في «أخلاق العلماء» (١١٥) وأبو يعلى في «مسنده» (١٣/ ٤٢٨/ ٣٤٣٤)، والبيهقي في «المدخل» (٤٩٤)، والخطيب في «اقتضاء العلم للعمل» (رقم١)، وابن عساكر في «ذم من لا يعمل بعلمه» (رقم ١)، وأبو نعيم في الحلية (١٠/ ٢٣٢)، وابن الدبيثي في «ذيل تاريخ بغداد» (٢/ ١٦٣) من طريق سعيد بن=

وفيه أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أولَ ما يُسأل عنه العبدُ يوم القيامة ـ يعني من النعيم ـ أن يقال له ألم نُصِحَّ جسمَك، ونرويك من الماءِ البارِدِ»(١).

وفيه أيضا من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه لما نزلت ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨] قال الزبير: يا رسول الله فأي النعيم نسأل عنه وإنما هو الأسودان، التمر والماء؟ قال: «أما إنه سيكون»(٢). قال: هذا حديث حسن.

= عبد الله بن جريج عنه به. قال الترمذي: حسن صحيح. قلت: إسناده فيه ضعف؛ لجهالة حال سعيد بن عبد الله بن جريج.
وله شاهدان من حديث معاذ بن جبل، وأبي سعيد الخدري، وهو بهما حسن كما بينته في «بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين» (٤٠٧)، وانظر «الصحيحة» (٩٤٦) لشيخنا حفظه الله.

(١) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٣٣٥٨)، وعبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص٣١)، وابن حبان (٧٣٦٤)، والحاكم (٤/١٣٨) وفي «معرفة علوم الحديث» (ص١٨٧)، وابن جرير في «تفسيره» (٣٠/٢٨٨)، والخرائطي في «فضيلة الشكر» (٥٤)، والرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (٥٦٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٢٨٧ ـ هندية)، وعباس الدوري في «التاريخ» (٣/١٩) (رقم٧٩)، وابن أبي عاصم في «الأوائل» (رقم ٨٥ و١٥٥)، والطبراني في «الأوسط» (٦٢)، و«مسند الشاميين» (٢/٤٤٢/٧٧٩) وتمام في «الفوائد» (٥/١٨٧/١٧٥٠)، والبغوي (١٤/٣١١)، وابن معين في «سؤالات ابن الجنيد» (ص٣١٠) ـ ومن طريقه الخطيب في «التاريخ» (١٢/٣٣٩)، وتمام في «الفوائد» (٥/١٨٧ ـ ١٨٨/١٧٥١) ـ وابن بشران في «الأمالي» (١٨/٥/١)، وابن شاذان الأزجي في «الفوائد» (ق ١٠٢/أ)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/٢٠/١ و٨/٢٠٣/١)، وعبدالغني المقدسي في «التخويف من النار» (٢٠، ٢١) وغيرهم من طريق عبد الله بن العلاء عن الضحاك بن عبد الرحمن بن عرزم عن أبي هريرة. قال الترمذي: «غريب». وقال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
قلت: قول الترمذي «غريب» غريب؛ لأن هذا يعني التضعيف غالباً، ورجاله كلهم ثقات، فالسند صحيح؛ كما قال الحاكم والذهبي. وقال المناوي (٢/٤٤٣): «سند الترمذي جيد»، وصححه شيخنا في «الصحيحة» (٢/٧٦/٥٣٩).

(٢) **حسن** ـ أخرجه الترمذي (٣٣٥٦)، وابن ماجه (٤١٥٨) من طريق سفيان بن عيينة عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير عن أبيه به. قلت: إسناده حسن؛ كما قال الترمذي.

وعن أبي هريرة نحوه وقال: إنّما هو الأسودان والعَدُوُّ حاضرٌ، وسيوفنا على عواتقنا، قال: «إن ذلك سيكون»[1].

وقوله: «إن ذلك سيكون» إما أن يكون المراد به أن النعيم سيكون ويحدث لكم، وإما أن يرجع إلى السؤال أي أن السؤال يقع عن ذلك، وإن كان تمراً وماءً فإنه من النعيم، ويدلُّ عليه قولهُ ﷺ في الحديث الصحيح ـ وقد أكلوا معه رطباً ولحماً وشربوا من الماء البارد ـ: «هذا من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة»[2] فهذا سؤال عن شكره والقيام بحقه.

وفي الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «يُجاء بالعبدِ يوم القيامة كأنه بَذَجٌ[3]، فيوقف بين يدي الله تعالى فيقول الله: أعطيتُك وخوّلتُك وأنعمتُ عليك فماذا صنعت؟ فيقول: يا رب جمعتُه وثَمَّرته فتركتُه أوفَرَ ما كان فارجعني آتِكَ[4] به [فيقول له: أرني ما قدَّمت، فيقول: يا ربِّ جَمَعْتُه وثمَّرته فتركتُه أكثر ما كان فارجعني آتك به[5]فإذا عَبْدٌ[6] لم يُقَدِّم خيراً، فَيُمْضى بهِ إلى النار»[7].

وفيه من حديث أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالعبدِ يوم القيامة فيقول الله [له][8]: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً، وسخَّرت لك الأنعامَ والحَرْثَ، وتركتُك تَرْأَس وَتَرْبَع، أفكنت تظن أنك ملاقٍ يومَك هذا؟ فيقول: لا. فيقول له: اليوم أنساك كما نسيتني»[9]. قال: هذا حديث صحيح.

---

(١) **حسن لغيره** ـ أخرجه الترمذي (٣٣٥٧) وهو حسن بما قبله.
(٢) أخرجه مسلم (٢٠٣٨).
(٣) ولد الضأن.
(٤) في «الأصول»: «آتيك»، والتصحيح من سنن الترمذي.
(٥) زيادة من سنن الترمذي.
(٦) في «الأصول»: «عُبَيْد».
(٧) **ضعيف** ـ أخرجه الترمذي (٢٤٢٧) وضعَّفه. قلت: وهو كما قال.
(٨) زيادة من سنن الترمذي.
(٩) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٢٤٢٨) وغيره وصححه. قلت: وهو كما قال.

وقد زعم طائفةٌ من المفسِّرين: أن هذا الخطاب خاصٌ بالكفار وهم المسؤولين عن النَّعيم، وذُكِر ذلك عن الحسن ومقاتل، واختار الواحديُّ ذلك، واحتج بحديث أبي بكر لما نزلت هذه الآية: قال لرسول الله ﷺ: «أرأيت أكلة أكلتُها معك ببيت أبي الهيثم بن التَّيِّهَان من خُبز شعير ولحم وبُسر قد ذنب وماء عذب، أتخاف علينا أن يكون هذا من النعيم الذي نسأل عنه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما ذلك للكفار»[1] ثم قرأ: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

قال الواحديُّ: والظاهرُ يشهدُ بهذا القول؛ لأن السورَة كلَّها خطابٌ للمشركين وتهديدٌ لهم. والمعنى أيضاً يشهدُ بهذا القول؛ وهو أن الكفّار لم يؤدُّوا حقَّ النَّعِيم عليهم حيث أشركوا به وعبدوا غيرَه فاستحقُّوا أن يُسألوا عمّا أنعم به عليهم توبيخاً لهم هل قاموا بالواجب فيه أم ضيَّعوا حقَّ النِّعمة؟ ثم يُعَذَّبون على ترك الشُّكر بتوحيد المنعم.

قال: وهذا معنى قول مقاتل وهو قول الحسن قال: لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار.

قلت: ليس في اللفظ ولا في السُّنَّةِ الصَّحيحةِ ولا في أدلَّة العقل ما يقتضي اختصاصُ الخطاب بالكفّار، بل ظاهرُ اللَّفظِ وصريحُ السّنَّة والاعتبار يدلُّ على عُموم الخطابِ لكلِّ من اتَّصَف بإلهاء التكاثر له فلا وجه لتخصيص الخطاب ببعض المتصفين بذلك.

ويدل على ذلك قول النَّبِيِّ ﷺ عند قراءة هذه السورة: «يقول ابن آدم مالي مالي! وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت. . .» الحديث وهو في صحيح مسلم[2].

وقائل ذلك قد يكون مُسلِماً وقد يكون كافراً. ويدل عليه أيضاً الأحاديثُ

---

(١) لم أره في «الوسيط» للواحدي، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/٦١٨) لابن مردويه عن الكلبي عن الشعبي عن الحارث عن ابن مسعود. قلت: وهذا إسناد ضعيف جداً، وقد ضعفه المصنف رحمه الله؛ كما سيأتي (ص ٣٠٦).

(٢) برقم (٢٩٥٨).

التي تقدَّمت، وسؤال الصحابة النَّبيَّ ﷺ وفهمهم العموم حتى قالوا له: وأيّ نعيم نسأل عنه؟ وإنما هو الأسودان، فلو كان الخطاب مختصاً بالكفار لبيّن لهم ذلك وقال: ما لكم ولها إنما هي للكفار؛ فالصحابة فهموا التعميم، والأحاديثُ صريحةٌ في التعميم، والذي أنزل عليه القرآنُ أقرَّهم على فهم العموم، وأما حديثُ أبي بكر الذي احتج به أربابُ هذا القول فحديث لا يصح[١].

والحديث الصحيح في تلك القصّة يشهدُ ببطلانه ونحن نسوقه بلفظه، ففي«صحيح مسلم»[٢] عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله ﷺ ذات يوم أو ليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال: «ما أخرجكما من بيوتكما في هذه الساعة؟ قالا: الجوع يا رسول الله، قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما، قوما» فقاما معه فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته امرأتُه قالت: مرحباً وأهلاً، فقال لها رسول الله ﷺ: «وأين فلان؟» قالت: ذهب يستعذب لنا من الماء، إذ جاء الأنصاريُّ فنظر إلى رسول الله ﷺ وصاحِبَيْهِ فقال: الحمد لله ما أحدٌ اليومَ أكرمُ أضيافاً مِنّي. قال: فانطلق فجاءهم بِعَذَقٍ فيه بُسرٌ وتَمْرٌ وَرُطَب، فقال: كلوا من هذا، فأخذ المديَة، فقال له رسول الله ﷺ: «إياك والحلوب» فذبح لهم فأكلوا من الشّاة ومن ذلك العذق وشربوا، فلما أن شَبِعوا وَرَووا، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «والذي نفسي بيديه لتسئلن عن هذا النعيم يوم القيامة، أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم»؛ فهذا الحديث الصحيح صريح في تعميم الخطاب وأنه غير مختص بالكفار.

وأيضاً؛ فالواقع يشهدُ بعدم اختصاصه، وأن الإلهاء بالتكاثر واقع من المسلمين كثيراً بل أكثرهم قد ألهاه التكاثر، وخطاب القرآن عام لمن بلغه وإن كان أول من دخل فيه المعاصرين لرسول الله ﷺ فهو متناول لمن بعدهم، وهذا معلوم بضرورة الدين وإن نازع فيه من لا يُعتَدّ بقوله من المتأخرين، فنحن اليوم

---

(١) مضى (ص ٣٠٥).

(٢) برقم (٢٠٣٨).

ومن قبلنا ومن بعدنا داخلون تحت قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] ونظائره، كما دخل تحته الصحابة بالضرورة المعلومة من الدين؛ فقوله: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ [التكاثر: ١] خطاب لكل من اتصف بهذا الوصف وهو في الإلهاء والتكاثر درجات لا يحصيها إلا الله.

فإن قيل: فالمؤمنون لم يلههم التكاثر ولهذا لم يدخلوا في الوعيد المذكور لمن ألهاه. قيل: هذا هو الذي أوجب لأرباب هذا القول تخصيصه بالكفار؛ لأنه لم يمكنهم حمله على العموم، ورأوا أن الكفار أحق بالوعيد فخصوهم به.

وجواب هذا: أن الخطاب للإنسان من حيث هو إنسان على طريقة القرآن في تناول الذمِّ له من حيث هو إنسانٌ كقوله: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾ [الإسراء: ١١]، ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا﴾ [الإسراء: ١٠٠]. ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ۝٦﴾ [العاديات: ٦]. ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب: ٧٢]. ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ﴾ [الحج: ٦٦]. ونظائره كثيرة، فالإنسان من حيثُ هو عارٍ عن كلِّ خيرٍ من العلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ، وإنما الله سبحانه هو الذي يُكَمِّلَهُ بذلك ويعطيه إياه وليس له ذلك من نفسه، بل ليس له من نفسه إلا الجهل المضاد للعلم، والظلم المضاد للعدل، وكلُّ علم وعدل وخيرٍ فيه فمن ربّه لا من نفسه، فإلهاء التكاثرِ طبيعتُه وسجِيَّتُه التي هي له من نفسه، ولا خروج له عن ذلك إلا بتزكيةِ اللهِ له وجعلِهِ مُريداً للآخرة مُؤثراً لها على التكاثُر بالدنيا، فإن أعطاه ذلك وإلا فهو مُلْتَهٍ بالتكاثر في الدنيا ولا بُدَّ.

وأما احتجاجه بالوعيد على اختصاص الخطاب بالكفار: فيقال: الوعيد المذكور مشترك وهو العلم عند معاينة الآخرة، فهذا أمر يحصلُ لكل أحدٍ لم يكن حاصلاً له في الدنيا، وليس في قوله ﴿سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾ [التكاثر: ٣] ما يقتضي دخولَ النار فَضْلاً عن التخليد فيها، وكذلك رؤية الجحيم لا يستلزم دخولها لكل من رآها، فإن أهل الموقف يرونها ويشاهدونها عَياناً، وقد أقسم الربُّ تبارك وتعالى أنه لا بُدَّ أن يراها الخلقُ كلُّهم مؤمنُهم وكافرُهم وبَرُّهم وفاجِرُهُم، فليس في جملة هذه السورة ما ينفي عمومَ خطابها.

وأما ما ذكره عن الحسن: أنه لا يُسأل عن النعيم إلا أهل النار؛ فباطل قطعاً إما عليه وإما منه، والأحاديثُ الصَّحِيحَةُ الصَّرِيحَةُ تَرُدُّه، وبالله التوفيق.

ولا يخفى أن مثلَ هذه السورة مع عِظَمِ شأنها وشدَّةِ تخويفها وما تضمنته من تحذير [التكاثر][1] الملهي، وانطباقَ معناها على أكثر الخلق، يأبى اختصَاصها من أوّلها إلى آخرها بالكفار ولا يليق ذلك بها، ويكفي في ذلك تأمُّلُ الأحاديثِ المرفوعَةِ فيها، والله أعلم.

وتأمل ما في هذا العتاب الموجع لمن استمر على إلهاء التكاثر له مدّة حياته كلِّها إلى أن زار القبور ولم يستيقظ من نوم الإلهاء بل أرقد التكاثُرُ قلبَه فلم يستفِق منه إلا وهو في عَسْكَرِ الأموات.

وطابِق بين هذا وبين حالِ أكثر الخلقِ يتبيَّنُ لك أن العمُومَ مقصودٌ.

وتأمّل تعليقَه سبحانه الذَّمَّ والوعيد على مطلق التَكاثُرِ من غير تقييد بمتكاثرِ به ليدخل فيه التكاثرُ بجميعِ أسباب الدنيا على اختلافِ أجناسِها وأنواعِها.

وأيضاً؛ فإن التكاثرَ تفاعل وهو طلب كل من المتكاثرين أن يكثر صاحبه فيكون أكثر منه فيما يكاثره به، والحامل له على ذلك توهمه أن العزة للكاثِرِ كما قيل:

ولستُ بالأكثرِ منهم حَصَى ... وَإِنّما العِزَّةُ للكاثِرِ

فلو حصلت له الكثرةُ من غير تكاثرٍ لم تَضُرُّه كما كانت الكثرةُ حاصلةً لجماعَةٍ من الصحابة ولم تَضُرُّهم إذ لم يتكاثروا بها، وكل من كاثر إنساناً في دنياه أو جاهه أو غير ذلك شغلته مكاثرتُه عن مكاثرةِ أهل الآخرةِ؛ فالنفوس الشريفةُ العُلْوِيّةُ ذاتُ الهِمَمِ العاليَةِ إنما تكاثرُ بما يدومُ عليها نفعُه وتكملُ به وتزكو وتصيرُ مفلحةً، فلا تُحِبُّ أن يكاثِرَها غيرُها في ذلك، وينافسَها في هذه المكاثَرَةِ ويسابِقَها إليها، فهذا هو التَّكاثُر الذي هو غاية سعادةِ العبد، وضدُّهُ تكاثُرُ أهل الدنيا بأسبابِ دنياهم فهذا تكاثُرٌ مُلْهٍ عن اللهِ والدَّارِ الآخرة وهو صائرٌ

---

(١) زيادة من «ظ».

إلى غايةِ القلَّةِ، فعاقبةُ هذا التكاثر قُلٌّ وَفقْرٌ وحِرمان.

والتكاثرُ بأسبابِ السعادةِ الأخروية تكاثُرٌ لا يزالُ يُذَكِّرُ بالله ولقائِه، وعاقبةُ الكثرةِ الدائمَةِ التي لا تزول ولا تفنى وصاحبُ هذا التكاثرِ لا يهون عليه أن يرى غيره أفضل منه قولاً وأحسن منه عملاً وأغزر علماً. وإذا رأى غيره أكثر منه في خَصْلَةٍ من خِصال الخير يَعجِزُ عن لحاقه فيها كاثَرَه بخَصلة أخرى هو قادرٌ على المكاثَرةِ بِها وليس هذا التكاثُرُ مذموماً ولا قادحاً في إخلاصِ العبد، بل هو حقيقةُ المنافسَةِ واستباقِ الخيراتِ، وقد كانت هذه حالُ الأوسِ مع الخزرج رضي الله عنهم في تواصلِهم بين يدي رسول الله ﷺ ومكاثرةِ بعضهم لبعض في أسبابِ مرضاتِه ونصره، وكذلك كانت حالُ عمر مع أبي بكر رضي الله عنهما؛ فَلَمّا تَبَيَّن له مدى سَبْقِه له قال: «والله لا أسابقك إلى شَيءٍ أَبداً»[(١)].

فصل

ومن تأمّل حسنَ موقِع ﴿كَلَّا﴾ في هذا الموضوع فإنها تضمّنت رَدْعاً لهم وَزَجْراً عن التكاثُر وَنَفْياً وإبطالاً لما يؤمِّلُونه من نفعِ التكاثِرُ لهم وعزَّتهم وكمالِهِم به؛ فتضمنت اللفظة نهياً ونفياً، وأخبرهم سبحانه أنهم لا بُدَّ أن يعلموا عاقبةَ تكاثرهم عِلْماً بعد عِلْمٍ، وأنهم لا بُدّ أن يروا دارَ المكاثرين بالدنيا التي ألهتهم عن الآخرة رؤيةً بعد رؤيةٍ، وأنه سبحانه لا بُدّ أن يَسألهم عن أسبابِ تكاثرهم من أين استخرجُوها وفيما صرفُوها، فلله ما أعظمَهَا من سورةٍ وأجلَّها وأعظمَها فائدةً، وأبلغَهَا موعظةً وتحذيراً، وأشدَّها ترغيباً في الآخِرَةِ وتزهيداً في الدنيا على غايةِ اختصارِها وجزالَةِ ألفاظِهَا وحُسنِ نَظْمِهَا، فتبارك من تكلَّم بها حقّاً، وبلَّغها رَسُوله عنه وحياً.

فصل

وتأمّل كيف جعلَهم عند وصولهم إلى غايةِ كلِّ حَيٍّ زائرين غير مستوطنين، بل هم مستودعون في المقابر مُدَّةً وبين أيدهم دارُ القَرَارِ، فإذا كانوا عند

(١) أخرجه أبو داود (١٦٧٨)، وأحمد (١/ ٢٥ ـ ٢٦)، والدارمي (١/ ٣٩١ ـ ٣٩٢).

وصُولهم إلى الغايَةِ زائرين فكيف بهم وهم في الطريق في هذه الدَّارِ فهُم فيها عابروا سبيل إلى محلِّ الزيارة ثم منتقلون من محل الزيارة إلى المستقر.

فها هنا ثلاثةُ أمور: عبورُ السَّبيلِ في هذه الدنيا، وغايتُه زيارةُ القبورِ، وبعدها النقلةُ إلى دارِ القَرارِ.

فصل

فلنرجع إلى تمامِ المناظرة: قالوا: فاللهُ تعالى حَمى أولياءَه عن الدنيا، وصانهم عنها، وَرَغَّبَ بهم عنها تكريماً لهم، وتطهيراً عن أدناسها، ورِفْعَةً من دناءتها، وذمَّها لهم، وأخبرهم بهوانها عليه وسُقُوط قَدْرِها عنده، وأعْلَمَهم أن بسطَها فتنةٌ وأنه سببُ الطُّغيانِ والفَسَادِ في الأرض وإلهاء التكاثر بها عن طلب الآخرة، وأنها متاعُ الغرور، وَذَمَّ مُحِبِّيهَا ومُؤْثِرِيهَا.

وأخبر أن مَن أرادها أو أراد زينتَها وحرثَها فليس له في الآخرة من نصيب. وأخبر أن بسطَها فتنة وّابتلاءٌ لا كرامةٌ ومحبّةٌ، وأن إمدادَ أهِلها بها ليس مسارعةً لهم في الخيرات، وأنها لا تُقَرِّبُ إليه ولا تُزْلِفُ لديه، وأنه لولا تتابُعُ الناس في الكفر لأعطى الكُفّارَ منها فوق مُناهُم، ووسَّعها عليهم أعظم التَوْسِعة بحيث يجعلُ سقوفَ بيوتِهم وأبوَابَهُم ومعارجَهم وسُرُرَهمم كلَّها من فِضَّةٍ، وأخبر أنّه زَيَّنَهَا لأعدائه ولضُعفَاءِ العُقُول الذين لا نصيبَ لهم في الآخرة، ونهى رسولَه عن مَدِّ عَينَيْهِ إليها وإلى ما مَتَّعَ به أهلَها، وذم من أذهبَ طيباتِه فيها واستمتع بها.

وقال لنبيِّه: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٣﴾ [الحجر: ٣] وفي هذا تعزيةٌ لما منعه أولياءَه من التمتّعِ بالدنيا وكثرةِ الأكل فيها، وتأديبٌ لمن بسط له فيها ألا يطغى فيها ولا يعطي نفسه شهواتها ولا يَتَمتَّع بها.

وذمَّ سبحانه مُحِبيّها المفتخرين بها المكاثرين بها الظانين أن الفضلَ والكرامَة في سَعَتِها وبسطتِهَا، فأكذبهم اللهُ سبحانه وتعالى، وأخبرَ أنه ليسَ كما قالوه ولا تَوَهَّموه، ومثَّلها لعبادهِ بالأمثلةِ التي تدعو كلَّ لبيبٍ عاقل إلى الزُهد فيها وعدم الوثوقِ بها والرُّكونِ إليها فأحضرَ صورتها وحقيقتَها في قلوبهم بما ضَرَبه لها مثلاً كماء أنزله من السماءِ فخالط نباتَ الأرضِ فلمَّا أخذت به الأرضُ زُخْرُفَها

وتَزَيَّنَت بأنواعِ النباتِ أتاها أمرُه فجعلَ تلك الزينةَ يَبَساً هشيماً تذروه الرياحُ كأن لم يكن قَطُّ منه شيء.

وأخبر سبحانه عن فنائها وسُرعةِ انقضائِها وأنّه إذا عاينَ العبدُ الآخرةَ فكأنه لَبِث فيها ساعةً من نهار أو يوماً أو بعض يوم، ونهى سبحانه عبادَه أن يغتروا بها.

وأخبرهم أنها لهو ولعبٌ وزينةٌ وتفاخُرٌ وتكاثرٌ ومتاعُ غرورٍ وطريقٌ ومعبرٌ إلى الآخرةِ، وأنها عِوَضٌ عاجِلٌ لا بقاءَ له، ولم يَذْكُر مريدَها بخيرٍ قَطّ بل حيث ذَكَرَه ذَمَّه. وأخبر أن مُرِيدَها مخالفٌ لربِّه تعالى في إرادته، فاللّه يريد شيئاً ومريد الدنيا يريد خلافه فهو مخالف لربه تعالى بنفس إرادته، وكفى بهذا بُعْداً عنه سبحانه. وأخبر سبحانه عن أهلِ النّارِ أنهم إنما دخلوها بسببِ غرورِ الدنيا وأمانيها لهم.

قالوا: وهذا كلُّه تزهيدٌ لهم منه سبحانه فيها وترغيبٌ في التقلُّلِ منها ما أمكن. قالوا: وقد عَرَضَها سبحانه وعرضَ مفاتيح كنوزِها على أحبِّ الخلقِ إليه وأكرمِهم عليه عبدِه ورسولِهِ محمدٍ ﷺ فلم يردْها ولم يَخْتَرْها، ولو آثرها وأرداهَا لكان أشكرَ الخلقِ بما أخذه منها، وأنفقه كلَّه في مرضاةِ الله وسبيلِهِ قطعاً، بل اختار التقلُّلَ منها وصَبَر على شِدَّةِ العيشِ فيها.

قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن محمد حدثنا عباد ـ يعني ابن عباد ـ حدثنا مجالد بن سعيد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ امرأةٌ من الأنصارِ، فرأت فراشَ رسول الله ﷺ عباءةً مَثْنِيَّةً، فرجعت إلى منزلها فبعثت إليَّ بفراشٍ حشوُه الصّوفُ، فدخل عَلَيَّ رسولُ الله ﷺ فقال: «ما هذا»؟ فقلت: فلانة الأنصاريةُ دخلت عليَّ فرأت فراشَك فبعثت إليّ بهذا، فقال: «رُدّيه» فلم أَرُدَّه، وأعجبني أن يكون في بيتي، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فقال: «يا عائشة رديه، والله لو شئتُ لأجرى اللهُ معي جبالَ الذهبِ والفِضَّةِ»[1].

---

(١) مضى تخريجه (ص٢٥٨).

وعرَضَ عليه مفاتيح كنوزِ الدنيا فلم يأخذها، وقال: «بل أجوعُ يوماً وأشبعُ يوماً فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»[١].

وسأل ربَّه أن يجعل رزقَ أهلِه قوتاً كما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم اجعل رزق آل مُحَمَّدٍ قوتاً»[٢]. وفيهما عنه قال: «والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع نَبيُّ الله وأهلُه ثلاثةَ أيامٍ تِباعاً من خبز حنطةٍ حتى فارق الدنيا»[٣].

وفي «صحيح البخاري» عن أنس رضي الله عنه: ما أعلم أن رسول الله ﷺ رأى رَغيفاً مُرَقَّقاً ولا شاة سَميطاً قط حتى لَحِقَ بِرَبِّه»[٤]. وفي «صحيحه» أيضاً عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ ولم يشبع من خبزِ الشعير»[٥].

وفي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: «ما شبع آل محمد منذ قَدِمِ المدينة من طعامِ البُرِّ ثلاث ليالٍ تباعاً حتى قُبِض»[٦].

وفي «صحيح مسلم» عن عمر رضي الله عنه: «لقد رأيت رسولَ الله ﷺ يَظَلُّ اليوم ما يَجِدُ دَقْلاً يملأُ بَطْنَه»[٧].

وفي «المسند» و«الترمذي» عن ابن عباس رضي الله عنهما: «كان رسول الله ﷺ يَبيتُ الليالي المتَتَابعات طاوِياً وأهله لا يَجِدون عَشاءً، وكان أكثرُ خبزهم خُبزَ الشَّعِيرِ»[٨]. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) مضى تخريجه (ص١٨٤).
(٢) مضى تخريجه (ص٢٥٧).
(٣) أخرجه البخاري (٥٤١٤)، ومسلم (٢٩٧٦).
(٤) أخرجه البخاري (٥٤٢١).
(٥) أخرجه البخاري (٥٤١٤).
(٦) أخرجه البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠).
(٧) أخرجه مسلم (٢٩٧٨).
(٨) حسن ـ أخرجه الترمذي (٢٣٦٠)، وابن ماجه (٣٣٤٧)، وأحمد (١/ ٢٥٥).
من طريق ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس وذكره. قلت: إسناده حسن رجاله ثقات رجال الشيخين، غير هلال بن خباب فإنه ثقة لكنه تغير بأَخَرة.

وفي الترمذي من حديث أبي أمامة: «ما كانَ يفْضُلُ عن أهل بيت رسول الله ﷺ خبز الشعير»[1].

وفي «المسند» عن عائشة رضي الله عنها: «والذي بعث محمداً بالحقِّ ما رأى مُنْخُلاً، ولا أكلَ خُبزاً مَنخولاً منذ بعثه الله عز وجل إلى أن قبض»[2]. قال عروة فقلت: فكيف كنتم تأكلون الشَّعير؟ قالت: كنا نقول: أف؛ أي: ننفخُه فَيَطِير ما طار، ونعجن الباقي.

وفي «صحيح البخاري» عن أنس رضي الله عنه قال: لقد رَهَن رسولُ الله ﷺ دِرْعَه بشعير، ولقد سمعته يقول: «ما أصبح لآل محمدٍ صاعٌ ولا أمسى، وإنهم لتسعة أبيات»[3].

وفي «مسند الحارث بن[4] أبي أسامة» عن أنس رضي الله عنه أن فاطمة رضي الله عنها جاءت بكسرةِ خبزٍ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: «ما هذه الكسرة يا فاطمة؟» قالت: قُرْصٌ خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرةِ. فقال: «أما أنه أول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاثة أيام»[5].

وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبدالواحد بن أيمن عن أبيه عن جابر

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٥٩)، وأحمد (٥/ ٢٥٣ و٢٦٠ و٢٦٧)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٠١). قال الترمذي: حسن صحيح غريب. قلت: وهو كما قال.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه أحمد (٦/ ٧١) عن دُوَيْد عن أبي الأشهل عن سليمان بن رومان مولى عروة عن عروة عن عائشة به. قال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣١٢): «فيه سليمان بن رومان ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا». وقال الحافظ في «تعجيل المنفعة» (ص١٦٤): «سليمان بن رومان عن مولاه عروة بن الزبير، وعنه أبو الأشهل لا يدرى من هما، وقال في «الإكمال» مجهول». قلت: فالإسناد ضعيف.

(٣) أخرجه البخاري (٢٥٠٨).

(٤) في «الأصول»: «عن» وهو تصحيف.

(٥) **ضعيف** ـ وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٣١٥/ ١٠٤٣٠)، والقشيري في «الرسالة القشيرية» (ص ١٤٠) من طريق أبي الوليد الطيالسي حدثنا أبو هاشم صاحب الزعفراني ثنا محمد بن عبد الله أن أنساً حدثه، قال فذكره. قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٣/ ٨٢): «رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده بسند ضعيف».

رضي الله عنه قال: «لما حفر رسولُ الله ﷺ الخندق أصابهم جَهْدٌ شديد حتى ربطَ النبي ﷺ على بطنِه حجراً من الجوع»[1].

وقد أسرفَ أبو حاتم بنُ حبَّانَ في «تَقَاسِيمِهِ» في رَدِّ هذا الحديثِ، وبَالَغَ في إنكَارِه، وقال: المُصْطَفَى أكرَمُ على ربِّه من ذلك[2].

وهذا من وَهْمِه، وليس في هَذَا ما يَنقصُ مرتبتَه عند ربِّه بل ذلك رفعةٌ له وزيادةٌ في كرامته وعبرة لمن بعده من الخلفاء والملوك وغيرهم، وكأن أبا حاتم لم يتأمل سائرَ الأحاديثِ في معيشةِ النَّبِيِّ ﷺ، وهل ذلك إلا من أعظم شواهد صدقِهِ؟ فإنه لو كان كما يقول أعداؤه وأعداء ربِّه أنه مَلِكٌ طالب ملكٍ ودنيا لكان عيشُه عيشَ الملوك وسيرته سيرتهم، ولقد توفّاهُ اللهُ وإنَّ درعَهُ مرهونة عند يهودي على طعام أخذه لأهله، وقد فتح الله عليه بلاد العرب وَجُبيَت إليه الأموال ومات ولم يترك درهماً واحداً ولا ديناراً ولا شاةً ولا بعيراً ولا عبداً ولا أمة.

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٣/ ٣٠١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤٢٢) من طريق وكيع به.
قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات. وله طريق آخر: أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٤/ ٨/ ٢٠٠٤) من طريق إسماعيل بن عبدالملك عن أبي الزبير نحوه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣١٤): «رواه أبو يعلى ورجاله وثقوا على ضعف في إسماعيل بن عبد الملك». وله شاهدان من حديث أبي هريرة وأبي طلحة تكلم عليها شيخنا في «الصحيحة» (١٦١٥)، وذكر الطريق الثاني لحديث جابر، وفاته حفظه الله طريق الإمام أحمد الصحيح؛ فلينظر، ويضاف.

(٢) هذا معنى كلامه، وتمام كلامه في «صحيحه» (٨/ ٣٤٥ ـ الإحسان» معلقاً على أحاديث وصال النبي ﷺ: «إن هذا الخبر دليل على أن الأخبار التي فيها ذكر وضع النبي ﷺ الحجر على بطنه هي كلها أباطيل، وإنما معناها الحُجُزُ لا الحَجَرُ، والحُجُزُ طرف الإزار إذ الله جل وعلا كان يطعم رسول الله ﷺ ويسقيه إذا واصل، فكيف يتركه جائعاً مع عدم الوصل حتى يحتاج إلى شد حجر على بطنه، وما يغني الحجر عن الجوع؟».
وقد أكثر أهل العلم في الردِّ عليه، وأبلغ رد للحافظ ابن حجر في «فتح الباري» حيث أورد الأحاديث التي تدل على أن الرسول ﷺ كان يجوع؛ كحديث خروجه مع أبي بكر وعمر جائعين ثم قال: وأما قوله: «وما يغني الحجر من الجوع»؛ فجوابه: «أنه يقيم الصلب؛ لأن البطن إذا خلا ربما ضعف صاحبه عن القيام لانثناء بطنه عليه، فإذا ربط عليه الحجر؛ أسند، وقوَّى صاحبه على القيام».

قال الإمام أحمد حدثنا حسين ثنا[1] محمد بن مطرف عن أبي حازم عن عروة: أنه سمع عائشة تقول: كان يَمُرُّ بنا هلالٌ وهلال ما يوقَدُ في بيتٍ من بيوتِ رسولِ اللّهِ ﷺ نارٌ، قلت: يا خالة فعلى أيِّ شيءٍ كنتم تعيشون؟ قالت: «على الأسودين: التمر والماء»[2].

وقد تَقَدَّم[3] حديث أبي هريرة في قصّة أبي الهَيثم بن التَّيهَان، وإنّه خرج رسول الله ﷺ من بيته فرأى أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فقال: ما أخرجكما؟» قالا: الجوع، قال: «وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما».

وذكر أحمد من حديث مسروق قال: دخلت على عائشة فدعت لي بطعام وقالت: ما أشبع من طعامٍ فأشاء أن أبكي إلا بكيت، قال: قلت: لِمَ، قالت: «أذكرُ الحالَ التي فارقَ عليها رسولُ اللهِ ﷺ الدنيا، والله ما شَبع في يومٍ مرتين من خبز البُرِّ حتى قُبِضَ»[4]. وفيه عنها: «ما شبع رسولُ الله ﷺ من خبزِ شعيرٍ يومين متتابعين حتى قبض»[5]. والحديثان صحيحان.

وفيه أيضاً عنها: «ما شبع آل محمد من خبز مأدوم ثلاثةَ أيَّامٍ حتى لحق بالله عز وجل»[6].

وفي «الصحيحين» عن أبي هريرة: «ما شبع رسولُ الله ﷺ وأهله ثلاثاً تِباعاً من خبزِ البُرِّ حتى فارق الدنيا»[7].

---

(١) في «الأصول»: «بن» وهو تصحيف.

(٢) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٦/ ٧١)، وعنه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٢٤). وله طرق كثيرة عنها وأصله في «الصحيحين».

(٣) (ص ٣٦٠).

(٤) **ضعيف** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٥٦)، وابن أبي الدنيا في «الجوع» (٥) من طريق مجالد عن الشعبي عن مسروق به. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن مجالداً بن سعيد ضعيف. وذكر البكاء عنه منكر.

(٥) أخرجه مسلم (٢٩٧٠) (٢٢).

(٦) أخرجه البخاري (٦٦٨٧).

(٧) أخرجه البخاري (٥٤١٤)، ومسلم (٢٩٧٦) واللفظ له.

وفي الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم خبز الشعير»[1]. وفيه أيضاً عن أنس عنه ﷺ: «لقد أُخِفْتُ في الله ما يخاف أحدٌ، ولقد أُوذيت في الله وما يؤذى أحدٌ، ولقد أتت عليَّ ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي ولبلال من طعامٍ يأكله ذو كبدٍ إلا شيءٌ يواريه إِبْطُ بِلاَلٍ»[2]. الحديثان صحيحان.

وفيه أيضاً عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أبي طلحة رضي الله عنه قال: «شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوعَ ورفعنا عن بطوننا حجراً حجراً فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه حجرين»[3].

وفيه أيضاً عن علقمة عن عبد الله رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أَثَّر في جنبيه، فقلنا: يا رسول الله لو اتخذنا لك وِطاءً فقال: «ما لي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها»[4] حديث حسن صحيح.

وفيه عن علي رضي الله عنه قال: خرجت في يوم شاتٍ من بيتِ رسولِ الله ﷺ، وقد أخذتُ إهاباً معطوباً، فَجَوَّبت وسطَه وأدخلته في عنقي فشددت به وسطي، فحزمتُه بِخُوصٍ من النخل، وإني لشديدُ الجوعِ، ولو كان في بيت رسول الله ﷺ طعامٌ لَطَعِمْت منه، فخرجت ألتمسُ شيئاً فممرتُ بيهوديٍّ في مالٍ له وهو يسقي بِبَكرةٍ له، فاطلعت عليه من ثُلمَةٍ من الحائط، فقال: مالك يا أعرابي، وهل لك في كلِّ دلوٍ بتمرةٍ؟ قلت: نعم، فافتح الباب حتى أدخل،

(١) مضى تخريجه (ص ٣١٢).
(٢) مضى تخريجه (ص٨٢).
(٣) **ضعيف منكر** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٧١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٢٨) من طريق سيار بن حاتم وعن سهل بن أسلم عن يزيد بن أبي منصور عن أنس بن مالك عن أبي طلحة به. قال الترمذي: «غريب». قلت: والأمر كما قال؛ فإن سياراً صدوق له أوهام، وذكر الحجرين فيه منكر، وأما وضع النبي ﷺ الحجر من الجوع؛ ففيه أحاديث صحيحة مضت (ص٣١٤).
(٤) مضى تخريجه (ص ٢٧٧).

فتح فدخلت فأعطاني دلوه، فكلما نزعت دلواً أعطاني تمرة حتى امتلأت كفي أرسلت دلوه وقلت: حسبي فأكلتها، ثم جَرَعتُ من الماء فشربت ثم جئت المسجد[1] فوجدت رسول الله ﷺ فيه[2].

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «لقد رأيتنا نغزو مع رسول الله ﷺ ما لنا طعام إلا الحُبْلَةُ وهذا السَّمَر»[3]. والحُبْلَةُ: ثمر العِضَاةِ ذات الشوك. وهو حديث صحيح.

وكان ﷺ يصلي من الليل أحياناً وعليه كساءُ صوفٍ بعضه عليه وبعضه على عائشة[4]. قال الحسن: أثمان ستة دراهم أو سبعة.

وقال أحمد حدثنا أبو أسامة أنبأنا زائدة[5] حدثنا عطاء عن أبيه عن علي قال: «جهز رسول الله ﷺ فاطمة في خَمِيل وقِرْبَةٍ ووسادةٍ من أدم حشوها لِيف»[6]. والخميل: الكساء الذي خمل.

قال: وحدثنا بهز بن أسد حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد قال: قال أبو بردة دخلت على عائشة فأخرجت إلينا إزاراً غليظاً مما يُصْنَع باليمن وكساءً من هذه التي تدعونها المُلَبَّدَة، فقالت: «قبض رسول الله ﷺ في هذين الثوبين»[7].

قالوا: ولو كان الغِنَى مع الشُّكْرِ أفضلُ من الفقر مع الصبر لاختاره

---

(١) في «الأصول» الماء، وهو خطأ، وما أثبته من سنن الترمذي.
(٢) **ضعيف** ـ أخرجه الترمذي (٢٤٧٣) بإسناد ضعيف.
(٣) أخرجه البخاري (٦٤٥٣)، ومسلم (٢٩٦٦).
(٤) **حسن** ـ أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٦٩٥). قلت: إسناده ضعيف جداً؛ فيه ضرار ابن صرد متروك، وبه أعلهُ الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٥٠). وله طريق آخر: أخرجه أبو عوانة (٢/ ٦٠). قلت: إسناده حسن.
وبالجملة: فالحديث حسن من طريقه الثاني، وأما الأول فلا يفرح به.
(٥) في «الأصول»: أبو سعيد حدثنا أبو زائدة وهو خطأ.
(٦) **صحيح** ـ أخرجه النسائي (٦/ ١٣٥)، وابن ماجه (٤١٥٢)، وأحمد (١/ ٨٤) من طريقين عن عطاء، به. قلت: وإسناده صحيح.
(٧) أخرجه أحمد (٦/ ٣٢ و١٣١) من طريقين عن حميد بن هلال به. وأخرجه البخاري (٥٨١٨) ومسلم (٢٠٨٠).

رسولُ الله ﷺ إذ عرضت عليه الدنيا، وَلأَمره ربُّه أن يسألَه إياه كما أمره أن يسألَه زيادةَ العلم، ولم يكن رسولُ الله ﷺ ليختار إلا ما اختاره اللهُ له، ولم يكن اللهُ ليختارَ له إلا الأَفْضَل إذ كان أفضَلَ خلقِه وأكملَهم.

قالوا: وقد أخبر النَّبيُّ ﷺ أن خير الرزق ما كان بِقَدْرِ كفايةِ العبدِ فلا يعوزُه ما يَضُرُّه ولا يَفْضُلُ عنه ما يطغيه ويلهيه. قال الإمام أحمد: حدثنا ابن مهدي حدثنا هشام[1] عن قتادة عن خليد العصري عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: ما طلعت شمْسٌ قطُّ إلا بُعِث بجنبيها ملكان يناديان يُسْمعان أهلَ الأرض إلا الثقلين: يا أيّها الناس هَلُمّوا إلى رَبِّكم فإن ما قَلَّ وكفى خَيْرٌ مما كَثُرَ وأَلهى، ولا آبت شَمْسٌ قَطُّ إلا بعث بجنبيها ملكان يناديان يُسْمِعان أهل الأرض إلا الثقلين: اللهم أعطِ مُنْفِقاً خَلَفاً، وأعط مُمْسِكاً تَلَفاً»[2].

وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا أسامة بن زيد عن محمد بن عبدالرحمن بن أبي لبيبة عن سعد بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: خيرُ الرزقِ ما يكفي وخيرُ الذكرِ الخَفِي»[3].

---

(١) في «الأصول»، وفي «المسند» همام وهو تصحيف.

(٢) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٥/ ١٩٧) و«الزهد» (ص١٩)، والحاكم (٢/ ٤٤٤ ـ ٤٤٥)، وابن حبان (٤٧٦، ٨١٤ ـ موارد)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٢٠٧)، وابن السني في «القناعة» (٣٠ ـ ٣٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢/ ٢٥/ ٨١٠)، وابن جرير في «تهذيب الآثار» (١/ ٢٦٦/ ٤٤٣ ـ ٤٤٥)، و«التفسير» (٣٠/ ١٢٢)، وابن شاهين في «الترغيب» (٢/ ٢٨٨/ ٣١٠)، والطيالسي (٩٧٩)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٤٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٢٦ و٢/ ٢٣٣ و٩/ ٦٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣٧٣)، والفاكهي في «حديثه» (ق ١٣/أ)، والمحاملي في «الأمالي» (ق ٥٠/أ ـ رواية ابن مهدي) وغيرهم من طريق قتادة به. قال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي «مجمع الزوائد» (٣/ ١٢٢): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح». قلت: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٢٢)، وشيخنا في الصحيحة» (٤٤٣)، قلت: وقد صرح قتادة بالتحديث عند الحاكم وابن جرير. ولشطره الأخير شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعاً: أخرجه الشيخان.

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه أحمد (١/ ١٧٢ و١٧٨ و١٨٠)، وابن حبان (٨٠٩) وأحمد في «الزهد» (ص١٠)، وابن السني في «القناعة» (رقم ٣٨ و٣٩) من طرق عن أسامة بن زيد، به. =

وتأمل جمعَه في هذا الحديث بين رزقِ القلبِ والبدنِ: رزق الدنيا والآخرة وإخباره أن خيرَ الرزقين ما لم يتجاوز الحدَّ فيكفي من الذكرِ إخفاؤه، فإن زاد على الإخفاءِ خيفَ على صاحبه الرياءُ والتكبرُ به على الغافلين، وكذلك رزقُ البدن إذا زادَ على الكفايةِ خيف على صاحبه الطغيانُ والتكاثُرُ.

قالوا وقد غَبَطَ رسولُ الله ﷺ المُتَقَلِّل من الدنيا ما لم يغبط به الغَنِيَّ. قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا علي بن صالح عن أبي المهلّب عن عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أغبطَ أوليائي عندي مُؤمنٌ خَفيفُ الحاذ ذو حظٍّ من صلاةٍ، أَحْسَن عبادةَ ربِّه وكان غامضاً في الناس لا يشارُ إليه بالأصابع، فعجلت منيتُه، وَقَلَّ تراثه، وَقَلَّت بواكيه»[1] قال عبد الله بن أحمد: سألت أبي ما تراثه؟ قال: ميراثه.

= قلت: إسناده ضعيف؛ لضعف محمد بن عبد الرحمن بن أبي لبيبة والانقطاع بينه وبين سعد بن مالك فإنه لم يدركه، وضعفه الهيثمي (١٠/ ٨١) بمحمد بن عبد الرحمن.

(١) **ضعيف جداً** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٤٧)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٢ ـ ٢٥٥) و«الزهد» (١١)، والطيالسي (٢/ ٤٢ ـ منحة)، والطبراني (٧٨٢٩ و٧٨٦٠) ومن طريقه الشجري في «الأمالي» (٢/ ٢٠١)، والحاكم (٤/ ١٢٣)، ونعيم في «زوائد الزهد» (١٩٦)، والحميدي (٩٠٩) ومن طريقه الخطابي في «العزلة» (٣٦)، والبيهقي في «الزهد الكبير» (١٩٦ و١٩٧)، و«شعب الإيمان» (١٠٣٥٧)، وأبو نعيم في «الحلية»(١/ ٢٥)، ووكيع في «الزهد» (١٣٣)، والروياني في «مسنده» (٢/ ٢٨١/ ١٢٠٥ و ٢/ ٢٨٧/ ١٢١٩)، والأصبهاني في «الترغيب» (ق ١٧/ ب، ١٨/أ) من طريق عبيد الله بن زحر به.

قال الترمذي: «حسن صحيح، القاسم ثقة، وعلي بن يزيد ضعيف الحديث». وفي «تحفة الأشراف» (٤/ ٢٣٦): «حسن، علي بن يزيد يضعف في الحديث»، وما في تحفة الأشراف هو الأقرب للصواب، ولعله حسنه لطرقه، ولكنها لا تقويه؛ كما سيأتي إن شاء الله، وأما الحاكم فقال: «هذا إسناد للشاميين صحيح عندهم»، وتعقبه الذهبي بقوله: «بل إلى الضعف هو». قلت: هذا إسناد ضعيف جداً، لأن علي بن يزيد الألهاني متروك، وعبيد الله بن زحر ضعيف.

وله طريق آخر: أخرجه ابن ماجه (٤١١٧)، والأصبهاني في «الترغيب» (ق ٤/أ) وفيه صدقة بن عبد الله وهو متروك، وأيوب بن سليمان ضعيف. وله طريق: أخرجه البيهقي في=

قالوا: وحميةُ اللَّهِ لعبدِهِ المؤمنِ عن الدنيا إنّما هو من محبَّتِهِ له وكرامته. قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد حدثنا سليمان بن بلال عن عمرو بن أبي عمرو عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تبارك وتعالى يَحمي عبدَه المؤمن من الدنيا وهو يُحِبّه كما تحمُون مرضاكُم الطعامَ والشرابَ تخافون عليهم»(١).

قالوا: وَقَلَّ أن يقع إعطاء الدنيا وتوسعتها إلا استدراجاً من الله لا إكراماً ومحبة لمن أعطاه. قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن غَيلان حدثنا رِشْدِين بن سعد عن حرملة ابن عمران التجيبي عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتَ اللهَ يُعطي العَبْدَ مِن الدنيا على مَعاصيه وما يُحِبُّ فإنّما هو استِدراجٌ» ثم تلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤](٢)».

= «شعب الإيمان» (١٠٣٥١)، وفيه العلاء بن هلال ضعيف. فالخلاصة: حديث أبي أمامة ضعيف، ضعفه العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٣/ ٢٧١) وشيخنا وغيرهم.

وله شاهد من حديث معاذ: أخرجه وكيع في «أخبار القضاة (٣/ ١٧) وفيه عبدالعزيز بن أبان متروك وكذبه ابن معين. وأخرجه من حديث حذيفة بن اليمان وفيه ابن الجراح وهو متروك.

وبالجملة: فأحاديث مدح العزوبة كلها باطلة؛ كما قال المصنف رحمه الله في «المنار المنيف» (١٢٧).

(١) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٢٠٣٦)، وأحمد في «الزهد» (ص١٧)، والحاكم (٤/ ٢٠٧ و٢٠٩)، وابن حبان (٦٦٩) من طريق إسماعيل بن جعفر عن عمارة بن غزية عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد عن قتادة بن النعمان به. قلت: إسناده صحيح.

قال الترمذي: «وهذا حديث حسن غريب، وقد روي عن محمود بن لبيد عن النبي ﷺ مرسلاً». قلت: أخرجه الترمذي، وأحمد (٥/ ٤٢٧ و٤٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٥٠)، والحاكم (٤/ ٢٠٨) من طرق عن عمرو بن أبي عمرو عن عاصم بن عمر بن قتادة عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ وذكره. قلت: وهذا الإرسال لا يضر، لأنه مرسل صحابي، والله أعلم.

(٢) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٤/ ١٤٥)، و«الزهد» (ص١٢)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٨٣/ ٩١٣)، و«الأوسط» (٩٤٧٢)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٣٢)، والبيهقي في=

قالوا: وَلِهَوَانِ الدنيا على اللّهِ مَنَعَهَا أكثَرَ أوليائه وأحبائه. قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سالم بن أبي الجعد قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أُمّتي مَن لو أتى بابَ أحدِكم فسأله ديناراً لم يُعطِهِ إيّاه، ولو سأله فِلْسَاً لم يعطه إيّاه، ولو سَأل اللهَ تعالى الجنّةَ لأعطاها إيّاه، ولو سأله الدنيا لم يعطِها إيّاه وما يمنعها إيّاه، لهوانه عليه، ذو طمرين لا يُؤْبَهُ له لو أقسَمَ على الله لأبرّه»[1]. وهذا يَدُلُّ على أنه إنما يمنعُهُ إياها لهوانِهَا عليه لا لهوانِه هو عليه، ولهذا يعطيه أفضلَ منها وأَجلَّ، فإن الله تعالى يُعطي الدنيا من يُحِبُّ وَمَن لا يُحِب ولا يَعطي الآخرةَ إلا مَن يُحِب.

قالوا: وقد أخبرهم النَّبيُّ ﷺ أن أقرَبَهم منه مَجْلِساً ذوو التَّقَلُّلِ من الدّنيا الذين لم يستكثروا منها. قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن عمرو قال سمعت عراكَ بن مالك يقول: قال أبو ذر: إني لأقربكم مجلساً من رسول الله ﷺ يوم القيامة وذلك أني سمعته يقول: «إن أقربَكم مني مجلساً يومَ القيامة من خَرج من الدنيا كهيئة ما تركته فيها»[2]، وإنه والله ما منكم من أحد إلا وقد تَشَبَّثَ منها بشيءٍ غيري.

= «شعب الإيمان» (٤٢٢٠ ـ هندية) وفي «الأسماء والصفات» (٢/ ٤٤١/ ١٠٢١) وابن الأعرابي في «معجمه» (١٧٢ و١٧٣)، وابن جرير في «التفسير» (٧/ ١٩٥)، والخطابي في «شأن الدعاء» (ص١٦٥)، والدولابي في «الكنى والأسماء» (١/ ١١١) من طريقين عن عقبة بن مسلم به. قلت: هو صحيح بهما، وحسنه الحافظ العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٤/ ١١٥)، وصححه شيخنا في «الصحيحة» (٤١٣).

(١) **ضعيف** ـ أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٨)، وهناد في «الزهد» (٥٨٧)، وابن أبي الدنيا في «التواضع» (١) عن أبي معاوية به مرسلاً. ووصله الطبراني في «الأوسط» (٧٥٤٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٤٧) من طريقين عن سالم بن أبي الجعد، عن ثوبان مرفوعاً. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٦٤): و«رجاله رجال الصحيح». قلت: لكنه منقطع؛ فإن سالماً لم يسمع من ثوبان، كما قال البخاري والترمذي والفسوي وغيرهم.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه أحمد (٥/ ١٦٥)، و«الزهد» (ص١٨٣ ـ ١٨٤)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٠٥) وغيرهم من طريق يزيد بن هارون. وأخرجه هناد في «الزهد» (٥٥٤)، من طريق محمد بن عمرو=

قالوا: وقد غَبَطَ النبيُّ ﷺ من كان عيشُه كفافاً وأخبر بفلاحِه. قال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة قال: أخبرني أبو هانىء أن أبا علي الجنبي أخبره أنه سمع فضالة بن عبيد يقول أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «طوبى لمن هُدِى إلى الإسلامِ، وكان عيشُه كفافاً وَقَنَع»[1]. وذكر أيضاً من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «قد أفلح مَن أسلم وَرُزِق كفافاً وَقَنّعه الله بما آتاه»[2].

قالوا: ولو لم يكن في التَّقَلُّلِ إلا خِفَّةُ الحسابِ لكفى به فَضْلاً على الغنى. قال عبد الله بن الإمام أحمد: حدثنا بيان بن الحكم حدثنا محمد بن حاتم قال حدثنا بشر بن الحارث حدثنا عيسى بن يونس عن هشام عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يحاسَبُ بهن العبد: ظِلُّ خُصٍّ يُستَظَلُّ به، وكسرةٌ يَشُدّ بها صُلْبَه، وثوبٌ يواري عورتَه»[3].

وقال الإمام أحمد: حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا ليث عن أبي عثمان قال: لما افتتح المسلمون جوجى دخلوا يمشون فيها وأكداسَ الطعامِ فيها أمثال

= قال حدثه من حدثنا عراك بن مالك به. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن عراك بن مالك لم يسمع من أبي ذر.

(1) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٦/ ١٩)، و«الزهد» (ص١٤)، والترمذي (٢٣٤٩)، وابن المبارك في «الزهد» (٥٥٣)، وابن حبان (٧٠٥)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٢٥٦/ ٧٨٦)، والحاكم (١/ ٣٤ ـ ٣٥ و٤/ ١٢٢)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦١٦ و٦١٧) وابن السني في «القناعة» (٦ ـ ٨) من طريق حيوة بن شريح به. قال الحاكم في الموطن الأول: «صحيح على شرط مسلم» ووافقه الذهبي، وقال في الثاني: «صحيح»، ووافقه الذهبي. قلت: هو كما قالا في الموطن الثاني؛ فإن أبا علي الجنبي لم يخرج له مسلم، وإنما هو من رجال أصحاب السنن، وهو ثقة.

(2) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٢/ ١٦٨ و١٧٢ ـ ١٧٣)، و«الزهد» (ص١٤)، وأخرجه مسلم (١٠٥٤).

(3) **ضعيف** ـ أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص١٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣٦٨)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٧/ ٢٤٩ ـ النكت الظراف) من طريق عيسى بن يونس به. قال البيهقي: «هكذا جاء مرسلاً وهو مرسل جيد في هذا المعنى لما تقدم». قلت: إسناده ضعيف؛ لإرساله.

الجبالِ، وكان رجلٌ يمشي إلى جنبِ سلمان فقال: «يا أبا عبد الله ألا ترى إلى ما فتح الله علينا، ألا ترى إلى ما أعطانا الله»؛ فقال سلمان: وما يعجبُك مما ترى إلى جنبِ كل حَبّةٍ مما ترى حِسابٌ»[١].

قالوا: وقد شهد النَّبِيُّ ﷺ لأصحابه أنهم يوم فقرهم وفاقَتِهم خيرٌ منهم يومَ غِناهم وبسطِ الدنيا عليهم. قال: الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد [حدثنا] أبو الأشهب عن الحسن قال: قال نَبِيُّ الله ﷺ: «يا أهل الصُّفة كيف أنتم؟» قالوا: نحن بخير» قال: «أنتم اليومَ خيرٌ أم يومَ تغدو على أحدِكم جفنَةٌ، وتروحُ أخرى، ويغدو في حُلَّةٍ، ويروح في أخرى، وتسترون بيوتكم مثل أستارِ الكعبة؟» قالوا: يا نَبِيَّ الله نحن يومئذ خيرٌ يعطينا ربُّنا تبارك وتعالى فنشكرُ قال: بل أنتم اليوم خير»[٢]. فهذا صريحٌ في أنهم في وقتِ صبرِهم على فَقرِهم خيرٌ منهم في وقتِ غِناهم مع الشُّكرِ.

وقال عبد الله بن أحمد حدثنا ابن ذر[٣] حدثنا حفص بن غياث عن داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود عن طلحةَ البصري[٤] قال: قدمت المدينة ولم يكن لي بها معرفة، فكان يجري علينا مُدٌّ من تَمرٍ بين اثنين، فصلى بنا رسول الله ﷺ صلاة فَهَتَف به هاتفٌ من خَلفِه فقال: يا رسول الله قد حَرَق بطونَنا التمرُ وعزفت عنا الكُنُفُ[٥]. فَخَطب فَحَمِد الله وأثنى عليه وقال: «والله لو أَجِد لكم اللّحمَ والخبزَ لأطعمتكموه، وليأتين عليكم زمانٌ تغدو على أحدكم الجفانُ وتراحُ، وَلَتُلْبِسُنَّ بيوتكم مثل أستار الكعبة» قالوا: يا رسول الله نحن

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٣٧٩/ ١٠٦٥٤). وإسناده ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٤٨) بإسناد آخر عن قتادة، وكلاهما ضعيف لإرساله، وانظر (ص ٣٢٣).

(٣) هكذا في «الأصول»، وفي «الزهد»: محمد بن عبد الله بن نمير أبو عبد الرحمن الهمداني.

(٤) هكذا في «الأصول» وله وجه، فإنه سكن البصرة فهو بصري داراً، وهو النَّصري نسبة إلى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بطن من قيس عيلان.

(٥) هكذا في «الأصول»، وفي مصادر التخريج: «وتخرقت عنا الخنف». الخنف: جمع خنيف، وهي: برود يمانية من رديء الكتان.

اليوم خيرٌ منا أو يومئذٍ؟ قال: «بل أنتم اليوم خير منكم يومئذٍ، أنتم اليوم خير منكم يومئذ؛ يَضرب بَعضكم رِقاب بعض»(١).

قال الإمام أحمد: وحدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة قال: ذُكِر لنا أن نبي الله ﷺ دخلَ على أهل الصُّفَّة فذكر نحوه(٢).

قالوا: ولم يكن في الغنى والمال إلا أنه فتنة، وَقَلَّ من سَلِم من إصابتها له وتأثيرها في دينه؛ كما قال تعالى: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]. وفي الترمذي من حديث كعب بن عياض قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ لكلِ أمَّةٍ فتنةً، وفتنَةُ أمّتي المال»(٣). قال: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه عبد الله في «زوائد الزهد» (ص٣٣ ـ ٣٤)، وأحمد (٣/ ٤٨٧)، وابن حبان (٦٦٨٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٤٣٤)، والطبراني في «الكبير» (٨١٦٠)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥)، والبزار (٣٦٧٣ ـ كشف الأستار)، والحاكم (٤/ ٥٤٨) وغيرهم من طريق داود بن أبي هند به. قلت: إسناده صحيح، وصحابي الحديث ليس له غير هذا الحديث.

فائدة: قال البزار: «وطلحة هذا سكن البصرة، وهو طلحة بن عمرو، ولم يرو إلاّ هذا الحديث».

(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٤٨).

(٣) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٣٦)، والنسائي في «الكبرى (٨/ ٣٠٩ ـ تحفة الأشراف)، وأحمد في «المسند» (٤/ ١٦٠)، ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (٢٤/ ١٨٧ ـ ١٨٨)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٢٢)، وابن حبان (٢٤٧٠ ـ موارد)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٤/ ٤٦٢/ ٢٥١٦)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٦١/ ٤٠٤)، و«مسند الشاميين» (٢٠٢٧)، والبيهقي في «الشعب» (١٠٢٠٩)، وتمام في «الفوائد» (١٦٢٧ ـ الروض البسام»، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٢٢ و١٠٢٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ ق ١٥٩/ ٥)، ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (٢٤/ ١٨٨)، والحاكم (٤/ ٣١٨) وغيرهم من طريق معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن كعب بن عياض. قال الترمذي: «حسن صحيح غريب». وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، ووافقه الذهبي. قلت: وهو صحيح على شرط مسلم، وصححه الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢٥٣)، وشيخنا في «الصحيحة» (٥٩٢).

قالوا: والمال يدعو إلى النّارِ، والفقرُ يدعو إلى الجنّةِ. قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد حدثنا أبو الأشهب حدثنا سعيد بن أيمن مولى كعب بن سور قال: بينا رسولُ الله ﷺ يحدِّث أصحابَه إذ جاء رجلٌ من الفُقراء فجلسَ إلى جنبِ رَجلٍ من الأغنياءِ فكأنّه قَبَضَ من ثيابَه عنه فقال رسول الله ﷺ: «أخشيتَ يا فلان أن يَغدو غِناك عَليه أو يغدو فقرُه عليك؟» قال: يا رسول الله! وَشَرٌّ الغِنَى؟! قال: «نعم إنّ غِناك يدعوك إلى النّار وإن فقرَه يدعوه إلى الجنة» قال: فما ينجيني منه، قال: «تواسيه» قال: إذن أفعل، فقال الآخر: لا إِرَبَ[1] لي فيه، قال: «فاستغفر وادع لأخيك»[2].

قالوا: وحقُّ الغِنَى أعظم من أن يقوم العبد بشكره. وقد روى الترمذيُّ في جامعه» من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «ليس لابن آدم حقٌّ في سوى هذه الخصال: بيتٌ يسكنُه، وثوبٌ يواري به عورتَه، وجِلْفُ[3] الخبزِ والماءِ»[4]. قال هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) أي لا حاجة لي فيه، و في «م»: لا أرجها فيه.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٤٩) وهو ضعيف.

(٣) هو الخبز ليس معه إدام، وقيل: غليظ الخبز.

(٤) **ضعيف منكر** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٤١)، وأحمد (١/ ٦٢)، والطيالسي (٨٣)، وعنه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٦١)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٥/ ٥٦١)، والحاكم (٤/ ٣١٢)، والبزار في «مسنده» (٤١٤)، وابن السني في «القناعة» (٦٧ ـ ٦٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦١٧٩ و١٠٣٦٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٤٦)، والطبراني في «الكبير» (١٤٧) وغيرهم.

قلت: إسناده فيه حريث بن السائب وهو علته. قال الحافظ في ترجمته من «التهذيب»: «قال الساجي: قال أحمد: روى عن الحسن عن حمران، عن عثمان حديثاً منكراً ـ يعني ـ : الذي أخرجه الترمذي». وقد ذكر الأثرم عن أحمد علته فقال: سئل أحمد عن حريث؛ فقال: هذا شيخ بصري، روى حديثاً منكراً عن الحسن عن حمران عن عثمان (وذكره). قال: قلت: قتادة يخالفه. قال: نعيم؛ سعيد عن قتادة عن الحسن عن حمران عن رجل من أهل الكتاب. قلت: وبهذا يتبين أن الحديث من الإسرائيليات، ووهم حريث في رفعه. وهذا ما أكده حفاظ الحديث؛ فقال الدارقطني في «العلل» (٢/ ٢٩ ـ ٣٠): «ووهم فيه»، وأقره الضياء في «الأحاديث المختارة» (١/ ٤٥٧)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٧٩٨ ـ ٧٩٩)، وشيخنا في «الضعيفة» (١٠٦٣). وقد خفيت=

وفي «صحيح مسلم» عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابنَ آدم إنّك إن تبذُلَ الفَضْلَ خيرٌ لك، وإن تمسكه شَرٌّ لك، ولا تلامُ على كفافٍ وابدأ بمن تَعول، واليَدُ العليا خيرٌ من اليد السفلى»[1].

وفي «صحيحه» أيضاً من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفرٍ مع رسول الله ﷺ إذ جاء رجلٌ على راحلةٍ له فجعلَ يضربُ يميناً وشمالاً، فقال رسول الله ﷺ: «من كان مَعه فَضْلٌ من ظَهرٍ فَلْيعُد به على من لا ظهرَ له، ومن كان عنده فَضْلٌ من زادٍ فليَعد به على من لا زادَ له». قال: فذكر من أصناف المالِ ما ذكر حتى ظَننّا أنّه لا حقَّ لأحدٍ منّا في فَضْلٍ[2].

قالوا: فهذا موضعُ النظرِ في تفضيل الغني الشاكرِ ببذلِ الفضلِ كلِّه، وأمّا غَنِيٌّ يُمَتَّعُ بأنواعِ الفَضلِ ويشكُر بالواجِبِ وبعض المستحبِ فكيف يُفَضَّلُ على فقيرٍ صابرٍ راضٍ عن الله في فقره؟

قالوا: وقد أقسم رسولُ الله ﷺ لأصحابه وهم أئمة الشاكرين: أنه لا يخافُ عليهم الفقرَ، وإنما يخافُ عليهم الغنى ففي الصحيحين» من حديث عمرو بن عوف وكان شهد بدراً أن رسولَ اللهِ ﷺ بعث أبا عبيدةَ بنَ الجراح إلى البَحرَيْن يأتي بجزيتها، وكان رسول الله ﷺ صالَحَ أهلَ البحريْنَ، وأَمَّر عليهم العلاءَ بن الحضرمي؛ فقدم أبو عبيدة بمالٍ من البحرين؛ فسمعت الأنصارُ بقدومِ أبي عبيدة؛ فوافو صلاةَ الفجرِ مع رسول الله ﷺ. فلما صلّى رسول الله ﷺ انصرفَ؛ فَتَعَرّضوا له، فتبسّمَ رسولُ الله ﷺ حين رآهم، ثم قال: «أظنكم سمعتم أن أبا عبيدَةَ قدِم بشيءٍ من البحرين» فقالوا: أجل يا رسول الله. قال:

= هذه العلة على كل من صححه كالترمذي والحاكم والذهبي والمناوي، وفوق كل ذي علم عليم، والحمد لله على توفيقه وهداه.

(١) أخرّجه مسلم (١٠٣٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٧٢٨).

«أبشروا وأمّلوا ما يَسرُّكم فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسطَ عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم؛ فتتنافسوا فيها كما تنافسوها، وَتُلْهِيكُمْ كما ألهتهم»[1].

قال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا هشام عن الحسن قال: قيل لأبي ثعلبة الخشني أين دنياكم والتي كنتم تعدّون يا أصحاب محمد؟ قال: «ليبشر الآخر بدنيا قد ظلّت تأكلُ ـ والله الذي لا إله إلا هو ـ الإيمان كما تأكلُ النارُ الحطبَ الجَزْلَ»[2].

وقال أحمد: حدثنا يزيد حدثنا هشام بن حسان قال: سمعت الحسن يقول: «والله ما أحد من الناس بسط الله له دنياه فلم يخف أن يكون قد مَكَر به فيها إلا كان قد نَقَص علمُه وعجز رأيُه، وما أمسكها اللهُ عن عبدٍ فلم يظن أنه قد خِيرَ له فيها إلا كان قد نَقَصَ علمُه وعجز رأيُه»[3].

قالوا: وقد مَرّ على النبي ﷺ فقيرٌ وغني فقال عن الفقير: «هذا خَيْرٌ من ملءِ الأرضِ مثلِ هذا»[4]. وروى البخاري في «صحيحه» عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: مَرّ رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا؟» فقالوا: حَرِيٌّ إن خَطَب أن يُنْكَح، وإن شَفَع أن يُشَفَّع، وإن قال أن يُسْمع، قال: ثم سكت، فَمَرَّ رجل من فقراءِ المسلمين فقال: «ما تقولون في هذا؟» قالوا: حرِيٌّ إن خَطَب أن لا ينكَح، وإن شَفَع أن لا يُشَفَّع، وإن قال أن لا يُسْمع لقولِه، فقال رسول الله ﷺ: «هذا خَيْرٌ من ملءِ الأرض مثلِ هذا»[5].

وقد بَشّر رسولُ الله ﷺ الفقراءَ الصابرين بما لم يُبشِّر به الأغنياء، ففي الترمذيِّ من حديثِ فُضالة بن عبيد أن رسول الله ﷺ كان إذا صلّى بالناس يَخِرّ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٢٥)، ومسلم (٢٩٦).
(٢) إسناده ضعيف.
(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٤٨).
(٤) هو الذي بعده، فانظره.
(٥) أخرجه البخاري (٥٠٩١).

رجالٌ من قامَتِهم في الصلاة من الخصاصَةِ وهم أصحابُ الصُّفَّةِ حتى يقولُ الأعرابُ: هؤلاء مجانين. فإذا صلّى رسول الله ﷺ انصرف إليهم وقال: «لو تعلمون ما لكم عند الله لأحببتم أن تزدادوا فاقةً وحاجةً»[1]. قال فضالة: وأنا يومئذٍ مع رسول الله ﷺ.

وبشَّرهم بسَبقِهم الأغنياءَ إلى الجنة. وقد اختلفت الرواياتُ في مُدَّةِ هذا السَّبْقِ، ففي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو: أنه جاءه ثلاثةُ نَفَرٍ فقالوا: يا أبا محمد والله ما نقدر على شيء: لا نفقة ولا دابة ولا متاع، فقال لهم: ما شئتم، إن شئتم رفعتم إلينا فأعطيناكم ما يَسَّرَ الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أمرَكم للسُّلطان، وإن شئتم صبرتم فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراءَ المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً». قالوا: نصبِر، ولا نسألُ شيئاً[2].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عفَّان حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «يدخل فقراءُ المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصفِ يوم وهو خمسمائة عام»[3]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

وفي الترمذي أيضا من حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «فقراء المهاجرين يدخلون الجنّة قبل أغنيائهم بخمسمائة سنة»[4]. وهو حديث حسن.

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٦٨)، وأحمد (٦/١٨)، وابن حبان (٧٢٤)، والشجري في «أماليه» (٢/١٨٥)، وأبو نعيم (٢/١٧)، والطبراني في «الكبير» (١٨/٧٩٨ ـ ٨٠٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٤٤١)، من طريق أبي هاني الخولاني عن أبي علي الجنبي عن فضالة بن عبيد به. قال الترمذي: «صحيح». قلت: إسناده صحيح كما قال الترمذي، فإن رجاله ثقات.

(٢) مضى تخريجه (ص ٢٦٣).

(٣) مضى تخريجه (ص ٢٥٥).

(٤) **حسن** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٥١) من طريق الأعمش عن عطية عن أبي سعيد به. قلت: عطية ضعيف. وأخرجه أبو داود (٣٦٦٦)، وأحمد (٣/٦٣)، وأبو يعلى (١١٥١)، ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (٢٢/٧٧) من طريق العلاء بن بشير=

وفيه أيضاً من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً»[1]. وهو حديث حسن.

وهو موافق لحديث عبد الله بن عمرو ولحديث أنس الذي في الترمذي: «إن المساكين يدخلون قبل الأغنياء بأربعين خريفاً»[2]، فهؤلاء ثلاثة: جابر وأنس وعبد الله بن عمرو قد اتفقوا على الأربعين، وهذا أبو هريرة وأبو سعيد قد اتفقا على التقدير بخمسمائة سنة، ولا تعارض بين هذه الأحاديث[3] إذ التَّأَخُرُ والسَّبَقُ درجاتٌ بحسَبِ الفقر والغنى، فمنهم من يسبِقُ بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة، ولا يتقيد السبق بهذا المقدار بل يزيد عليه ويَنقص.

وقد روى أبو داود في سننه» من حديث أبي هريرة عن النَّبِيِّ ﷺ: «أنّ أوّلَ الأمةِ دخولاً إلى الجنّةَ أبو بكر الصديق رضي الله عنه»[4]. ومعلوم أن المُدَّةَ التي

= عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد في حديث طويل. قلت: رجاله ثقات غير العلاء ابن بشير وهو مجهول.

وبالجملة: فالحديث حسن بمجموع طريقيه. وله شواهد عن أبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وجابر رضي الله عنهم تقدم ذكرها.

(١) مضى تخريجه (ص ٢٦٣).

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٥٢) وضعفه، وهو كما قال.

(٣) سبق بيان التوجيه الصحيح لرواية «الأربعين» و«الخمسمائة» (ص٢٦٤) وأن الأمر ليس على عمومه وإطلاقه كما قال المصنف رحمه الله.

(٤) **ضعيف** ـ أخرجه أبو داود (٤٦٥٢) ولفظه: «أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي». وأخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد فضائل الصحابة» (٢٥٨) والمزي في «تهذيب الكمال» (٣٣/ ٢٧٧)، من طريق عبد السلام بن حرب عن أبي خالد الدالاني عن أبي خالد مولى آل جعدة عن أبي هريرة به.

وأخرجه عبد الله بن أحمد في «فضائل الصحابة» (٥٩٣)، من طريق عبد السلام بن حرب قال حدثني أبو خالد الدالاني عن أبي يحيى مولى آل جعده عن أبي هريرة به.

وأخرجه الحاكم (٣/ ٧٣) من طريق عبد السلام عن أبي حازم عن أبي هريرة به.

قلت: مدار الحديث على أبي خالد الدالاني وهو فاحش الوهم ويخطىء كثيراً، وهذا الاختلاف والاضطراب الذي ذكره في هذا الإسناد؛ فتارة عن أبي خالد مولى آل جعده، وتارة عن أبي خالد مولى آل جعده، وثالثة عن أبي حازم يؤكد شدّة وهمه وكثرة خطئه، ولذلك فالإسناد ضعيف. وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبي. =

بينه وبين إخوانِه من فقراءِ المهاجرين لا تطولُ، وإنها أطْوَلُ مدةٍ بين دخوله وبين دخولِ آخرِ من يدخل الجنة.

وقد روى الإمام أحمد في «مسنده» من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «هل تدرون أول من يَدخُل الجنة؟» قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلم. قال: «فقراءُ المهاجرين الذين تُتَّقى بهم المكارِه، يموتُ أحدُهم وحاجتُه في صدرِه لا يستطيع لها قضاءً، تقول الملائكةُ: يا ربَّنا نحن ملائكتُك وخزنتُك وسُكّانُ سماواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا، فيقول: عبادي لا يشركون بي شيئاً يُتَّقَى بهم المكاره يموت أحدُهم وحاجتُه في صدره لا يستطيع لها قضاء، فعند ذلك تدخلُ عليهم الملائكة من كلِّ باب سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار»[1].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد عن سَلْم[2] بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «التقى مؤمنان على باب الجنة: مؤمن غني، ومؤمن فقير كانا في الدنيا، فأُدخل الفقيرُ الجَنَّةَ وحُبِسَ الغنيُّ ما شاء الله أن يُحبَسَ ثم أدخل الجنة، فلقيه الفقيرُ فيقول: أي أخي ماذا حَبَسك؟ والله لقد احتَبسْتَ حتى خِفت عليك؛ فيقول: أي أخي، إني حُبِست بعدك مَحْبِساً فظيعاً كريهاً ما وصلت إليك حتى سال مني من العرق ما لو ورده ألف بعير كلها أكلت حَمْضاً[3] وصدرت عنه رواء[4]»[5].

= قلت: أبو خالد الدالاني لم يخرج له الشيخان شيئاً (!).

(١) مضى تخريجه (ص ٢٦٤).

(٢) في «الأصول»: مسلم، وهكذا تحرفت في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٦٤)، وما أثبته موافق لما في «المسند»، وفي «الزهد»: «سليم»، وبهما ورد في كتب التراجم.

(٣) نبات لا يهيج في الربيع، ويبقى على القيظ وفيه ملوحة، إذا أكلته الإبل شربت عليه.

(٤) جمع ريّان وريّا، وهو من شرب حتى ارتوى.

(٥) **ضعيف** ـ أخرجه أحمد (١/ ٣٠٤)، و«الزهد» (ص٤٧٣). قال الشيخ أحمد شاكر في «شرح المسند» (٤/ ٢٧٢): «إسناده مشكل عندي» وذكر ما وقع للحسيني في «الإكمال» وتعقب ابن حجر له في «تعجيل المنفعة» ثم قال: «ولم أجد لسلم هذا ترجمة». قلت: ترجمته في «التأريخ الكبير» (٤/ ١٥٧ ـ ١٥٨)، و«الثقات» (٤/ ٣٣٤ و٦/ ٤٢٠)، وترجم=

وقال الطبراني في «معجمه»: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي وعلي بن سعيد الرازي قالا: حدثنا علي بن بهرام العطار حدثنا عبد الملك بن أبي كريمة عن الثوري عن محمد بن زيد عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ فقراء المؤمنين يدخلون الجنّةَ قبل أغنيائِهم بنِصف يومٍ وذلك خمسمائة سنة» فقال رجل: أمِنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «إن تغدَّيت رجعت على عشاء، وإذا تعشيت يبيت معك غداء؟» قال: نعم. قال: «لست منهم»، فقام رجل فقال: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «هل سمعت ما قلنا لهذا؟» قال: نعم. ولست كذلك. قال: «هل تجد ثوباً ستيراً سوى ما عليك»؟ فقال: نعم. قال: «فلست منهم»، فقام آخر فقال: أَمِنهم أنا يا رسول الله؟ فقال: «هل سمعت ما قلت لهذين قبلك؟» قال: نعم. قال: «هل تجد قَرْضاً كلما شئت أن تستقرض؟» قال: نعم. قال: «فلست منهم». فقام آخر فقال: أمنهم أنا يا رسول الله ؟ فقال: «هل سمعت ما قلت لهؤلاء؟» قال: نعم. قال: «تقدر أن تكتسب؟» قال: نعم، قال: «فلست منهم» قال: فقام خامس فقال: أنا منهم يا رسول الله ؟ فقال: «هل سمعت ما قلت لهؤلاء؟» قال: نعم. قال: «هل تمسي عن ربك راضياً وتصبح كذلك؟» قال: نعم. قال: «فأنت منهم» فقال النبي ﷺ: «إن ساداتِ المؤمنين في الجنّة مَن إذا تغدى لم يجدِ عشاءً، وإذا تَعَشّى لم يبت عنده غداء، واستقرض لم يجد قرضاً، وليس لهُ فضل كسوةٍ إلا ما يواري به ما لا يجد منه بُدّاً، ولا يقدر على أن يكتسب ما يعيشه، ويمسي عن الله راضياً ويصبح راضياً ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ

= له الحافظ في «تعجيل المنفعة» (ص١٦٢) فذكره باسم سليم بن بشير بن حجل القيسي البصري، وذكر هذا الحديث من روايته، وذكر مشايخه وتلاميذه وحاله وأن ابن معين قال: ليس به بأس، ووثقه ابن حبان. و(دويد) وقع في الإسناد غير منسوب، وقال ابن ماكولا في «الإكمال» (٣/ ٣٨٦): «ودويد بن سليمان حدّث عنه سلم بن بشير بن حجل وعثمان بن عطاء، وروى عنه حسين بن محمد المروزي». وقال الحافظ في «تعجيل المنفعة» (ص١٦٢) في ترجمةسليم بن بشير: «رواه عنه دويد الخراساني». والحسين بن محمد المروزي ثقة. فالإسناد ضعيف؛ لأن فيه دويد غير معروف، وباقي رجاله محتج بهم.

ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]»[1].

قال الطبراني: هذا حديث غريب من حديث سفيان الثوري عن محمد بن زيد، يقال: هو العبدي تَفَرَّد به عبد الملك.

قلت: محمد هذا هو العبدي، وثّقه قوم، وضعّفه آخرون. قال الدارقطني: ليس بالقوي، وقال أبو حاتم: صالح الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات، وروى له الترمذي وابن ماجه.

وفي هذه الطبقة محمد بن زيد الشامي يروي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن وهو متروك، ونخاف أن يكون هذا هو الثوري لم ينسبه، وإنما يقال: هو العبدي، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائي عن يحيى بن أبي كثير عن عامر العقيلي عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عُرِض عليَّ أوّلُ ثلاثةٍ يدخلون الجنة وأوّلُ ثلاثةٍ يدخلون النار: فأما أوّلُ ثلاثةٍ يدخلون الجنّة: فالشَّهيدُ وعبدٌ مملوك لم يشغلْه رِقُّ الدنيا عن طاعَةِ ربه، وفقيرٌ متعفِّف ذو عيال. وأما أَوّلُ ثلاثةٍ يدخلون النار: فأميرُ مُتَسَلِّطٌ، وذو ثروةٍ من مالٍ لا يؤدّي حقَّ الله في مالِه، وفقيرٌ فَخورٌ»[2].

وروى الترمذيُّ منه ذِكرَ الثلاث الذين يدخلون الجنة فقط.

قالوا: ويكفي في فضلِ الفقيرِ أن عامَّةَ أهلِ الجنّةِ الفقراءُ، وعامّةَ أهلِ النارِ

---

(١) ضعيف ـ لم أره في «معاجم الطبراني»، وإنما أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٩٩ ـ ١٠٠) من طريق الطبراني. قلت: إسناده ضعيف؛ كما قال الطبراني وأبو نعيم والمصنف رحمه الله.

(٢) ضعيف ـ أخرجه أحمد (٢/ ٤٢٥ و٤٧٩)، والطيالسي (٢٥٦٧)، والحاكم (١/ ٣٨٧)، وابن خزيمة (٢٢٤٩)، والبيهقي في «السنن» (٤/ ٨٢)، و«الشعب» (٨٦١٠)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٤/ ٧١). وأخرج الترمذي (١٦٤٢)، وابن حبان (٤٣١٢) شطره الأول كلهم من طريق يحيى بن أبي كثير عن عامر العقيلي، به. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن عامر العقيلي وأباه مجهولان لا يعرفان. وقال شيخنا في «ضعيف الجامع الصغير» (٣٧٠٥): «ضعيف جداً».

الأغنياءُ. قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالله بن محمد بن أبي شيبة حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن السائب بن مالك عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اطّلعت في الجنّة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطّلعت في النّارِ فرأيت أكثرَ أهلها الأغنياء والنّساء»[1].

وفي صحيح البخاري عن أبي رجاء قال: جاء عمران بن حصين إلى امرأته من عند رسول الله ﷺ فقالت: حَدِّثنا ما سمعتَ من النَّبِيِّ ﷺ، فقال: إنه ليس من حديثٍ فلم تَدَعْه أو قال، فأغضَبته، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نظرتُ في الجنّةِ فرأيت أكثر أهلها الفقراء، ونظرت في النار فرأيت أكثرَ أهلها النساء»[2].

وفي «الصحيحين» من حديث أسامة بن زيد: أن رسول الله ﷺ قال: «قمت على باب الجنة فإذا عامّةُ من دَخَلها المساكين، وقمت على باب النار فإذا عامَةُ من دَخَلَها النّساءُ»[3].

وفي «صحيح مسلم» عن ابن عباس: « أن النَّبِيَّ ﷺ اطلع في النّارِ فرأى أكثَر أهلها النساء، واطّلع في الجنّةِ فرأى أكثرَ أهلَها الفقراء»[4].

قالوا: ويكفي في فَضْلِ الفَقْرِ أن كلَّ أحدٍ يتمناه يومَ القيامةِ من الأغنياء. قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا إسماعيل يعني ابن أبي خالد عن نفيع عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من أَحَدٍ يوم القيامةِ غَنِيٍّ ولا فَقيرٌ إلا ودَّ أن ما كان أوتي في الدنيا قوتاً»[5]. قال

(١) **ضعيف** ـ أخرجه أحمد (٢/ ١٧٣) بإسناد ضعيف؛ كما قال شيخنا في «ضعيف الجامع الصغير» (١٠١٠) ثم قال: «قد صح من وجوه أخرى دون ذكر الأغنياء».
(٢) أخرجه البخاري (٣٢٤١) وليس فيه ذكر امرأة عمران بل ساق الحديث مباشرة.
(٣) أخرجه البخاري (٥١٩٦)، ومسلم (٢٧٣٦).
(٤) أخرجه (٢٧٣٧).
(٥) **موضوع** ـ أخرجه ابن ماجه (٤١٤٠)، وأحمد (٣/ ١١٧ و١٦٧)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٢٣٣) من طريق إسماعيل به. قلت: إسناده موضوع؛ لأن نفيع بن الحارث متهم بالكذب.

البخاري: يتكلّمون في نفيع، وهذا أليق ما قيل فيه. قالوا: وقد صرّح رسولُ الله ﷺ في تفضيلِ الفقراءِ في غيرِ حديثٍ؛ فمنها: ما تقدم من حديثِ سهلِ بن سَعد.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر ارفَع بصرَك فانظر أرفَع رَجُلٍ تراه في المسجد»، قال: فنظرت فإذا رجُلٌ جالِسٌ عليه حلّةٌ[1] له، فقلت هذا، قال: فقال: «يا أبا ذر ارفع بَصَرَك فانظر أوضع[2] رَجُلٍ تراه في المسجد» قال: فنظرت فإذا رَجُلٌ ضَعيفٌ عليه أخلاقٌ[3]، فقلت هذا. قال: فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لهذا أفضلُ عند الله يومَ القيامة من قُرابِ الأرضِ من هذا».

قال: حدثنا وكيع ووافقه زائده حدثنا الأعمش عن سليمان بن مسهر[4] عن خَرْشَة بن الحر عن أبي ذر فذكره، وقال: «لهذا خير عند الله يوم القيامة من ملء الأرض مثل هذا» قال الإمام أحمد: وحدثنا أبو معاوية ووافقه يعلى قال حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن أبي ذر فذكره[5].

قالوا: والذي يفصل بيننا في هذه المسألة ويشفي العليل: أن الفقر يُوَفِّر أجْرَ صاحبِه ومنزلتَه عند الله، والغَنِيّ ولو شَكَر؛ فإن ما ناله في الدّنيا بغناه يحسب عليه من ثوابه يومِ القيامة، وإن تناولَه بأحلِّ وجهٍ، فقليلُ الفَضْلِ في الدنيا ناقِصٌ من كثيرِ الآخِرَةِ.

---

(١) ثوب نفيس.

(٢) حطّ قدره، والوضيع: هو المحطوط القدر.

(٣) ثوب بالي.

(٤) في «الأصول»: «يسار»، والتصويب من «المسند» (٥/ ١٥٧)، و«الزهد» لوكيع.

(٥) **صحيح** - أخرجه أحمد (٥/ ١٥٧ و١٧١)، و«الزهد» (ص٣٦)، ووكيع في «الزهد» (١٤٤)، وابن حبان (٦٨١)، والبزار (٣٦٢٩ و٣٦٣٠ - كشف الأستار)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١١٥)، والحارث في «مسنده» كما في «بغية الباحث» (ق٣٣/ ب)، والطبراني في «الأوسط» (٥٨٦٢)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٢٢) وغيرهم من طرق عن أبي ذر مدارها على الأعمش وقد صرح بالتحديث عند ابن أبي شيبة. قلت: وهو صحيح.

وفي «صحيح مسلم» من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «ما من غازيةٍ تغزو في سبيل الله فيصيبون الغَنيمَة إلا تعجلوا ثلثي أجرهم من الآخرة، ويبقى لهم الثُلُث، وإن لم يصيبوا غنيمةً تم لهم أجرُهم»[1].

وفي «الصحيحين» عن خَبّاب بن الأَرَتِّ رضي الله عنه قال: هاجرنا مع رسولِ الله ﷺ نلْتَمِسُ وَجْهَ الله؛ فَوَقع أجرُنا على الله؛ فمنّا من مات لم يأكل من أجره شيئاً؛ منهم مصعب بن عمير رضي الله عنه قُتل يوَم أحدٍ وترك بُرْدَةً فَكُنّا إذا غَطَّينا بها رأسَه بَدت رِجلاهُ وإذا غَطّينا رجلَيه بدا رأسُه، فأمرنا رسولُ الله ﷺ أن نُغَطّي رأسَه ونجعل على رِجليه شيئاً من الإِذخِر، ومنّا من أينعت له ثَمرتُه فهوَ يهدُبُها»[2].

وفي«الصحيحين» عن قيس بن أبي حازم قال: دخلنا على خَباب نعودُه وقد اكتوى سَبْعَ كيّاتٍ. فقال: «إن أصحابنَا الذين سَلَفوا مضوا ولم تنقصهم الدنيا» وذكر الحديث[3].

وقال سعيد بن منصور: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «ما أوتي عبدٌ من الدنيا شيئاً إلا نَقَص من درجاتِه عند الله وإن كان عليه كريماً».

وفي «صحيح البخاري» عن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف قال: أتي عبدُ الرحمن رضي الله عنه بطعَام، وكان صائِماً. فقال: «قُتِل مصعبُ بنُ عمير وهو خَيْرٌ مِنّي، وَكُفِّن في بُردَةٍ إن غُطِّيَ رأسُه بَدت رجلاه، وإن غُطِّي رجلاهَ بدا رأسُه، وَقُتِلَ حمزةُ وهو خَيْرٌ مني فلم يوجد له كَفَنٌ إلا بُرْدَةٌ، ثم بُسِط لنا من الدنيا ما بُسِط، أو قال: أعطينا من الدنيا ما أعطينا، وقد خشيت أن تكون عُجِّلت لنا طَيّباتُنا في حياتِنا الدنيا. ثم جَعل يَبْكي حتى تَرَكَ الطعام»[4].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.
(٢) أخرجه البخاري (١٢٧٦)، ومسلم (٩٤٠).
(٣) البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٢٦٨١).
(٤) أخرجه البخاري (٤٠٤٥).

قال أبو سعيد بن الأعرابي[١]: وليس عبدُ الرحمن بن عوف وخباب قالا ذلك دون غيرهما، لقد قاله الأكابِرُ من أصحابِ رسول الله ﷺ، وكرهوا ما فَتَح الله عليهم من الدّنيا، وأشفقوا منه، وَعَلِموا أن ما اختاره الله لنبيه كان أفضلَ، وأن ما أُخِّروا له كان أنقص، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وأبو عبيدة، وعمار بن ياسر، وسلمان، وعبد الله بن مسعود، وعائشة أم المؤمنين، وأبو هاشم بن عتبة وجماعة لم نذكرهم للاختصار رضي الله عنهم.

فأما أبو بكر رضي الله عنه فحدثنا ابن أبي الدنيا حدثنا عبد الرحمن بن ريان[٢] الطائي حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا عبد الواحد بن زيد حدثني أسلم[٣] عن مرة عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشرابٍ فأتي بماءٍ وعسل فلما أدناه من فيه بكى وبكى حتى أبكى أصحابه فسكتوا وما سكت، ثم عاد وبكى حتى ظَنّوا أنهم لم يقدروا على مسألته، قال: ثم مسح عينيه، فقالوا: يا خليفة رسول الله ما أبكاك؟ فقال: كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفَعُ عن نفسه شيئاً ولم أر معه أحداً فقلت: يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك؟ قال: «هذه الدنيا مُثّلت لي؛ فقلت لها: إليك عني، ثم رَجِعَتْ فقالت: إنك إن أَفْلَت منّي فلن يفلت مني من بعدك»[٤].

---

(١) لعله في كتابه: «تشريف الفقير على الغني» الذي صنفه في الردّ على ابن المنذر في تفضيله الغني على الفقير؛ انظر «لسان الميزان» (٥/ ٢٨).

(٢) في «الأصول»: أبان، والتصحيح من مصادر التخريج.

(٣) في «الأصول»: سلمان، والتصحيح من مصادر التخريج.

(٤) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١١)، ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥١٨)، والحاكم (٤/ ٣٠٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٠)، والمروزي في «مسند أبي بكر» (٥٢) عن عبد الصمد بن عبد الوارث به.

قال الحاكم: «صحيح الإسناد»، وتعقبه الذهبي بقوله: «عبد الصمد تركه البخاري وغيره» هكذا في «التلخيص» المطبوع والمخطوط، والصواب: عبد الواحد تركه البخاري وغيره، وتوبع عبد الصمد كما أخرجه البزار (٤٤)، وأبو نعيم (٦/ ١٦٤) عن عبد الواحد بن زيد. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن عبد الواحد ضعيف وشيخه أسلم=

وذكر ليث بن سعد عن صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه: أن أبا بكر رضي الله عنه قال في مرضه الذي مات فيه: «إنّي وليت أمركم وإني لست بخيركم، وكلكم ورم أنفُه من ذلك أن يكون هذا الأمر له، وذلك لما رأيت الدنيا أقبلت وأقبلت ولم تقبل حتى يتخذوا نضائد الحرير وستور الديباج، وحتى يألم أحدُكم من الاضطجاع على الصوف كما يألم من الاضطجاع على الحسك والسعدان، ثم أنتم أول ضال بالناس تصفقون يميناً وشمالاً ما هذا الطريق أخطأت إنما هو البحر أو الفجر، والله لئن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدٍّ خير له من أن يخوض غمرات الدنيا»[1].

وذكر محمد بن عطاء بن خباب قال: كنت جالساً مع أبي بكر فرأى طائراً فقال: «طوبى لك يا طائر تأكل من هذا الشَّجَرِ، ثم تبعر، ثم لا تكون شيئاً، وليس عليك حساب، وددت أني مكانك»[2]. فقلت له: أتقول هذا وأنت صديق رسول الله ﷺ؟

وأما عمر رضي الله عنه فإنه لما أتي بكنوز كسرى بكى، فقال له عبد الرحمن بن عوف: ما الذي يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن هذا ليوم شكر ويوم سرور ويوم فرح، فقال عمر: «إن هذا لم يعطه قوم إلا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء»[3].

ودخل عليه أبو سنان الدؤلي وعنده نفر من المهاجرين؛ فأرسل عمر إلى سَفط أتي به من قلعة بالعراق وكان فيه خاتم فأخذه بعضُ ولده فأدخله في فيه،

= الكوفي مجهول؛ كما قال البزار وابن القطان، وعد الذهبي الحديث في «الميزان» (٢/ ٦٧٣) من مناكير عبد الواحد بن زيد.

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ ٦٢/ ٤٣)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٠٣): «وفيه علوان بن داود البجلي وهو ضعيف، وهذا الأثر مما أنكر عليه».

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٢٤٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٧٦ ـ ٧٧ هندية).

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» (ص١٤٣).

فانتزعه عمرُ منه ثم بكى، فقال: له من عنده: لم تبكي وقد فتح الله لك وأظهرك وأقر عينك؟ فقال: سمِعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تُفتَحُ الدنيا على أحدٍ إلا ألقى الله بينهم العداوةَ والبغضاءَ إلى يومِ القيامةِ» وأنا مشفِقٌ من ذلك[1].

قال أبو سعيد: وجدت في كتابٍ بخطٍّ يدي عن أبي داود قال: «حدثنا محمد بن عبيد حدثنا حماد حدثنا يونس عن الحسن: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي بقلنسوة ـ بغزوة كسرى ـ بين يديه، وفي القوم سراقة بن مالك، فألقى إليه سواري كسرى، فجعلهما في يديه فبلغا منكبيه، فلما رآهما في يدي سراقة قال: الحمد لله، سواري كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك بن جعشم أعرابي من بني مدلج، ثم قال: «اللهم قد علمت أن رسولك قد كان يحب أن يصيب مالاً فينفقه في سبيلك وعلى عبادك فزويت ذلك عنه نظراً منك له واختياراً، اللهم إني أعوذ بك أن يكون هذا مكراً منك بعمر، ثم قال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنين: ٥٥][2]. والمقصود: أن سَعَةَ الدنيا وبسطَها تعجيلٌ من أجلِ الآخرة، وتضييقٌ من سَعَتِها.

قال عبدالرزاق: أنبأنا معمر عن الزهري عن ابن أبي صُعير[3] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما كان يومُ أحدٍ أشرف النبيُّ ﷺ على الشهداء الذين قتلوا يومئذ فقال: «إني شهيدٌ على هؤلاءِ فَزَمِّلوهم بدمائِهم»[4]. قال

---

(١) **ضعيف** ـ أخرجه أحمد (١/ ١٦)، وأبو يعلى في «المسند الكبير» (١٩٧١ ـ المقصد العلي) من طريق الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو الأعور أنه سمع محمد بن عبد الرحمن يحدث عن أبي سنان الدؤلي وذكره. قلت: إسناده ضعيف؛ فيه ابن لهيعة ومحمد بن عبد الرحمن بن لبيبة فيهما ضعف.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٣٢٥) من طريق ابن الأعرابي به.

(٣) في «الأصول»: «صغيرة» وهو خطأ، والتصويب من مصادر التخريج وكتب الرجال، وهو عبد الله بن أبي ثعلبة بن أبي صُعَير من صغار الصحابة.

(٤) **صحيح** ـ أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٥٤٠/ ١٦٣٣ و٥/ ٢٧٢/ ٩٥٨٠) ومن طريقه أحمد (٥/ ٤٣١)، والبيهقي (٤/ ١١). وأصله أخرجه البخاري (١٣٤٣)، من طريق الليث قال حدثني ابن شهاب عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن جابر بن عبد الله.

معمر: وأخبره من[1] سمع الحسن يقول: قال النبي ﷺ: «هؤلاء قد مضوا وقد شهدت عليهم لم يأكلوا من أجورهم شيئا، وإنكم قد أكلتم من أجوركم وإني لا أدري ما تحدثون بعدي»[2].

وقال ابن المبارك: أخبرنا جرير بن حازم قال: سمعت الحسن يقول: خرج رسول الله ﷺ بأصحابه إلى بقيع [الغرقد][3] فقال: «السلامُ عليكم يا أهلَ القبورِ لو تعلمون ما نجّاكم الله منه مما هو كائنٌ بعدكم». ثم أقبل على أصحابه فقال: «هؤلاء خَيْرٌ منكم» فقالوا: يا رسول الله إخواننا، أسلمنا كما أسلموا، وهاجرنا كما هاجروا، وجاهدنا كما جاهدوا، وأتوا على آجالهم فمضوا فيها وبقينا في آجالنا فما يجعلهم خيراً منا؟ فقال: «إن هؤلاء خَرجوا من الدنيا ولم يأكلوا من أجورهم شيئاً، وخرجوا وأنا شهيدٌ عليهم، وانتم قد أَكلتُم من أجورِكم ولا أدري ما تحدثون بعدي» قال: فلما سمعها القوم والله عَقِلوها وانتفعوا بها فقالوا: وإنا لمحاسبون بما أصبنا من الدنيا بعدهم، وإنه لمنتقص به من أجورِنا، فأكلوا طَيِّباً، وأنفقوا قَصْداً، وقدّمو فَضْلاً[4].

وقال عبد الله بن أحمد: قرأت على أبي هذا الحديث: حدثنا أسود بن عامر حدثنا إسرائيل عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر قال: «ما أعطي رجل من الدنيا إلا نقص من درجته»[5].

قالوا: وقد صَرّح ساداتُ الأغنياءِ بأنهم ابتلوا بالضَّراءِ فَصبروا، وابتلوا بالسَّراءِ فلم يصبِروا، قال ذلك عبدُ الرحمن وغيره، وكان هذا مصداقاً لما رواه مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لأنا من فتنةِ السَّراء أَخوفُ

---

(١) في «الأصول»: فيمن، وما أثبته في «المصنف».

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه عبد الرزاق (٣/ ٥٤١/ ٦٦٣٤، ٥/ ٢٧٣/ ٩٥٨١)، وإسناده ضعيف؛ لانقطاعه وإرساله.

(٣) زيادة من «م».

(٤) **ضعيف** ـ أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٩٨). قلت: وهو مرسل؛ لأن الحسن تابعي ومراسيله كالريح.

(٥) مضى تخريجه (ص ٣٣٥).

عليكم من فتنةِ الضّراءِ، إنكم ابتليتم بالضراء فصبرتم، وإن الدنيا حلوةٌ خَضِرة»[1].

قالوا: وهاهنا قضيتان صادقتان بهما يتبين الفضلُ: **إحداهما**: أن الأكثيرين هم الأقلون، وقد تقدم الدليل عليها بما فيه الكفاية. **وأما الثانية**: ففي «الصحيحين» من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: خرجت ليلةً من الليالي فإذا رسولُ الله ﷺ يمشي وحدَه ليس معه إنسانٌ قال: فظننت أنه يَكره أن يمشي معه أحدٌ فجعلت أمشي في ظلِّ القمرِ فالتفت فرآني فقال: «من هذا؟» قلت: أبو ذر جعلني الله فداك. قال: يا أبا ذر! تعال فمشيت معه ساعة فقال: «إن المكثرين هم المُقِلّون يومَ القيامةِ إلا من أعطاه اللهُ خَيراً فَنَفَخَ فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعَمِل فيه خيراً» وذكر الحديث[2].

قالوا: ولو كان الغنى أَفْضَلَ من الفقرِ لما حضَّ اللهُ رسَوله على الزُّهدِ فى الدنيا والإعراض عنها، وَذَمَّ الحرصَ عليها والرغبةَ فيها، بل كان ينبغي أن يَحُضّ عليها وعلى اكتسابها والإكثارِ منها، كما حَضَّ على اكتساب الفضائِلِ التي بها كمالُ العبدِ من العلِم والعمل فلما حَضَّ على الزُّهدِ فيها والتَّقلُّلِ دَلّ على أن الزاهدين فيها المتقلِّلين منها أفضلُ الطائفتين.

وقد أخبر: أنها لو ساوت عند الله جناحَ بعوضةٍ ما سقى كافراً منها شربَة ماءٍ[3]. وأنها أهونُ على الله من السَّخَلةِ الميتة على أهِلها[4]. وأن مثلَها في الآخرةِ كمثلِ ما يَعَلقُ بأُصبع من أدخل أُصبعَه في البحرِ[5]. وأنها ملعونةٌ ملعون

---

(١) **ضعيف** ـ أخرجه البزار في «البحر الزخار» (١١٦٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٩٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٣٠٨) من طريق جرير بن عبد الحميد عن المغيرة عن رجل من بني عامر عن مصعب بن سعد به. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦): «وفيه رجل لم يسم، ورجاله رجال الصحيح». قلت: إسناده ضعيف؛ لأن فيه مبهماً.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٤٣)، ومسلم (٩٤) (٣٣).

(٣) مضى تخريجه (ص٢٧٧).

(٤) مضى تخريجه (ص٢٧٧).

(٥) مضى تخريجه (ص٢٧٧).

ما فيها إلا ذكر الله وما والاه وعالم ومتعلم[1]. وأنها سجنُ المؤمنين وجنة الكافرين[2].

وأمر العبد أن يكون فيها كأنّه غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ، وَيَعُدَّ نَفْسه من أهلِ القُبورِ، وإذا أصبَحَ فلا ينتظرُ المساءَ وإذا أمسى لا ينتظرالصّباح[3].

ونهى عن اتخاذِ ما يُرغّبُ فيها، ولعنَ عَبْدَ الدينارِ وَعْبدَ الدِّرهم، ودعا عليه بالتَّعسِ والانتكاسِ وعدمِ إقالةِ العثرةِ بالانتقاشِ[4].

وأخبر: أنها خَضِرةٌ حلوةٌ؛ أي: تأخذ العيونَ بخُضرتها والقلوبَ بحلاوتها، وأمر باتّقائها والحذرِ منها، كما يتقي النِّساء ويحذر منهن[5].

وأخبر: أن الحِرصَ عليها وعلى الرياسةِ والشَّرَفِ يفسدُ الدين كإفساد الذئبين الضاريين إذا أرسلا في زريبةِ غَنَمٍ أو أشدَّ إفساداً[6].

وأخبر: أنّه في الدنيا كراكبٍ استظلَ تحتَ شجرةٍ في يومٍ صائفٍ ثم راح وتركها[7].

وهذه في الحقيقة حالُ سكّانِ الدنيا كلِّهم، ولكن هو ﷺ شَهد هذه الحالَ وَعَمِي عنها بنو الدنيا، ومر بهم وهم يعالجون خُصّاً لهم قد وَهى فقال: «ما أرى الأمرَ إلا أعجلَ من ذلك»[8].

وأمر بِسَتْرٍ على بابهِ؛ فَنُزِع، وقال: «إنّه يُذَكّرني الدنيا»[9].

---

(١) مضى تخريجه (ص٢٧٨).
(٢) سيأتي تخريجه (ص٣٨٤).
(٣) أخرجه البخاري (٦٤١٦).
(٤) سيأتي تخريجه (ص٣٤٩).
(٥) أخرجه مسلم (٢٧٤٢).
(٦) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٧٦)، وأحمد (٣/ ٤٥٦) بإسناد صحيح.
(٧) مضى تخريجه (ص٢٧٧).
(٨) **صحيح** ـ أخرجه أبو داود (٥٢٣٥ و٥٢٣٦)، والترمذي (٢٢٣٥)، وابن ماجه (٤١٦٠)، وأحمد (٢/ ١٦١)، وابن حبان (٢٩٩٧)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٣٠) من طريق الأعمش عن أبي السفر عن عبد الله بن عمرو به. قلت: إسناده صحيح.
(٩) أخرجه مسلم (٢١٠٧) (٨٨)، واللفظ للترمذي (٢٤٦٨).

وأَعْلَم النَّاسَ أنّه ليس لأحدٍ منهم حَقٌّ في سوى بيتٍ يسكُنُه، وثوبٍ يواري عورَتَه، وقوتٍ يُقِيم صُلْبَه[1].

وأخبر: أن الَمِّيَت يتبعُه أهلُه ومالُه وعملُه؛ فيرجع أهلُه ومالُه، ويبقى عملُه[2].

وأخبر: أن للمُتَخَوِّضِ فيما شاءت نفسُه من مالِ الله بغيرِ حقٍّ النّارَ يومَ القيامةِ[3].

وأقسم أنه لا يخافُ الفَقْرَ على أصحابه، وإنما يخاف عليهم الدّنيا، وتنافسهم فيها، وإلهائها لهم[4].

وأخبر أنه ليس لابن آدمَ من ماله إلا ما أكل فأفنى، أو لَبِس فأبلى، أو تَصدَّق فأمضى[5].

وأخبر أن حَسْب ابن آدم من الدنيا لُقَيْماتٌ يقِمْن صُلْبَه، فإن لم يقتصر عليها فَثُلثُ بطنِه لِطعامِه، وثُلُثُه لِشرابِه، وَثُلُثُه لِنَفَسِه[6]. وفي هذا الحديثِ الإرشادُ إلى صِحَّةِ القَلْبِ والبَدنِ والدّينِ والدّنيا.

وأخبر أنّ غنى العبدِ فيه غنى نفسِه لا كثرةَ عَرضِه[7].

وسأل الله أن يجعلَ رزقَه فيها قوتاً[8].

وغبط من كان رزقُه فيها كفافاً بعد أن هُدي للإسلام[9].

---

(١) مضى تخريجه (ص٣٢٥).
(٢) سيأتي تخريجه (ص٣٧٥).
(٣) أخرجه البخاري (٣١١٨).
(٤) مضى تخريجه (ص٣٤١).
(٥) مضى تخريجه (ص٢٩٧).
(٦) **صحيح** ـ كما بينته في «إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم» (ص٦١١ ـ ٦١٢).
(٧) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١).
(٨) مضى تخريجه (ص٢٥٧).
(٩) مضى تخريجه (ص٣٢٢).

وأخبر: من كانت الدنيا هَمَّه جعلَ الله فَقْرَه بين عينيه، وَشَتت عليه شَمْلَه، ولم يأتِه منها إلا ما كُتِب له[1].

وعَرَض عليه ربُّه أن يجعلَ له بَطحاءَ مَكّة ذهباً، فقال: «لا يا رب ولكن أَشَبعُ يوماً وأجوعُ يوماً، فإذا جُعْتُ تَضَرَّعتُ إليكَ وَذَكَرتُك، وإذا شَبِعتُ حَمِدتُك وشكرتُك»[2].

وأعلمهم أن من أصبح منهم آمناً في سِرْبِهِ، معافى في جسدِه، عنده قوتُ يومِه، فكأنما حيزت له الدنيا[3].

وأخبر أن بَذْلَ العَبْدِ ما فضل عن حاجتِهِ خيرٌ له، وإمساكه شَرّ له، وأنه لا يلامُ على الكَفاف[4].

ونهى أمَّتَه أن يَنظُرَ أحدُهم إلى مَن هو فوقه في الدنيا، وأمره أن ينظر إلى من هو دونه في الدنيا[5].

وأخبر أنه لم يبق من الدنيا إلا بلاءٌ وفتنةٌ وَضرٌ، مثلها مثل ما يخرج من ابنِ آدم عند خلائِه، وإن كان أوَّلُهُ طيباً لذيذاً فهذا آخرُه[6].

وأخبر: أن عبادَ الله ليسوا بالمتنعمين فيها؛ فإن أمامَهم دارُ النعيم فهم لا يرضون بنعيمهم في الدنيا عوضاً من ذلك النعيم.

وأخبر أن نجاة أولِ هذه الأمة بالزّهدِ واليَقينِ، وهلكةَ آخرها بالبُخلِ وطولِ الأَمَلِ[7].

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه ابن ماجه (٤١٠٥)، وأحمد (٥/ ١٨٣) وغيرهم بإسناد صحيح، وله شواهد انظرها في تخريج أحاديث «الوصية الصغرى» (ص٥٨ ـ ٥٩).

(٢) مضى تخريجه (ص١٨٤).

(٣) **حسن لغيره** ـ كما بينته في «بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين» (١/ ٥٧٠/ ٥١١).

(٤) مضى تخريجه (ص٣٢٦).

(٥) مضى تخريجه (ص٢١٢).

(٦) مضى تخريجه (ص٢٧٩).

(٧) **حسن** ـ أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٣٣٢/ ٧٦٥٠)، وابن أبي الدنيا في «اليقين» (٣)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٦٤) من طرق عن عمرو بن شعيب عن=

وكان يقولُ: «لبيك لا عيشَ إلا عيش الآخرةِ»[1].

وأخبر أنه تعالى إذا أَحَبَّ عَبْداً حماه الدنيا كما يحمي الإنسانُ مريضَه من الطعامِ والشّرابِ[2].

ودخل على عثمان بن مظعون وهو في الموتِ؛ فأكبَّ عليه يُقَبِّلُه ويقول: «رحمك الله يا عثمان ما أصبت الدنيا ولا أصابت منك»؛ فغبطه بذلك[3].

وكان يقول: «الزهد في الدنيا يريح القلب والبدن، والرغبة في الدنيا تطيل الهموم والحزن»[4].

= أبيه عن جده. قلت: إسناده حسن، وحسنه شيخنا في «صحيح الجامع الصغير» (٦٧٤٦). وله شاهد من حديث معاوية بن حيدة عند الديلمي في «مسند الفردوس» (٦٨٥٣).

(١) **صحيح** ـ أخرجه ابن خزيمة (٤/ ٢٦٠/ ٢٨٣١) والحاكم (١/ ٤٦٥)، والبيهقي (٥/ ٤٥)، والطبراني في «الأوسط» (٥٤١٩) من طريق محبوب بن الحسن ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس. قلت: إسناده حسن؛ حسنه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٢٢٣)، وشيخنا في «الصحيحة» (٥/ ١٨٠ ـ ١٨١).

وأخرجه البيهقي مرسلاً عن مجاهد (٥/ ٤٥ و٧/ ٤٨) وقال في الموضع الثاني: «هذا مرسل، وقد روي موصولاً مختصراً عن عكرمة عن ابن عباس». وأخرجه ابن أبي شيبة (٤/ ١٠٧) مرسلاً عن عبد الله بن الحارث الزبيدي. قلت: إسناده صحيح مرسل.

وبالجملة: فالحديث صحيح بمجموع ذلك والله أعلى وأعلم.

(٢) مضى تخريجه (ص٣٢٠).

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٧)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٠٥). قلت: إسناده ضعيف معضل.

(٤) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١٣١) عن طاووس مرسلاً. قلت: إسناده مرسل ضعيف فيه محمد بن مسلم الطائفي ضعيف. وأخرجه (٢٨٩) عن الفضيل بن عياض معضلاً.

قلت: ومع كونه معضلاً؛ فالإسناد ضعيف؛ لأن إبراهيم بن الأشعث سيِّىء الحفظ.

وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦١٢٠)، وابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ: «الزهادة في الدنيا تريح القلب والبدن».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨٦): «وفيه أشعث بن نزار[أ] ولم أعرفه، وبقية =

(أ) هكذا في «المجمع» وهو تصحيف صوابه براز.

وكان يقول: «من جعل الهمومَ كُلَّها هَمّاً واحداً كفاه الله سائِرَ همومه، ومن تشعبت به الهمومُ في أحوالِ الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك»[1].

وأخبر أنه: «يؤتى يوم القيامة بأنعم الناس فيقول: يا ابن آدم هل أصبت نعيماً قَطّ، هل رأيت قُرّةَ عينٍ قطّ، هل أصبت سروراً قط، فيقول: لا وَعِزَّتِك، ثم يقول: رُدّوه إلى النّار، ثم يؤتى بأشد الناس بلاءً في الدنيا وأجهدهم جَهْداً، فيقول تبارك وتعالى: اصبغوه في الجنّةِ صبغةً فيصبغ فيها، ثم يؤتى به فيقول: يا ابن آدم هل رأيت ما تكره قَطّ؟ فيقول: لا، وعزَّتِك ما رأيتُ شيئاً قط أكرهه»[2].

وفي حديث مناجاة موسى الذي رواه الإمام أحمد في كتابِ «الزهد»: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن معقل حدثنا عبدالصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه فذكره وفيه: ولا تُعجِبُكما زَينَتُه ولا ما مُتِّع به ولا تمدان إلى ذلك أعينكما، فإنها زهرةُ الحياةِ الدنيا وزينةُ المترفين، وإنّي لو شِئْتُ أن أزينكما من الدنيا بزينةٍ يعلمُ فرعون حين ينظر إليها أن مقدرتَه تعجزُ عن مثل ما أوتيتما فعلت، ولكني أرغب بكما عن نعيمِها ذلك وأزوِّيه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي، وقديمًا ما خرت لهم في ذلك فإني لأذودهم عن نعيمِها ورخائها كما

= رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم». قال شيخنا في «الضعيفة» (١٢٩١): «إسناده ضعيف جداً: علي بن زيد هو ابن جدعان ضعيف، وأشعث بن براز ضعيف جداً، قال البخاري: «منكر الحديث»، وقال النسائي: «متروك الحديث» وضعفه متفق عليه».
وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (٢٧٨) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. قال شيخنا في «الضعيفة» (١٢٩١): «إسناده ضعيف جداً، لضعف أحمد بن الفرج وعنعنة بقية فإنه مدلس، وبكر بن خنيس أورده الذهبي في «الضعفاء»، وقال الدارقطني: متروك». وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٩٣) موقوفاً على عمر. قلت: بإسناد منقطع، وبقية مدلس وقد عنعنه.
وبالجملة: فالحديث ضعيف.

(١) **حسن** ـ أخرجه ابن ماجه (٢٥٧، ٤١٠٦) عن ابن مسعود، وحسنه شيخنا في «صحيح الجامع الصغير» (٦١٨٩).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٧) عن أنس رضي الله عنه.

يذودُ الراعي الشفيقُ غَنَمَه عن مراعي الهَلَكَةِ، وإني لأجنبهم سَلوتها وعيشَها كما يُجَنِّب الراعي الشفيقُ إبله عن مباركِ الغرة، وما ذلك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبَهم من كرامتي سالماً موفراً لم تكلمه الدنيا ولم يطغه الهوى، واعلم أنّه لم يَتَزَيّن لي العبادُ بزينَةٍ هي أبلغ من الزهدِ في الدنيا؛ فإنها زينةُ المتقين عليهم، منها لباسٌ يعرفون بِه من السكينةِ والخشوعِ، سيماهم في وجوههم من أثرِ السجودِ أولئك أوليائي حقّاً، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحَك، وذلِّل لهم قلبَك ولسانَك» وذكر الحديث[1].

وقال أحمد: حدثنا عوف بن جابر قال: سمعت محمد بن داود عن أبيه عن وهب قال: «قال الحواريون: يا عيسى، من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون؟ قال: «الذين نظروا إلى باطنِ الدنيا حين نَظَر الناسُ إلى ظاهِرها، [والذين نظروا إلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها][2] فأماتوا منها ما يخشون أن يميتهم، وتركوا ما علموا أن سيتركَهم، فصار استكثارُهم مِنها استقلالاً، وذكرَهم إياها فَواتاً، وفرحَهم بما أصابوا منها حُزناً، فما عارضهم من نائِلها رَفَضوه، وما عارضهم من رفعتِها بغير الحق وَضَعوه، خَلِقت الدنيا عندهم فليسوا يجددونها، وَخَربت بينهم فليسوا يُعَمِّرونها، وماتت في صدورهم فليسوا يحيونها، يهدمونها فيبنون بها آخرتهم، ويبيعونها فيشترون بها ما يبقى لهم، رفضوها فكانوا بها هم الفرحين، ونظروا إلى أهلها صرعى قد حلت بهم المُثُلات فأحيوا ذكر الموت وأماتوا ذكر الحياة، يحبون الله ويحبون ذكره، ويستضيئون بنورِه ويضيئون به، لهم خَبرٌ عجيبٌ، وعندهم الَخَبَرُ العجيبُ، بهم قام الكتابُ وبه قاموا، وبهم نطق الكتابُ وبه نطقوا، وبهم عُلِم الكتابُ وبه عَملوا، ليس يرون نائلاً ما نالوا، ولا أماناً دون ما يرجعون، ولا خوفاً دون ما يحذرون»[3].

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٧٩ ـ ٨٤).
(٢) زيادة من «ظ».
(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٧٨).

وحدثنا روح حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال: قيل لعيسى بن مريم: يا رسول الله، لو اتخذت حماراً تركبه لحاجتِك، قال: «أنا أكرم على الله من أن يجعل لي شيئاً يشغلني به»[1].

وقال: «اجعلوا كنوزكم في السماءِ، فإن قلبَ المرءِ عند كنزِه»[2].

وقال: «اتقوا فضولَ الدنيا، فإن فضولَ الدنيا عند الله رجزٌ»[3].

وقال: «يا بني إسرائيل اجعلوا بيوتَكم كمنازِل الأضيافِ، فما لكم في العالم من منزل إن أنتم إلا عابري سبيل».

وقال: «يا معشر الحواريين أيكم يستطيع أن يبني على موجِ البحر داراً؟ قالوا: يا روح الله من يقدرُ على ذلك؟ قال: إياكم والدنيا فلا تتخذوها قراراً[4].

وقال: أكْلُ خبزِ البُرِّ، وشربِ ماءِ عذبٍ، ونومٍ على المزابِل مع الكلابِ كثير لمن يريد أن يرثَ الفِردوسَ»[5].

قال أحمد: وحدثنا بهز عن الأعمش عن خيثمة قال: قال المسيح: «بشدة ما يدخلُ الغنيُّ الجنَّةَ».

قال المسيح ﷺ: «حلاوةُ الدنيا مرارةُ الآخرة، ومرارةُ الدنيا حلاوةُ الآخرة»[6].

وقال: «يا بني إسرائيل تهاونوا بالدنيا تهن عليكم، وأهينوا الدنيا تكرم عليكم الآخرة، ولا تكرموا الدنيا تهن عليكم الآخرة، فإن الدنيا ليست بأهل الكرامة، وكل يوم تدعو إلى الفتنة والخسارة.

وقال إسحاق بن هانيء في «مسائله» قال أبو عبد الله ـ وأنا أخرج من

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٧٣).
(٢) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٧٤).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٢١٥)، وابن المبارك في «الزهد» (٨٤٨).
(٤) مضى تخريجه (ص٢٧٩).
(٥) مضى تخريجه (ص٢٧٩).
(٦) مضى تخريجه (ص٢٧٩).

داره ـ: قال الحسن: «أهينوا الدنيا فوالله لأهنأ ما تكون حين تُهان»[1].

وقال الحسن: «والله ما أبالي شَرّقت أم غرّبت»[2].

قال: وقال لي أبو عبد الله: «يا أبا اسحق ما أهون الدنيا على اللهِ عز وجل»[3].

وقال: «الدنيا قليلُها يجزي وكثيرُها لا يجزي».

قالوا: وقد تواتر عن السلف: أن حُبَّ الدنيا رأسُ الخطايا وأصلُها.

وقد روي فيه حديثُ مرفوعُ لا يثبت[4]، ولكنه يروى عن المسيح.

قال عبد الله بن أحمد: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريري حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن بديل بن ميسرة قال حدثني جعفر ابن خرفاش[5]: أن عيسى بن مريم عليه السلام قال: «رأس الخطيئة حبُّ الدنيا، والنّساءُ حبالةُ الشيطانِ، والخمرُ جماعُ كلِّ شرٍّ»[6].

وقال الإمام أحمد: حدثنا عمر بن سعد أبو داود الحفري عن سفيان قال: كان عيسى بن مريم يقول: «حُبُّ الدنيا أَصْلُ كلِّ خطيئةٍ، والمالُ فيه داءٌ كثير»، قالوا: وما داؤه؟ قال: «لا يسَلَمُ [صاحبه][7] من الفَخْرِ والخُيَلاء»، قالوا: فإن سَلِمَ؟ قال: «يشغله إصلاحُه عن ذكرِالله عزَّ وجل[8]».

قالو: وذلك معلومٌ بالتَّجرُبَةِ والمشاهَدِة؛ فإن حُبَّها يدعو إلى خطيئةٍ ظاهرةٍ وباطنةٍ، ولا سيما خطيئة يتوقف تحصيلها عليها، فيُسْكِر عاشقها حبُّها عن عمله

---

(١) «مسائل ابن هانىء» (٢/ ١٨١).
(٢) المصدر نفسه.
(٣) «مسائل ابن هانىء» (٢/ ١٨٠).
(٤) موضوع؛ كما في «الضعيفة» (١٢٢٦).
(٥) هكذا في «الأصل»، وفي «الزهد»: «جرفاس»، وهو الصواب ترجمته في «الجرح والتعديل» (٢/ ٤٧٥)، و«التاريخ الكبير» (٢/ ١٨٨).
(٦) أخرجه عبد الله في «زوائد الزهد» (ص١١٧).
(٧) زيادة من «الزهد».
(٨) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١١٧).

بتلك الخطيئة وقبحِها وعن كراهتها واجتنابها، وحبُّها يوقع في الشُّبهات ثم في المكروهاتِ ثم في المُحرماتِ وطالما أوقع في الكفر، بل جميع الأمـم المكذبةِ لأنبيائهم إنما حملهم على كفرِهم وهلاكِهم حبُّ الدنيا، فإن الرسلَ لما نهوهم عن الشِّركِ والمعاصي التي كانوا يكسبون بها الدنيا حملَهم حبُّها على مخالفتهم وتكذيبِهم فكلُّ خطيئةٍ في العالم أصلها حبُّ الدنيا، ولا تنس خطيئةَ الأبوين قديماً، فإنما كان سببُها حبَّ الخلودِ في الدنيا، ولا تنس ذنبَ إبليسَ وسببه حبُّ الرياسةِ التي محبتها شرٌّ من محبَّةِ الدنيا، وبسببِها كَفَر فرعونُ وهامانُ وجنودُهما وأبو جهل وقومُه واليهودُ، فحبُّ الدنيا والرياسة هو الذي عَمَرَ النار بأهلها، والزهدُ في الدنيا والرياسةِ هو الذي عَمَر الجنة بأهلها، والسُّكْرُ بحبِّ الدنيا أعظمُ من السُّكر بِشرْبِ الخمرِ بكثيرٍ، وصاحبُ هذا السُّكرِ لا يفيقُ منه إلا في ظُلْمَة اللّحدِ، ولو انكشف عنه غطاؤُه في الدنيا لعلم ما كان فيه من السُّكرِ وأنه أشدُّ من سُكرِ الخَمرِ، والدنيا تَسحَرُ العقولَ أعظمَ سِحْرٍ.

قال الإمام أحمد: حدثنا سيار حدثنا جعفر قال: سمعت مالك بن دينار يقول: «اتقو السَّحّارَةَ؛ فإنها تسحَرُ قلوبَ العلماءِ[1]».

وقال يحيى بن معاذ الرازي: «الدنيا خمرُ الشيطانِ. من سَكِرَ منها فلا يفيقُ إلا في عَسْكَرِ الموتى نادماً بين الخاسرين».

وأقل ما في حُبِّها أنه يلهي عن حُبِّ الله وذكره، ومن ألهاهُ مالُهُ عن ذكرِ الله فهو من الخاسرين. وإذا ألهاه القلبُ عن ذكرِ الله سَكَنه الشيطانُ وصرفَه حيث أراد، ومن فِقهه في الشرِّ أنه يرُضيه ببعضِ أعمالِ الخير ليريه أنه يفعل فيها الخيرَ وقد تعبّد لها قلبُه فأين يقع ما يفعله من البرِّ مع تعبُّده لها وقد لعنه رسولُ الله ﷺ ودعا عليه فقال: «لعن عبد الدينار والدرهم»[2].

وقال: «تَعِس عبدُ الدينار، تعس عبد الدرهم، إن أعطي رضي، وإن منع

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٣٨٧).

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال: حسن غريب. قلت: إسناده ضعيف.

سخط»[1]. وهذا تفسيرٌ منه ﷺ، وبيانٌ لعبوديتها.

وقد عرضت الدنيا على النَّبِيِّ ﷺ بحذافيرِها، وتعرضت له فَدَفع في صدرِها باليدين، وردّها على عقبيها.

ثم عُرِضت بعده على أصحابِه وتعرضت لهم، فمنهم من سلك سبيلَه ودفعها عنه وهم القليل، ومنهم من استعرضها وقال: ما فيك، قالت: فِيَّ الحلالُ والشبهةُ والمكروه والحرامُ، فقالو: هاتي حلالَك ولا حاجة لنا فيما عداه فأخذوا حلالها.

ثم تعرضت لمن بعدهم فطلبوا حلالها فلم يجدوه، فطلبوا مكروهها وشبَهَهَا، فقالت: قد أخذه من قبلكم، فقالوا: هاتي حرامَك فأخذوه. فطلبه من بعدهم، فقالت: هو في أَيدي الظَّلمَةِ، قد استأثروا به عليكم؛ فتحيلوا على تحصيلِهِ منهم بالرغبة والرهبة، فلا يَمدُّ فاجِرٌ يَدَه إلى شيء من الحرام إلا وجد أفجر منه وأقوى قد سَبَقه إليه، هذا وكلُّهم ضيوفٌ وما بأيديهم عاريةٌ؛ كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أصبح أحد في الدنيا إلا ضيفٌ ومالهُ عاريةٌ، فالضيفُ مرتَحِلٌ، والعاريةُ مؤداةٌ»[2].

قالوا: وإنما كان حبُّ الدنيا رأس الخطايا، وَمُفسِداً للدين من وجوه:

أحدها: أَن حُبَّها يقتضي تعظيمَها وهي حقيرةٌ عند الله، ومن أكبَرِ الذّنوبِ تعظيمُ ما حَقَّرَ اللهُ.

وثانيها: أن اللهَ لَعَنَها وَمَقَتَها وَأَبْغَضَها إلا ما كان له فيها، ومن أَحَبَّ ما لَعَنَهُ اللهُ وَمَقَتَه وأبْغضَهُ فقد تَعَرَّض لِلفِتْنَةِ وَمَقْتِهِ وَغَضَبه.

وثالثهما: أنه إذا أَحبَّها صَيَّرها غايتَه وتوسَّلَ إليها بالأعمالِ التي جعلَها اللهُ وسائِلَ إليه وإلى الدارِ الآخرة، فَعَكَس الأمرَ، وَقَلَبَ الحِكْمَةَ فانتكسَ قلبهُ، وانعكس سَيْرُه إلى وراءٍ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٦ و٦٤٣٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٣٧٦/ ١٠٦٤٤).

فهاهنا أمران:

أحدهما: جَعْلُ الوسيلَةِ غايةً.

والثاني: التوسّلُ بأعمالِ الآخرةِ إلى الدنيا.

وهذا شَرٌّ معكوسٌ من كل وجهٍ، وقلبٌ منكوسٌ غَايةَ الانتِكَاسِ، وهذا هو الذي انطبق عليه حذو القَذَّةِ بالقذَّة قولهُ تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥-١٦]، وقوله تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨]، وقوله تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾ [الشورى: ٢٠].

فهذه ثلاثُ آياتٍ يُشْبِهُ بعضُها بعضاً، وَتَدُلُّ على معنى واحد وهو أن من أراد بعمله الدنيا وزينتها دون الله والدار الآخرة فحصّتُه ما أراد وهو نصيبُه ليس له نصيبٌ غيره، والأحاديث عن رسول الله ﷺ مطابقةٌ لذلك مُفسِّرةٌ له؛ كحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الثلاثة الذين هم أوّل مَن تُسَعَّرُ بهم النارُ: الغازي، والمتصدِّقُ، والقارىء الذين أرادوا بذلك الدنيا والنَّصِيب. وهو في «صحيح مسلم»[1].

وفي «سنن النسائي» عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رسول الله رَجُلٌ غزا يلتمسُ الأجْرَ والذِّكْرَ ما له؟ فقال رسول الله ﷺ: «لا شيءَ له»؛ فأعادها ثلاث مرات، يقول له رسول الله ﷺ: «لا شيء له»، ثم قال: «إن الله تعالى لا يقبلُ إلاّ ما كان خالِصاً وابتُغِيَ به وجهُه»[2]؛ فهذا قد بطل أجرُه وحبطَ عملُه مع أنه قصد حصول الأجر لما ضمَّ إليه قصد الذكْر بين الناس، فلم يخلص عملُه لِلهِ فبطل كله.

---

(١) مضى تخريجه (ص٨٣).

(٢) **حسن** ـ أخرجه النسائي (٦/ ٢٥)، وحسنه الحافظ العراقي في «المغني» (٤/ ٣٢٨)، والحافظ في «فتح الباري» (٦/ ٣٥)، وشيخنا في «الصحيحة» (٥٢).

وفي «مسند» الإمام أحمد عن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله الرجل يُريدُ الجهادَ في سبيل الله وهو يبتغي عَرضَ الدنيا، فقال له رسول الله ﷺ: «لا أجرَ له» فأعظم الناس ذلك، وقالوا للرجل: عُد لرسول الله ﷺ لعله لم يَفْهم، فعاد فقال: يا رسولَ الله الرجل يريد الجهادَ في سبيل الله وهو يبتغي عَرَض الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «لا أجر له» ثم أعاد الثالثة فقال رسولُ الله ﷺ: «لا أجر له»[1].

وفي« المسند» أيضاً و«سنن النسائي» عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «من غزا في سبيلِ الله عز وجل وهو لا ينوي في غزاتِه إلا عِقالاً فله ما نوى»[2].

وفي«المسند» و«السنن» عن يعلى بن مُنْيَة[3] قال: كان رسول الله ﷺ يبعثُني في سريّةٍ وكان رجلاً يركبُ بغلاً فقلت له: ارحل، فإن النَّبِيَّ ﷺ قد

---

(١) **حسن لغيره** ـ أخرجه أبو داود (٢٥١٦)، وأحمد (٢/ ٢٩٠ و٣٦٦)، ومن طريقه المزي في «تهذيب الكمال» (٣/ ٤٨١)، وابن حبان (٤٦٣٧)، والحاكم (٢/ ٨٥)، والبيهقي (٩/ ١٦٩) من طريق ابن أبي ذئب عن القاسم بن عباس عن بكير بن عبد الله بن الأشج عن يزيد بن مكرز رجل من أهل الشام من بني عامر بن لؤي بن غالب عن أبي هريرة وذكره. قلت: إسناده ضعيف؛ رجاله ثقات غير يزيد بن مكرز وهو مجهول، ولكن يشهد له حديث أبي أمامة المتقدم فالحديث حسن به، والله أعلم.

(٢) **حسن لغيره** ـ أخرجه النسائي (٦/ ٢٤)، وأحمد (٥/ ٣١٥ و٣٢٠)، وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ٣٢٩)، والدارمي (٢/ ٢٠٨)، وابن حبان (٤٦٣٨)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (٢٦٠)، والحاكم (٢/ ١٠٩)، وعنه البيهقي (٦/ ٣٣١) وغيرهم من طريق حماد بن سلمة عن جبلة بن عطية عن يحيى بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن جده وذكره.

قلت: إسناده ضعيف رجاله ثقات غير يحيى بن الوليد فيه جهالة كما صرّح ابن القطان، وقال الذهبي في «ديوان الضعفاء»: «لا يعرف» وهذا أولى من قوله في «الميزان»: «صدوق إن شاء الله». وكذلك فإن تصحيح الحاكم للحديث وموافقة الذهبي له فيهما نظر، نعم الحديث صحيح المعنى أما إسناده فلا يصح، ولكن يشهد له ما قبله، وبالله التوفيق.

(٣) في «الأصول» منبه، والتصحيح من «الإصابة» ومصادر التخريج، ويقال له يعلى بن أمية.

بعثني في سَريةٍ، فقال: ما أنا بخارجٍ معك حتى تجعل لي ثلاثةَ دنانيرٍ ففعلت، فلما رجعت من غزاتي ذكرت ذلك لرسولِ الله ﷺ، فقال النَّبيُّ ﷺ: «ليس له من غزاتِه هذه ومن دنياه وآخرته إلا ثلاثة دنانير»[1].

وفي «سنن أبي داود» أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: يا رسول الله أخبرني عن الجهاد والغزو، فقال: «يا عبد الله بن عَمرو إن قاتلت صابراً محتسباً بعثك الله صابراً محتسباً، وإن قاتلت مرائياً مكاثراً بعثك الله مرائياً مكاثراً، يا عبد الله بن عمرو على أي حال قاتلت أو قُتِلت بعثك الله على تلك الحال»[2].

وفي« المسند» و«السنن» عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها سَتُفْتَحُ عليكم الأمصارُ، وتضربون فيها بُعوثاً، فيكره الرَجُلُ منكم البعثَ، فيخلص من قومِه، ويَعْرِضُ نَفْسَه على القبائل يقول: من أكفيه بَعْثَ كذا وكذا، ألا وذلك الأجير إلى آخر قطرةٍ من دَمِه»[3].

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٤/ ٢٢٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٦٥/ ١٤٦ و٢٢/ ٢١٣/ ٦٦٧)، والحاكم (٢/ ١٠٩)، وعنه البيهقي (٩/ ٢٩) من طريق بشير بن طلحة عن خالد ابن دريك عن يعلى بن منية وذكره.
قلت: إسناده جيد رجاله ثقات غير بشير بن طلحة؛ فإنه لا بأس به؛ كما أخرج ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢/ ٣٧٥) عن الإمام أحمد بإسناد صحيح. وقد وهم الذهبي في ترجمته في «الميزان» وتعقبه الحافظ في «اللسان». إن صح سماع خالد بن دريك من يعلى بن منية فقد صرح أنه سمع يعلى عند الطبراني ولكن ابن أبي حاتم قال في «المراسيل» (ص٤٩): سمعت أبي يقول ـ وذكر هذا الحديث ـ قال: ما أدري ما هذا، ما أحسب خالد بن الدريك لقي يعلى بن منية. ولكن للحديث طريق آخر: أخرجه أبو داود (٢٠٢٧)، والحاكم (٢/ ٢١٢)، وعنه البيهقي (٦/ ٣٣١)، عن عبد الله بن الديلمي عن يعلى بن منية. قلت: وهو صحيح.
وبالجملة: فالحديث ثابت، ولله الحمد من قبل ومن بعد.

(٢) **ضعيف** ـ أخرجه أبو داود (٢٥١٩). قلت: إسناد ضعيف؛ فيه العلاء بن عبد الله وشيخه حنان بن خارجة مجهولان لا يعرف ما حالهما.

(٣) **ضعيف** ـ أخرجه أبو داود (٢٥٢٥)، وأحمد (٥/ ٤١٣)، والبيهقي (٩/ ٢٧). قلت: إسناده ضعيف؛ لأن ابن أخي أبي أيوب ضعيف.

فانظر مَحَبّةَ الدنيا ماذا حَرمت هذا المجاهِدَ من المجاهدين من الأجْرِ؛ وأَفسدت عليه عَمَلَه، وَجَعَلَته أَوّلَ الداخِلين إلى النّارِ.

ورابعها: أن محبَّتَها تَعْتَرضُ بين العَبْدِ وبين فِعْلِ ما يَعودُ عليه نَفْعُه في الآخرة لاِشتغالِه عنه بِمَحبوبةِ.

والناسُ ها هنا مراتب:

فمنهم: من يَشْغَلُه محبوبُه عن الإيمانِ وشرائِعه.

ومنهم: من يشغلُه عن الواجباتِ التي تَجِبُ عليه لله؛ ولخلقِه؛ فلا يقومُ بها ظاهراً ولا باطناً.

ومنهم: من يشغلُه حُبُّها عن كثيرٍ من الواجباتِ.

ومنهم: من يَشْغله عن واجبٍ يعارِضُ تحصيلَها وإن قام بغيرِه.

ومنهم: من يشغلُه عن القيامِ بالواجِبِ في الوقْتِ الذي يْنَبغي على الوَجْهِ الذي يَنْبغي، فَيُفرّط في وقتِه وفي حقوقِه.

ومنهم: من يشغلُه عن عبوديةِ قلبِه في الواجِبِ وَتَفْريغهِ لله عند أدائهِ فيؤدِّيه ظاهراً لا باطِناً، وأين هذا من عُشّاق الدُّنيا ومُحِبيها؟ هذا مِن أَنْدَرِهم.

وَأَقَلُّ درجاتِ حُبِّها أن يَشْغَلَ عن سعادةِ العَبْدِ وهو تَفْريغُ القَلْبِ لِحُبِّ الله، ولِسانِه لذكرِه، وَجَمع قَلْبِهِ على لِسانِه، وَجَمْعِ لِسانِه وقَلْبِه على رَبِّه، فَعِشقُها وَمحَبتُها تَضُرُّ بالآخرةِ ولا بُدَّ، كما أن مَحَبَّةَ الآخِرَةِ تَضُرُّ بالدُّنيا، وفي هذا حديثٌ قد رُوِي مرفوعاً: «مَنَ أَحَبَّ دُنياه أَضَرَّ بآخِرَتِه، وَمن أَحبَّ آخِرتَه أَضَرَّ بدنياه؛ فآثروا ما يَبْقى على ما يَفْنى»[1].

---

(١) **ضعيف** ـ أخرجه أحمد (٤/ ٤١٢)، وابن حبان (٧٠٩)، والحاكم (٤/ ٣٠٨ و٣١٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٧٠)، و«شعب الإيمان» (١٠٣٣٧)، و«الزهد الكبير» (ص١٠٢ ـ ١٠٣)، و«الآداب» (١١٣٢)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٠٣٨)، وعبد بن حميد (٥٦٦)، والقضاعي في «الشهاب» (٤١٨) من طريق عن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب بن عبد الله عن أبي موسى مرفوعاً.
قال الحاكم في الموطن الأول: «صحيح على شرط الشيخين» وتعقبه الذهبي قائلاً: «فيه=

وخامسها: أنَ مَحبَّتَها تَجْعَلُها أَكْبَرَ هَمِّ العَبْدِ، وقد رَوى الترمذيُّ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال: رسول الله ﷺ «من كانت الآخرةُ أكبَرَ هَمِّه جَعَل الله غناه في قلبِه وَجَمَع له شَمْلَه، وأتته الدنيا وهي راغِمَةٌ، ومن كانت الدّنيا أَكْبَرَ هَمِّه جعل الله فَقْرَه بين عينيه وَفَرّق عليه شَمْلَه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما قُدِّرَ له»[1].

وسادسها: أنَّ مُحِبَّها أَشَدُّ الناسِ عَذاباً بها، وهو مُعَذَّبٌ في دورهِ الثلاثِ؛ يُعَذَّبُ في الدنيا بتحصيلِها والسَّعيِ فيها ومنازَعةِ أهلِها، وفي دارِ البرزخِ بفواتها والحسرةِ عليها وكونه قد حيل بينه وبين محبوبِه على وَجهٍ لا يرجو اجتماعه به أَبداً، ولم يحصُل له هناك محبوبٌ يُعَوِّضُه عنه، فهذا أَشدُّ الناسِ عَذاباً في قَبْرِه، يعمل الَهمُّ والغَمُّ والحَزَنُ والحَسْرَةُ في روحه ما تَعْمَلُ الديدانُ وهَوَامُ الأرضِ في جِسْمِه؛ كما قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم حدثنا عبد الصمد بن معقل عن وهب بن منبه: «أن حزقيل كان فيمن سبى بُخْتَنَصَر»؛ فذكر عنه حديثاً طويلاً وفي آخره، قال: «فبينا أنا نائِمٌ على شَطِّ الفُراتِ إذ أتاني مَلَكٌ فأخذ بِرَأسي فاحتملني حتى وَضَعني بِقاعٍ من الأرضِ، قد كانت مَعْرَكَةٌ قال: وإذا فيه عَشْرَةُ آلاف قتيلٍ قد بَدَّدت الطَّيْرُ والسِّباعُ لحومَهم وَفرّقَت أوصالَهم. قال لي: إنّ قَوْماً يَزْعُمون أن مَن مات مِنهم أو قُتِل فقد انفلت مِنّي وذهبت عَنه قُدْرَتي فادعُهم. قال حزقيل: فَدَعوتُهم فإذا كُلُّ عَظْمٍ قد أقبل إلى مِفْصَلِه الذي انقطع منه، ما الرَّجُلُ بصاحِبه بأعرفَ من العَظْمِ بِمَفْصَلِه الذي فارقَ حتى أَمَّ بعضُها بعظائِم نَبَت عليها اللّحْمُ ثم نبتت عليها العُروقُ ثم انبسطت الجُلودُ وأنا أنظُرُ إلى ذلك، ثم قال: ادع أرواحَهم قال: فدعوتُها فإذا كلُّ روحٍ قد أقبل إلى جَسَدِه الذي فارق فلما جلسوا سَأَلتهم: فيما كنتم؟ قالوا: إنا لـمّا متنا وفارقنا

= انقطاع». وقال في الموطن الثاني: «صحيح»، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٩): «رواه البزار والطبراني وأحمد رجالهم ثقات». قلت: الحديث منقطع؛ كما قال الذهبي في الموطن الأول، وكذلك المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٧٦/٤) قال: «المطلب لم يسمع من أبي موسى»؛ فالحديث ضعيف.

(١) مضى تخريجه (ص ٣٤٣).

الحياةَ لقينا مَلَكٌ فقال: هَلُمُّوا أعمالَكم وَخُذوا أجورَكم كذلك سُنَّتُنا فيكم وفيمن كان قبلَكم وفيمن هو كائنٌ بعدَكم، قال: فنظر في أعمالِنا فَوَجَدنا نَعبُدُ الأوثانَ فَسَلَّطَ الدودَ على أجسادنا وجعلت الأرواحُ تألمه، وَسَلَّطَ الغَمَّ على أرواحنا وجعل أجسادنا تألمه، فلم نَزَل كذلك نُعَذَّبُ حتى دعوتَنا ولا يستريحُ عاشِقُ الدنيا»[1].

فقولهم: كنا نَعبُدُ الأوثان، فسيان عِبادة الأثمان وعبادة الأوثان؛ تَعِسَ عَبْدُ الدّينارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَم.

والمقصود: أن مُحِبَّ الدنيا يُعَذَّبُ في قبره ويُعَذَّبُ يومَ لقاءِ ربِّه.

قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة: ٥٥].

قال بعض السلف: «يعذبهم بجمعِها، وَتَزْهَقُ أنفسُهم بِحُبِّها، وهم كافرون بِمَنْعِ حَقِّ الله فيها».

وسابعها: أن عاشِقَها ومُحِبَّها الذي يؤثِرُها على الآخرَةِ من أَسْفَهِ الخَلْقِ وَأَقلِّهم عَقْلاً، إذ آثَرَ الخيالَ على الحقيقةِ، والمَنَامَ على اليَقَظَةِ، والظِّلَّ الزّائِلَ علي النّعيم الدّائِمِ، والدّارَ الفانِيَةَ علي الدارِ الباقِيَةِ، وباع حياةَ الأَبَدِ في أرغدِ عيشٍ بحياةٍ إنَّما هي أَحلامُ نَوْم أو كَظِلٍّ زائِلٍ، إن اللَّبيبَ بِمِثْلِها لا يُخْدَعُ؛ كما نَزَل أعرابِيٌّ بِقَوم فَقَدّموا له طَعَاماً فأكل، ثم قام إلى ظِلِّ خَيْمَةٍ فَنام؛ فاقتلعوا الخَيْمَة فأصابته [الشمس][2]؛ فانتبه وهو يقول:

وإن امرؤ دُنياه أَكْبَرُ هَمِّه ... لَمُسْتَمْسِكٌ مِنها بِحَبْلِ غَرورِ

وكان بعضُ السَّلفِ يتمثل بهذا البيت:

يا أَهلَ اللذّاتِ دُنيا لا بَقاءَ لها ... إن اغتراراً بِظِلٍّ زائِلٍ حُمُقُ

قال يونس بن عبد الأعلى: «ما شَبَّهْتُ الدّنيا إلا كَرَجُلٍ نامَ فرأى في منامِه

---

(١) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٠٤).

(٢) زيادة من «ظ».

ما يَكْرَه وما يُحِبُّ؛ فبينما هو كذلك انتبه»[1].

وقال ابن أبي الدنيا: حدثني أبو علي الطائي حدثنا عبد الرحمن المحاربي عن ليث قال: رأى عيسى بن مريم الدّنيا في صورةِ عَجوزٍ عليها من كلِّ زينَةٍ، فقال: كم تَزَوَّجتِ؟ قالت: لا أحصيهم، قال: فَكُلُّهم مات عنك أو كلهم طَلَّقك؟ قالت: بل كُلُّهم قَتَلْتُه. فقال عيسى: «بُؤساً لأزواجك الباقين، كيف لا يَعتبِرون بأزواجِك الماضين تُهْلِكينهم واحداً واحداً ولا يكونون مِنْكِ على حَذَرٍ»[2].

أرى أشقياءَ النّاسِ لا يسأمونها | على أنهم فيها عُراةٌ وَجُوَّعُ
أراها وإن كانت تُحَبُّ فإنها | سَحابةُ صَيفٍ عَن قليل تَقَشَّعُ

أَشْبَهُ الأشياءِ بالدّنيا الظِّلُّ، تَحسبُ له حَقيقَةً ثابتَةً وهو في تَقَلُّصٍ وانقباض إن تتبعه[3] لتدركه فلا تَلْحَقه. وأشْبَهُ الأشياء بها السَّرابُ ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]. وأشبه الأشياءِ بها المَنامُ يرى فيه العَبْدُ ما يُحِبُّ وما يَكْرَه؛ فإذا استيقظَ عَلِم أن ذلك لا حقيقة له.

وأشبَه الأشياءِ بها عَجوزٌ شَوهاءُ قَبيحةُ المنظَرِ والمَخْبَرِ، غَدّارَةٌ بالأزواجِ تَزَيَّنَت للخُطّابِ بِكُلِّ زينَةٍ، وَسَتَرت كُلَّ قبيحٍ فاغتر بها من لم يجاوز بَصَرُه ظاهرَها فَطَلب النِّكاحَ، فقالت: لا مَهْرَ إلا نقد الآخرةِ فإننا ضُرّتان واجتماعُنا غير مأذونٍ فيه ولا مُسْتَباحٍ، فآثر الخُطّابُ العاجِلَةَ وقالوا: ما على من واصل حَبيبته مِن جُناحٍ، فلما كَشَفَ قِناعَها وَحَلَّ إزارَها إذا كُلُّ آفةٍ وَبَلِيَةٍ، فَمِنهم مَن طَلَّق واستراح، ومِنهم من اختار المُقام فما استتمت ليلةُ عُرْسِه إلا بالعَويلِ والصِّياح، تالله لقد أَذَّنَ مؤذنها على رؤوس الخلائق بحيَّ على خَيرِ الفَلاح، فقامَ المجتهدون والمُصَلّون لها فواصلوا في طَلَبِها الغُدُوَّ بالرَّواحِ، وَسَروا ليلَهم فلم

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٢٤٩) عن الحسن بنحوه.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٢٧). قلت: إسناده ضعيف؛ فيه ليث بن أبي سُلَيم وهو ضعيف.

(٣) في «ظ»: «فتتبعه».

يَحمد القَوْمُ السُّرى عند الصَّباحِ، طاروا في صيدِها فما رَجَع أحَدٌ منهم إلا وهو مكسورُ الجناحِ، فوقعوا في شبَكَتِها فأسلمتهم للذَّبّاحِ.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن علي بن شقيق حدثنا إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل بن عياض قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما: «يؤتى بالدّنيا يومَ القيامةِ في صورةِ عَجوزٍ شمطاء زَرقاء أنيابها بادِيةٌ مُشَوَّهٌ خَلقها، فَتُشْرِفُ على الخلائِق، فيقال: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذُ بالله من معرِفَةِ هذه فيقال: هذه الدُّنيا التي تشاجَرتم عليها، بها تقاطعتم الأرحام، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثمّ يُقذَفُ بها في جَهَنَّم فتنادي: يا رب أين أتباعي وأشياعي، فيقول الله عز وجل: ألْحِقوا بها أتباعَها وأشياعها»[1].

قال ابن أبي الدنيا: وحدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا روح بن عبادة حدثنا عوف [عن أوفى][2] عن أبي العلاء قال: «رأيت في النَومِ عَجوزاً كبيرةً عليها من كلِّ زينةِ الدنيا، والنّاسُ عكوفٌ عليها مُتَعَجِّبون ينظرونَ إليها، فجئت فنظرت فتعجبت من نَظَرِهم إليها وإقبالهم عليها، فقلت لها: ويلك من أنت؟ قالت: أما تعرفني؟ قلت: لا، قالت: أنا الدنيا قال قلت: أعوذ بالله من شَرِّك، قالت: فإن أحببت أن تُعاذَ من شَرِّي فابغض الدِّرهم»[3].

قال ابن أبي الدنيا: حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري حدثنا سفيان بن عيينة قال: قال لي أبو بكر بن عياش: رأيتُ الدُّنيا في النَّوم عَجوزاً مُشوَّهَةً شمطاءَ تُصَفِّقُ بيديها، وخَلَفها خَلْقٌ يتبعونها، ويُصَفِّقون، ويَرقُصون، فَلمَّا كانت بحذائي أقبلت عَلَيَّ فقالت: لو ظَفِرت بَك صَنَعتُ بِك ما صَنَعت بهؤلاء ثمَ بكى أبو بكر[4].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١٢٣). قلت: إسناده فيه انقطاع؛ لأن فضيل بن عياض لم يدرك عبد الله بن عباس.

(٢) زيادة من «ذم الدنيا».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١٢٨)، وأحمد في «الزهد» (ص٣١٢)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤) من طريقين عن أبي العلاء. قلت: وهو بهما صحيح.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٢٩، ٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٠٤). قلت: وهو صحيح.

قال: وحدثنا محمد بن علي حدثنا إبراهيم بن الأشعث قال: سمعت الفضيل قال: «بلغني أن رَجُلاً عُرِج بروحِه، فإذا امرأةٌ على قارعَةِ الطّريقِ عليها من كُلِّ زينَةٍ: الحُلِيِّ والثِّيابِ، وإذا هي لا يَمُرُّ بها أحدٌ إلا جَرَحَته، وإذا هي أدبرت كانت أَحسن شَيءٍ رآه الناسُ، وإذا أقبلت أقبحَ شيءٍ عجوزٍ شمطاء زرقاء عَمْشاء، فقلت: أعوذ بالله، قالت: لا والله، لا يُعِذْكَ اللهُ حتى تُبْغِضَ الدِّرْهَم، قال قلت: من أنت؟ قالت: أنا الدنيا»[1].

ووصف عليٌّ رضي الله عنه الدنيا فقال: «دارُ من صَحَّ فيها هَرِم، ومن سَقِم فيها نَدِم، ومن افتقَر فيها حَزِن، ومن استغنى فيها فُتِن، في حلالها الحِسابُ، وفي حَرامِها النّارُ»[2].

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: «الدّنيا دارُ من لا دارَ له، ومالُ من لا مالَ له، ولها يجمعُ من لا عقلَ له»[3].

وذكر ابن أبي الدنيا: أن الحَسَن كَتب إلى عمر بن عبدالعزيز: «أما بعد: فإنَّ الدنيا دارَ ظَعنٍ ليست بدارِ إقامَةٍ، وإنما أُنزِل آدمُ إليها عُقوبَةً، فاحذَرْها يا أميرَ المؤمنين؛ فإن الزّادَ منها تَرْكُها، والغنى فيها فَقْرُها، لها في كلِّ حالٍ قتيلٍ، تُذِلُّ مَن أَعزَّها، وَتُفقِر من جَمَعَها، هي كالسُّمِّ يأكلُه من لا يعرفه وفيه حتفُه، فكن فيها كمداوٍ جراحاتِه يحتمي قَليلاً، مخافة ما يكره طويلاً، ويصبرُ على شِدَّةِ الدواءِ مخافة طولِ البَلاءِ، فاحذر هذه الدارَ الغرّارَةَ الخَيّالَةَ الخَدّاعَة التي قد تَزَيّنَت بخدعِها وفتنت بغرورِها، وخيّلت بآمالِها، وشوّقت لخطابِها، فأصبحت كالعروسِ المجلُوَّةِ، فالعيونُ إليها ناظرةٌ، والقلوبُ عليها والهةُ، والنُّفوسُ لها عاشِقَةٌ، وهي لأزواجها كلِّهم قاتِلَةٌ، فلا الباقي بالماضي مُعتَبِرٌ، ولا الآخرُ بالأوّلِ مُزْدجِر، والعارِف بالله حين أخبره عنها مُذَّكِر، فعاشقٌ لها قَد ظَفِر مِنها بحاجَتِه

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١٢٤).
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١٨) بنحوه.
(٣) أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٢٠٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٣٧٥/ ١٠٦٣٧)، وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١٦). قلت: وهو ضعيف.

فاغترَّ، وطغى، ونَسِيَ المَعَاد، فَشُغل فيها لُبَّه، حتى زَلّت عنها قَدَمُه، فَعَظُمَت نَدامَتُه، وَكَبُرت حَسْرَتُه، واجتمع عَليه سَكراتُ الموتِ وَأَلَمُه، وحسرات الفَوتِ وَنَغصُه، فَذَهب منها في كَمَدٍ، ولم يدركْ منها ما طلَب، وَلم يُرِحْ نفسَه من التَّعَبِ، فَخَرج بغيرِ زادٍ، وَقَدِم على غَير مِهادٍ، فاحذَرْها يا أمير المؤمنين، واسر ما تكونُ فيها، واحذَر ما تكونُ لها، فإن صاحِبَ الدنيا اطمأن مِنها إلى سرورٍ أشخَصته إلى مَكروهٍ، السّارُ فيها غِذاءٌ ضارٌّ، وَقد وُصِل الرَّخاءُ مِنها بالبلاءِ، وَجُعِل البَقاءُ فيها إلى فناءٍ، فَسُرورُها مَشوبٌ بالحَزَنِ، لا يرجع منها ما وَلّى فأدْبَر، ولا يُدرى ما هو آتٍ فَيُنْتَظَر، أمانيها كاذِبَةٌ، وآمالُها باطِلَةٌ، وَصَفْوها كَدَرٌ، وَعَيْشُها نَكَدٌ، فلو كان الخالقُ لها لم يُخبر عنها خَبَراً، ولم يَضرِبْ لَها مَثَلاً، لكانت قد أَيقَظَتِ النّائِمَ، وَنَبّهت الغافِلَ فكيف وقد جاء من اللهِ عزَّ وَجَلَّ عنها زاجِرٌ، وفيها واعِظٌ، فما لها عند الله عز وجل قَدْرٌ ولا وَزْنٌ، وما نَظَر إليها منذ خَلَقَها، ولقد عُرِضت على نَبينا ﷺ بمفاتيحها وَخزائِنها لا تنقصه عند الله جناحَ بعوضةٍ فأبى أن يَقْبَلَها، وكره أن يُحِب ما أبغضَ اللهُ خالِقُه، أو يَرْفَع ما وَضَع مليكُه فَزَواها عن الصّالحين اختياراً، وَبَسَطَها لأعدائِه اغتراراً، فيظنُّ المغرورُ بها القادِرُ عليها أنه أُكْرِم بها، ونسي ما صَنَع اللهُ بِمحمَّدٍ ﷺ حين شَدَّ الحَجَرَ على بَطْنِه»[١].

وقال الحَسَنُ أيضاً: «ابن آدم لا تُعَلّق قَلبَك في الدنيا؛ فَتُعَلِّقَه بِشَرٍّ مُعَلَّقٍ، اقطع حبالَها، وَغَلِّق أبوابَها، حَسبُك يا ابن آدم مِنها ما يبلغك المَحَل»[٢].

وكان يقول: «إن قوماً أكرموا الدنيا فَصَلَبتهم عَلى الخشبِ، فأهينوها، فأهنأ ما تكون إذا اهنتموها، هيهات هيهات ذهبت الدّنيا، وبقيت الأعمالُ قلائد في الأعناق»[٣].

وقال المسيح عليه السلام: «لا تتخذوا الدّنيا رَبّاً فتتخذكم عبيداً، واعبرُوها

---

(١) انظر «حلية الأولياء» (٢/ ١٣٤ ـ ١٤٢).
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٤٠٥).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٤٨٩).

ولا تَعمُروها، واعلموا أن أصلَ كلِّ خطيئةٍ حُبُّ الدنيا، ورب شهوةٍ أورثت أَهلها حُزناً طويلاً، ما سكنت الدنيا في قلب عبدٍ إلا أناط قلبَهُ منها بثلاثَةٍ: شغلٍ لا ينفك عناؤه، وفقرٍ لا يُدَرك غناؤه، وأمَلٍ لا يُدرك منتهاه، الدنيا طالبةٌ مطلوبةٌ فطالبُ الآخرةِ تطلبُه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقَه، وطالبُ الدنيا تطلبه الآخرة حتى يجيء الموتُ فيأخذ بعنقِه، يا معشر الحواريين ارضوا بدنيء الدّنيا مع سلامَةِ الدين، كما رضي أهلُ الدنيا بدنيء الدين مع سلامةِ الدنيا»[1].

وقال ابن أبي الدنيا حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار قال: قال أبو هريرة رضي الله عنه: «الدنيا موقوفةٌ بين السماء والارض منذ خلقها الله تعالى إلى يوم يفنيها، تنادي رَبَّها يا رب لِمَ تبغضني، فيقول: اسكتي يا لا شيءَ، اسكتي يا لا شيءَ»[2].

وقال الفضيل: «تجيءُ الدنيا يومَ القيامة فتتبختر في زينَتِها ونُضرَتِها، فتقول: يا رب اجعلني لأحسن عبادِك داراً، فيقول: لا أرضاك له، أنت لا شيءَ فكوني هباءً منثوراً»[3].

فصل
في ذكرِ أمثلةٍ تُبيِّنُ حقيقةَ الدّنيا

المثال الأول: للعبد ثلاثةُ أحوالٍ: حالةٌ لم يكن فيها شيئاً، وهي ما قبل أن يوجد، وحالَةٌ أخرى وهي مِن سَاعة موتِهِ إلى ما لا نهاية له في البقاءِ السَّرمدي، فلنفسِه وجودٌ بعد خروجِها من البَدنِ: إما في الجَنَّة، وإمّا في النّارِ، ثم تعاد إلى بدنه فيجازى بعمَلِه، ويسكن إحدى الدارين في خلودٍ دائم.

ثم ما بين هاتين الحالتين ـ وهي ما بعد وجودِه وما قبل موتِه ـ حالةٌ متوسّطَةٌ وهي أيامُ حياتِه؛ فلينظر إلى مقدارِ زمانِها وأنسبه إلى الحالتين يعلَمُ أنه أَقَلُّ مِن طرفةِ عينٍ في مقدارِ عمر الدنيا.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٣١ و٣٥) والسياق مركب منهما.
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٣٦٠). قلت: إسناده ضعيف فيه انقطاع.
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١٢٥).

ومن رأى الدّنيا بهذه العينِ لم يَرْكنْ إليها، ولم يبالِ كيف تقضت أيامُه فيها في ضُرٍّ وضيقٍ أو في سَعةٍ ورفاهِيَةٍ.

ولهذا لم يَضع رسولُ الله ﷺ لبنةَ على لَبِنَةٍ ولا قَصَبَةٍ على قَصَبَةٍ وقال: «مالي وللدنيا إنما مثلي ومثل الدنيا إلا كراكب قال في ظِلِّ شجَرةٍ ثم راح وتَرَكها»[(١)]. وقال: «ما الدنيا في الآخرةِ إلا كما يَجْعَلُ أحدُكم إصبَعه في اليَمِّ فلينظر بما يَرجع»[(٢)].

وإلى هذا أشار المسيحُ عليه السلام بقوله: «الدنيا قَنطَرَةٌ فاعبروها ولا تعمُروها».

وهذا مَثلٌ صَحِيحٌ؛ فإنّ الحياةَ مَعْبَرٌ إلى الآخرَةِ، والمَهْدُ هو الرُّكنُ الأوَّلُ [على أول][(٣)] القنطرة، واللَّحدُ هو الرُّكنُ الثاني على آخرِها، ومن النّاسِ من قَد قَطَع نِصفَ القَنْطَرَةِ، ومنهم من قَطَع ثُلُثَيها، ومنهم من لم يبق له إلا خطوةٌ واحدةٌ وهو غافِلٌ عنها، وكيف[ما][(٤)] كان فلا بُدّ من العبورِ، فمن وَقَفَ يبني على القَنْطَرة ويُزَيِّنها بأصنافِ الزّينَةِ وهو يستحث العبورَ، فهو في غايةِ الجَهلِ والحُمقِ.

المثال الثاني: شهواتُ الدنيا في القَلبِ كشهواتِ الأطعِمَةِ في المعِدَةِ، وسوف يَجِدُ العَبْدُ عند الموتِ لشهواتِ الدنيا في قلبِه من الكراهَةِ والنَّتَنِ والقُبْح ما يجده للأطعمة اللّذِيذَةِ إذا انتهت في المِعَدةِ غايتها، وكما أن الأطعَمة كلما كانت أَلَذَّ طَعْمَاً وأكثَرَ دَسَماً وأكثَرَ حلاوةً كان رجيعُها أقذرُ، فكذلك كل شهوة كانت في النّفسِ أَلَذَّ وأقوى فالتَّأذّي بها عند الموتِ أَشَدُّ، كما أنَ تَفَجُّعَ الإنسان بمحبوبِهِ إذا فقدَه يقوى بقَدْرِ مَحَبَّةِ المَحْبوبِ.

وفي «المسند» أن النبي ﷺ قال للضّحاكِ بن سفيان: «ألست تؤتى بطعامِك وقد مُلِّح وقُزِّح ثم تشرب عليه الماءَ واللّبَن» قال: بلى، قال: «فإلى ماذا[(٥)]

---

(١) مضى تخريجه (ص ٢٧٧).

(٢) مضى تخريجه (ص ٢٧٧).

(٣) زيادة من «ظ».

(٤) زيادة من «ظ».

(٥) في «م»: فإلام.

يصير؟» قال: إلى ما قد علمت، قال: «فإن الله عز وجل ضَرب مَثَلَ الدّنيا لما يصيرُ إليه طعامُ ابنِ آدم»[1].

كان بعضُ السلف يقول لأصحابه: «انطلقوا حتى أريكم الدّنيا. فيذهب بهم إلى مزبَلَةٍ، فيقول: انظروا إلى ثمارِهم وَدَجاجِهم وعَسَلِهم وَسَمْنِهم».

المثال الثالث: لها ولأهلها في اشتغالِهم بنعيمِها عن الآخرةِ وما يعقبهم من الحَسَراتِ، مثل أهلها في غَفْلَتِهم مثل قوم ركِبوا سفينةً فانتهت بهم إلى جزيرةٍ فأمرهم الملاّحُ بالخُروج لقضاءِ الحاجَةِ وَحَذَّرَهم الإبطاءَ وَخَوّفَهم مرور السُّفينَةِ؛ فَتَفَرّقوا في نواحي الجَزيرَةِ فقضى بعضُهم حاجَتَه وبادَرَ إلى السَّفينَةِ فصادَفَ المكانَ خالياً، فأخَذَ أوسعَ الأماكنِ وألينَها وأوفقَها لمُرادِه. ووقف بعضُهم في الجزيرة ينظر إلى أزهارِها وأنوارِها العَجيبَة، ويَسمَعُ نَغَماتِ طيورِها، ويعجبُه حُسْنُ أحجارِها، ثم حَدَّثَته نَفْسُه بفوتِ السَّفينَةِ وسُرعَةِ مرورِها، وَخَطَرَ ذِهابِها فلم يُصادِف إلا مكاناً ضَيِّقاً فَجَلس فيه. وأكبَّ بعضُهم على تلك الحجارَةِ المستحسنَةِ والازهارِ الفائِقَةِ فحمل[2] منها حمله، فَلَمّا جاء لم يَجد في السَّفينَة إلا مَكاناً ضَيِّقاً وزاده حملُه ضيقاً فصارَ محمولهُ ثِقْلاً عليه ووبالاً، ولم يَقْدِر على نَبْذِه بل لم يَجدِ من حملِه بُدّاً ولم يَجد له في السّفينَةِ موضِعاً فحمله على عنقِه ونَدِم على أَخْذِه فلم تَنْفَعْه النّدامَةُ، ثم ذَبلت الازهارُ وتغيّرت رائحتها وآذاه نَتَنُها. وَتَوَلَّج بعضُهم في تلك الغياض ونسي السَّفينَة وأبعد في نُزهَتِه، حتى أن الملاّحَ نادى بالنّاس عند دَفْع السَّفينَة فلم يبلُغْه صَوْتُه لاشتغالِه بملاهيه فهو تارةً يتناولُ من الثَّمَرِ، وتارة يَشُمُّ تلك الأزهار[3]، وتارة يُعْجَبُ من حُسنِ الأشجارِ وهو

---

(١) **حسن لغيره** ـ أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٢)،وابن أبي الدنيا في «الجوع» (١٠٦/ ١٦٤)، والطبراني في «الكبير» (٨١٣٨) من طريق حماد بن زيد عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الضحاك وذكره. قال المنذري (٤/ ١٠٢): «رواه أحمد ورواته رواة الصحيح، إلا علي بن زيد بن جدعان». قلت: إسناده ضعيف فيه علي بن زيد وهو ضعيف، والحسن مدلس وقد عنعنه. وللحديث شاهد من حديث أبي بن كعب، وآخر من حديث سلمان مضى تخريجهما (ص ٢٧٩).

(٢) في «م»: «فَجَعَلَ».

(٣) في «ظ»: «الأنوار».

على ذلك خائِفٌ من سَبُع يخرجُ عليه غير مُنفكٌ من شَوكٍ يَتَشَبّثُ في ثيابِه ويدخلُ في قَدميه، أو غُصْن يَجْرَحُ بَدَنَه، أوعَوْسَج يَخْرِقُ ثيابَه ويهتكُ عورَته، أو صوتٍ هائلٍ يُفْزِعُه. ثم من هؤلاء من لحق السَّفِينَةَ ولم يَبْقَ فيها موضِعٌ فماتَ على السّاحِل، ومنهم من شغله لهوه[1] فافترسته السِّباعُ ونهشته الحيّاتُ، ومنهم من تاه فَهامَ على وجهه حتى هَلَك.

فهذا مِثالُ أهْلِ الدنيا في اشتغالِهم بحظوظِهم العاجِلَة ونسيانِهم موردِهِم وعاقبةِ أمرهم، وما أقبحَ بالعاقلِ أن تَغُرَّه أحجارٌ ونباتٌ يصير هشيماً قد شغل بالَهَ وَعوَّقَه عن نَجاتِه ولم يَصْحَبْه.

المثال الرابع: لاغترارِ النّاسِ بالدنيا وَضَعفِ إيمانِهم بالآخرةِ.

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا إسحق بن إسماعيل حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «إنمَا مثلي ومَثَلُكم ومثلُ الدنيا كمثلِ قومٍ سَلكوا مفازةً غبراءَ، حتى إذا لم يدروا ما سَلَكوا منها أَكْثَرُ أم ما بَقي أنفدوا الزّادَ وَحَسَروا الظَّهْرَ، وبقوا بين ظهرَانَي المفازَةِ لا زادَ ولا حمولةَ، فأيقنوا بالهَلَكَةِ، فبينما هم كذلك إذ خَرَجَ عليهم رَجُلٌ في حُلّةٍ يقطُرُ رأسَه، فقالوا: إن هذا قريبُ عَهْدٍ بريفٍ، وما جاءكم هذا إلا من قريب، فلما انتهى إليهم قال: يا هؤلاء علام أنتم؟ قالوا: على ما ترى، قال: أرأيتم إن هديتكم على ماءٍ رواءٍ ورياضٍ خُضْرٍ، ما تجعلون لي؟ قالوا: لا نعصيك شَيْئاً، قال عهودكم ومواثيقكم بالله، قال: فأعطوه عهودَهم ومواثيقَهم بالله لا يعصونَه شيئاً، قال: فأوردهم ماءً ورياضاً خضراء، قال: فمكث فيهم ما شاء الله، ثم قال: يا هؤلاء الرَّحيلُ، قالوا: إلى أين، قال: إلى ماءٍ ليس كمائكم ورياض ليست كرياضِكم، قال: فقال جُلُّ القومِ وهم أكثرُهم، والله ما وجدنا هذا حتى ظَننا أن لن نَجدَه وما نَصْنَع بعيشٍ هو خير من هذا، قال: وقالت طائفةٌ وهم أقلهم: ألم تعطوا هذا الرجل عهودَكم ومواثيقَكم بالله لا تعصونه شيئاً، وقد صَدَقكم في أولِ حديثِهِ فوالله ليصدقنكم في آخره، فراح بمن

(١) في «م»: «لهو».

اتبعه وتخلف بقيتُهم فبادرهم عدوُّهم فأصبحوا بين أسيرٍ وقتيلٍ»[1].

المثال الخامس: للدنيا وأهلِهَا ما مثلها به النَّبِيُّ ﷺ كظِّلِ شجرةٍ، والمرءُ مسافِرٌ فيها إلى الله؛ فاستظلَّ في ظِلِّ تلك الشَّجَرُةَ في يومٍ صائِفٍ ثم راح وتركها[2].

فتأمل حُسْنَ هذا المِثالِ ومطابَقتِهِ للواقِعِ سواء؛ فإنَها في خُضْرَتِها كَشَجَرةٍ، وفي سُرعَةِ انقضائِها وَقَبْضِها شيئاً فشيئاً كالظِّلِّ، والعبدُ مسافِرٌ إلى رَبِّه، والمسافرُ إذا رأى شجرةً في يومٍ صائفٍ لا يحسن به أن يبني تَحتها داراً ولا يتخذها قراراً، بل يستظِلّ بها بِقدْرِ الحاجَةِ، ومتى زاد على ذلك انقطع عن الرِّفاقِ.

المثال السادس: تمثيلُه لها ﷺ بمدخل إصبعه في اليَمِّ[3]، فالذي يرجع به إصبعه من البَحر هو مثلُ الدنيا بالنِّسَبةِ إلى الآخرةِ.

وهذا أيضاً من أحسنِ الأمثالِ؛ فإن الدنيا مُنقَطِعَةٌ فانِيَةٌ، ولو كانت مُدَّتُها أكْثَرَ مما هي والآخرةُ أبديةٌ لا انقطاعَ لها، ولا نسبةَ للمَحصورِ إلى غير المحصورِ، بل لو فُرِضَ أن السماواتِ والأرضَ مملوءتان خَرْدلاً، وبعد كلِّ ألفِ سنة طائر ينقُلُ خَرْدَلَةً لَفَنِي الخَرْدلُ والآخرةُ لا تَفْنى، فنسبةُ الدّنيا إلى الآخرةِ في التَّمثيل كنسبةِ خردلةٍ واحدةٍ إلى ذلك الخَرْدَلِ.

ولهذا لو أن البَحْرَ يُمُّده من بعده سبعةُ أبحرٍ، وأشجارُ الأرضِ كلُّها أقلامٌ يُكْتَبُ بها كلامُ الله؛ لَنَفِدت الأبحرُ والاقلامُ وَلم تنفد كلماتُ الله؛ لأنها لا بداية لها ولا نهاية لها، والأبحُرُ والأقلامُ متناهيةٌ.

قال الإمام أحمد وغيره: لم يزل اللهُ متكلِّما إذا شاء، وكمالُه المقدَّسُ

---

(1) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذمّ الدنيا» (٨٨).
قلت: إسناده ضعيف؛ لإرساله، وللانقطاع بين هشام بن حسان والحسن. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٥٠٧) بلغنا عن الحسن. قلت: إسناده ضعيف كذلك؛ لإرساله، وللانقطاع بين الحسن وابن المبارك؛ فبينهما مفاوز.

(2) مضى تخريجه (ص ٢٧٧).

(3) مضى تخريجه (ص ٢٧٧).

مقتضٍ لكلامِهِ، وكماله من لوازم ذاتِه فلا يكون إلا كاملاً، والمُتَكَلِّمُ أكمل ممن لا يتكلّمُ، وهو سبحانه لم يَلْحَقَه كَللٌ ولا تَعَبٌ ولا سآمةٌ من الكلام، وهو يَخْلُقُ وَيُدَبِّرُ خَلْقه بكلماتِه؛ فكلماتُه هي التي أوجدَ بها خَلْقَه وَأَمْره، وذلك حقيقةُ ملكِه وربوبيته وإلهيته، وهو لا يكون إلا ربّاً مَلِكاً إلهاً لا إله إلا هو.

والمقصودُ: أن الدّنيا نَفَسٌ من أنفاسِ الآخرةِ، وساعَةٌ من ساعاتِها.

المثال السّابع: ما مَثَّلَها به ﷺ في الحديثِ المُتَفَقِ على صحته من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قام رسول الله ﷺ فخطب الناس فقال: «لا والله ما أخشى عليكم إلا ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا» فقال رجل: يا رسول الله، أو يَأتي الخَيْرُ بالشّر؟ فصمت رسول الله ﷺ، ثم قال: «كيف قلت؟» قال: يا رسول الله أو يأتي الخيرُ بالشَّرّ؟ فقال رسول الله ﷺ «إن الخَيْرَ لا يأتي إلا بالخَيْرِ، وإن مما يُنبِتَ الرَّبيعُ ما يَقْتُلُ حَبَطاً أو يُلَمُّ، إلا آكلةُ الخَضِر أكلت حتى إذا امتلأت [بحرارتها انضاج ما أكلته، وإخراجه الثالثة أنها استفرغت بالبول والثَّلط][1] خاصرتها استقبلت الشَّمْسَ فثلطت[2] وبالت، ثم اجترت فعادت فأكلت، فمن أخذ مالاً بحقه بُورِك له فيه، ومن أخذ مالاً بغير حَقَّه فمثله كمثل الذي يأكل ولا يشبع»[3].

فأخبَرَ ﷺ أنه إنما يخافُ عليهم الدنيا، وسمّاها زَهَرَةً؛ فَشَبَّهها بالزَّهْرِ في طيبِ رائحتِه وحُسنِ منظرِه وَقِلةِ بقائِهِ، وأن وراءه ثمراً خيراً وأبقى منه.

وقوله: «إن مما يُنبِتُ الرّبيعُ ما يقتل حَبَطاً أو يُلَمَّ» هذا من أحسَنِ التّمثيلِ المتضمن للتحذيرِ من الدنيا والانهماكِ عليها والـمَسَرَّةِ فيها، وذلك أن الماشيةَ يروقُها نَبْتُ الربيع؛ فتأكلُ منه بأعينها، فربما هَلَكت حَبَطاً. و«الحَبَطُ» انتفاخُ بطنِ الدّابَةِ من الامتلاءِ أو من المَرضِ، يقال: حَبِطَ الرَّجُلُ والدّابَةُ تحبطاً حبطاً إذا أصابه ذلك. ولما أصاب الحارث بن مازن بن عمرو بن تميم ذلك في سفره

---

(١) زيادة من «ظ» وهي من كلام المصنف تفسيراً.

(٢) ألقت بعراً رقيقاً.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٢٧)، ومسلم (١٠٥٢).

فمات حَبَطاً؛ فنسب الحَبَط[1]؛ كما يقال: السُّلَمي، فكذلك الشَّرهُ في المالِ يقتله شَرَهُه وَحِرْصُه، فإن لم يقتله قارب أن يَقْتُلَه، وهو قوله: «أو يلم»، وكثيرٌ من أربابِ الأموالِ إنما قتلتهم أموالُهم فإنهم شرهوا في جمعِها، واحتاج إليها غيرهم فلم يصلوا إليها إلا بقتلهم، أو ما يقاربه من إذلالهم وقهرِهم.

وقوله: «إلا آكلة الخضر» هذا تمثيل لمن أخَذَ من الدنيا حاجتَه مَثَّلَه بالشاةِ الآكلةِ من الخَضِر بَقَدْرِ حاجتِها أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتاها وفي لفظ آخر، «امتدت خاصرتاها» وإنما تمتد من امتلائِها من الطعام، وَثَنّى الخاصرتين؛ لأنهما جانبا البَطن.

وفي قوله: «استقبلت عينَ الشَّمس فثلطت وبالت» ثلاث فوائد:

إحداها: أنها لما أخذت حاجتَها من المرعى تركته وبركت مستقبلة الشمس لتستمرئ بذلك ما أكلته.

الثانية: أنها عرضت عما يَضُرُّها من الشَّرهِ في المرعى، وأقبلت على ما ينفعها من استقبال الشمس التي يحصل لها بحرارتها إنضاج ما أكلته وإخراجه.

الثالثة: أنها استفرغت بالبول والثلط ما جمعته من المرعى في بطنها فاستراحت بإخراجه ولو بقي فيها لقتلها، فكذلك جامعُ المالِ مصلحتُه أن يفعَل به كما فعلت هذه الشاة.

وأوَّلُ الحديث مَثَلٌ للشَّرِه في جمعِ الدنيا الحريصِ على تحصيلها؛ فمثالُه: مثالُ الدّابةِ التي حَمَلها شَرَهُ الأكلِ على أن يقْتُلَها حَبَطاً أو يُلَمُّ إذا لم يقتلها، فإن الشَّرِهَ الحريصَ إما هالكٌ وإما قريبٌ من الهلاكِ، فإن الربيعَ يُنْبِتُ أنواعَ البُقولِ والعُشْبِ؛ فتستكثر منه الدّابَةُ حتى ينتفخُ بطنُها لما جاوزت حَدَّ الاحتمالِ؛ فتنشق أمعاؤها وتهلك، كذلك الذي يجمعُ الدّنيا من غيرِ حِلِّها، ويحبسُها أو يصرِفُها في غيرِ حَقِّها.

وآخِرُ الحديث مَثَلٌ للمقتَصِدِ بآكلةِ الخَضر الذي تنتفعُ الدابةُ بأَكلِه، ولم

---

(١) انظر «اللباب في تهذيب الأنساب» (١/ ٣٣٧).

يحملُها شَرَهُها وحرصُها على تناولِها منه فوق ما تحتمله، بل أكلت بقدْرِ حاجتِها، وهكذا هذا أَخَذَ ما يحتاجُ إليه ثم أقبل على ما ينفعه، وَضَرب بولَ الدابة وَثَلطها مَثلاً لإخراجه المالِ في حقِّه؛ حيث يكون حَبْسُه وإمساكُه مُضِراً به؛ فنجا من وبالِ جمعهِ بأخذ قَدْرِ حاجتِه منه، ونجا من وبال إمساكِه بإخراجه؛ كما نَجت الدابَّةُ من الهلاكِ بالبَولِ والثَّلطِ.

وفي هذا الحديثِ إشارةٌ إلى الاعتدالِ والتَّوسُّطِ بين الشَّرَهِ في المَرعى القاتِلِ بكثَرتِه، وبين الإعراضِ عنه وتركه بالكُلِّية؛ فتهلك جوعاً.

وتضمَّن الخَبَرُ أيضاً إرشادَ المُكثِرِ من المالِ إلى ما يحفَظ عليه قُوَّتَه وَصِحّتَه في بَدَنِه وَقَلْبِهِ، وهو الإخراجُ منه وإنفاقُه، ولا يحبسُه؛ فَيَضُرُّ حَبْسُه، وباللّهِ التوفيق.

المثال الثامن: ما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن سليمان بن يسار عن ميمونة قالت: قال رسول الله ﷺ لعمرو بن العاص: «الدنيا خَضِرةٌ حُلوَةٌ؛ فمن اتقى الله فيها وأصلح وإلاَّ فهو كالآكِلِ ولا يَشْبَعُ، وبين الناس في ذلك كَبُعدِ الكوكبين: أحدُهما يطلُع في المَشْرِقِ، والآخرَ يغيبُ في المغرب»[1].

فنبّه بخضرتها على استحسانِ العيون لها، وبحلاوتها على استجلاءِ الصّدور لها، وبتلك الخضرةِ والحلاوة زُيِّنَت لأهلِها، وحبِّبَت إليهم لا سيما وهم مخلوقون منها وفيها، كما قيل:

ونحن بنو الدنيا ومنها نباتُنا ... وما أَنت منه فهو شيء مُحَبَّبُ

وجعل الناسَ فيها قسمين:

أحدهما: مُصْلِح متقي، فهذا تقواه وإصلاحُه لا يدعانه ينهمكُ عليها، وَيَشْرَه فيها، ويأخذُها من غير حلِّها، ويضعُها في غير حقِّها. فإن لم يتقِ وَيُصْلِح

---

(١) **ضعيف** ـ أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٧٠٩٩) بهذ اللفظ، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٠/ ٧٨) مختصراً. قلت: إسناده ضعيف؛ فيه المثنى بن الصباح وهو ضعيف؛ كما قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٤٧).

صَرَف نَهَمَتَه وَقُواه وَحِرصَه إلى تحصيلها، فكان كالذي يأكلُ ولا يَشْبَعُ.

وهذا من أحسن الأمثِلة؛ فإن المقصودَ من الأكلِ حِفْظُ الصِّحَةِ والقُوَّةِ وذلك تابع لَقَدَر الحاجة، وليس المقصودُ منه ذاته ونفسه فمن جعل نهمَتَه فوق مقصود لم يَشْبَع. ولهذا قال الإمامُ أحمد: «الدنيا قليلُها يجزي، وكثيرُها لا يجزي».

وأخبر عن تفاوتِ الناس في المنزلتين: أعني منزِلةَ التّقوى والإصلاح، ومنزلة الأكل والشره، وأن بين الرَّجلين في ذلك كما بين الكوكبين الغارِبِ في الأفقِ والطالِع منه، وبين ذلك منازلٌ متفاوِتَةٌ.

المثال التاسع: ما تقدَّم من حديث المستوردِ بن شَداد قال: كنت مع الرَّكب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السَّخْلَة المَيْتَةِ؛ فقال رسول الله ﷺ: «أتَرون هذه هانت على أهلِها حتى ألقوها؟» قالوا: ومن هوانها ألقوها يا رسول الله، قال: «فو الذي نَفْسُ محمّدٍ بيدِه للدنيا أهون على الله من هذه على أهلِها»[1]. قال الترمذي: حديث حسن صحيح. فلم يقتصر ﷺ على تمثيلِها بالسَّخْلَةِ الميتة بل جَعَلها أهونُ على الله منها.

وفي «مسند الإمام أحمد» في هذا الحديث: «فو الذي نفسي بيده للدنيا عند الله أهون عليه من تلك السَّخَلةِ على أهلها»؛ فأكد ذلك بالقَسَم الصادق، فإذا كان مثلُها عند الله أهونَ وأحقَرَ من سخلةٍ ميتةٍ على أهلِها، فمحُبها وعاشقُها أهونُ على الله من تلك السَّخْلَةِ، وكونها سخلة أهونُ عليهم من كونها شاة كبيرة، لأن تلك ربما انتفعوا بصوفِها أو دبغوا جلدَها، وأما ولدُ شاةٍ صغيرةٍ ميت ففي غاية الهوان، والله المستعان.

المثال العاشر: مَثلُها مَثَلُ البَحْرِ الذي لا بُدّ لَلخلقِ كُلِّهم مِن ركوبه ليقطعوه إلى السّاحِل الذي فيه دورُهم وأوطانُهم ومستقرُهم، ولا يمكن قَطْعُه إلا في سفينةِ النّجاةِ؛ فأرسلَ الله رسلَه لِتُعرِّفَ الأُمَمَ اتخاذَ سُفِنِ النَّجاةِ، وتأمرُهم بِعملِها

---

(١) مضى تخريجه (ص ٢٧٨).

وركوبِها، وهي: [طاعتُه][1]، وطاعةُ رسُلِه، وعبادتُه وحده، وإخلاصُ العَمَلِ له، والتَّشميرُ للآخرةِ وإرادتُها والسَّعيُ لها سعيها، فنهض الموفقون وركبوا السَّفينةَ ورغبوا عن خوضِ البَحر لما عَلِموا أنّه لا يُقْطَعُ خوضاً ولا سباحةً.

وأما الحُمقاء فاستصعبوا عَمَلَ السَّفينةِ وآلاتِها والرُّكوبَ فيها، وقالوا: نخوضُ البَحْرَ فإذا عَجزنا قطعناه سِباحَةً وهم [أكثر][2] أهل الدنيا فخاضوه، فلما عَجزوا عن الخوضِ أخذوا في السِّباحَةِ حتى أدركهم الغَرَقُ، ونجا أصحابُ السَّفينَةِ كما نجوا مع نوحٍ عليه السلام وَغَرِق أَهْلُ الأَرْضِ.

فتأمل هذا المَثَلَ، وحال أهلِ الدنيا فيها، يتبين لك مطابقتُه للواقع، وقد ضُرِبَ هذا المَثَلُ للدينا والآخرةِ والقدَرِ والأمرِ؛ فإنَّ القَدَر بَحْرٌ، والأَمْرُ فيه سَفينَةٌ لا ينجو إلا مَن رَكِبها.

المثال الحادي عشر: مثالُها مثالُ إناءٍ مملوءٍ عَسَلاً رآه الذُّبابُ؛ فأقْبلَ نحوه؛ فَبَعضُه قَعَدَ على حافةِ الإناءِ وجعل يتناول منه العَسَلَ حتى أخذ حاجَتَه ثم طار، وبعضُه حَمله الشَرَهُ على أن رَمى بنفسِه في لُجَّةِ الإناءِ وَوَسَطِه فلم يدعْه انغماسُه فيه أن يَتَهنأ به إلا قَليلاً حتى هَلَكَ في وَسَطَه.

المثال الثاني عشر: مِثالُ حَبٍّ قد نُثِرَ على وَجْهِ الأرض، وَجُعِلَت كُلُّ حَبّةٍ في فَخٍّ، وجُعل حول ذلك الحَبُّ حب ليس في فِخاخ فجاءت الطيْرُ: فَمِنْها من قَنَع بالجوانِبِ ولم يَرمِ نَفْسَه في وَسَطِ الحَبِّ فأخذ حاجَتَه وَمَضَى. ومنها من حَمَلَهَ الشَّرَهُ على اقتحامِ مُعظَمِ الحَبِّ ووسط الحَبِّ، فما استتم اللِّقاطَ إلا وهو يَصيحُ مِن أَخذَةِ الفَخِّ لَه.

المثال الثالث عشر: كَمَثَلِ رَجُلٍ أوقد ناراً عظيمَةً فَجَعَلَت الفَراشُ والجَنادِبُ يرون ضوءَها فيقصدُنها ويتهافتون فيها، وَمَن لَه عِلْمٌ بحالها جَعَل يستضيءُ ويستدفيء بها من بعيدٍ.

(١) زيادة من «ظ».

(٢) زيادة من «ظ».

وقد أشارَ النَّبيُّ ﷺ إلى هذا المَثَلِ بعينِه في الحديث الذي رواه مالك بن إسماعيل عن حفص بن حُميد عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنّي مُمْسِكٌ بِحُجزكم عن النّار، وتتقاحمون فيها تقاحُم الفَراشِ والجنادِب، ويوشك أن أُرسِل بحُجَزِكم»[1].

وفي لفظ آخر: «مثلي ومثلكم كمثلِ رجلٍ استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جَعلت الفراشُ والجنادِبُ يقتحمن فيها فَأَنا آخذٌ بِحُجَزِكم عن النّار وأنتم تغلبوني وتتقاحمون فيها»[2].

وهذا المثالُ منطبق على أهلِ الدّنيا المُنهمِكين فيها؛ فالرُّسُلُ تدعوهم إلى الآخرةِ، وهم يتقامحون في الدّنيا تقاحُمَ الفَراشِ.

المثال الرابع عشر: مَثَلُ قوم خرجوا في سَفَرٍ بأموالِهم وأهليهم فَمَرّوا بوادٍ مُشعبٍ كثيرِ المياهِ والفَواكِه، فَنَزَلوا بِه وَضَربوا خيمهم، وبنوا هنالك الدّورَ والقُصورَ، فَمَرَّ بِهم رَجُلٌ يعرفون نُصْحَه وَصِدْقَه وأمانته؛ فقال: إنّي رأيتُ بعيني هاتين الجَيْشَ خَلْفَ الوادي وهو قاصِدُكم فاتَّبِعوني أسلُك بِكم على غيرِ طريقِ العَدُوِّ فتنجوا منه؛ فأطاعته طائِفةٌ قَليلَةٌ، فصاح فيهم: يا قومِ النَّجاة النَّجاة أُتيتُم أُتيتُم، وصاح السّامِعون له بأهليهم وأولادِهم وعشائِرِهم فقالوا: كيف نرحَلُ من هذا الوادي وفيه مواشينا وأموالُنا ودورُنا وقد استوطناه؟ فقال لهم النّاصِحُ: لِيَنْجُ كلُّ واحدٍ منكم بنفسِه مما خَفَّ عليه من متاعِه وإلا فهو مأخوذٌ ومالُه مجتاحٌ، فَثَقُل على أصحابِ الجدِّ والأموالِ ورؤساءِ القومِ النقلةُ ومفارَقَةُ ما هم فيه من

---

(١) حسن ـ أخرجه البزار في «البحر الزخار» (٢٠٤)، ويعقوب بن شيبة في «مسند عمر» (ص٧٤)، وأبو يعلى الموصلي في «المسند الكبير» (٤٨٦ ـ المقصد العلي) من طريق مالك بن إسماعيل به. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٨٥): «ورواه أبو يعلى في «الكبير» والبزار ورجال الجميع ثقات». قال يعقوب بن شيبة: «هو حسن الإسناد غير أن في إسناده رجل مجهول».
قلت: يعني حفص بن حميد القمي، وليس كما قال؛ فقد وثقه جماعة وفي «التقريب»: «لا بأس به»؛ فالإسناد حسن.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٨٣)، ومسلم (٢٢٨٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وله شاهد من حديث جابر رضي الله عنه.

النَّعيم والرّفاهية والدَّعةِ، وقال كلُّ أحمقٍ: لي أسوةٌ بالقاعدين فهم أكثَرُ منيّ مالاً وأهلاً فما أصابهم أصابني معهم، وَنَهض الأقلون مع النّاصِح ففازوا بالنّجاةِ، وَصَبَّح الجيشُ أهلَ الوادي فقتلهم واجتاح أموالَهم.

وقد أشار النَّبيُّ ﷺ إلى هذا المثلِ بعينه في الحديث المتفق على صحته من حديث أبي بردة عن أبي موسى عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «إنّما مثلي وَمثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومَه فقال: يا قوم إني رأيت الجيشَ بعيني وأنا النَذيرُ العريانُ فالنَّجاة النّجاة، فأطاعه طائفةٌ من قومه فَأَدلجوا وانطلقوا على مَهْلِهِم فَنجوا، وكذبت طائفَةٌ منهم فأصبحوا مكانَهم، فَصَبَّحهم الجَيْشُ فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثلُ من عَصاني وكذّب بما جئت به من الحَقِّ»(١).

المثال الخامس عشر: رَجُلٌ هَيَّأَ داراً وزَيَّنَها، وَوَضَع فيها مِن جميع الآلاتِ، وَدَعى النّاسَ إليها فكلّما دَخَل داخِلٌ أجلَسه على فِراشٍ وَثيرٍ وَقَدَّمَ إليه طَبَقَاً من ذَهَبٍ عليه لحْمٌ، وَوَضع بين يديه أوانٍ مَفْتَخرةٍ فيها من كلٍّ ما يحتاجُ إليه وأخدَمَه عبيدَه ومماليكه، فَعَرف العاقِلُ أن ذلك كلَّه متاعُ صاحِبِ الدّارِ وَمُلْكُه وعبيدَه فاستمتع بتلك الآلاتِ والضّيافَةِ مُدّةَ مُقامِه في الدارِ، ولم يعلق قلبه بها، ولا حدث نفسه بِتَمَلُّكِها، بل اعتمد مع صاحبِ الدارِ ما يعتمده الضَيْفُ يَجلِسُ حيث أجْلَسه، ويأكُلُ ما قَدّمَه لَه، ولا يسألُ عما وراء ذلك؛ اكتفاءً منه بِعلمِ صاحبِ الدّارِ وَكَرمِه، وما يفعله مع ضيوفِه، فدخل الدّارَ كَريماً، وَتَمَتَّع فيها كريماً، وفارقَها كريماً، وَرَبُّ الدار غِير ذامٌّ لَه.

وأما الأحمقُ؛ فَحَدَّثَ نَفْسَه بِسُكنى الدارِ، وَحَوّز تلك الآلاتِ إلى مُلكِه، وتصرفه فيها بحسبِ شَهوتِه وإرادته؛ فتَخيَّر المجلِسَ لِنَفْسِه؛ وجعل يَنْقُلُ تلك الآلاتِ إلى مكانٍ في الدارِ يخبؤها فيه، وكلما قَدَّم إليه رَبُّها شيئاً أو آلةً حدَّث نَفْسَه بملكه واختصاصه به عن سائِرِ الأضيافِ، وَرَبُّ الدارِ يُشاهِدُ ما يَصْنَعُ

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٣)، ومسلم (٢٢٨٣).

وَكَرَمُه يمنعه من إخراجِه من دارِه، حتى إذا ظَنَّ أنه قد استبدَّ بتلك الآلاتِ ومَلَكَ الدارَ وَتَصرَّف فيها وفي آلاتِها تَصَرُّفَ المالِك الحقيقيِّ، واستوطنها واتخذها داراً له، أَرسلَ إليه مالِكها عبيدَه فأخرجوه منها إخراجاً عنيفاً، وَسَلبوه كلَّ ما هو فيه، ولم يَصْحَبْه من تلك الآلاتِ شيءٌ، وَحَصَل على مَقْتِ رَبِّ الدارِ له وافتضاحه عنده وبين مماليكه وحَشَمِه وخَدَمِه.

فليتأمل اللبيبُ هذا المثالَ حَقَّ التَّأَمُلِ؛ فإنه مُطابِقٌ للحَقيقةِ، واللهُ المستعانُ.

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «كلُّ أَحَدٍ في هذه الدنيا ضَيْفٌ، ومالهُ عارية؛ فالضَيْفُ مُرتحِلٌ، والعارِيَةُ مُؤَدّاةٌ»[1].

وفي «الصحيحين» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: مات ابن لأبي طلحة من أم سُليم، فقالت لأهلها: لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا أحدثه، فجاء فَقَرَّبَت إليه عشاءً؛ فَأَكل وَشَرِب، وقال: ثم تَصَنَّعت له أَحْسَن ما كانت تَصَنَّع قبل ذلك؛ فَوَقَع بها، فلما رأت أنه قَد شَبع وأصاب مِنها، قالت يا أبا طلحة: أرأيت لو أن قَوماً أعاروا عاريتَهم أَهْلَ بَيْتٍ؛ فطلبوا عاريَتَهم، أَلَهم أن يَمْنَعوهم؟ قال: لا، قالت: فاحتسب ابنك، قال: فغضب، قال: تَركتيني تَلَطَّختُ ثم أخبرتيني بابني؛ فانطلق حتى أتى رسولُ الله ﷺ فأخبره بما كان منها، فقال رسول الله ﷺ: «بارك اللهُ لكما في ليلتكما» وذكر الحديث[2].

المثال السادس عشر: قَومٌ سَلكوا مَفازةً، فاجأهم العَطَشُ، فانتهوا إلى البَحْرِ وماؤه أَمَرُّ شيءٍ وأملحُه، فَلِشِدّةِ عَطَشِهم لم يجدوا طَعْم مرارتِه وملوحتهِ، فشربوا منه فلم يرووا، وجعلوا كلما ازدادوا شُرباً ازدادوا ظَمَأً حتى تقطعت أمعاؤهم وماتوا عطشى.

وَعَلِم عقلاؤهم أَنّه مُرٌّ مالِحٌ، وأنه كلّما ازداد الشّاربُ منه ازداد ظمؤه؛ فتباعدوا عنه مَسافَةً حتى وَجدوا أرضاً حُلْوَةً، فحفروا فيها قليباً، فنبع لهم ماءٌ

(١) مضى تخريجه (ص ٣٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠١)، ومسلم (٢١٤٤) واللفظ له.

عَذْبٌ فُراتٌ؛ فَشَربوا، وَعَجَنوا، وَطَبخوا، ونادوا إخوانهم الذين على حافّةِ البَحْرِ هَلُمّوا إلى الماءِ الفُراتِ، وكان مِنهم المستهزىءُ، ومِنِهم المُعرِضُ الراضي بما هو فيه، وكان المُجيبُ واحداً بعد واحد.

وهذا المَثَلُ بعينه ضَرَبه المسيحُ عليه السلام فقال: «مَثَلُ طالبِ الدنيا كَمثلِ شاربِ ماءِ البَحرِ؛ كلما ازداد شُرْباً ازداد عَطَشاً حتى يَقْتُلَه»(١).

المثال السابع عشر: مَثَلُ الإنسانِ وَمثَلُ مالِه وَعَمَلِه وَعشيرَتِه مَثَلُ رَجُلٍ له ثلاثةُ إخوةٍ، فقضى له سَفَرٌ بعيدٌ طويلٌ لابُدّ له منه، فَدعا إخوتَه الثلاثةَ، وقال: قد حضَر ما ترون من هذا السَّفَرِ الطّويلِ وأحوج ما كنت إليكم الآن. فقال أحدهم: أنا كُنت أَخاك إلى هذه الحال، ومن الآن فَلَست بِأَخٍ ولا صاحب، وما عندي غير هذا، فقال له: لم تُغنِ عَنّي شيئاً. فقال للآخر: ماعندك؟ فقال: كنت أَخاك وَصاحِبَك إلى الآن، وأنا مَعَك حتى أجهزك إلى سَفَرِكَ وَتَرَكبَ راحلَتك، ومن هنالك لست لَك بصاحب. فقال له: أنا محتاجٌ إلى مرافقتِك في مسيري. فقال: لا سبيلَ لك إلاّ ذلك. فقال: لم تغنِ عنّي شيئاً. فقال للثالث: ما عندك أنت، فقال كنت صاحبَك في صحّتِك ومرَضِك، وأنا صاحبُك الآن، وصاحبُك إذا ركبت راحلتَك، وصاحبُك في مسيرِك؛ فإن سرتَ سرتُ معك، وإن نزلتَ نزلتُ معك، وإذا وصلت إلى بلدك كنت صاحبك فيها لا أفارقك أبداً. فقال: إن كنت لأهونُ الأصحابِ علي، وكنت أوثر عليك صاحبيك، فليتني عرفتُ حقَّك، وآثرتك عليهما.

فالأول: مالُه.

والثاني: أقاربُه وعشيرتُه وأصحابُه.

والثالث: عملُه.

وقد روي في هذا المثل بعينه حديثٌ مرفوعٌ لكنه لا يثبت، رواه أبو جعفر العقيلي في كتاب «الضعفاء» من حديث ابن شهاب عن عروة عن عائشة؛ وعن

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٣٤٢).

ابن المسيب عن عائشة مرفوعاً، وهو مَثَلٌ صحيحٌ في نَفْسِه مطابِقٌ للواقِع[1].

المثال الثامن عشر: وهو من أحسَنِ الأمثلةِ: مَلِكٌ بنى داراً لم يَرَ الراؤون، ولم يسمعْ السامعون أَحَسن ولا أوْسَع ولا أَجْمَع لِكُلِّ ملاذِّ النُّفوسِ منها، وَنَصب إليها طريقاً، وَبَعَث داعِياً يدعو الناس إليها، وأقعد على الطريقِ امرأةً جميلةً قد زُيِّنت بأنواعِ الزِّينَة، وألبست أَنواع الحليِّ والحُلَلِ، وَمَمَرُّ الناس كلِّهم عليها، وَجَعَل لها أَعواناً وَخَدَماً، وَجَعِل تحت يدِها ويدِ أعوانها زاداً للمارّين السائرين إلى الملِك في تلك الطريق، وقال لَها ولأعوانِها: مَن غَضّ طرفهُ عنك، ولم يَشْتَغِل بكِ عَنّي، وابتغى منك زاداً يوصِله إلي؛ فاخدميه وَزَوّديه، ولا تعوقيه عن سفرِه إلي، بل أعينه بكلِّ ما يبلغه في سفره.

ومن مَدَّ إليك عَينيه، وَرَضي بِك وآثَرَك عليَّ، وطلبَ وِصالَك؛ فسُوميه سوءَ العذابِ، وأوليه غايةَ الهوانِ، واستخدميه واجعليه يركضُ خَلفَك رَكضَ الوَحْشِ، ومن يأكل منك فاخدعيه به قليلاً ثم استرديه منه واسلبيه إياه كلّه، وسلطي عليه أتباعَك وعبيدك، وكلما بالغ في محبَّتِكِ وتعظيمكِ وإكرامِك؛ فقابليه بأمثاله قِلِىً وإهانَةً وهجراً حتى تنقطع نفسُه عليك حسراتِ.

---

(١) ومما يصلح لهذا المثال من السنة الصحيحة حديث أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يتبع الميت ثلاث: أهله وماله وعمله؛ فيرجع اثنان، ويبقى واحد: يرجع أهله وماله، ويبقى عمله». أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).
قلت: وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣١٠٧) ثم ساق حديثاً بعده عن أنس يفصّل الخبر وبوّب له: ذكر تفصيل لفظ الخبر الذي ذكرناه. عن النبي ﷺ قال: «لابن آدم ثلاثة أخلاء: أما خليل، فيقول: ما أنفقت فلك وما أمسكت فليس لك، فهذا ماله، وأما خليل فيقول: أنا معك فإذا أتيت باب المَلِك تركتك ورجعت، فذلك أهله وحشمه، وأما خليل فيقول: أنا معك حيث دخلت وحيث خرجت، فهذا عمله، فيقول: إن كنتَ لأهونَ الثلاثة عليَّ». أخرجه ابن حبان (٣١٠٨)، والطيالسي في «مسنده» (٢٠١٣)، ومن طريقه الحاكم (١/ ٣٧١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. قلت: إسناده حسن رجاله ثقات غير عمران بن داود القطان؛ فإنه صدوق يهم؛ فحديثه حسن.
وكان الأولى بالمصنف رحمه الله أن يستغني بهذه الأمثلة الثابتة التي فاتته عن الضعيفة التي أشار إليها، ورحم الله ابن المبارك القائل: «في الصحيح ما يغني عن الضعيف».

فتأمل هذا المثالَ، وحالَ خُطاب الدّنيا وَخُطاب الآخرة، والله المستعان.

وهذا المَثَلُ مأخوذٌ من الأثر المرويّ عن الله عز وجل: «يا دنيا اخدمي من خَدمني، واستخدمي من خَدَمَك»[1].

المثال التاسع عشر: مَلِكٌ خَطّ مدينةً في أصَحِّ المواضِع وأحسَنِها هواءً، وأكثَرِها مياهاً وَشَقَّ أنهارَها وغرسَ أشجارَها، وقال لرعيَّتِه: تسابقوا إلى أَحسنِ الأماكِن فيها؛ فَمَن سَبَق إلى مكانٍ فهو لَه، ومن تَخَلَّف سَبَقه الناسُ إلى المدينةِ، فأخذوا منازلَهم، وتبوأوا مساكنِهم فيها، وبقي من أصحابِ الحسراتِ، ونَصَب لهم ميدانَ السِّباقِ، وجعل على الميدانِ شَجَرةً كبيرةً: لها ظِلٌّ مديدٌ وتحتها مياهٌ جارِيةٌ، وفي الشَّجَرةِ من كُلِّ أنواعِ الفَواكِه وعليها طيورٌ عجيبةُ الأصواتِ، وقال لهم لا تَغْتَرُوا بهذه الشَّجَرَةِ وظلِّهاَ فعن قَليلٍ تُجْتَثُّ من أصْلِها، ويذهبُ ظِلُّها، وَيَنقَطِعُ ثَمَرُها، وتموتُ أطيارُها، وأمّا مدينةُ الملِكِ؛ فَأُكُلُها دائِمٌ، وظِلُّها مَديدٌ، ونعيمُها سَرمدي، وفيها ما لا عينٌ رَأَت، ولا أُذُنٌ سَمِعَت، ولا خَطَر على قَلْبِ بَشَرٍ، فَسَمِع النَاسُ بِها فَخَرجوا في طلبِهَا على وجوهِهم؛ فَمَروا بِطَرِيقِهم بتلك الشجرَة على أَثَرِ تَعَبٍ وَنَصَبٍ وَحَرٍّ وَظَمأ، فنزلوا كلُّهم تحتها، واستظلوا بظلِّها، وذاقوا حلاوَة ثَمرِها، وسمعوا نَغَماتِ أطيارِها، فقيل لهم: إنّما نَزَلتم تَحتَها لِتَحموا أَنفُسَكم، وتَضَمّروا مراكِبَكم للسِّباق، فتهيأوا للرُّكوبِ وكونوا على أُهْبَةٍ، فإذا صاحَ النّفيرُ استدركتم حَلَبَة السِّباقِ فقال الأكثرون: كيف نَدَع هذا الظِّلَّ الظَليلَ، والماءَ السَلسبيلَ، والفاكِهةَ النَّضِجَةَ، والدَّعَةَ والرّاحَةَ، ونقتحمُ هذه الحَلَبَة في الحَرِّ والغُبارِ والتَّعَبِ والنَّصَبِ والسَّفَرِ البَعيدِ والمفاوز المعطشَةِ التي تَتَقَطَّعُ فيها الأمعاءُ؟ وكيف نبيعُ النَّقْدَ الحاضِرَ بالنَّسيَئَةِ الغائبَةِ إلى الأَجَل البَعيدِ، وَنَتْرُكُ ما نراه إلى ما لا نراه، وذَرَّة مَنْقودَةٌ في اليَدِ أولى من دُرّةٍ مَوعودَةٍ بَعد غَدٍ، خُذ ما تَراه وَدع شيئاً سمِعت به، ونحن بنو اليوم وهذا عيشٌ حاضِرٌ كيف نتركهُ لعيش غائبٍ في بَلَدٍ بعيدٍ لا ندري متى نَصِل إليه؟ وَنَهض مَن كُلِّ ألفٍ واحدٌ وقالوا: والله ما مقامنا هذا في ظِلٍّ زائِلٍ تحت شَجَرةٍ قَد دنى قَلْعُها،

---

(١) موضوع ـ كما في «تذكرة الموضوعات» للفتني (ص١٧٥).

وانقطاعُ ثمرِها، وموتُ أطيارِها، ونترك المسابَقَة إلى الظِّلِّ الظَّليلِ الذي لا يزولُ، والعيشِ الهنيءِ الذي لا ينقطعُ إلا من أَعجَزِ العَجَزِ، وهل يليقُ بالمسافِر إذا استراح تحت ظِلٍّ أن يضربَ خِباءَه عليه ويَتَّخِذَه وَطَنَه خشيةَ التّأذي بالحَرِّ والبّردِ؟ وهل هذا إلا أَسفَه السَّفَه؟ فالسِّباقُ السَّباق والبِدارُ البدارُ.

حكمُ المَنِيَّة في البَرِيَّةِ جاري	ما هذه الدُّنيا بدارِ قَرارِ
اقضوا مآربَكم سِراعاً إنّما	أعمارُكم سَفَرٌ من الأَسفارِ
وتراكضوا خَيْلَ السّباقِ وبادِروا	أن تُسْتَرَدَّ فإنّهن عَواري
ودعوا الإقامة تحت ظلٍّ زائلٍ	أنتم على سَفرٍ بهذي الدّارِ
من يرجو طِيبَ العَيْشِ فيها إنما	يبني الرّجاءَ على شَفيرٍ هارِ
والعَيْشُ كُلُّ العَيْشِ بعد فِراقِها	في دارِ أَهْلِ السَّبْقِ أكْرَمِ دارِ

فاقتحموا حَلَبَةَ السِّباقِ، ولم يَستَوحِشوا مِن قِلَّةِ الرّفاقِ، وساروا في ظهورِ العَزائم، ولم تأخُذْهم في سَيْرِهم لومَةُ لائِم، والمُتَخَلِّفُ في ظِلِّ الشَّجَرةِ نائِمٌ. فوالله ما كان إلا قليلٌ حتى ذَوت أغصانُ تلك الشَّجَرَةِ، وتساقطت أوراقُها، وانقطع ثمرُها، وَيَبست فُروعُها، وانقطَع مَشربُها، فقلعها قَيِّمُها من أَصلِها، فأصبح أهلُها في حَرِّ السَّمومِ يَتَقَلّبون، وعلى ما فاتهم من العيش في ظلِّها يَتَحسّرون، أحرَقها قَيِّمُها فصارت هي وما حَولَها ناراً تَلَظّى، وأحاطت النّارُ بِمن تحتها فلم يستطع أحدٌ منهم الخُروج مِنها، فقالوا: أين الركب الذين استظلوا معنا تحت ظلها ثم راحوا وتركوه؟ فقيل لهم: ارفعوا أبصارَكم تروا منازلَهم فرأوهم من البُعد في قصورِ مَدينَةِ المِلك وغُرَفِها يتمتعون بأنواعِ اللّذاتِ؛ فتضاعفَت عليهم الحَسَراتُ ألا يكونوا معهم، وزاد تضاعفَها بأن حيلَ بينهم وبين ما يشتَهون، وقيل: هذا جزاءُ المُتَخَلِّفين: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨].

المثال العشرون: ما مَثَّلَها به النَّبيُّ ﷺ من الثَّوبِ الذي شُقَّ، وبقي مُعلَّقاً بخيطِ في آخرِه، فما بقاءُ ذلك الخَيطِ؟.

قال ابن أبي الدنيا: حدثني الفضل بن جعفر حدثنا وهب بن بيان حدثنا

يحيى بن سعيد العطار حدثنا أبو سعيد خلف بن حبيب عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ هذه الدنيا مَثَلُ ثوبٍ شُقَّ من أوّلِه إلى آخِرِه؛ فَبَقِي مُعَلَّقاً بِخَيطٍ في آخرِه؛ فيوشك ذلك الخيطُ أن يَنْقَطِع»[1].

وإن أردت لهذا المثالِ زيادةَ إيضاحٍ؛ فانظر إلى ما رواه أحمد في «مسنده» من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد قال: صلى بنا رسولُ الله ﷺ العصرَ نهاراً، ثم قام فخطبنا، فلم يترك شيئاً قبل قيامِ الساعة إلا أخبر به، حفظه من حفظه، ونسيه من نسيه، وجعل الناس يلتفتون إلى الشَّمسِ هل بقي منها شيء؟ فقال: «ألا إنه لم يبقَ من الدّنيا فيما مَضى منها إلا كما بقي من يومِكم هذا فيما مضى منه»[2].

وروى حفص بن غياث عن ليث عن المغيرة بن حكيم عن ابن عمر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ والشمس على أطراف السَّعف، فقال: «ما بقي من الدّنيا إلا مثل ما بقي من يومنا هذا فيما مضى منه»[3].

وروى ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن سعد حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا

---

(١) **ضعيف** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٢٢١)، و«قصر الأمل» (١٢٢) ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٤٠). قلت: إسناده ضعيف؛ كما قال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٣/ ٢١١)، وضعفه شيخنا في «الضعيفة» (١٩٧٠). وله طريق آخر أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٣١). وضعفه بقوله: «غريب من حديث الفضيل لم نكتبه إلا من حديث إبراهيم، وأبان ابن أبي عياش لا يصح حديثه؛ لأنه كان نهماً بالعبادة، والحديث ليس من شأنه».

(٢) **حسن** ـ أخرجه أحمد (٣/ ١٩ و٦١)، والترمذي (٢١٩١) من طريق علي بن زيد بن جدعان عن أبي نضرة به. قلت: إسناده ضعيف؛ لأن علي بن زيد ضعيف، ويشهد له ما بعده.

فائدة: إسناد أحمد في الموطن الأول مما فات الحافظ ابن حجر في «أطراف المسند المعتلي» (٦/ ٣٦٢)، ولم ينبه على ذلك المحقق كعادته.

(٣) **صحيح** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١٢٠) من طريق حفص بن غياث به. قال العراقي: في «المغني عن حمل الأسفار» (٤/ ٤٥٩) «إسناده حسن». قلت: فيه ليث بن أبي سُليم وهو ضعيف. ويشهد له ما أخرجه أحمد (٢/ ١٣٣) مثله بإسناد صححه الشيخ أحمد شاكر رحمه الله (٦١٧٣).

موسى بن خلف عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ خطب عند مغرب الشمس فقال: «ما بقي من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقي من يومِكم هذا فيما مضى منه»[1].

فالدنيا كلها كيوم واحد، بُعِث رسولُ الله ﷺ في آخره قبل غروب شمسه بيسير. وقال جابر وأبو هريرة رضي الله عنهما عنه ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين، وقرن بين أصابعه: السبابة والوسطى»[2].

وكان بعضُ السلف يقول: تَصبّروا فإنما هي أيام قلائِل، وإنما أنتم رَكبٌ وقوفٌ يوشك أن يدعى أحدُكم فيجيب ولا يلتفت، وإنه قد نُعِيَت إليكم أنفسُكم، والموت حَبْس لا بُدّ مِنه، واللهُ بالمِرصاد، وإنّما تَخرُجُ هذه النُّفوسُ على آخرِ سورة الواقعةِ.

المثال الحادي والعشرون: مثالُ الدنيا كَحوضٍ كبيرٍ مُلىء ماء، وجعل مورداً للأنامِ والأنعام، فجعل الحوضُ ينقصُ على كثرةِ الواردِ حتى لم يبق منه إلا كَدَرٌ في أسفلِه، قد بالت فيه الدّوابُ، وخاضته النّاسُ والأنعامُ؛ كما روى مسلم في «صحيحه» عن عتبة بن غزوان أنه خطبهم، فقال في خطبته: «إن الدُّنيا قد آذنت بِصُرْمٍ[3]، وَوَلَّت حَذّاءَ[4]، ولم يَبْقَ مِنها إلا صُبابَةٌ[5] كَصُبابةِ الإناءِ يَتَصَابُّها صاحبُها، وإنكم مُنْتَقِلون عنها إلى دارٍ لا زوالَ لها، فانتقلوا بخيرِ ما بحضَرتِكم»[6].

وقال عبد الله بن مسعود: «إن الله تعالى جعل الدنيا كُلَّها قليلاً، فما بقي

---

(١) **حسن لغيره** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «قصر الأمل» (١٢١)، وابن جرير في «تاريخه» (٦/١)؛ وفيه موسى بن خلف، وهو صدوق له أوهام، ويشهد له ما قبله.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٥) من حديث أبي هريرة، ومسلم (٨٦٧) من حديث جابر.

(٣) أعلمت بانقطاعها وذهابها.

(٤) مسرعة.

(٥) البقية اليسيرة في الشراب تبقى أسفل الإناء.

(٦) أخرجه مسلم (٢٩٦٧).

منها إلا قليلٌ من قليلٍ، ومثل ما بقي منها كالثَّغبِ شُرِب، وبقي كَدَرُه»[1].
الثَّغَبُ: الغدير.

المثال الثاني والعشرون: قومٌ سكنوا مدينةً مدةً مِن الزّمانِ، فَكَثُرت فيها الأحداثُ والآفاتُ، وطرقَتها المحنُ، وأغارت عليها عَساكرُ الجَورِ والفَسادِ فبنى مَلِكُهُمْ مدينةً في محلٍ لا يطرقُه آفةٌ ولا عاهةٌ، وعزم على تَخريبِ المدينةِ الأولى، فأرسل إلى سُكّانِها فنودي فيهم بالرّحيلِ بعد ثلاثٍ، ولا يتخلّف منهم أحدٌ، وأمرهم أن ينقلوا إلى مدينةِ الملكِ الثانيةِ خير ما في تلك المدينَةِ وأنفَعَه وأَجَلَّه من الجواهر واللآلىء والذّهب والفضةِ، وما خَفَّ حملُه من المتاع، وعظُمَ قدرُه، وَصَلح للملوكِ، وأرسلَ إليهم الأدلاءَ وآلاتِ النّقلِ، وَنَهَج لهم الطريقَ، وَنَصب لهم الأعلامَ، وتابع الرّسُلَ يستحثونهم بعضهم في أثرِ بعض، فانقسموا فِرَقاً:

فالأقلون عَلِموا قِصَرَ مدّةِ مُقامِهم في تلك المدينة، وتيقنوا أنهم إن لم يبادروا بتحصيلِ خيرِ ما فيها وحملِه إلى مدينةِ الملكِ، وإلا فاتهم ذلك فلم يقدروا عليه فرأوا غُبْناً أن يقطعوا تلك المُدةِ في جمعِ المفضولِ والاشتغال به عن الفاضلِ، فسألوا عن خيرِ ما في المدينةِ وأنفَسِه وأَحَبِّه إلى الملكِ وأنفعهِ في مدينته، فلما عرفوه لم يلتفتوا إلى ما دونه، ورأوا أن أحدَهم إذا وافى جوهرةً عظيمةً كانت أحبَّ إلى الملك من أن يوافيه بأحمالٍ كثيرةٍ من الفلوسِ والحديدِ ونحوها؛ فكان همُّهم في تحصيلِ ما هو أحبّ إلى الملكِ وأنفس عنده ولو قلَّ في رأي العين[2].

وأقبلت فرقةٌ أخرى على تعبئةِ الأحمالِ المحملةِ وتنافسوا في كثرتِها، وهم على مراتِب فمنهم من أحمالُه أثمان، ومنهم من أحمالُهم دون ذلك على قَدْرِ هِمَمِهم وما يليقُ بهم، لكن هِمَمَهم مصروفةٌ إلى تعبئةِ الأحمالِ والانتقالِ من المدينةِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٦٤) بنحوه.

(٢) في «م»: الآخرين.

وأقبلت فرقةٌ أخرى على عمارةِ القصور في تلك المدينةِ والاشتغالِ بطيباتها ولذّاتها ونُزَهِها، وحاربوا العازِمين على النَقْلَةِ، وقالوا: لا نَدَعكم تأخذون من متاعِنا شيئاً، فإن شاركتمونا في عمارةِ المدينةِ واستيطانِها وعيشِنا فيها، وإلا لم نُمكّنكُم من النقْلَةِ، ولا من شيءٍ من المتاعِ، فوقعت الحربُ بينهم فقاتلوا السائرين؛ فَعَمَدوا إلى أكلِ أموالِهم وأهليهم وما نَقموا منهم إلا بسَيْرهم إلى دارِ الملكِ وإجابةِ داعيه، والرغبةِ عن تلك الدارِ متى أمرهم بتركِها.

وأقبلت فرقةٌ أخرى على التَّنَزُّه والبطَالةِ والّراحةِ والدّعَة، وقالوا: لا نُتْعِبُ أنفسَنا في عمارتها، ولا ننقل مِنها، ولا نعارضُ من أراد النقلةَ، ولا نحاربهُم، ولا نعاونهُم، وكان للملك فيها قصرٌ فيه حريمٌ له وقد أحاط عليه سوراً، وأقام عليه حَرَساً، ومنع أهلَ المدينة من قربانِه، وطاف به القاعدون فلم يجدوا فيه باباً يدخلون منه، فغدوا على جدرانِه فنقبوها ووصلوا إلى حريمِه فأفسدوهم، ونالوا منهم ما أسخطَ الملكَ وأغضبه وَشَقَّ عليه، ولم يقتصروا على ذلك حتى دعوا غيرَهم إلى إفسادِ حريمهِ والنّيل منهم، فبينما هم على تلك الحالِ، وإذا بالنَّفير قد صاح فيهم كلّهم فلم يمكِّن أحداً منهم من التَّخلُّفِ، فَحُمِلوا على تلك الحالِ وأحضروا بين يدي الملك، فاستعرضَهم واحداً واحداً، وعرضت بضائعهم وما قدموا به من تلك المدينة عليه؛ فقبل منها ما يصلُح له، وأعاض أربابَه أضعافَ أضعافَ قيمتِه، وأنزلهم منازِلهم من قُرْبِه، وَرَدَّ منها ما لا يصلحُ له وضرب به وجوه أصحابِهِ، وقابل من نَقب حماه وأفسَد حريمَه بما يقابل به المفسدون، فسألوا الرّجعةَ إلى المدينة ليعمروا قَصْره، ويحفظوا حريمَه، ويقدموا عليه من البضائع بمثل ما قدم به التّجارُ، فقال: هيهات قد خربت المدينةُ خراباً لا تعمر بعده أبداً وليس بعدها إلا المدينة التي لا تخربُ أبداً.

المثال الثالث والعشرون: وَقَد مُثِّلَت الدنيا بمنامٍ، والعيشُ فيها بالحُلِم، والموتُ باليَقَظةِ. ومثلت بمزرعةٍ، والعملُ فيها بالبَذرِ، والحَصَادُ يوم المعاد. ومثلت بدارٍ لها بابان: بابٌ يدخل منه الناسُ، وباب يخرجون منه. ومثلت بحيّةٍ ناعمةِ الملمَسِ، حسنةِ اللونِ وضربتها الموتُ. ومثّلت بطعامٍ مسمومٍ، لذيذِ الطّعمِ، طيّبِ الرائحةِ، من تناول منه بِقِدْر حاجته كان فيه شفاؤه، ومن زاد على

حاجتِه كان فيه حَتْفُه. وَمُثلت بالطّعامِ في المَعِدة، إذا أخذت الأعضاءُ منه حاجتها فَحَبْسُه قاتِلٌ أو مؤذٍ ولا راحةَ لصاحبِه إلا في خُروجه؛ كما أشار إليه النَّبيُّ ﷺ في آكلةِ الخضر وقد تَقَدّمَ[1]. ومثلت بامرأةٍ من أقبحِ النّساء قد انتقبت على عينين فَتَنَت بهما النّاسَ وهي تدعو الناسَ إلى منزلِها، فإذا أجابوها كَشَفت لهم عن منظرِها وَذَبحتهم بسكاكينها وألقتهم في الحُفَرِ، وقد سُلِّطت على عُشّاقها تفعل بهم ذلك قديماً وحديثاً، والعجبُ أن عشاقَها يرون إخوانَهم صَرعى قد حَلّت بهم الآفاتُ، وهم يتنافسون في مصارِعهم ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾﴾ [إبراهيم: ٤٥]، ويكفي في تمثيلها ما مَثّلَها الله سبحانه في كتابِه فهو المَثلُ المنطبقُ عليها.

قالوا: وإذا كان هذا شأنُها فالتَّقَلُّلُ منها والزُّهد فيها خيرٌ من الاستكثارِ منها والرغبةِ فيها.

قالوا: ومن المعلومِ أنه لا تجتمعُ الرغبةُ فيها مع الرّغبَةِ في الله والدارِ الآخرةِ أبداً، ولا تسكن هاتان الرغبتان في مكانٍ واحدٍ إلا وطردت إحداهُما الأخرى، واستبدت بالمسكنِ، ولا تَجْتَمِعُ ابنةُ رسولِ الله ﷺ وابنةُ عدوّ الله عند رجلٍ واحد أبداً.

قالوا: ويكفي أن رسولَ الله ﷺ عُرضت عليه مفاتيحُ كنوزِها، ولو أخذَها لكان أشكَرَ خَلقِ الله بها، ولم تنقصْه مما له عند الله شيئاً؛ فاختار جوعَ يومٍ وَشَبَعَ يومٍ[2]. ومات ودرعُه مرهونةٌ على طعامٍ لأهله؛ كما تقدم ذكره[3].

قالوا: وقد انقسم الناسُ بعد رسول الله ﷺ أربعةَ أقسام: قسم لم يريدوا الدّنيا ولم ترِدْهم؛ كالصّديقِ ومن سَلك سبيلَه. وقسم أرادتهم الدنيا ولم يريدوها؛ كعمرَ بن الخطاب، ومن سلَك سبيلَه. وقسم أرادوا الدنيا وأرادتهم؛

---

(١) مضى تخريجه (ص ٣٦٥).
(٢) مضى تخريجه (ص ١٨٤).
(٣) مضى تخريجه (ص ٢٥٧).

كخلفاء بني أمية ومن سلك سبيلهم، حاشا عمربن عبد العزيز فإنها أرادَته ولم يردْها. وقسم أرادوها ولم تردْهم؛ كمن أفقر اللهُ منها يَدَه، وأسكنها في قلبِه، وامتحنه بِجمعها.

ولا يخفى أن خيرَ الأقسامِ القسمُ الأوّلُ، والثاني إنّما فضّلِ، لأنه لم يُرِدْها؛ فالتحق بالأوّلِ.

قالوا: وقد سأل رجلٌ رسولَ الله ﷺ أن يَدُلَّه على عملٍ إذا فعله أحبَّه اللهُ وأحبَّه الناس؛ فقال له: «ازهد في الدّنيا يُحِبُّك اللهُ، وازهد فيما في أيدي الناس يُحبُّك النّاسُ»[1] فلو كان الغنى أفضلَ لَدَلَّه عليه.

قالوا: وقد شَرَع اللهُ سبحانه قتالَ الكفّارِ، وَشَرَع الكَفَّ عن الرّهبانِ؛ لاعتزالهم عن الدّنيا وزهدِهم فيها، فمضت السُّنّةُ بأن لا يقاتلوا ولا يضربُ عليهم جِزْيَةٌ، هذا وَهم أعداؤه وأعداءُ رسُلِه ودينِه؛ فَعُلِمَ أن الزُّهدَ فيها عند الله بمكان.

قالوا: وكذلك استقرت حِكمَتُه في شرعِه على أن عقوبةَ الواجِدِ أعظمُ من عقوبةِ الفاقد؛ فهذا الزّاني المُحَصَنُ عقوبَتُه الرَّجْمُ، وعقوبةُ من لم يحصن الجلدُ والتَغريبُ، وهكذا يكونُ ثوابُ الفاقِدِ أعظمُ من ثوابِ الواجِدِ.

قالوا: وكيف يستوي عند الله سبحانه ذِلّة الفقر، وكسرتُه، وخضوعُه، وتجرعُ مرارتِه، وتحملُ أعبائه ومشاقه، وَعزةُ الغنى، ولذّتُه، وصولتُه، والتَّمتُّعُ بلذّاتِه، ومباشرةُ حلاوتِه، فبعين اللهِ ما يتحمّلُ الفقراءُ من مرارةِ فقرِهم وصبرِهم ورضاهم به عن الله ربِّهم تبارك وتعالى. وأين أجرُ مشقةِ المجاهدين إلى أجرِ عبادةِ القاعدين في الأمَنِ، والدَّعَةِ، والرّاحَةِ؟

قالوا: وكيف يستوي أمران: أحدُهما: حُفّت به الجَنَّةُ، والثاني: حُفّت به النّارُ، فإن أصلَ الشّهواتِ من قبل المالِ، وأصلَ المكاره من قبلِ الفَقْرِ.

---

(١) **ضعيف** ـ كما بينه بالتفصيل في «صحيح الأذكار وضعيفه» (١٢٥٠/ ٢٦٧)؛ فأغنى عن الإعادة.

قالوا: والفقيرُ لا ينفكُّ في خَصاصَةٍ من مَضَضِ الفَقْرِ والجوعِ والعُرِيِّ والحاجَةِ وآلامِ الفقر وكلٌّ واحد منها يكفر ما يقارفه من السّيئات، وذلك زيادةٌ على أجره بأعمالِ البرِّ، فقد شارك الأَغنياءَ بأعمالِ البرِّ، وامتازَ عنهم بما يُكَفِّر سيئاتِه، وما امتازوا به عليه من الإنفاقِ والصَّدقَةِ والنَّفْعِ المُتَعَدّي فله سبيلٌ إلى لحاقِهم فيه، وله مثل أجورِهم، وهو أن يعلم اللهُ من نِيِّتِه أنه لو أوتي مثل ما أوتوه لفعل كما يفعلون، فيقول: لو أن لي مالاً لعملت بأعمالهم فهو بنيته وأجرهما سواء، كما أخبر به الصّادقُ المصدوقُ في الحديثِ الصّحيحِ الذي رواه الإمامُ أحمد والترمذي من حديث أبي كبشة الأنماري[1].

قالوا: والفقيرُ في الدنيا بمنزلة المسجونِ إذ هو ممنوعٌ عن الوصولِ إلى شهواتِه وملاذِّها، والغني متخلصٌ من هذا السِّجن، وقد قال النبي ﷺ: «الدّنيا سِجنُ المؤمنِ، وَجَنّةُ الكافِر»[2]؛ فالغنيُّ إن لم يَسْجُن نَفْسَه عن دواعي الغِنى وطغيانِه وأرسلَها في ميادين شهواتِها كانت الدنيا جَنّةً له، فإنما نال الفضْلَ بِتَشَبّهه بالفقيرِ الذي هو في سِجنِ فَقْره.

قالوا: وقد ذَمَّ اللهُ ورسولُه من عُجِّلت له طيباتُه في الحياةِ الدنيا، وإنَّهُ لحريٌّ أن يكون عِوَضاً عن طيباتِ الآخرة أو منقصةً لها، ولا بُدَّ كما تَقَدَّم بيانُه، بخلاف من استكمل طيباته في الآخرة لما مُنِعَ منها في الدنيا، وأُتي رسولُ الله ﷺ بسويقِ لوزٍ؛ فأبى أن يَشرَبَه، وقال: «هذا شرابُ المترفين»[3].

قالوا: وقد سئل الحسنُ البصري فقيل له: رجلان أحدهُما تاركٌ للدنيا، والآخرُ يكتسبها ويتصدقُ بها فقال: «التاركُ لها أحبُّ إليَّ».

قالوا: وقد سئل المسيحُ قبله عن هذه المسألة عن رجلين مر أحدُهما بِلِبْنَةِ ذهب؛ فتخطاها ولم يلتفت إليها ومر بها الآخرُ؛ فأخذها وتصّدق بها، فقال:

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٤/ ٢٣٠ و٢٣١)، والترمذي (٢٣٢٥)، وابن ماجه (٤٢٢٨) وغيرهم. قلت: وهو صحيح؛ كما قال المصنف رحمه الله.

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٥٦).

(٣) **ضعيف** ـ رواه نعيم في «زوائد الزهد» رقم (٢٠٠)، وأحمد في «الزهد» (٦)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٣٩٥). قلت: إسناده ضعيف؛ لإرساله.

«الذي لم يلتفت إليها أفضل». ويدل على هذا أن رسولَ الله ﷺ مَرّ بها، ولم يلتفت إليها، ولو أخذها لأنفقها في سبيل الله.

قالوا: والفقيرُ الفقيه في فقرِه يمكنه لحاقُ الغَنيِّ في جميعِ ما ناله بغناه بنيتِه، وقوله؛ فيساويه في أجرِه، ويتميز عنه بعدَم الحساب بعدمِ المالِ، فساواه بثوابِه، وتخلَّص من حسابِه؛ كما تميز بسبقِهِ إلى الجنّةِ بخمسمائة عام، وتميز عنه بثوابِ صبرِه على ألمِ الفقرِ وخَصاصَتِه.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبادة بن مسلم حدثني يونس بن خباب عن أبي البختري الطائي عن أبي كبشة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثلاث أقسم عليهن، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه، فأما الثلاث التي أقسم عليهن: فإنه ما نَقَص مالُ عبدٍ من صدقةٍ، ولا ظُلِم عَبْدٌ مظلمةً فصبر عليها إلا زادَه الله عز وجل بها عِزّاً، ولا يفتح عبدٌ بابَ مسألةٍ إلا فتح الله له بابَ فقرٍ.

وأما الذي أحدثكم حديثاً فاحفظوه فإنه قال: إنّما الدنيا لأربعة نفرٍ: عبد رزقه اللهُ مالاً وعلماً؛ فهو يتقي فيه ربّه، ويصل فيه رحمَه، يعلم فيه لله حقاً؛ فهذا أفضل المنازل عند الله، وعبد رزقه الله علماً، ولم يرزقه مالاً؛ فهو يقول: لو كان لي مالٌ عملت فيه بعملِ فلان، قال: فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً، ولم يرزقْه علماً؛ فهو يتخبط في مالِه بغير علم لا يتقي فيه ربّه، ولا يصل فيه رحمَه، ولا يعلم لله فيه حَقّاً؛ فهذا بأخبثِ المنازِل عند الله، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا عِلماً؛ فهو يقول: لو كان لي مالٌ لفعلت بفعل فلان. قال: فهو بنيته ووزرهما سواء»[1].

فلما فَضّلَ الغَنِيَّ بفعلِه ألحق الفقيرَ الصادِقَ بِنيتِه، والغني هناك إنّما نقص بتخلفه عن العَمَلِ، والفقير إنما نقص بسوءِ نيته فلم ينفع الغَنِيَّ غناه مع التَّخَلُفِ، ولا ضَرَّ الفقير فَقْرُه مع حُسنِ النيةِ، ولا نَفَعه فقرُه مع سوءِ نيته.

قالوا: ففي هذا بيانٌ كافٍ شافٍ في المسألةِ، حاكمٌ بين الفريقين، وبالله التوفيقِ.



(١) مضى تخريجه (ص ٣٨٥).

الباب الرابع والعشرون

في ذكر ما احتجت به الأغنياء من الكتاب والسنة والآثار والاعتبار

قالت الأغنياء: لقد أجلبتم علينا أيُّها الفقراءُ بِخَيلِ الأَدِلَّةَ وَرجلها، ونحن نعلم أن عندكم مثلها وأكثر من مثلها، ولكنْ توسَّطتم بين التّطويلِ والاختصارِ، وظننتم أنّها حكمت لكم بالفَضلِ دون ذوي اليَسارِ، ونحن نحاكمكم إلى ما حاكمتمونا إليه، ونعرضُ بضاعَتنا على من عَرضتم بضاعَتكم عليه، ونضع أَدلَّتنا وأدلَّتكم في ميزانِ الشّرعِ والعَقلِ الذي لا يعزل، فحينئذ يتبين لنا ولكم الفاضِلُ من المفضولِ، ولكن أَخرجوا من بيننا من تَشَبّه بالفقراءِ الصّادِقين الصّابرينَ، ولَبِس لباسَهم على قَلبِ أحرصِ الناس على الدّنيا وأشحِّهم عليها وأبعدِهم من الفقرِ والصبرِ من كل مُظهِرٍ للفقرِ مُبطنٍ للحرصِ غافلٍ عن ربّه متبعٍ لهواه مُفَرِّطٍ في أمر معادِه، قد جعل زَيَّ الفقرِ صناعةً، وتحلّى بما هو أبعَد الناس منه بضاعةً، أو فقير حاجه فقره اضطراراً لا اختياراً فزهده زهد إفلاسٍ لا زهد رغبةٍ في الله والدار والآخرة، أو فقير يشكو ربّه بلسانِ قالِه وحالِه غير راضٍ عن ربّه في فقره، بل إن أعطيَ رضِيَ وإن مُنِع سَخِطَ، شديد اللَّهف على الدنيا والحَسْرة عليها، وهو أفقرُ الناسِ فيها فهو أرغبُ شيءٍ فيها، وهي أزهدُ شيءٍ فيه، وأخرجوا من بيننا ذي الثروةِ الجموعِ المنوعِ المتكاثِرِ بمالِه المستأثِر به، الذي قد عَضّ عليه بناجذه، وثنى عليه خناصرَه، يفرحُ بزيادتِه ويأسى على نقصانِه، فقلبُه به مشغوفٌ، وهو على تحصيلِه ملهوفٌ، إن عرض سوقُ الإنفاق والبَذلِ أعطى قليلاً وأكدى، وإن دُعي إلى الإيثارِ أمعن في الهَربِ جِدّاً، وأخلصونا وإخواننا من سباقِ الطائفتين وساداتِ الفريقين الذين تسابقوا إلى الله والدار الآخرة بإيمانهم وأحوالهم، ونافسوا في القرب منه بأعمالهم وأموالهم، فقلوبهم عاكفةٌ

عليه، وهمتُهم إلى المسابقة إليه، ينظر غنيُّهم إلى فقيرِهم فإذا رآه قد سبقه إلى عملٍ صالحٍ شَمّر إلى اللحاقِ به، وينظر فقيرُهم إلى غنيهم فإذا رآه قد فاته بإنفاقٍ في طاعةِ الله أنفق هو من أعمالِه وأقوالِه وصبرِه وزهدِه نظيرَ ذلك أو أكثر منه، فهؤلاء إخواننا الذين تكلم الناسُ في التفضيل بينهم وأيهم أعلى درجة، وأما أولئك فإنما ينظر أيهم تحت الآخر في العذابِ، وأسفل منه، والله المستعانُ.

إذا عُرف هذا، فقد مَدَح الله سبحانه في كتابِه أعمالاً، وأثنى على أصحابِها، ولا تحصل إلا بالغِنى؛ كالزكاةِ والإنفاقِ في وجوهِ البِرِّ، والجهادِ في سبيل الله بالمالِ، وتجهيز الغُزاةِ، وإعانة المحاويجِ، وفكِّ الرِّقابِ، والإطعامِ في زَمَن المَسْغَبَةِ.

وأين يقع صبرُ الفقيرِ مِنْ فرحةِ الملهوفِ المُضطرِ المشرفِ على الهلاكِ إذا أعانه الغنيُّ ونصرَه على فقرِه وَمَخْمَصَتِه؟

وأين يقع صبرُه مِنْ نَفْعِ الغني بماله في نصرةِ دينِ الله وإعلاءِ كلمته وكسرِ أعدائه؟

وأين صبرُ أبي ذر على فقرِه إلى شكرِ الصديق ربّه وشرائه المعذّبين في الله وإعتاقِهم، وإنفاقِه على نصرة الإسلامِ حين قال النَّبِيُّ ﷺ: «ما نفعني مالُ أحدٍ ما نفعني مالُ أبي بكر»؟[1]

وأين يقعُ صبرُ أهلِ الصُفَّةِ من إنفاقِ عثمانَ بن عفّان تلك النفقاتِ العظيمةِ التي قال له رسول الله ﷺ ـ في بعضها ـ: «ما ضَرَّ عثمانُ ما فَعل بعد اليَومِ»[2]،

---

(١) **صحيح** ـ أخرجه ابن ماجه (٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٥/ ٣٧)، وأحمد (٧٤٣٩ ـ شاكر)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٦ ـ ٧)، وابن حبان (٦٨٥٨) من طريق أبي معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة. قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها: أخرجه الحميدي (٢٥٠)، وأبو يعلى (٤٤١٨ و٤٩٠٥) من طريق الزهري عن عروة عنها به. قلت: إسناده صحيح على شرطهما.

(٢) **صحيح لغيره** ـ أخرجه الترمذي (٣٧٠١)، وأحمد (٥/ ٦٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١٢٧٩)، و«الجهاد» (٨٢)، والفسوي في «المعرفة والتأريخ» (١/ ٢٨٣)، وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٥/ ٦٣)، و«فضائل الصحابة» (٧٣٨)، والطبراني في=

ثم قال: «غفر الله لك يا عثمان ما أسررت، وما أعلنت، وما أخفيت، وما أبديت» أو كما قال.

وإذا تأملتم القرآنَ، وجدتم الثناءَ فيه على المنفقين أضعاف الثناء على الفقراءِ الصّابرين.

وقد شهد رسولُ الله ﷺ بأن اليَدَ العُليا خيرٌ من اليَدِ السُّفلى، وفسر اليد العليا بالمُعطية، والسُّفلى بالسائلةِ[1]، وقد عَدّد اللهُ سُبحانه على رسوله ﷺ من نعمه أن أغناه بعد فقرهِ[2]، وكان غناه هو الحالة التي نَقَلَه إليها، وفقره الحالة التي نَقَله منها، وهو سبحانه كان ينقُلُه من الشيءِ إلى ما هو خيرٌ منه.

= «الأوسط» (٩٢٢٦)، والحاكم (٥/ ٢٠٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٢٠٥)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ١٣٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٩)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١/ ٨٩/ أ) وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن شوذب عن عبد الله بن القاسم عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة مرفوعاً. قال الترمذي: «حسن غريب». قال الحاكم: «صحيح الإسناد».

قلت: إسناده حسن؛ كما قال الترمذي، فإن رجاله ثقات، غير كثير بن أبي كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة؛ فإنه تابعي صدوق؛ فقد وثقه العجلي وابن حبان وروى عنه جماعة من الثقات؛ فمثله لا ينحط حديث عن درجة الحسن، وقد زعم ابن حزم وتبعه عبد الحق الإشبيلي: أنه مجهول، وهذا من أوهامهما.

وله شاهد من حديث عبد الرحمن بن خباب السّلمي: أخرجه الترمذي (٣٧٠٠)، والطيالسي (١١٨٩)، وابن سعد (٧/ ٧٨)، وعبد الله بن أحمد في «زوائد المسند» (٤/ ٧٥)، وابن أبي عاصم في «الجهاد» (٧٧) و«السنة» (١٢٨٠)، والفسوي في «المعرفة والتأريخ» (١/ ٢٨٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥٩ ـ ٦٠) وغيرهم من طرق عن سكن بن المغيرة حدثني الوليد بن أبي هشام عن فرقد أبي طلحة عنه به. قلت: إسناده فيه ضعف؛ لأن فرقد أبا طلحة مجهول.

وبالجملة: فالحديث ثابت، والله أعلم.

(١) كما في قوله ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى؛ اليد العليا هي المنفقة، والسفلى هي السائلة». أخرجه البخاري (١٤٢٩)، ومسلم (١٠٣٣) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وله شاهد من حديث حكيم بن حزام في الصحيحين، وآخر من حديث أبي هريرة.

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٨].

وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الضحى: ٤]: إن المراد به الحالتان، أي: كلُّ حالةٍ خيرٌ لك مما قبلها، ولهذا أعقبه بقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝﴾ [الضحى: ٥]؛ فهذا يدخل فيه عطاؤه في الدنيا والآخرة.

قالوا: والغنى مع الشكر زيادةُ فَضْلٍ ورحمةٍ: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

قالوا: والأغنياءُ الشاكرون سَبَبٌ لطاعةِ الفقراءِ الصّابرين؛ لتقويتِهم إياهم بالصَّدقةِ عليهم، والإحسانِ إليهم، وإعانتِهم على طاعتِهم؛ فلهم نصيبٌ وافرٌ من أجورِ الفقراء، زيادة إلى نصيبِهم من أجرِ الإنفاقِ وطاعتهم التي تخصهم؛ كما في «صحيح ابن خزيمة» من رواية سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ وذكر شهر رمضان؛ فقال: «من فَطَّر فيه صائِماً كان مغفرةً لذنوبه وعِتْقَ رقبته من النّار، وكان له مثلُ أجرِهِ مِن غيرِ أن ينقصَ من أجره شيءٌ»[1]؛ فقد حاز الغَنِيُّ

(١) **ضعيف** ـ أخرجه ابن خزيمة (١٨٨٧) والمحاملي في «أماليه» (٢٩٣)، والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٧٥٣)، وابن أبي الدنيا في «فضائل رمضان» (٦٩/ ٤١) وابن شاهين في «فضائل رمضان» (رقم ١٥ و١٦)، والبيهقي في «فضائل الأوقات» (٣٧ و٣٨) وغيرهم من طريق علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن سلمان. قلت: هذا إسناد ضعيف؛ لأن علياً بن زيد ضعيف.
وقال ابن خزيمة بعد روايته له: «إن صحّ الخبر»، وقد سقطت «إن» من بعض المراجع كـ «الترغيب والترهيب» (٢/ ٩٥)؛ فصارت الجملة: «صح الخبر»؛ فأفسد المعنى وعكسه، ولذلك اغتر به بعض المتعالمين، وصحح الحديث.
وقال الحافظ في «الأطراف»؛ كما نقله السيوطي في «جمع الجوامع» (٢٣٧١٤): «مداره على علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف». ونقل ابن أبي حاتم عن أبيه في «علل الحديث» (١/ ٢٤٩) قوله: «حديث منكر»، وكذا قال شيخنا في «الضعيفة» (٨٧١).
ولكن الجملة التي أشار إليها المصنف رحمه الله ثابتة بشواهدها دون قوله: «كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار». فقد أخرج الترمذي (٨٠٧)، وابن ماجه (١٧٤٦)، وأحمد (٤/ ١١٤ ـ ١١٥ و١١٦ و٥/ ١٩٢)، وابن خزيمة (٢٠٦٤)، وابن حبان (٣٤٢٩)، والطبراني في «الكبير» (٥٢٦٧ ـ ٥٢٦٩ و٥٢٧٣ و٥٢٧٥ ـ ٥٢٧٧) والقضاعي في «الشهاب» (٣٨٢)، والبغوي في «شرح السنة» (١٨١٨ و١٨١٩)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٧٩٠٥٨) من طرق عن عطاء عن زيد بن خالد الجهني عن النبي ﷺ قال: =

الشَّاكِرُ أَجْرَ صيامِه، ومثل أجرِ الفقير الذي فَطَّره.

قالوا: ولو لم يكن للغنيِّ الشاكِرِ إلا فَضْلُ الصَّدَقةِ التي لمّا تفاخرت الأعمالُ كان الفَخْرُ لها عليهن؛ كما ذكر النضر بن شميل عن قرة عن سعيد بن المسيب أنه حدث عن عمر بن الخطاب قال: ذكر أن الأعمال الصالحة تتباهى؛ فتقول الصدقة: أنا أفضلكم.

قالوا: والصدقة وقايةٌ بين العبدِ وبين النار، والمخلصُ المُسِرُّ بها مستظلٌّ بها يومَ القيامة في ظِلِّ العَرْشِ.

وقد روى عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الصَدَقة لتُطفىء على أهلِها حَرَّ القبور، وإنما يستظلُّ المؤمنُ يومَ القيامة في ظلِّ صدقتِه»[1].

وقال يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن عقبة يرفعه: «كل امرءٍ في ظلِّ صدقتِه حتى يُقضى بين الناس»[2].

قال يزيد: وكان أبو الخير لا يأتي عليه يومٌ إلا تصدَّق فيه ولو بكعكةٍ أو بَصَلةٍ.

= «من فطّر صائماً كتب له مثل أجره لا ينقص من أجره شيء». وفي الباب عن عائشة، وعبد الله بن عباس، ولكنها لا تصح.

(١) **ضعيف** ـ أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧/٢٤٨/٧٨٨) من طريق رشدين بن سعد حدثني عمرو بن الحارث وابن لهيعة والحسن بن ثوبان عن يزيد بن أبي حبيب به. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١١٠): «فيه ابن لهيعة، وفيه كلام».
قلت: قد توبع ابن لهيعة كما هو ظاهر في الإسناد، لكن علته رشدين بن سعد؛ فإنه ضعيف. ولكن تابعه الحكم بن يعلى بن عطاء المحاربي على شطره الأول: أخرجه الطبراني (٧٨٧) وهو متروك؛ كما في «الميزان» وغيره فلا يفرح بهذه المتابعة، ويبقى الحديث ضعيفاً، وقد ضعفه شيخنا في «ضعيف الجامع الصغير» (١٤٨٨).

(٢) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٤/ ١٤٧)، وأبو يعلى (١٧٦٦) والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٤٤/ ٧٧١)، وابن حبان (٣٣١٠)، وابن خزيمة (٢٤٣١)، وابن المبارك في «الزهد» (٦٤٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٨١)، والحاكم (١/ ٤١٦)، والبيهقي (٤/ ١٧٧)، من طريق حرملة بن عمران عن يزيد بن أبي حبيب به.
قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات، وقد صححه الحاكم والذهبي على شرط مسلم، ووافقهما شيخنا في «تخريج أحاديث مشكلة الفقر» (ص٧٥).

وفي حديث معاذ عن النبي ﷺ: «والصَّدقةُ تطفىءُ الخطيئَة كما يطفىء الماءُ النّارَ»[1].

وروى البيهقي من حديث أبي يوسف القاضي عن المختار بن فلفل عن أنس يرفعه: «باكروا بالصَّدقة؛ فإن البلاء لا يتخطى الصدقة»[2].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا تصدَّق العبدُ من كَسْبٍ طَيِّبٍ، ولا يقبل الله إلا طَيِّباً، أَخَذَها الله بيمينه؛ فيربيها لأحدكم كما يُربي أحدُكم فُلُوَّه أو فَصيله حتى تكون مثل الجبلِ العظيم»[3].

وفي لفظ للبيهقي في هذا الحديث «حتى إن التَّمرةَ أو اللُّقمَةَ لتكونَ أعظم من أُحدٍ»[4].

---

(١) جزء من حديث معاذ الطويل: أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٤٢٨) وغيرهم وقد ضعفه الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (حديث٢٩)، وقد بسطت الكلام على طرقه في «صحيح الأذكار وضعيفه» (١٠١٢/ ٧٧٣)، وانفصلت أنه صحيح بطرقه.

(٢) **ضعيف جداً** ـ أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ١٨٩)، و«الشعب» (٣٠٨٣) موقوفاً. وقال: وكان في كتاب شيخنا أبي نصر القاضي مرفوعاً وهو وهم، وروي عن أبي يوسف القاضي عن المختار بن فلفل مرفوعاً.
قلت: وإسناده موضوع؛ لأن يحيى بن سعيد متروك، ولم يدرك المختار بن فلفل، فبينهما سليمان ابن عمرو؛ كما بينه ابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٠٩٩)، وسليمان بن عمرو هو أبو داود النخعي كان يضع الحديث باتفاق.
وأما المرفوع؛ فقد أخرجه: البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٠٨٢)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٤٨) من طريق بشر بن عبيد حدثنا أبو يوسف القاضي عن المختار بن فلفل عن أنس مرفوعاً. قلت: إسناده ضعيف جداً؛ بشر بن عبيد منكر الحديث، وأبو يوسف القاضي هو يعقوب بن إبراهيم صاحب أبي حنيفة، قال فيه البخاري: «تركوه».
وأخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٩/ ٣٤٠) من طريق ابن إدريس عن المختار به. وابن إدريس كذاب يضع الحديث. وقد رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ١٥٣) وتكلم عليه كلاماً يدل على وضعه. وله شاهد من حديث علي بن أبي طالب: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٦٤٣) بإسناد مظلم؛ لأن فيه عيسى بن عبد الله متهم بالوضع.

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٠)، ومسلم (١٠١٤) من حديث أبي هريرة.

(٤) **صحيح** ـ أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٢٠١)، وابن خزيمة في «التوحيد»=

وقال محمد بن المنكدر: «من موجبات المغفرةِ إطعامُ المسلم السّغبانِ». وقد روي مرفوعاً من غير وجه[1].

وإذا كان الله سبحانه قد غفر لمن سقى كَلْباً على شَدّةِ ظمئه[2] فكيف بمن سقى العِطاش، وأشبَع الجِياع، وكسا العراة مِن المسلمين؟ وقد قال رسول الله ﷺ: «اتقوا النّار ولو بِشِقِّ تَمرةٍ، فإن لم تجدوا فبكلمةٍ طيبة»[3]؛ فجعل الكَلِمَ الطَيّبَ عِوَضاً عن الصَدَقةِ لمن لا يقدر عليها.

قالوا: وأينَ لذَةُ الصدقةِ والإحسانِ، وتفريحهما القلب، وتقويتهما إياه، وما يُلْقي الله سُبحانه للمُتَصَدّقين مِن المَحَبَّةِ والتّعظيمِ في قلوبِ عبادِه والدعاءِ لهم والثناءِ عليهم، وإدخالِ المَسَرّات عليهم، من أجر الصَبّرِ على الفقر؟ نعم إن له لأجراً عظيماً لكن الأجرَ درجات عند الله.

قالوا: وأيضاً؛ فالصَّدَقَةُ والإحسانُ والإِعطاءُ وَصْفُ الرَبِّ تعالى، وأَحبُّ عبادِه إليه من اتّصف بذلك كما قال النبي ﷺ: «الخَلْقُ عيالُ الله، فأحب الخَلقِ إليه أنفعهم لعياله»[4].

= (١/١٤٨) من طريق وهب بن جرير بن حازم عن أبيه عن عبيد الله بن عمر العمري عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة مرفوعاً. قلت: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات.

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦/ ٥٤١ ـ هندية)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٩٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٠٩)، ومسلم (٢٢٤٤) عن أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٦٣)، ومسلم (١٠١٦)(٦٨).

(٤) **ضعيف جداً** ـ أخرجه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (٢٤)، وأبو يعلى (٣٣١٥ و٣٣٧٠ و٣٤٧٨)، والبزار (١٩٤٩ ـ كشف الأستار)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤٤٧)، والحارث في «مسنده» (ق٦٢/ب) من طرق عن يوسف بن عطية عن ثابت عن أنس مرفوعاً. قال البيهقي: «تفرد به يوسف بن عطية وقد روي بإسناد ضعيف».
وقال الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (١/ ٢٦٢): «تفرد به يوسف وهو ضعيف جداً». وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩١): «فيه يوسف بن عطية الصفار وهو متروك». قلت: إسناده ضعيف جداً، لأن يوسف بن عطية الصفار متروك.
وله شاهد من حديث عبد الله بن مسعود: أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠٠٣٣)، =

قالوا: وقد ذكر الله سبحانه أصنافَ السعداء؛ فبدأ بالمتصدقين أولهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾ [الحديد: ١٨، ١٩]، فهؤلاء أصنافُ السعداءِ ومقدموهم المَصَدقين والمُصَّدِقات.

قالوا: وفي الصَّدقةِ فوائدُ ومنافعُ لا يحصيها إلا الله؛ فمنها: أنّها تقي مصارِعَ السوءِ، وتدفعُ البلاءَ حتى إنَّها لتدفع عن الظالم. قال إبراهيم النخعي: «وكانوا يَرون أن الصّدَقَة تدفعُ عن الرجلِ الظّلوم، وتطفىءُ الخَطيئَةَ، وتحفظُ المالَ، وتجلبُ الرّزق، وتُفرِحُ القَلبَ، وتوجِبُ الثِّقَةَ بالله وحسنَ الظَّنِّ بِه، كما أن البُخْلَ يوجِبُ سوءَ الظَّنِّ بالله، وترغِمُ الشّيطانَ ـ يعني الصدقة ـ وَتُزَكّي النَّفْسَ وتنميها، وتحبِّبَ العبدَ إلى اللهِ وإلى خَلْقِه، وتستُرُ عليه كلّ عيب، كما أن البخل يُغَطّي عليه كلَّ حسنةٍ، وتزيدُ في العُمْرِ، وتستجلِبُ أدعيَةَ النّاسِ ومحبّتَهم، وتدفعَ عن صاحِبها عذابَ القَبرِ، وتكونُ عليه ظِلاً يومَ القيامةِ، وتشفعُ له عندَ الله وتهوِّنَ عليه شدائِدَ الدّنيا والآخرةَ، وتدعوه إلى سائِرِ أعمالِ البِّرِ فلا تستعصي عليه». وفوائدُها ومنافعُها أضعافُ ذلك.

قالوا: ولو لم يكن في النَّفْعِ والإحسانِ إلا أَنّه صِفَةُ الله وهو سبحانه يُحِبّ من اتَّصَفَ بموجِبِ صفاتِه وآثارِها؛ فيحب العَليمَ والجَوادَ والحيِيَّ والسِّتّير، والمؤمِنُ القويُّ أحبَ إليه من المؤمنِ الضّعيفِ، ويحبُّ العَدْل والعَفُوَ والرّحيمَ والشَّكورَ والبَرَّ والكريمَ؛ فصفتُه الغنى والجودُ، ويحب الغَنِيَّ الجَوادَ.

قالوا: ويكفي في فضلِ النّفعِ المتعدي بالمالِ أن الجزاءَ عليه من جِنْسِ

= و«الأوسط» (٥٥٤١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٠٢)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٦/ ٣٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤٤٨) من طرق عن موسى بن عمير عن الحكم بن عتيبة عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود مرفوعاً. وذكروا جميعهم أن موسى بن عمير تفرد به عن الحكم. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩١): «فيه موسى بن عمير أبو هارون القرشي متروك». والحديث ضعفه شديداً شيخنا في «ضعيف الجامع الصغير» (٢٩٤٥).

العمل؛ فمن كَسا مؤمناً كساه الله من حُلَلِ الجنَّةِ، ومن أشبَع جائِعاً أشبعه الله من ثمارِ الجنة، ومن سقى ظمآناً سقاه الله من شرابِ الجَنّة، ومن أعتقَ رَقَبَةً أعتق الله بِكل عضو منه عضواً من النارِ حتى فَرجه بفرجه، ومَن يَسّر على معسر يَسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن نَفّس عن مؤمنٍ كُرْبَةً من كُربِ الدنيا نَفَّسَ الله عنه كُرْبةً من كُرَبِ يوم القيامة، والله في عونِ العبد ما كان العبدُ في عونِ أخيه.

قالوا: ونحن لا ننكِرُ فضيلَة الصّبرِ على الفَقرِ، ولكن أين تقعَ من هذه الفضائل؟ وقد جعل اللهُ لكل شيءٍ قَدْراً.

قالوا: وقد جعل رسولُ الله ﷺ: «الطاعِمُ الشّاكِرُ بمنزلةِ الصّائِم الصّابِرِ»[1]، ومعلوم أنه إذا تَعدّى شكرَه إلى الإحسانِ إلى الغَيرِ ازدادَ درجةً أخرى؛ فإنَّ الشُكرَ يتضاعفُ إلى ما لا نهايةَ له بخلاف الصَبرِ فإن له حدّاً يقفُ عليه. وهذا دليلٌ مستقلٌ في المسألةِ. يوضحه: أن الشاكِرَ أفضلُ من الراضي الذي هو أعلى من الصّابِرِ، فإذا كان الشاكِرُ أفضلَ من الراضي الذي هو أفضلَ من الصابر كان أفضلَ من الصابِرِ في درجتين.

قالوا: وفي «الصحيحين» من حديث الزهري عن سالم عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاهُ اللهُ القرآن فهو يقوم به آناءَ الليلِ والنّهار، ورجلٌ آتاه اللهُ مالاً فهو ينفقُه آناءَ الليلِ والنّهارِ»[2]؛ فجعل الغِنى مع الإنفاقِ بمنزلَةِ القرآنِ مع القيامِ بِه.

قالوا: وقد صرح في حديث أبي كبشة الأنماري[3]: أن صاحبَ المال إذا عمل في مالِه بعلمِه، واتّقى فيه ربَّه، ووصلَ به رحمَه، وأخرج منه حقَّ الله فهو في أعلى المنازِل عند الله، وهذا تصريحٌ في تفضيلِه، وجعل الفقير الصادِق إذا نوى أن يعملَ بعمله، وقال ذلك بلسانه ثانياً، وأنه بنيته وقوله وأجرهما سواء،

---

(١) مضى تخريجه (ص ١٨١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٢٩)، ومسلم (٨١٥).

(٣) مضى تخريجه (ص ٣٨٤).

فإن كلاً منهما نوى خيراً وعمل ما يقدرُ عليه، فالغني نواه ونفذه بعلمه، والفقير العالم نواه ونفذه بلسانه، فاستويا في الأجرِ من هذه الجِهَةِ، ولا يلزمُ من استوائهما في أصلِ الأجرِ استواؤهما في كيفيته وتفاصيله؛ فإن الأجر على العمل والنيّة له مزية على الأجر على مجرَّدِ النِّيةِ التي قارنها القولُ، ومن نوى الحجَّ ولم يكن له مالٌ يحُجُّ به وإن أثيب على ذلك، فإن ثوابَ من باشَر أعمالَ الحجِّ مع النِّيَّةِ له مَزِيَةٌ عليه.

وإذا أردت فَهْمَ هذا؛ فتأمل قولَ النَّبِيِّ ﷺ: «من سأل اللهَ الشَّهادَةَ صادِقاً من قلبه بَلَّغه الله مَنازِلَ الشهداءِ وإن مات على فِراشِه»[1]، ولا ريبَ أن ما حَصل للمقتولِ في سبيلِ الله من ثوابِ الشَّهادَةِ تزيدُ كيفيتُه وصفاتُه على ما حصل لناوي ذلك إذا ماتَ على فراشِه وإن بَلَغ منزِلَة الشّهيدِ؛ فهاهنا أجران: أجرٌ وَقُرْبٌ فإن استويا في أصلِ الأجرِ لكن الأعمالَ التي قام بها العامِلُ تقتضي أثراً زائداً وَقُرْباً خاصّاً، وهو فَضْلُ الله يؤتيه من يشاء.

وقد قال ﷺ: «إذا تواجه المسلمان بِسَيْفِيهما فالقاتِلُ والمقتولُ في النّار»[2] قالوا: هذا القاتِلُ فما بالُ المقتولِ؟ قال: «إنه أراد قَتْلَ صاحِبِه»[3]؛ فاستويا في دخولِ النار، ولا يلزمُ استواؤهما في الدّرجَةِ ومقدارِ العَذاب؛ فأعطِ ألفاظَ رسولِ الله ﷺ حَقَّها، وَنَزِّلها منازِلَها، يَتَبَيَّنُ لك المرادُ.

يوضّحُ هذا: أنّ فقراءَ المهاجِرين شكوا إلى رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله ذَهَب أهلُ الدّثورِ بالأجورِ؛ يصلُّون كما نُصَلّي، ويصومون كما نَصومُ، ولهم فضولُ أموالٍ يحجّون بها، ويعتمرون، ويجاهدُون، ويتصدّقون قال: «أفلا أعلِّمُكم شيئاً تدركون به من سَبَقكم، وتسبقون به من بَعدكم، ولا يكون أحدٌ أفضلَ منكم إلا من صَنَع مثل ما صَنعتم؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «تسبِّحون، وتحمدون، وتكبرون دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين»؛ فرجع فقراءُ

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٩).

(٢) في هامش «ظ»: «هذا قتال العصبية ونحوها».

(٣) أخرجه البخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

المهاجرين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: سمع إخوانُنا أهلُ الأموالِ بما فعلناه ففعلوا مثله، فقال رسول الله ﷺ: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[1] [الحديد: ٢١]، فلو كانوا يَلْحَقون بهم في مقدارِ الأجرِ بمجرّد النِّيَةِ، لقال لهم: انووا أن تفعلوا مثلَ فِعلِهم فتنالوا مثلَ أجرِهم، فلمّا أعاضهم عما فاتهم من ثوابِ الصّدقَةِ والعِتْقِ والحَجِّ والاعتمارِ بما يحصل نظيرَه بالذِّكرِ عَلِمَ أن الأغنياءَ قد فَضلوهم بالإنفاقِ، فلما شاركوهم في الذِّكرِ بقيت مزِيَةُ الإنفاقِ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ أن الامتياز لم يَزل، وأنهم قد ساوونا في الذّكرِ كما ساوونا في الصّومِ والصّلاة؛ فأخبرهم: أن ذلك فَضْلَ الله يؤتيه من يشاءُ، فلو كان لهم سبيلٌ إلى مساواتهم من كلِّ وجهٍ بالنِّيةِ والقولِ لَدَلَّهم عليها.

قالت الفقراء: هذا الحديثُ حُجّةٌ لنا إذا فُهِم على الحقيقةِ، وذلك أن معناه: أنّهم وإن كانوا قد ساووكم في الإيمانِ والإسلامِ والصّلاةِ والصيامِ، ثم فضلوكم في الإنفاقِ ففي التَّكبيرِ والتّسبيحِ والتّهليلِ ما يُلحِقكُم بدرجَتِهم، وقد ساويتموهم أيضاً بحسنِ النِّيَةِ إذ لو أمكنكم لأنفقتم مثلهم.

وفي بعض ألفاظِ هذا الحديث: «إن أخذتم به سَبَقتُم من قَبلَكم، ولم يلحقْكُم مَن بعدكم»، وهذا يدلُّ على أن الأغنياءَ لا يلحقونهم وإن قالوا مثل قولِهم.

وقوله ﷺ: «ذلك فضلُ الله يؤتيه من يشاء» معناه: أن فَضلَ الله ليس مقصوراً عليكم دونهم، فكما آتاكم الله مِن فضلهِ بالذكر كذلك يؤتيهم إياه إذا عملوا مثلكم أيضاً، فأنتم فهمتم من الفَضْلِ التخصيص فوضعتموه في غيرِ موضعه، وإنما معناه العمومُ والشّمولُ، وإن فضلَه عامٌ شامِلٌ للأغنياءِ والفقراءِ فلا تذهبون به دونهم، فأين في هذا الحديث التفضيل لكم علينا؟

قالوا: ويحتمل قولُه: «ذلك فضل الله» ثلاثَةَ أمور: أحدها: سبقهم لكم بالإنفاقِ. والثاني: مساواتكم لهم في فضيلةِ الذّكرِ فلم تختصّوا به دونهم. والثالث: سبقكم لهم إلى الجنة بنصف يومٍ.

---

(١) مضى تخريجه (ص ٢٥٦).

وهذا وإن كان لا ذكرَ له في هذه الروايةِ فهو مذكورٌ في بعضِ طُرِقِه.

قال البزار في «مسنده»: حدثنا الوليد بن عمرو حدثنا محمد بن الزبرقان حدثنا موسى بن عبيدة عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: اشتكى فقراءُ المهاجرين إلى رسول الله ﷺ ما فضل به أغنياؤهم، فقالوا: يا رسول الله إخواننا صدّقوا تصديقَنا، وآمنوا إيمانَنا، وصاموا صيامَنا، ولهم أموالٌ يتصدّقون منها، ويصلون منها الرّحمَ، وينفقونها في سبيلِ الله، ونحن مساكين لا نقدرُ على ذلك، فقال: «ألا أخبركم بشيءٍ إذا أنتم فعلتموه أدركتم مثل فضلهم، قولوا: الله أكبر في كل صلاةٍ إحدى عشرة مرة، والحمدُ لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، وسبحان الله مثل ذلك، تدركون مثل فضلِهم»؛ ففعلوا؛ فَذَكروا ذلك للأغنياء ففعلوا مثل ذلك، فرجع الفقراء إلى رسول الله ﷺ فَذَكروا ذلك له، فقالوا: هؤلاء إخوانُنا فَعَلوا مثل ما نقول، فقال: «ذلك فَضْلُ الله يؤتيه من يشاء، يا معشر الفُقراءِ ألا أبشركم أن فقراءَ المسلمين يدخلون الجَنَّة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام». وتلا موسى بن عبيدة ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧][1].

قالوا: فهذا خَبَرٌ واحدٌ، وكلامٌ متّصِلٌ، ذكره بشارةً لهم عندما ذكروا مساواةَ الأغنياءِ لهم في القولِ المذكورِ؛ فأشبه أن يرجعَ الفَضْلُ إلى سَبْقِ الفُقراءِ للأغنياءِ، وأنّهم بهذه البِشارَةِ مخصّصون؛ فكان السَبْقُ لهم دون غيرِهم، وإن ساووهم في القولِ، وساووهم في الإنفاق بالنية؛ كما في حديث أبي كبشة المتقدم[2]، وحصلت لهم مزيةُ الفَقْرِ.

قالت الأغنياء: لقد بالغتم في صرف الحديث [عن مقصودهِ إلى جهتِكم، وهو صريحٌ في تفضيلِ هذا الحديث][3] لمن أنصف؛ فإن قولَه: «ذلك فضلُ الله

---

(١) ضعيف ـ أخرجه البزار (٣٠٩٤ ـ كشف الأستار). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٠١): «وفيه موسى بن عبيدة الزبيدي، وهو ضعيف». قلت: وهو كما قال.

(٢) مضى تخريجه (ص ٣٨٥).

(٣) زيادة من «م».

يؤتيه من يشاء» خرج جواباً للفقراءِ عن قولهم: إن أهلَ الدثورِ قد ساووهم في الذكرِ كما ساووهم في الصّلاةِ والصَومِ والإيمانِ، وبقيت مزية الإنفاق، ولم يحصل لهم ما يلحقهم فيها، وما علمتنا من الذكرِ قد لحقونا فيه، فقال لهم حينئذ: «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء» وهذا صريحٌ جِداً في مقصودِه، فلما انكسر القوم بتحقق السَّبْقِ بالإنفاقِ الذي عجزوا عنه أخبرهم بالبشارة بِالسبق إلى دخولِ الجنّة بِنصفِ يوم، وأن هذا السبقَ في مقابلةِ ما فاتكم من فضيلةِ الغنى والإنفاقِ، ولكن لا يلزم من ذلك رفعتَهم عليهم في المنزلةِ والدرجةِ؛ فهؤلاء السبعون ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب من الموقوفين للحساب من هو أفضلُ من أكثرهم وأعلى منه درجة.

قالوا: وقد سَمّى الله سبحانه المالَ خيراً في غير موضع من كتابه؛ كقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠]، وقوله: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات: ٨]، وأخبر رسولُ الله ﷺ: «أن الخير لا يأتي إلا بالخير» كما تقدم[١]، وإنما يأتي بالشر معصيةُ الله في الخَيْرِ لا نَفْسه، وأعلم الله سبحانه أنه جَعَل المالَ قواماً للأنفُسِ، وأَمَر بحفظهما، ونهى أن يؤتى السفهاء من النّساءِ والأولادِ وغيرهم، ومدحه النَّبيُّ ﷺ بقوله: «نعمَ المالُ الصّالِحُ مع المرءِ الصالحِ»[٢].

وقال سعيد بن المسيب: «لا خيرَ فيمن لا يريدُ جمعَ المال من حِلّه، يكف به وجهه عن النّاسِ، ويصل به رَحمَه، ويعطي حَقّه»[٣].

---

(١) مضى تخريجه (ص ٣٦٥).

(٢) **صحيح** ـ أخرجه أحمد (٤/١٩٧ و٢٠٢)، وابن حبان (٣٢١٠ و٣٢١١)، والحاكم (٢/ ٢، ٢٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١١٩٠ ـ هندية)، من طريق موسى بن عُلَي ابن رباح عن أبيه عن عمرو بن العاص مرفوعاً، وفيه قصة. قلت: إسناده صحيح؛ كما صححه الحاكم على شرط مسلم، وشيخنا في «غاية المرام» (٤٥٤).

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (٥٥)، ومن طريقه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/١٧٣).

وقال أبو إسحاق السبيعي: «كانوا يرون السعة عوناً على الدين»(١).

وقال محمد بن المنكدر: « نعم العون على التُّقى الغنى»(٢).

وقال سفيان الثوري: «المالُ في زمانِنا هذا سلاحُ المؤمنِ»(٣).

وقال يوسف بن أسباط: «ما كان المالُ في زمان منذ خلقت الدنيا أنفع منه في هذا الزمان، والخيرُ كالخيلِ لرجلٍ أجرُ، ولرجل سِتْرٌ، وعلى رجل وزرٌ».

قالوا: وقد جعل الله سبحانه المالَ سبباً لحفظِ البَدنِ، وحفظُه سَبَبٌ لحفظِ النفس التي هي مَحلُّ معرفةِ الله والإيمانِ به وتصديقِ رسلِه ومحبته والإنابةِ إليه؛ فهو سببُ عمارةِ الدنيا والآخرةِ، وإنما يُذَمُّ منه ما استخرج من غير وجهه، وَصُرِفَ في غير حقِّه، واستَعْبَدَ صاحبَه ومَلَكَ قلبَه وَشَغلَه عن الله والدارِ الآخرةِ، فَيُذَمُّ منه ما يتوسل به صاحبه إلى المقاصدِ الفاسدةِ أو شغله عن المقاصدِ المحمودةِ؛ فالذمُّ للجاعِلِ لا للمجعول.

قال النبِّيُّ ﷺ: «تعس عبدُ الدينار، تعس عبدَ الدرهم»(٤)؛ فَذَمَّ عَبْدَهما دونهما.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان عن يزيد بن ميسرة قال: «كان رجلٌ ممن مضى جمع مالاً؛ فأوعى، ثم أقبل على نفسِه وهو في أهله، فقال: أنعم سنين؛ فأتاه ملكُ الموتِ؛ فَقَرع البابَ في صورةِ مسكينٍ فخرجوا إليه، فقال: ادعوا لي صاحبَ الدارِ. فقالوا: يخرجُ سَيِّدُنا إلى مثلك؟ ثم مكث قليلاً، ثم عادَ فقرع الدارَ وصنع مثل ذلك وقال: أخبروه أني مَلَكُ الموت، فلما سَمِع سَيِّدُهم قعد فَزِعاً، وقال: لينوا له الكلامَ. قالوا: ما تريد غير سيدنا بارك الله فيك. قال: لا، فدخل عليه، فقال: قُم فأَوص ما كنت موصِياً، فإني قابضُ نفسك قبل أن أَخرج. قال: فَصَرخ أهلُه وبكوا ثم قال: افتحوا الصّنادِيق

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣٤٠).
(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (٥٨).
(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال»، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٨١) نحوه.
(٤) مضى تخريجه (ص ٣٤٩).

وافتحوا أوعيةَ المالِ ففتحوها جميعاً فأقبل على المال يلعنُه ويسبُّه، يقول: لُعِنت من مالٍ، أنت الذي أنسيتني رَبّي وشغلتني عن العملِ لآخرتي حتى بلغني أجلي، فتكلم المالُ فقال: لا تَسُبَّني، ألم تكن وضيعاً في أعينِ الناسِ فرفعتُك؟ ألم ير عليك من أثري وكنت تحضر سدد الملوكِ والسادة فتدخل، ويحضر عبادُ الله الصالحون فلا يدخلون؟ ألم تكن تخطب بنات الملوك والسادة فتنكح، ويخطب عبادُ الله الصالحون فلا ينكحون؟ ألم تكن تنفقني في سبيل الخُبثِ فلا أتعاصى ولو أنفقتني في سبيل الله لم أتعاص عليك وأنت ألوم مني؟ إنما خُلِقت أنا وأنتم يا بني آدم من تراب، فَمُنطَلِقٌ بِبِرٍّ ومنطلقٌ بإثمٍ؛ فهكذا يقول المال فاحذروا»[1].

وفي الأثر «يقول الله تبارك وتعالى: أموالنا رجعت إلينا، سعد بها من سَعد، وشقي بها من شقي».

قالوا: ومن فوائِدِ المالِ: أنه قَوامُ العبادتِ والطاعاتِ، وبه [قام][2] سوق بر الحجِّ والجهادِ، وبه حصل الإنفاقُ الواجِبُ والمستحبُ، وبه حصلت قرباتُ العتقِ والوقفِ وبناءِ المساجِدِ والقناطِر وغيرها، وبه يتوصل إلى النّكاح الذي هو أفضلُ من التخلي لنوافل العبادة، وعليه قام سوقُ المروءة، وبه ظهرت صفةُ الجود والسّخاء، وبه وُقيت الأعراضُ، وبه اكتسب الإخوان والأصدقاء، وبه توصل الأبرارُ إلى الدرجاتِ العلا ومرافقة الذين أنعم الله عليهم؛ فهو مِرقاةٌ يُصْعَدُ بها إلى أعلى غُرَفِ الجنّةِ، ويُهبط منها إلى أسفل سافلين، وهو مقيمُ مجدِ الماجد؛ كما أن بعض السلف يقول: «لا مَجْدَ إلا بفعالٍ، ولا فعال إلا بمالٍ».

وكان بعضُهم يقول: «اللهم إنّي من عبادك الذين لا يصلحهم إلا الغنى».

وهو من أسباب رضى الله عن العبدِ؛ كما كان من أسبابِ سخطِه عليه، وهؤلاء الثلاثة الذين ابتلاهم الله به: الأبرص، والأقرع، والأعمى نال به الأعمى

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٤٠ ـ ٢٤١) من طريق أحمد به مطولاً، ولم أره في «الزهد».

(٢) زيادة من «م».

رِضى ربّه، ونالا به سخطه[١]، والجهادُ ذروةُ سنام العَمَلِ، وتارةً يكون بالنّفْسِ، وتارةً يكون بالمالِ، وربما كان الجهادُ بالمالِ أنكى وَأنْفَعَ، وبأيِّ شيءٍ فُضِّلَ عثمان على عَليٍّ، وعَلِيٌّ أكثَرُ جهاداً بنفسِه وأسبقُ إسلاماً من عثمان؟ وهذا الزُّبيرُ وعبدُ الرحمن بن عوف أفضلُ من جمهورِ الصّحابَةِ مع الغِنى الوافِرِ وتأثيرهما في الدّين أعظمُ من تأثير أهل الصُّفَّةِ، وقد نهى رسولُ الله ﷺ عن إضاعتِه[٢]، وأخبر أنَ تركَ الرَجُل ورثته أغنياءَ خيرٌ له من تركِهم فقراءَ[٣]. وأخبر أن صاحبَ المال ينفقُ نفقةً يبتغي بها وجه الله إلا ازداد بها درجةً ورفعةً.

وقد استعاذ رسولُ الله ﷺ من الفقر وقرنه بالكفر فقال: «اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»[٤]؛ فإن الخيرَ نوعان: خيرُ الآخرةِ والكفرُ مضادُه، وخير الدنيا والفقرُ مضادُه، فالفقرُ سببُ عذابِ الدنيا، والكفرُ سببُ عذابِ الآخرةِ، واللهُ سبحانه جعلَ إعطاءَ الزكاةِ وظيفةَ الأغنياءِ، وأخذَها وظيفةَ الفقراءِ، وَفَرقٌ بين اليَدينِ شَرعاً وَقَدَراً، وجعل يَدَ المعطي أعلى من يَدِ الآخِذِ، وجعلَ الزكاةَ أوساخَ المال، ولذلك حَرَّمها على أطيبِ خَلْقِه وعلى آله صيانةً لهم وتشريفاً وَرَفْعاً لأقدارِهم.

ونحنُ لا ننكرُ أن رسولَ الله ﷺ كان فقيراً ثم أغناه الله، والله فَتَح عليه وَخَوّله وَوَسَّع عليه، وكان يَدّخِر لأهلِه قوتَ سَنةٍ، ويَعطي العطايا التي لم يَعْطِها أحدٌ غيره، وكان يعطي عطاءَ من لا يخاف الفقرَ، ومات عن فدك والنّضير وأموالِ خَصّهُ اللهُ بها، وقال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ

---

(١) كما في حديث طويل: أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) كما في حديث أخرجه مسلم (١٧١٥).

(٣) كما في قصة مرض سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: أخرجه البخاري (٢٧٤٣ و٥٣٥٤)، ومسلم (١٦٢٨).

(٤) **صحيح** ـ أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٢ و٥٧٢)، وعنه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٦٧)، وأحمد (٥/ ٤٢)، والحاكم (١/ ٣٥ و٢٥٢ ـ ٢٥٣) وغيرهم من طرق عن أبي بكرة رضي الله عنه. قلت: وهو صحيح.

﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ [الحشر: ٧]؛ فنزهه ربُّه سبحانه عن الفقرِ الذي يُسَوِّغُ أَخْذَ الصَّدَقَةِ، وَعَوَّضَه عما نَزّهه عنه بأشرفِ المالِ وأَحَلِّه وأفضَلِه وهو ما أخذه بِظِلِّ رُمْحِه وقائِمِ سَيفِه من أعداءِ اللهِ الذين كان مالُ الله بأيديهم ظُلْماً وعدواناً، فإنّه خَلَق المالَ ليستعانَ به على طاعتِه وهو بأيدي الكفّارِ والفُجّارِ ظُلْماً وعدواناً، فإذا رَجَع إلى أوليائهِ وأهلِ طاعتهِ فاء إليهم ما خُلِق لهم، ولكن لَمَ يكن غنى رسولِ الله ﷺ وملكِه من جنسِ غنى بني الدّنيا وأ ملاكِهم؛ فإن غناهم بالشيءِ، وغناه ﷺ عن الشيءِ وهو الغني العالي، وملكهم ملكٌ يتصرفون بحسبِ إرادتهم، وهو ﷺ إنما يتصرفُ في ملكِه تَصَرّفَ العبدِ الذي لا يَتَصرّفُ إلا بأمر سيِّدِه.

وقد اختلف الفقهاءُ في الفَيء هل كان مُلْكاً للنبي ﷺ؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد.

التحقيق: أن ملكَه له كان نوعاً آخر من المُلكِ، وهو مُلْكٌ يَتَصَرّفُ فيه بالأمرِ كما قال ﷺ: «والله لا أعطي أَحَداً ولا أَمْنَعُ أحداً، إنّما أنا قاسِمٌ أَضَعُ حيث أُمِرت»(١) ذلك من كمال مَرتَبَةِ عبوديتهِ، ولأجلِ ذلك لم يُوَرِّث؛ فإنّه عبدٌ محضٌ من كلِّ وجهٍ لربِّه عزّ وجل، والعبدُ لا مالَ له فَيُورَث عنه، فَجَمَع اللهُ له سبحانه بين أعلى أنواعِ الغِنى وأشرفِ أنواعِ الفقرِ فَكَمَّل له مراتبَ الكَمالِ؛ فليست إحدى الطائفتين بأحق به من الأخرى، فكان ﷺ في فقرِه أصبرَ خلقِ الله وأشكرَهم، وكذلك في غناه، والله تعالى جعلَه قدوةً للأغنياءِ والفقراء وأي غنى أعظمُ من غنى من عُرِضت عليه مفاتيحُ كنوزِ الأرضِ(٢)، وَعُرِض عليه أن يُجعَلَ له الصّفا ذَهَباً(٣)، وَخُيِّر بين أن يكونَ ملكاً نبيّاً وبين أن يكون عبداً نبيّاً؛ فاختار أن يكون عَبْداً نبيّاً(٤)، ومع هذا فَجُبِيَت إليه أموالُ جزيرةِ العربِ واليَمَنِ، فأَنفَقَها

---

(١) أخرجه البخاري (٣١١٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مضى تخريجه (ص ١٨٤).

(٣) **صحيح** ـ كما في حديث ابن عباس رضي الله عنه: أخرجه أحمد (١/ ٢٤٢ و٢٤٥)، ومن طريقه الحاكم (٤/ ٢٤٠) وصححه ووافقه الذهبي. قلت: وهو كما قالا.

(٤) **صحيح** ـ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه أحمد (٢/ ٢٣١) والبزار=

كلَّها ولم يستأثر منها بشيءٍ، بل تحمّل عيالَ المسلمين وَدَيْنهم، فقال: «من ترك مالاً فلورثته، ومن ترك كلاً فإلي وَعَلَيَّ»[1] فرفع الله سبحانه وتعالى قدره أن يكون من جُمْلَةِ الفُقراءِ الذين تَحِلُّ لهم الصَدَقَةُ، كما نَزَّهه أن يكون مِن جملةِ الأغنياءِ الذين أغناهم بالأموالِ الموروثَةِ، بل أغناه عن سواه، وأغنى قلبَه كلَّ الغِنى، وَوَسَّع عليه غايةَ السَّعَةِ، فأنفقَ غايةَ الإنفاقِ، وأعطى أجَلَّ العطايا، ولا استأثَر بالمالِ، ولا اتخذَ منه عَقاراً ولا أرضاً ولا ترك شاة ولا بعيراً ولا عَبْداً ولا أَمَةً وَلا ديناراً ولا درهماً؛ فإذا احتجَّ الغنيُّ الشاكِر بحالِه ﷺ لم يُمْكِنْه ذلك إلا بعد أن يَفْعَلَ فِعْلَه، كما أن الفقيرَ الصابِرَ إذا احتجَّ بحالِه ﷺ لم يمكنه ذلك إلا بعد أن يَصْبِرَ صَبْرَه وَيَتْرُكَ الدنيا اختياراً لا اضطراراً؛ فرسول الله ﷺ وَفَّى كَلَّ مَرْتَبَةٍ من مَرتبتي الفقر والغنى حقَّها وعبوديَتَها، وأيضاً؛ فإن الله سبحانه أغنى به الفُقراءَ فما نالت أُمَّته الغنى إلا بِهِ، وأغنى النّاسِ من صَار غيرُه به غَنِياً.

قال عُلَيٌّ بن أبي رباح اللخمي: كنت عند مسلمة بن مخلد الأنصاري وهو يومئذ على مصر وعبدالله بن عمرو بن العاص جالس معه، فتمثل مسلمةُ ببيتٍ من شعرِ أبي طالب فقال: لو أن أبا طالب رأى ما نحنُ فيه اليومَ من نعمةِ الله وكرامتِه لعلم أنَّ ابنَ أخيه سَيِّدٌ قد جاء بِخَيرٍ [كثير][2]، فقال عبدالله بن عمرو: ويومئذ [قد] كان سَيِّداً كريماً قد جاء بخيرٍ [كثير][2]، فقال مسلمة: ألم يقل الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦ ـ ٨] فقال عبدالله بن عمرو: أما اليتيم فقد كان يتيماً من أبويه،

= (٢٤٦٢ ـ كشف الأستار)، وأبو يعلى (٦١٠٥)، ومن طريقه ابن حبان (٦٣٦٥). قلت: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وله شواهد عن جماعة من الصحابة خُرِّجت أحاديثهم في «تنقيح الإفادة المنتقى من مفتاح دار السعادة» (ص٢٧ ـ ٢٩).

(١) **صحيح** ـ أخرجه أبو داود (٨٩٩ و٢٩٠٠)، وابن ماجه (٢٧٣٨)، وأحمد (٤/ ١٣١، ١٣٣)، والطيالسي (١١٥٠)، وابن حبان (١٢٢٥)، والدارقطني (٤/ ٨٥ ـ ٨٦)، والبيهقي (٦/ ٢١٥)، والحاكم (٤/ ٣٤٤) وغيرهم من حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه. قلت: سنده صحيح، وله شواهد عن أبي هريرة، وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم.

(٢) زيادة من مصادر التخريج.

وأما العَيْلَة فكل ما كان بأيدي العرب إلى القِلَّةِ، يقول: إن العربَ كانت كلُّها مُقِلَّةً حتى فَتَح الله عليه وعلى العَربِ الذين أسلموا ودخلوا في دين الله أفواجاً، ثم توفّاه اللهُ قبل أن يَتَلَبَّس منها بشيءٍ، ومضى وَتَرَكَها، وَحَذَّر منها ومن فتنتها قال: وذلك معنى قوله: ﴿عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ وأما قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥] فلم تَكُن الدنيا لترضيه وهو لا يرضاها كلَّها لأمته وهو يحذّرُ منها، وَتُعرض عليه فيأباها، وإنما هو ما يعطيه من الثّوابِ، وما يفتح عليه وعلى أمتهِ من مُلكِ كسرى وقيصر، ودخول الناسِ في الإسلامِ، وظهورِ الدّينِ إذا كان ذلك محبته ورضاه صلوات الله وسلامُهُ عليه[1].

وروى سفيان الثوري عن الأوزاعي عن إسماعيل بن عبيد الله عن علي بن عبد الله عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «رأيت ما هو مَفتوحٌ بعدي كَفْراً كَفْراً؛ فَسَرّني ذلك؛ فنزلت: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ١ ـ ٥] قال: «أعطاني ألفَ قصرٍ من لؤلؤ ترابُها المسكُ في كلِّ قصرٍ ما ينبغي له»[2].

قالوا: وما ذكرتم من الزّهدِ في الدنيا والتَّقلُّلِ منها؛ فالزُّهدُ فيها لا ينافي الغِنى، بل زُهْدُ الغَنِيِّ أكملُ من زُهدِ الفقير؛ فإن الغَنِيَّ زهد عن قدرةٍ، والفقير عن عجز، وبينهما بُعْدٌ بعيدٌ، وقد كان رسول الله ﷺ في حالِ غناه أزهدَ الخلقِ، وكذلك إبراهيمُ الخليل كان كثيرَ المالِ وهو أزهدُ الناسِ في الدنيا.

وقد روى الترمذي في «جامعه» من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «الزهادة في الدنيا ليست بتحريمِ الحلالِ، ولا إضاعتِه، ولكن الزهادة في الدنيا أن لا تكون بما في يديك أوثق بما في يَدِ الله، وأن تكونَ في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغبَ في ثوابها لو أنها بقيت لك»[3].

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٦٢)، وزاد نسبته السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٤٤) إلى ابن أبي حاتم وابن عساكر.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ٦١) عن الحاكم من طريق قبيصة قال ثنا سفيان به.

(٣) **ضعيف جداً** ـ أخرجه الترمذي (٢٣٤٠)، وابن ماجه (٤١٠٠)، والبيهقي في «شعب=

وسئل الإمام أحمد عن الرَّجُلِ يكون معه ألفَ دينارٍ وهل يكون زاهداً؟.
قال: نعم بشرط أن لا يفرح إذا زادَت، ولا يحزن إذا نَقَصت.

وقال بعض السلف: الزاهِدُ من لا يَغلُبُ الحلالُ شُكْرَه، ولا الحرامُ صَبْرَه.

وهذا من أحسنِ الحدودِ: حقيقة مركبة من الصَبْرِ والشُّكْرِ فلا يستحق اسمَ الزاهِد من لا يتَّصِفُ بهما؛ فمن غَلَب شَكْرُه لما وسع عليه من الحلال وصبرُه لما عرض له من الحرام؛ فهو الزّاهدُ على الحقيقةِ بخلاف من غَلبَ الحلالُ شكرَه والحرامُ صبرَه؛ فكان شكرَه وصبرَه مغلوبين؛ فإن هذا ليس بزاهدٍ.

وسمعت شيخَ الإسلام يقول: الزّهدُ تَرْكُكَ ما لا يَنْفَعُك، والوَرَعُ تركُك ما يَضُرَّك.

فالزهدُ فراغُ القلبِ من الدّنيا لا فَراغَ اليَدينِ منها، ويقابله الشُّحُ والحِرْصُ، وهو ثلاثةُ أقسامٍ: زهد في الحَرام. وزهد في الشُّبُهاتِ والمكروهاتِ. وزهد في الفَضَلاتِ.

فالأوّلُ: فَرضٌ.

والثّاني: فَضْلٌ.

والثالِثُ: مَتوسّطٌ بينهما بحسب درجةِ الشُّبْهَةِ، وإن قَوِيت التَحَق بالأَوَّلِ وإلا فبالثالِثِ، وقد يكون الثالثُ واجباً بمعنى: أنه لا بُدّ منه، وذلك لمن شّمر إلى الله والدارِ الآخرةِ، فزهدُ الفضيلةِ يكون ضرورةً، فإن إرادَة الدنيا قادِحةٌ في إرادةِ الآخرةِ، ولا يَصحُّ للعبدِ مقامُ الإرادةِ حتى يفردَ طَلَبَه وإرادَته ومطلوبَه؛ فلا يَتَقَسَّم المطلوبُ ولا الطلب.

= الإيمان» (١٠٧٧٥) من طريق عمرو بن واقد عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن أبي إدريس عن أبي ذر مرفوعاً. قال الترمذي: «غريب، وعمرو بن واقد منكر الحديث». قلت: إسناده ضعيف جداً؛ كما قال شيخنا حفظه الله في «ضعيف الجامع الصغير» (٣١٩٤). والمعروف أنه مقطوع على أبي إدريس الخولاني: أخرجه أحمد في «الزهد» (ص٢٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٧٧٤) من طريقين عن يونس بن ميسرة قال: قال أبو إدريس الخولاني وذكره. قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات.

أما توحيد المطلوب: أن لا يَتَعَلَّق طلبُه وإرادتُه بغير الله، وما يقرِّبُ إليه ويدني منه.

وأما توحيده في الطلب: أن يستأصِلَ الطلَبُ والإرادةُ نوازِعَ الشهواتِ وجواذِبَ الهَوى، وتسكنَ الإرادةُ في أقطارِ النفس؛ فتملأها، فلا يَدَع فيها فَضْلاً لغيرِ الانجذابِ إلى جانِبِ الحقِّ جَلَّ جلالُه؛ فتتمحضُ الإرادةُ له، ومتى تمحضت كان الزهدُ لصاحِبِها ضرورةً؛ فإنه يفرغُه لعمارةِ وقتِه وجمعِ قلبِه على ما هو بصددهِ وقطعِ موادِّ طمعِه اللاتي هي من أفسدِ شيءٍ للقلب، بل أَصلُ المعاصي والفسادِ والفجورِ كلِّه من الطَمَع، فالزهدُ يقطعُ موادَّه، ويفرغُ البالَ، ويملأ القلبَ، ويستحثُّ الجوارِحَ، ويذهبُ الوحشَة التي بين العبدِ وبين ربِّه، ويجلبُ الأُنْسَ بِه، ويقوي الرغبةَ في ثوابهِ إن ضعفَ عن الرّغبَةِ في قُرْبِه والدنو منه وذوقِ حلاوة معرفتهِ ومحبتهِ.

فالزاهدُ أروحُ الناس بَدَناً وَقَلباً؛ فإن كان زهدُه وفراغُه من الدنيا قبوله في إرادةِ الله والدارِ الآخرة، بحيث فَرّغَ قلبهَ لله، وجَعَل حِرصَه على التّقرُّبِ إليه، وشُحَّه على وقته أن يضيعَ منه شيءٌ في غيرِ ما هو أرضى لله وأحب إليه، كان من أنعمِ الناس عَيْشاً، وأقَرِّهم عيناً، وأطيبِهم نَفْساً، وأفرَحِهم قَلْباً، فإن الرَّغبَةَ في الدنيا تُشَتِّتُ القَلْبَ وتُبَدِّدُ الشَمْلَ، وتطيلُ الهَمَّ والغَمَّ والحَزَنَ، فهي عَذابٌ حاضِرٌ يؤدِّي إلى عَذابٍ مُنْتَظَرٍ أَشد منه، وتفوت على العبدِ من النِّعمِ أضعافَ ما يرومُ تحصيلَه بالرغبَةِ في الدنيا.

قال الإمام أحمد: حدثنا الهيثم بن جميل حدثنا محمد يعني ابن مسلم عن إبراهيم يعني ابن ميسرة عن طاوس قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الزُهدَ في الدنيا يريحُ القلبَ والبَدَنَ، وإن الرغبَةَ في الدنيا تُطيلُ الهَمَّ والحزَنَ»[1].

---

(١) **ضعيف** ـ أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٦)، وابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (١٣١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٣٦) من طريق الهيثم بن جميل به. قلت: إسناده ضعيف؛ لإرساله كما قال البيهقي. ثم قال: «ورواه أيضاً فضيل بن عياض عن النبي ﷺ منقطعاً».

قلت: أخرجه ابن أبي الدنيا في «ذم الدنيا» (٢٨٩) وهو معضل؛ فبين فضيل بن عياض=

وإنما تحصلُ الهمومُ والغُمومُ والأحزانُ من جهتين:

إحداهما: الرغبَةُ في الدنيا والحرصُ عليها.

والثاني: التقصيرُ في أعمالِ البِرِّ والطاعَةِ.

قال عبد الله بن أحمد: حدثني بيان بن الحكم حدثنا محمد بن حاتم عن بشر بن الحارث قال حدثنا أبو بكر بن عياش عن ليث عن الحكم قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا قَصَّر العبدُ بالعَمَلِ ابتلاه الله عز وجل بالهَمِّ»[1].

وكما أن الرغبة في الدنيا أصلُ المعاصي الظاهرةِ؛ فهي أصلُ معاصي القلبِ، من التَّسَخُّطِ، والحَسَدِ، والكِبْرِ، والفَخْرِ، والخُيَلاءِ، والتَّكاثُرِ، وهذا كلُّه من امتلاء القلب بها لا من كونها في اليَدِ، وامتلاءُ القلبِ بها ينافي الشُّكْرَ، ورأسُ الشُّكرِ تفريغُ القلبِ منها، [وبالله التوفيق][2].

وامتدادُ المالِ كامتدادِ العُمُرِ والجاهِ؛ فخيركم في الدنيا مَن طالَ عمُرُه وحَسُنَ عَمَلُه، فهكذا من امتدَّ مالُه وكَثر به خيرُه، فَنِعَم المَرءُ ومالُه وجاهُه، إما أن يرفعَه درجات، وإما أن يضَعه درجات.

وسرُّ المسألةِ: أن طريقَ الفَقرِ والتَّقَلُّلِ طريقُ سلامةٍ مع الصبر، وطريقُ الغِنى والسَّعَةِ في الغالبِ طريقُ عَطَبٍ، فإن اتقى اللهَ في مالِه، ووصلَ به رحمَه، وأخرج منه حقَّ الله، وليس مقصوراً على الزكاةِ بل من حَقِّه إشباعُ الجائِع، وكسوةُ العاري، وإغاثةُ الملهوفِ، وإعانةُ المحتاجِ والمضطرِ، فطريقُه طريقُ

= والنبي مفاوز تنقطع فيها أعناق الإبل. ثم قال البيهقي: «وقد روي موصولاً من وجه آخر». وساقه بإسناده من طريق علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إن الزهادة في الدنيا تريح القلب والبدن».

قلت: أخرجه أيضاً ابن عدي في «الكامل» (١/ ٣٦٧)، وإسناده ضعيف؛ لأن علياً بن زيد ضعيف.

وبالجملة: فالحديث ضعيف.

(١) **ضعيف جداً** ـ أخرجه أحمد في «الزهد» (ص١٦). قلت: إسناده معضل، ومسلسل بالضعفاء والمجاهيل.

(٢) زيادة من «ظ».

غنيمة وهي فوق السَّلامَةِ؛ فمثلُ صاحب الفقرِ كمثلِ مريضٍ قد حُبِسَ بمرضِه عن أغراضِه، فهو يُثابُ على حُسْنِ صَبْرِه على حبسه، وأما الغَنِيُّ فَخَطَرُه عَظيمٌ في جَمْعِه وَكَسْبِه وَصَرْفِه، فإذا سَلِم كَسْبُه وحَسُنَ أَخْذُه من وَجهِه وَصَرَفَه في حقِهِ كان أنفعَ له، فالفقيرُ كالمتعبدِ المنقطع عن النّاسِ، والغنيُّ المنفِقُ في وجوهِ الخَيرِ كالمُعينِ والمُعَلِّم والمُجاهِد؛ ولهذا جعله النَبيُّ ﷺ قرينَ الذي آتاه اللهُ الحِكمَةَ فهو يَقْضي بها، وَيُعَلِّمُها؛ فهو أَحَدُ المَحْسودَين الذين لا ثالثَ لهما[1]، والجَهَلَةُ يغبطون المُنقَطِعَ المُتَخَلّي المقصورَ النَفْعِ على نَفْسِه، ويجعلونَه أولى بالحَسَدِ من الغَنِيِّ المنفِقِ والعالِمِ المُعَلِّمِ.

فإن قيل: فأيُّهُما أفضَلُ من يختارُ الغِنى والتَّصَدُّقَ والإنفاقَ في وجوهِ البرِّ؟ أم من يختارُ الفَقْرَ والتَّقَلُّل؛ ليبعد عن الفِتْنَةِ ويسلم من الآفةِ، ويرفه قلبَه على الاستعداد للآخرةِ فلا يشغلُه بالدنيا؟ أم من لا يختارُ لا هذا ولا ذاك بل يختار ما اختارَه الله له فلا يعين باختيارِه واحداً من الأمرين؟

قيل: هذا موضِعٌ اختلف فيه حالُ السَّلفِ الصالحِ:

فمنهم من اختارَ المالَ للجهادِ به، والإنفاقِ، وصَرْفِه في وجوه البِرِّ؛ كعبدِ الرحمن بن عوف وغيره من مياسير الصحابة، وكان قيسُ بن سعد يقول: «اللهم إنّي مِن عبادِك الذين لا يصلِحُهم إلا الغنى».

ومنهم: من اختارَ الفَقْرَ والتَّقَلُّلَ كأبي ذَرٍّ وجماعةٍ من الصحابة معه، وهؤلاء نظروا إلى آفاتِ الدّنيا، وخشوا الفتنَة بها، وأولئك نظروا إلى مصالحِ الإنفاقِ وثمراتِهِ العاجِلَةِ والآجِلَةِ.

والفرقةُ الثالثةُ لم تختر شيئاً بل كان اختيارُها ما اختاره الله لها.

وكذلك اختيارُ طولِ البَقاءِ في الدّنيا لإقامةِ دينِ الله وعبادتِهِ: فطائفةٌ اختارته وَتَمَنّتْهُ. وطائِفَةٌ أَحَبَتِ الموتَ ولقاءَ الله، والراحة من الدنيا. وطائفة ثالثة لم تختر هذا ولا ذاك، بل اختارت ما يختارُه الله لها، وكان اختيارُهم مُعَلقاً بما

---

(١) انظر في هذا المعنى حديثاً سبق تخريجه (ص ٣٩٤).

يُريدُه الله دونَ مرادِ معين منهم، وهي حال الصديق رضي الله عنه فإنهم قالوا له في مرض موته: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: «قد رآني»، قالوا: فما قال لك؟ قال: «قال لي: إني فعال لما أريد»[1].

والأولى: حال مُوسى عليه السلام؛ فإنه لما جاءه ملكُ الموتِ لَطَمَه؛ فَفَقأ عَينَه، ولم يكن ذلك حُبًّا منه للدنيا والعيشِ فيها، ولكن لِيُنَفِّذَ أوامرَ ربِّه، ويقيمَ دينَه، ويجاهِدَ أعداءَه، فكأنّه قال لملك الموتِ: أنت عَبْدٌ مأمورٌ، وأنا عبدٌ مأمورٌ، وأنا في تنفيذِ أوامر رَبيِّ وإقامةِ دينه، فلما عُرِضَت عليه الحياةُ الطويلةَ وعلم أن الموتَ بعدها اختارَ ما اختارَه اللهُ له[2].

وأمّا نَبِيُّنا صلوات الله وسلامه عليه؛ فإنَ ربَّه أَرسل إليه يخبرُه وكان أعلمَ الخَلْقِ بالله، فعلم أن ربَّه تبارك وتعالى يُحِبُّ لقاءَه ويختارُه له فاختار لقاءَ الله، وَلو عَلِم أن رَبَّه يُحبُّ له البقاءَ في الدّنيا لتنفيذ أوامرِهِ وإقامةِ دينهِ لما اختار غيرَ ذلك، فكان اختيارُه تابعاً لاختيار ربِّه عز وجل، فكما أنه لما خَيَّرَه ربُّه عز وجل بين أن يكون مَلِكاً نبياً وبين أن يكون عَبْداً نبيّاً اختار ما اختاره اللهُ له، فكان اختيارُه في جميعِ أمورِه تابعاً لاختيارِ الله له.

ولهذا يوم الحديبية احتمل ما احتمل من تلك الحالِ في ذاك الوقت، وَوَفّى هذا المقامِ حقَّه، ولم يثبت عليه من كلِّ وجهِ إلا الصّدّيقُ، فلم يكن له اختيارٌ سوى ما اختاره اللهُ له ولأصحابِه من تلك الحالِ التي تَقَرَّرَ الأمْرُ عليها[3]، فكان راضياً بها مختاراً لها مشاهداً اختيارَ ربِّه لها، وهذا غايةُ العبوديةِ، فَشَكَرَ اللهُ له ذلك، وجعل شكرانَه ما بَشَّرَه به في أوّلِ سورةِ الفَتْح حتى هَنّأه الصحابةُ به، وقالوا: هنيئاً لك يا رسول الله، وَحُقَّ له أن يُهَنَّأَ بأعظمِ ما هُنِّيءَ به بَشَرٌ صلواتُ الله وسلامُه عليه.

ومما ينبغي أن يُعْلَمَ: أن كُلَّ خَصْلَةٍ من خِصالِ الفَضْل قد أَحَلّ اللهُ

(١) مضى تخريجه (ص ١٥٥).
(٢) كما في حديث أخرجه البخاري (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) في «م»: التي تقر الأعين منها.

رسولَه ﷺ في أعلاها، وَخَصّه بذروةِ سنامِها، فإذا احتجت بحاله فِرقةٌ من فِرَقِ الأمّةِ التي تَعَرّفَت تلكَ الخصالَ وتقاسمتها على فَضْلِها على غيرِها أمكن الفرقةُ الأخرى أن تحتجَّ به على فَضلِها أيضاً:

فإذا احتجَّ به الغزاةُ والمجاهدون على أنهم أفضلُ الطوائِفِ، احتجَّ به العلماءَ [والفقهاء][1] على مثل ما احتج به أولئك.

وإذا ما احتجَّ به الزّهادُ والمتخلّفون عن الدّنيا على فَضْلِهم، احتج به الداخلون في الدنيا والولايةِ وسياسَةِ الرّعيَةِ لإقامةِ دينِ الله، وتنفيذِ أمرهِ.

وإذا احتج به الفقيرُ الصابرُ احتج به الغَنِيُّ الشاكِرُ.

وإذا احتجّ به أهلُ العبادَةِ على فضل نوافلِ العبادةِ وترجيحِها، احتجَّ به العارفون على فَضْلِ المَعرفَةِ.

وإذا احتجَّ به أربابُ التواضع والحِلم، احتج به أرباب العِزِّ والقَهْرِ للمُبْطِلين والغِلظَةِ عليهم والبَطْشِ بِهم.

وإذا احتج به أربابُ الوَقارِ والهَيْبَةِ والرّزانِة، احتج به أربابُ الخُلُقِ الحَسَنِ والمِزاحِ المباحِ الذي لا يخرُجُ عن الحَقِّ وَحُسْنِ العِشْرَةِ للأهلِ والأصحابِ.

وإذا احتجّ به أصحابُ الصَدْعِ بالحَقِّ والقولِ بِه في المَشْهَدِ والمَغيبِ، احتجّ بِه أصحابُ المداراةِ والحياءِ والكَرَمِ أن يبادِروا الرّجُلَ بما يكرهه في وَجْهِه.

وإذا احتَج بَه المُتَورّعون على الوَرَعِ المَحمودِ، احتجَّ به المُيَسِّرون المُسَهّلون الذين لا يخرجون عن سَعةِ شَريعتِه وَيُسرِها وسهولَتِها.

وإذا احتجَّ به من صَرَف عنايتَه إلى إصلاحِ دينهِ وقلبهِ، احتج به من راعى إصلاحَ بدنِه ومعيشَتِه ودنياه؛ فإنّه ﷺ بُعِث لصَلاحِ الدّنيا والدّينِ.

وإذا احتَجَّ به من لم يُعَلِّق قلبه بالأسبابِ ولا رَكَن إليها، احتج به من قام بالأسبابِ وَوَضَعها مواضِعَها وأعطاها حَقَّها.

---

(١) زيادة من «ظ».

وإذا احتجَّ به من جاعَ وصَبَر على الجوعِ، احتج به من شَبِعَ وشَكَرَ رَبَّه على الشِّبَعِ.

وإذا احتج به من أَخَذَ بالعَفْوِ والصّفْحِ والاحتمالِ، احتج به من انتقم في مواضع الانتقامِ.

وإذا احتَجَّ به من أعطى لله ووالى لله، احتج به من مَنع لله وعادى لله.

وإذا احتج بَه من لم يَدَّخِرْ شيئاً لغدٍ، احتج به من يَدَّخِرْ لأهِلِه قوتَ سَنَةٍ.

وإذا احتَجَّ به من يأكلُ الخَشِنَ من القوتِ والأدم كخبزِ الشّعيرِ والخَلّ، احتج به من يأكل اللذيذَ الطيّبَ كالشُّويِ والحَلْوى والفاكِهَةِ والبِطّيخ ونحوِه.

وإذا احتجَّ به من سَرَد الصَوْمَ، احتج به من لم يسرد الفِطَر؛ فكان يصومُ حتى يقالُ لا يُفطِرُ، ويُفطرُ حتى يقالَ لا يصومُ.

وإذا احتجَّ به من رَغِبَ عن الطيبّاتِ والمشْتَهياتِ، احتج به من أَحَبَّ أطيبَ ما في الدّنيا وهو النّساءُ والطيّبُ.

وإذا احتجَّ به من ألان جانبَه وَخَفَض جناحَه لنِسائِه، احتجَّ به من أدَّبَهُنَّ وآلَمَهُنَّ وَطَلَّق وَهَجَر وَخَيَّرَهُنَّ.

وإذا احتجَّ به من تَركَ مباشَرة أسبابِ المعيشَة بنفسه، احتج به من باشرَها بنفسِه فآجر واستأجَرَ، وباع واشترى، واستسلف، وأدان، وَرَهن.

وإذا احتجَّ به من يجتنب النساءَ بالكليةِ في الحَيْضِ والصِيام، احتج به من يُباشِرُ امرأتَه وهي حائضٌ بغير الوَطءِ، ومن يُقَبِّلُ امرأَته وهو صائِمٌ.

وإذا احتجّ به من رَحم أهلَ المعاصي بالقَدَرِ، احتج به من أقام عليهم حدودَ الله؛ فَقَطَع السارِقَ، وَرَجَم الزّاني، وَجَلَد الشّارِبَ.

وإذا احتج به مِن أرباب الحُكْم بالظاهِر، احتج به أربَابُ السياسَةِ العادِلَة المَبْنِيَةِ على القرائِنِ الظاهرةِ؛ فإنّه حَبَس في تهمة، وعاقب في تهمة، وأخبرَ عن نَبِيِّ الله سليمان أنه عليه السلام حَكَم بالَولَدِ للمرأةِ بالقرينَةِ الظاهِرةِ مع اعترافِها

لصاحبتها به؛ فلم يحكم بالاعترافِ الذي ظَهر لَه بطلانُه بالقرينَةِ[1].

وترجم أبو عبد الرحمن[2] على الحديث ترجمتين:

إحداهما: قال: التوسِعَةُ للحاكِم أن يقول للشيءِ الذي لا يفعله: افعله ليستبين به الحق.

ثم قال الحكم بخلافِ ما يعترف به المحكومُ عليه، إذا تبين للحاكم أن الحقّ غير ما اعترف به.

وكذلك الصحابة عملوا بالقرائِنِ في حياتِهِ وبعدِه.

فقال علي رضي الله عنه للمرأة التي حَمَلت كتابَ حاطبٍ: «لَتُخْرِجن الكتابَ أو لأُجَرِّدَنَّكِ»[3].

وحَدَّ عمر رضي الله عنه في الزِّنى بالحَبلَ، وفي الخَمْرِ بالرائِحَةِ.

وحكى الله سبحانه عن شاهِدِ يوسف حكاية مُقَرّرٍ غير منكرٍ أنّه حكمَ بقرينةِ شَقِّ القميصِ من دُبُرٍ على براءَته.

وقال ﷺ لابن أبي الحقيق وقد زعم أن النفقة أذهبت كَنْزَ حُيي بن أخطب: «العَهْدُ قَرِيبٌ والمالُ أَكثَرُ من ذلك»[4]، فاعتبر قَرينَتَين دالّتين على بقاءِ المالِ، وعاقَبَه حتى أَقَر بِهِ.

وجَوّز لأولياءِ القَتيل أن يحلفوا على رَجُلٍ أنه قَتَلَه؛ يقتلونه بِهِ بناءً على القرائِنِ المُرَجِّحةِ صدقهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٢٧) معلقاً، ووصله برقم (٦٧٦٩)، ومسلم (١٧٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) هو النسائي رحمه الله. وانظر «المجتبى» (٨/ ٢٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٧٤).

(٤) **صحيح** ـ أخرجه ابن حبان (٥١٩٩)، والبيهقي (٩/ ١٣٧) من طريق حماد بن سلمة عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر ـ وذكر حديثاً طويلاً في غلبة الرسول ﷺ خيبر. قلت: إسناده صحيح، وأصله في «الصحيحين».

وشرع الله سبحانه رَجْمَ المرأَةِ إذا شَهِد عليها زوجُها في اللعانِ، وأبت أن تلاعِن للقرينةِ الظاهرةِ على صِدْقِه.

وشريعتُه ﷺ طافِحَةٌ بذلك لمن تأمّلَها؛ فالحكم بالقرائِن الظاهِرَةِ من نفسِ شريعَتهِ، وما جاء به فهو حُجّةٌ لقضاةِ الحَقِّ وولاةِ العدلِ كما أنه حجةٌ على قضاةِ السوءِ، وولاة الجَوْرِ، واللهَ المستعانَ[1].

والمقصودُ بهذا الفَصلِ: أنّه ليسَ الفقراءُ الصابرون بأحقَّ بِه ﷺ من الأغنياءِ الشّاكِرين، وَأَحَقُّ الناسِ به أعلَمُهم بسُنّتِه، وَأَتبَعهم لها، وباللهِ التّوفيقِ.



(١) فَصَّل الإمام ابن القيم رحمه الله مسألة الحكم بالقرائن الظاهرة في كتابه النفيس «الطرق الحكمية»؛ فليُنْظر.

الباب الخامس والعشرون
في بيان الأمور المضادة للصبر والنافية له والقادحة فيه

لما كان الصَّبرُ حَبْسَ اللّسانِ عن الشّكوى إلى غيرِ الله، والقلبِ عن التَّسَخُطِ، والجوارحِ عن اللّطمِ وَشقِّ الثيابِ ونحوها، كان ما يضادُه واقعاً على هذه الجملَةِ.

فمنه: الشّكوى إلى المخلوق، فإذا شكا العَبْدُ رَبَّه إلى مخلوق مثله فقد شكى من يَرْحَمه إلى من لا يَرْحَمُه، ولا تضادهُ الشكوى إلى الله كما تقدم[1] في شكايةِ يعقوب إلى الله مع قوله ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨، ٨٣].

وأما إخبارُ المخلوقِ بالحالِ؛ فإن كان للاستعانَةِ بإرشادِه أو معاونتِه والتوصل إلى زوالِ ضرورةٍ لم يقدح ذلك في الصَّبرِ؛ كإخبارِ المريضِ للطبيبِ بشكايَتِه، وإخبارِ المظلومِ لمن ينتصر به بحالِه، وإخبار المبتلى ببلائِه لمن كان يرجو أن يكون فَرجُه على يديه.

وقد كان النَّبيُّ ﷺ إذا دخل على المريض يسأله عن حالِه ويقول: «كيف تجدك»[2]؛ وهذا استخبارٌ منه واستعلامٌ بحاله.

وأمّا الأنينُ فهل يقدح في الصبر؟ فيه روايتان عن الإمام أحمد. قال أبو الحسين[3]: أصحُّهما الكراهة؛ لما روي عن طاوس: أنه كان يكره الأنينَ في

---

(١) (ص٦٦).

(٢) **صحيح** ـ أخرجه الترمذي (٩٨٣)، ابن ماجه (٤٢٦١) وغيرهما. قلت: صححه شيخنا في «الصحيحة» (١٠٥١).

(٣) انظر: «التمام لما صح في الروايتين والثلاث والأربع عن الإمام» (١/ ٢٥٥).

المَرَضِ. وقال مجاهد: كلُّ شيءٍ يُكتبُ على ابنِ آدم مما يتكلّمُ حتى أنينه في مرضِه. قال هؤلاء: وإن الأنين شكوى بلسانِ الحالِ ينافي الصبر.

وقال عبد الله بن الإمام أحمد: قال لي أبي في مَرضِه الذي توفي فيه: أَخْرِجْ إليَّ كتابَ عبدالله بن إدريس فأخرجتُ الكتاب، فقال: أخرج أحاديث ليث بن أبي سليم فأخرجت أحاديث ليث، فقال: اقرأ علي أحاديثَ ليث. قال: قلت لطلحة: إنَّ طاووس: كان يكره الأنينَ في المرضِ، فما سُمِعَ له أنينٌ حتى مات؛ فما سمعت أبي أَنّ في مرضِه ذلك إلى أن تُوفي.

والرواية الثانية: أنه لا يُكْرَه، ولا يقدحُ في الصَّبرِ، قال بكر بن محمد عن أبيه: سئل أحمد عن المريض يشكو ما يجد من الوجع؟ فقال: تعرف فيه شيئاً عن رسول الله ﷺ؟ قال: نعم حديث عائشة «وارأساه»[1] وجعل يَسْتَحسِنُه. وقال المَرّوذِي: دخلت على أبي عبد الله وهو مريضٌ؛ فسألته فتغرغرت عينه، وجعل يخبرني ما مر به في ليلته من العلة[2].

والتحقيق: أن الأنين على قِسمين: أنينُ شكوى؛ فيكره. وأنين استراحةٍ وتفريجٍ، فلا يكره، والله أعلم.

وقد رُوي في أثرٍ: «أن المريضَ إذا بدأ بحمدِ الله ثم أخبر بحالِه لم يكن شكوى».

وقال شقيق البلخي: «من شكى من مصيبةٍ نزلت به إلى غيرِ الله لم يجد في قلبه حلاوةً لطاعة الله أبداً».

والشّكوى نوعان: شكوى بلسانِ القالِ. وشكوى بلسان الحالِ ولعلها أعظمها، ولهذا أَمَر النَّبيُّ ﷺمن أنعم عليه أن يُظهِرَ نعمةَ الله عليه، وأعظم من ذلك من يشتكي رَبّه وهو بخيرٍ؛ فهذا أمقَتُ الخَلْقِ عند ربّه.

قال الإمامَ أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا كهمس عن عبد الله بن

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٦٦).

(٢) «التمام» (١/٢٥٦).

شقيق قال: قال كعب الأحبار: «إن من حسنِ العَمَل سُبْحَةَ الحديثِ، ومن شرِّ العَمَلِ التّحذيفُ».

قيل لعبد الله: ما سبحة الحديث؟ قال: سبحان الله وبحمده في خلال الحديث.

قيل: فما التحذيف؟ قال: يصبح الناس بخير؛ فيسألون، فيزعمون: أنهم بِشَرٍّ.

ومما ينافي الصَبْرَ: شَقُّ الثّيابِ عند المُصيبَةِ، وَلَطمُ الوَجهِ، والضَرْبُ بإحدى اليَدين على الأخرى، وَحَلْقُ الشّعرِ، والدّعاءُ بالَويل[1]، ولهذا بَرىء النبي ﷺ ممن سلق وَحَلَقَ وَخَرَق. سَلَق[2]: رفع صوته عند المصيبةِ، وحلق رأسَه وشَقَّ ثيابَه، ولا ينافيه البكاءُ والحزنُ، قال الله تعالى عن يعقوب: ﴿وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤]. قال قتادة: «كظيم على الحزنِ، فلم يَقُل إلا خيراً»[3].

وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «ما كان مِن العَينِ ومن القَلبِ فمن اللهِ والرّحَمةِ، وما كان مِن اليَد واللسانِ فمن الشّيطانِ»[4].

وقال هشيم عن عبد الرحمن بن يحيى عن حِبّان بن أبي جبلة قال: قال رسول الله ﷺ: «من بَثَّ لم يصبر»[5].

وقال خالد بن أبي عثمان مات ابن لي فرآني سعيد بن جبير متقنّعاً، فقال: «إياك والتقنيع؛ فإنه من الاستكانةِ».

---

(١) انظر أدلة هذه المحرمات والمعاصي بتفصيل في كتابي «موسوعة المناهي الشرعية».

(٢) بالسين والصاد.

(٣) مضى تخريجه (ص١٦٠).

(٤) **إسناده ضعيف**؛ لأن علياً بن زيد ضعيف. ولم أعثر عليه بهذا اللفظ، ونحوه في «كنز العمال» (١٥/٦١٦/٤٢٤٥١) من حديث جابر عزاه لأبي نعيم.

(٥) إسناد معضل. وهو جزء من حديث مضى تخريجه (ص١٥٩).

وقال بكر بن عبد الله المزني: «كان يقال من الاستكانة الجلوس في البيت بعد المصيبة».

وقال عُبَيد بن عُمَير: «ليس الجزع أن تدمع العين ويحزن القلب، ولكن الجزع القول السَّيِّيء والظَنُّ السَّيِّيء».

وسئل القاسم بن محمد عن الجزع؟ فقال: «القول السَّيِّيء والظن السَّيِّيء».

ومات ابنٌ لبعضِ قضاة البصرة؛ فاجتمع إليه العلماءُ والفقهاء؛ فتذاكروا ما يتبيّن به جزع الرجل من صبره؛ فأجمعوا: أنه إذا ترك شيئاً مما كان يصنعه؛ فقد جَزِع.

وقال الحسن بن عبد العزيز الجروي: مات ابن لي نفيسٌ؛ فقلت لأمه أتَّقِ الله، واحتسبيه، واصبري. فقالت: مصيبتي به أعظمُ من أن أفسدها بالجَزعِ.

وقال عبدُ الله بن المبارك: أتى رجلٌ يزيد بن يزيد وهو يصلي وابنه في الموت، فقال: ابنك يقضي وأنت تصلي؟ فقال: إن الرجُلَ إذا كان له عملٌ يعمله، فتركه يوماً واحداً كان ذلك خَلَلا في عمله.

وقال ثابت: أصيب عبدُ الله بن مُطَرّف بمصيبةٍ فرأيته أحسن شيءٍ شارةً وأطيبه ريحاً؛ فذكرت له ما رأيت، فقال: تأمرني يا أبا محمد أن أستكين للشيطان، وأريه أنه قد أصابني سوء، والله يا أبا محمد: لو كانت لي الدنيا كلها، ثم أخذها مني، ثم سقاني شربة يوم القيامة ما رأيتها ثمناً لتلك الشربة.

ومما يقدَحُ: في الصَبْرِ إظهارُ المصيبةِ والتحدث بها، وكتمانها رأسُ الصبر.

وقال الحسن بن الصباح في «مسنده»: حدثنا خلف بن تميم حدثنا زافر بن سليمان عن عبدالعزيز بن أبي رواد عن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من البّر كتمانُ المصائِب والأمراضِ والصَّدقةِ، وذكر أنه من بث فلم يصبر»[1].

---

(١) مضى تخريجه مطولاً (ص١٥٩)

وروي من وجهٍ آخر عن الحسن يرفعه: «من البر كتمان المصائب وما صبر من بث»[1].

ولما نَزَل في إحدى عيني عطاء الماءُ مكث عشرين سنةً لا يُعْلِمُ به أهلَه حتى جاء ابنُه يوماً من قِبَل عينيه، فَعَلِم أن الشَيْخَ قد أُصيب.

ودخل رجلٌ على داود الطائي في فراشِه فرآه يرجُف، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال له: لا تُعْلِم بهذا أحداً، وقد أقعد قبل ذلك أربعةَ أشهر لا يعلم بذلك أحدٌ.

وقال مغيرة: شكى الأحنفُ إلى عمّه وجعَ ضرسِه؛ فكرر ذلك عليه، فقال: ما تكرر علي، لقد ذهبت عيني منذ أربعين سنة فما شكوتها إلى أحدٍ.

ويضاد الصَبْرَ الهَلَعُ، وهو: الجَزَعُ عند ورودِ المصيبَةِ، والمَنْعُ عند ورود النّعمَةِ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢١].

وهذا تفسير الهلوع: قال الجوهري: الهلع: أفحشُ الجَزعِ، وقد هَلِع بالكسر؛ فهو هَلِعٌ وهَلوع، وفي الحديث: «شر ما في العبد شُحٌّ هالِعٌ، وَجُبْنٌ خالِع»[2].

قلت: هنا أمران: أمرٌ لفظي. وأمرٌ معنوي.

فأما اللفظيُّ؛ فإنه وَصَف الشُحَّ بكونه هالِعاً والهالِعُ صاحبُه، وأكثر ما يسمى هَلوعا، ولا يقال هالِعٌ له؛ فإنه لا يتعدى، ففيه وجهان: **أحدهما**: أنّه على النسب؛ كقولهم: ليلٌ نائِمٌ، وسرٌّ كاتِمٌ، ونهارٌ صائمٌ، ونومٌ عاصفٌ؛ كلُّه

---

(١) إسناده ضعيف لإرساله.

(٢) **صحيح** ـ أخرجه أبو داود (٢٥١١)، وأحمد (٢/ ٣٠٢ و٣٢٠)، وابن أبي شيبة (٩/ ٩٨)، وابن حبان (٣٢٥٠)، وأبو نعيم (٩/ ٥٠)، والبيهقي (٩/ ٥٠) وغيرهم من طريق موسى بن عُلَي بن رباح عن أبيه عن عبد العزيز بن مروان عن أبي هريرة مرفوعاً.
قلت: إسناده صحيح رجاله ثقات، وجوَّد إسناده العراقي، وصححه شيخنا في «الصحيحة» (٥٦٠).

عند سيبويه على النسَبِ؛ أي: ذو كذا كما قالوا: نامرٌ، ولابنٌ.

والثاني: أن اللفظةَ غُيِّرت عن بابِها للازدواج مع خالِع، وله نَظِيرٌ.

وأمّا المعنوي: فإنَّ الشُّحَّ والجُبْنَ أردى صفتين في العبد؛ ولا سيما إذا كان شُحُّه هالعاً؛ أي: مُلقٍ له في الهَلَع، وجبنه خالعاً؛ أي: قد خَلَع قَلْبَه من مكانِه، فلاَ سماحةَ، ولا شجاعةَ، ولاَ نَفَعَ بماله ولا ببدنه؛ كما يقال: لا طعنة ولا جفنة؛ ولا يطرُدُ ولا يَشْرُدُ، بل قد قَمَعه وَصَغَّره وحَقَّرَه ودسّاه الشُّحُ والخَوفُ والطَمَعُ والفَزَعُ.

وإذا أردت معرفةَ الهَلوعِ؛ فهو الذي إذا أصابه الجوعُ مثلاً أظهر الاستجاعة وأسرعَ بها، وإذا أَصَابَهُ الألَمُ أسرع الشكايةَ وأظهرها. وإذا أَصَابَهُ القَهْرُ أظهر الاستطامةَ والاستكانة وباء بها سريعاً. وإذا أصابه الجوع أسرع الانطراحَ على جنبه، وأظهرَ الشِكايةَ. وإذا بدا له مأخذُ الطمعِ طار إليه سريعاً. وإذا ظفر به أهله من نفسه محلَّ الروح فلا احتمال ولا إفضال، وهذا كله من صِغَرِ النَّفسِ، ودنَائَتِها، وتدسيسها في البدن وإخفائِها وتحقيرها، والله المستعان.



الباب السادس والعشرون

في بيان دخول الصبر والشكر في صفات الرب جل جلاله، وتسميته بالصبور والشكور، ولو لم يكن الصبر والشكر من الفضيلة إلا ذلك لكفى به

أما الصبرُ؛ فقد أطلقه عليه أعرفُ الخَلْق به وأعظمهُم تنزيهاً له بصيغة المبالغة؛ ففي «الصحيحين» من حديث الأعمش عن سعيد بن جبير عن أبي عبد الرحمن السلمي عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «ما أحدٌ أصبَرُ على أذى سَمِعه مِنَ الله عز وجل، يدعون له ولداً وهو يعافيهم ويرزقُهم»[(١)].

وفي أسمائه الحسنى الصبور[(٢)]، وهو من أمثلةِ المُبالغَةِ، أبلغ من الصَابر والصبَّار. وصَبره تعالى يفارِق صبرَ المخلوق ولا يُمَاثِلُه من وجوه متعددة: منها: أنه عن قدرةٍ تامّةٍ. ومنها: أنه لا يخاف الغوثَ، والعبدُ إنما يستعجلُ الخوفَ بالغوث. ومنها: أنه لا يلحقه بصبره ألَمٌ ولا حزَن، ولا نقص بوجه ما.

وظهور أكثر هذا الاسم في العالم مشهور بالعيان كظهور اسمه الحليم. والفرق بين الصبر والحلم: أن الصبر ثمرة الحلم وموجبه، فعلى قدر حلم العبد يكون صبره، فالحلم في صفات الرب تعالى أوسع من الصبر، ولهذا جاء اسمه الحليم في القرآن في غير موضع، ولسعته يقرنه سبحانه باسم العليم، كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١]، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٨)، ومسلم (٢٨٠٤).

(٢) الحديث في ذلك لا يصح، وستأتي الإشارة إلى ذلك إن شاء الله (ص٤٢٦).

وفي أثرٍ: «أن حملة العرش أربعة: إثنان يقولان سبحانك اللهم وبحمدك، لك الحمد على حلمك بعد علمك، وإثنان يقولان: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك».

فإن المخلوق يحلم عن جهل، ويعفو عن عَجزٍ، والربُّ تعالى يحلم مع كمالِ علمهِ، ويعفو مع تمامِ قدرتهِ، وما أُضِيفَ من شيءٍ إلى شيءٍ أزين من حلمٍ إلى علمٍ، ومن عفوٍ إلى اقتدارٍ، ولهذا كان في دعاءِ الكربِ وَصْفَ سبحانهُ بالحِلمِ مع العَظمةِ؛ وكونه حليماً من لوازمِ ذاتهِ سبحانه.

وأمّا صبره سبحانه فمتعلق بكفر العباد، وشركهم، ومسبتهم له سبحانه، وأنواعِ معاصيهم وفجورهم، فلا يزعجه ذلك كله إلى تعجيل العقوبه بل يصبر على كيده، ويمهله، ويستصلحه، ويرفق به، ويحلم عنه، حتى إذا لم يبق فيه موضع للضيعة، ولا يصلح على الإمهال والرفق والحلم، ولا ينيب إلى ربه ويدخل عليه، لا من باب الإحسان والنِعَم، ولا من باب البلاء والنقم، أخذه أخذ عزيز مقتدر، بعد غاية الإعذار إليه، وبذل النصيحة له ودعائه إليه من كل باب، وهذا كله من موجبات صفة حلمه، وهي صفةٌ ذاتيةٌ له لا تزول.

وأما الصبرُ فإذا زالَ متعلقه كان كسائر الأفعال التي توجبُ وجودَ الحكمة وتزول بزوالها، فتأمله، فإنه فرق لطيف ما عثرت الحذاق بعشره، وقل من تنبه له ونبه عليه، وأشكل على كثير منهم هذا الاسم.

وقالوا: لم يأتِ في القرآنِ فأعرضوا عن الاشتغال به صفحاً، ثم اشتغلوا بالكلام في صبر العبد وأقسامه، ولو أنهم أعطوا هذا الاسم حقه لعلموا أن الربَّ أحقُ بهِ من جميعِ الخلقِ كما هو أحقُ باسم العليمِ، والرحِيم، والقديرِ، والسميعِ، والبصيرِ، والحيِّ، وسائر أسمائه الحسنى من المخلوقين، وأن التفاوت الذي بين صبره سبحانه وصبرهم كالتفاوت الذي بين حياتهِ وحياتِهِم، وعلمهِ وعلمِهِم، وسمعهِ وأسماعِهِم، وكذا سائرُ صفاتهِ.

ولما علم ذلك أعرف خلقه به قال: «لا أحد أصبرُ على أذى سَمِعه من الله»[1].

فعِلم أرباب البصائرِ بصبرِه سبحانه كعلمهِم برحمتهِ، وعفوِه، وسترِه، مع أنه صَبْرٌ مع كمالِ عِلْم وقدرةٍ وعظمةٍ وعزّةٍ، وهو صَبْرٌ مَن أعظم مصبور عليه؛ فإن مقابلةَ أعظم العظَماءِ وملكِ الملوكِ وأكرمِ الأكرمين ومَن إحسانه فوق كلِّ إحسانٍ بغاية القُبْحِ، وأعظمِ الفجُورِ، وأفحشِ الفواحِش، ونسبته إلى كلِّ ما لا يليقُ به، والقدحُ في كمالِه، وأسمائِه وصفاتِه، والإلحادِ في آياتِه، وتكذيبِ رسلهِ عليهم السلام، ومقابلتِهم بالسَّبِّ، والشَّتْم، والأذى، وتحريقِ أوليائِه، وقتلِهم، وإهانَتِهم، أمر لا يصبرُ عليه إلا الصَّبورُ الذي لا أحدَ أصبَرُ منه، ولا نِسبَةَ لصبرِ جميعِ الخَلْقِ من أوّلِهم إلى آخِرهم إلى صبرِه سبحانه، وإذا أردتَ معرفَةَ صَبْرِ الرّبِّ تعالى وَحِلْمِه والفرق بينهما، فتأمل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤١﴾ [فاطر: ٤١]، وقوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ۝٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ۝٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾ [مريم: ٨٨ ـ ٩١] وقوله: ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦]. على قراءة من فتح اللام[2].

فأخبر سبحانه أن حِلْمَه ومغفِرَتَه يمنعان زوالَ السّماواتِ والأرضِ، فالحلمُ وإمساكُهما أن تزولا هو الصَبْرُ، فَبِحلمِه صَبَر على معاجلةِ أعدائه، وفي الآيةِ إشعارٌ بأن السماواتِ والأرضَ تَهِمُّ وتستأذِنُ بالزّوالِ لعظمِ ما يأتي به العبادُ؛ فيمسكها بِحِلمِه ومغفرتِه وذلك حَبَس عقوبَتَه عنهم، وهو حقيقةُ صبرِه تعالى، فالذي عنه الإمساكُ هو صِفَةُ الحلم، والإمساكَ هو الصَبْرَ وهو حبسُ العقوبةِ؛

(١) مضى تخريجه (ص٤٢٠).

(٢) هي اللام الأولى، وهي: قراءة الكسائي وحده؛ كما في «الحجة للقراء السبع» لأبي على الفارسي (٥/ ٣١)، «وحجة الفراءات» لابن زنجلة (ص٣٧٩) وقرأ الباقون بكسر اللام الأولى.

ففرقٌ بين حَبْسِ العقوبَةِ وبين ما صَدَر عنه حَبْسُها؛ فتأمله.

وفي «مسند» الإمام أحمد مرفوعاً: «ما من يومٍ إلا والبَحرُ يستأذنَ ربَّه أن يُغْرِقَ بني آدم»[1].

وهذا مقتضى الطبيعةِ؛ لأن كُرَةَ الماءِ تعلو كُرةَ التُرابِ بالطَّبْعِ، ولكن الله يُمْسِكُه بقدرتِه وحلمِه وصبرِه، وكذلك خرورُ الجبالِ وتفطيرُ السماواتِ الرَبُّ تعالى يَحْبِسُها عن ذلك بصبره وحلمِه؛ فإن ما يأتي به الكفّارُ والمشركون والفُجّار في مقابلَةِ العَظَمةِ والجَلالِ والإكرامِ، يقتضي ذلك، فَجعل سبحانه في مقابلةِ هذه الأسبابِ أسباباً يحبُّها ويرضاها ويفرحُ بها أكملَ فرحٍ وأتَمَّه، تقابل تلك الأسبابَ التي هي سبَبُ زوالِ العالَم وخرابِه، فَدفعت تلك الأسبابَ وقاومَتها، وكان هذا من آثارِ مدافعةِ رحمتِهِ لغضبِهِ، وغلبتِها له، وسبقِها إياه، فَغَلَب أَثَرُ الرّحمةِ أَثَرَ الغَضَبِ كما غَلبت الرّحمةُ الغَضَبَ؛ ولهذا استعاذَ النَّبيُّ ﷺ بصفة الرِّضا من صِفَةِ السَّخْطِ وبِفعلِ المعافاةِ من فعلِ العقوبة، ثم جَمَع الأمرين في الذّاتِ إذ هما قائمان بها، فقال: «أعوذُ برضاك من سخطِك، وأعوذ بعفوك من عُقوبَتِك، وأعوذ بك منك»[2]؛ فإن ما يستعاذُ به هو صادِرٌ عن مشيئتِه وخلقِه بإذنِه وقضائِه فهو الذي أذن في وقوعِ الأسباب التي يستعاذُ منها خلقاً وكَوْناً، فمنه السَبَبُ والمُسَبِبُ، وهو الذي حَرّكَ الأنفُسَ والأبدانَ وأعطاها قوى التأثيرِ، وهو الذي أوجدَها وأَعدَّها وَمَدَّها وَسَلَّطها على ما شاء، وهو الذي يمْسِكُها إذا شاء، ويحولُ بينها وبين قواها وتأثيرِها.

---

(١) ضعيف ـ أخرجه أحمد (١/ ٤٣)، وإسحاق بن راهويه؛ كما في «المطالب العالية» (٢/ ١٧٦)، والإسماعيلي؛ كما في «مسند الفاروق» (٢/ ٦٧) من طريق العوام بن حوشب حدثني شيخ كان مرابطاً بالساحل قال: لقيت أبا صالح مولى عمر بن الخطاب؛ فقال: حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ وذكره.
قال ابن كثير: «فيه رجل مبهم لم يسم، والله أعلم بحاله». وقال الشيخ أحمد شاكر في «شرح المسند» (١/ ٢٨٦): «إسناده ضعيف لجهالة الشيخ الذي روى عنه العوام بن حوشب، وأبو صالح مولى عمر مجهول أيضاً». والحديث ضعفه شيخنا في «ضعيف الجامع الصغير» (٤٩٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

فتأمل ما تحت قوله: «أعوذ بك منك» من محضِ التوحيدِ، وقطعِ الالتفاتِ إلى غيرِه، وتكميلِ التّوكلِ عليه تعالى، والاستعانةِ به وحده، وإفرادِهِ بالخوفِ والرَّجاءِ، ودَفْعِ الضُرِّ وجَلْبِ الخَيْرِ، وهو الذي يَمَسُّ بالضُّرِّ بمشيئتِه، وهو الذي يدفعه بمشيئته، وهو المستعاذُ بمشيئتِه من مشيئتِه، وهو المعيذُ من فِعلِه بِفِعلِه، وهو الذي سبحانه خَلَق ما يَصْبُر عليه، وما يرضى به، فإذا أغضبه معاصي الخَلْقِ وكفرُهم، وشِركُهم، وظُلمُهم أرضاه تسبيحُ ملائكتِه وعبادِه المؤمنين له، وحمدُهم إياه، وطاعتُهم له؛ فيعيذُ رضاه من غَضَبِه.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ليس عند ربّكُم ليلٌ ولا نهارٌ، نورُ السماوات والأرض من نورِ وَجهه، وإن مقدارَ يومٍ من أيامكم عنده إثنتا عشرة ساعةً؛ فتعرضُ عليه أعمالُكم بالأمس أوَّل النّهارِ اليَوم، فينظرُ فيها ثلاثَ ساعاتٍ، فَيَطَّلع منها على ما يكره فَيُغْضِبُه ذلك، فَأوّلُ ما يعلمُ بغضبِه حَمَلَةُ العرشِ يجدونه يثقل عليهم، فَتَسّبُحه حَمَلةُ العرش وسرادقاتُ العرشِ والملائكةُ المقربون وسائرُ الملائكة، حتى يَنفُخُ جبريلُ في القرنِ فلا يبقى شيء إلا يَسْمَعُ صوتَه؛ فيسبحون الرحمن ثلاث ساعات حتى يمتلىء الرحمنُ رحمةً، فتلك ست ساعات، قال ثم يؤتى بالأرحام فينظر فيها ثلاثَ ساعاتٍ، فذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٦]، و﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] فتلك تسعُ ساعات، ثم يؤتى بالأرزاقِ فينظر فيها ثلاثَ ساعاتٍ فذلك قوله: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦] وقوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] هذا شأن ربكم».

رواه أبو القاسم الطبراني في «السنة»، وعثمان بن سعيد الدارمي، وشيخ الإسلام الأنصاري، وابن منده وابن خزيمة، وغيرهم[1].

---

(١) **ضعيف** ـ أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٨٨٦)، والدارمي في «الرد على بشر المريسي» (٩١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٧) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص٩٩) من طريق حماد بن سلمة عن الزبير أبي=

ولما ذكر سبحانه في سورةِ الأنعام أعداءَه وكفرَهم وشركَهم وتكذيبَ رُسُلِه، ذكر في أثر ذلك: شأنَ خليلِه إبراهيم، وما أراه من مَلكوتِ السّماواتِ والأرضِ، وما حاجّ به قومَه في إظهارِ دينِ الله وتوحيدِه، ثم ذكر الأنبياءَ من ذريتِه وأنه هداهم وآتاهم الكتابَ والحُكْمَ والنُّبُوَّةَ، ثم قال: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]؛ فأخبر أنه سبحانه كما جعل في الأرض من يكفرُ به، ويجحَدُ توحيدَه، ويكذبُ رسلَه، كذلك جعل فيها من عبادِه من يؤمنُ بما كفر به أولئك، ويصدقُ بما كذّبوا به، ويحفَظُ من حرماتِه ما أضاعوه، وبهذا تَماسَكَ العالَمُ العلويُّ والسفْليُّ، وإلا فلو تَبع الحَقُّ أهواءَ أعدائه لفسدت السماواتُ والأرضُ ومن فيهن، وَلَخَرِب العَالَمُ، ولهذا جَعل سبحانَه من أسبابِ خَرابِ العالَم رَفْعَ الأسبابِ المُمْسِكَةِ له من الأرضِ، وهي: كلامُه، وبيتُه، ودينُه، والقائمون به، فلا يبقى لتلك الأسبابِ المقتضيةِ لخرابِ العالم أسبابٌ تقاومُها وتمانِعُها[1].

ولما كان اسمُ الحليمِ أَدخَل في الأوصافِ، واسمُ الصبورِ في الأفعالِ، كان الحلمُ أصلَ الصَبرِ، فَوَقَعَ الاستغناءُ بذكرِه في القرآنِ عن اسمِ الصّبور، والله أعلم.

= عبد السلام بن أيوب بن عبد الله بن مكرز عن عبد الله بن مسعود وذكره مرفوعاً. قلت: إسناده ضعيف فيه علتان. الأولى: الزبير أبو عبد السلام مجهول. الثانية: أيوب بن عبد الله فيه ضعف.

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٨٥): «رواه الطبراني في «الكبير»، وفيه أبو عبد السلام قال أبو حاتم مجهول، وقد ذكره ابن حبان في «الثقات»، وعبد الله بن مكرز أو عبيد الله على الشك لم أر من ذكره». هكذا قال وسببه أنه هكذا وقع في «الكبير» وإنما هو أيوب بن عبد الله بن مكرز كما هو عند الدارمي وابن منده وهو المذكور في شيوخ الزبير.

وبالجملة: فالحديث موقوف ضعيف، وفي متنه نكارة لا تخفى.

(١) وذلك عند قرب قيام الساعة، وانتهاء أمد الدنيا، فإنها لا تقوم إلا على شرار الخلق - عياذاً بالله.

وأما تسميته سبحانه بالشكور؛ فهو في حديث أبي هريرة[1].

وفي القرآن تسميته شاكراً، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

وتسميته أيضاً شكوراً، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان: ٢٢]؛ فجمع لهم سبحانه بين الأمرين: أن شَكَرَ سَعْيَهم وأثابَهم عليه، والله تعالى يشكُرُ عبدَه إذا أحسنَ طاعَتَه، ويغفِرُ له إذا تاب إليه؛ فيجمع للعَبدِ بين شكرِه لإحسانِه ومغفرتِه لإساءته إنه غفور شكور.

وقد تقدم في البابِ العشرين ذكرُ حقيقةِ شكرِ العبدِ، وأسبابِه، ووجوهِه[2].

وأما شكرُ الرَبِّ تعالى فله شأن آخر، كشأنِ صبرِه، فهو أولى بصفةِ الشكرِ من كلِّ شكورٍ، بل هو الشكورُ على الحقيقةِ؛ فإنه يعطي العبدَ ويوفقه لما يشكرُه عليه، ويشكرُ القليلَ من العَمَلِ والعطاءِ فلا يَستقلُّه أن يشكرَه، ويشكرُ الحسنَةَ بعشر أمثالها إلى أضعافِ مضاعفةٍ، ويشكرُ عبدَه بقولِه بأن يثني عليه بين ملائكتِه وفي ملئه الأعلى، ويلقي له الشكرَ بين عبادِه، ويشكره بفعلِه، فإذا ترك شيئاً أعطاه أفضلَ منه، وإذا بَذَل له شيئاً رَدَّه عليه أضعافاً مضاعفةً، وهو الذي وَفَّقَه للتَّركِ والبَذْلِ، وشكره على هذا وذاك.

ولما عَقَرَ نَبيُّه سليمان الخيلَ غَضَباً له إذ شغلته عن ذكرِه، فأراد ألا تشغله مرة أخرى أعاضه عنها متنَ الرّيحِ.

ولما تَرَكَ الصّحابَةُ ديارَهم وَخَرجوا منها في مرضاتِه أعاضَهم عنها أن مَلَّكَهم الدّنيا، وَفَتَحها عليهم.

ولما احتمل يوسفُ الصّديقُ ضيقَ السِّجْنِ شَكر لَه ذلك بأن مَكّن له في الأرضِ يَتَبَوَّأ منها حيث يشاءُ.

---

(١) ضعيف ـ وهو الحديث الذي فيه ذكر الأسماء الحسنى، وهو ضعيف؛ كما بيّنته مفصّلاً في «صحيح الأذكار وضعيفه» (٣٠٢/ ٨٠).

(٢) (ص١٨١).

ولما بَذَل الشُّهداءُ أبدانَهم له حتى مَزَّقَتها أعداؤه شكر لهم ذلك بأن أعاضَهم منها طيْراً خُضراً أَقَرَّ أرواحَهم فيها تَرِدُ أنهارَ الجَنّةِ وتأكلُ من ثمارِها إلى يَوْمِ البَعْثِ، فَيَرَدُّها عليهم أكملَ ما تكون وأجمَلَه وأبهاه.

ولما بَذَل رُسُلَه أعراضَهم فيه لأعدائهم؛ فنالوا منهم، وسَبّوهم، أعاضهم من ذلك بأن صلى عليهم هو وملائكتُه، وجعل لهم أطيبَ الثناءِ في سماواتِه وبين خلقِه؛ فأخلَصهم بخالصةٍ ذكرى الدار.

ومن شكرِه سبحانه: أنه يجازي عَدُوَّه بما يفعله من الخيرِ والمعروفِ في الدنيا، ويخفف به عنه يومَ القيامة فلا يُضَيِّعُ عليه ما يَعْمَلُه من الإحسانِ وهو من أبغضِ خلقِه إليه.

ومن شكرِه: أنه غَفَر للمرأةِ البَغْي بِسَقْيِها كلباً كان قد جهدَه العَطَشُ حتى أكلَ الثرى[1]؛ وغَفَر لآخر بِتَنْحِيتِه غُصْنَ شوكٍ عن طريقِ المسلمين[2]؛ فهو سبحانه يشكرُ العَبْدَ على إحسانِه لنفسِه، والمخلوق إنما يشكُرُ من أحسَنَ إليه.

وأبلَغُ من ذلك أنه سبحانه هو الذي أعطى العَبْدَ ما يُحْسِنُ به إلى نفسِه وَشَكَره على قَليلِه بالأضعافِ المضاعفَةِ التي لا نِسْبَةَ لإحسانِ العبد إليها؛ فهو المحسِنُ بإعطاءِ الإحسانِ وإعطاءِ الشُّكْرِ، فَمَن أَحَقُّ باسم الشَّكورِ منه سبحانه؟

وتأمل قوله سبحانه: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧] كيف تجد في ضمنِ هذا الخطاب أن شكرَه تعالى يأبى تعذيبَ عبادِه [سدى][3] بغير جُرم كما يأبى إضاعةَ سعيِهم باطلاً؛ فالشكورُ لا يُضَيِّعُ أجرَ مُحْسِنٍ ولا يُعَذِّبُ غيرَ مسيءٍ، وفي هذا رَدٌّ لقولِ من زعم: أنّه سبحانه يُكَلِّفُه ما لا يُطيقُه، ثم يعذبُه على ما لا يَدخُل تحت قدرتِه، تعالى الله عن هذا الظَّنِّ الكاذِبِ والحسبانِ الباطلِ عُلُوّاً كبيراً؛ فَشَكْرُه سبحانه اقتضى أن لا يعذّبَ المؤمِن الشكورَ، ولا يضيع عملَه وذلك من لوازم هذه

---

(١) كما في حديث أخرجه البخاري (٣٤٦٧)، ومسلم (٢٢٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) كما في حديث أخرجه البخاري (٢٤٧٢)، ومسلم (١٩١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) زيادة من «ظ».

الصِّفَةِ؛ فهو مُنَزَّهٌ عن خلافِ ذلك كما يُنَزّه عن سائرِ العيوبِ والنّقائِصِ التي تُنافي كماله، وغناه، وحمده.

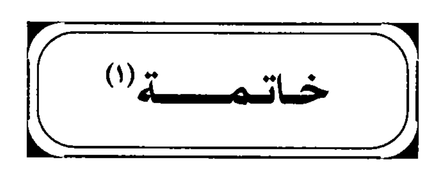
ومن شكرِه سبحانه: أنّه يخرِجُ العَبْدَ من النّارِ بأدنى مثقالِ ذَرّةٍ من خَيرٍ، ولا يضيع عليه هذا القَدْرِ.

ومن شكرِه سبحانه: أن العَبْدَ من عبادِه يقوم له مقاماً يرضيه بين الناسِ فيشكره له، وينوه بذكرِه، ويخبرُ به ملائِكَتَه، وعبادَه المؤمنين؛ كما شَكَر لمؤمنِ آلِ فرعون ذلك المقام، وأثنى به عليه، وَنَوَّه بذكرِه بين عبادِهِ، وكذلك شكرُه لصاحبِ يس مقامَه ودعوتَه إليه، فلا يَهلَك عليه بين شكرِه ومغفرتِه إلا هالكٌ، فإنه سبحانه غَفورٌ شكورٌ يغفرُ الكثيرَ من الزَّلَلِ، ويشكر القليلَ من العَمَلِ.

ولما كان سبحانه هو الشَكورُ على الحقيقَةِ كان أحبَّ خلقه إليه من اتصفَ بصفةِ الشُّكرِ، كما أن أبغض خلقِه إليه من عَطَّلَها، واتصف بِضِدِّها، وهذا شأنُ أسمائه الحسنى أحبُّ خلقِه إليه من اتصف بموجبِها، وأبغضُهم إليه من اتصف بأضدادِها، ولهذا يُبْغِضُ الكَفورَ، والظالِمَ، والجاهِلَ، والقاسي القلبِ، والبخَيلَ، والجبانَ، والمهين، واللئيم، وهو سبحانه جميلٌ يُحِبُّ الجمالَ، عليمٌ يحبُّ العلماءَ، رحيمٌ يُحِبَّ الرّاحمين، مُحْسِنٌ يُحبُّ المحسنين، شكورٌ يُحبُّ الشّاكرين، صبورٌ يُحِبُّ الصابِرين، جوادٌ يُحبُّ أهلَ الجودِ، سَتّارٌ[1] يُحِبُّ أهلَ السِّتْرِ، قادِرٌ يلومُ على العَجْزِ، والمؤمنُ القَوِيُّ أحبُّ إليه من المؤمنِ الضّعيفِ، عَفُو يُحِبُّ العَفْوَ، وِتْرٌ يُحِبَّ الوِتْرَ، وكل ما يحبه فهو من آثارِ أسمائِه وصفاتِه وموجبِها، وكل ما يبغضه فهو مما يضادُّها وينافيها.



(١) هكذا في الأصول، والصواب: ستير؛ لأنه ورد في صحيح السنة، فتأمل.



خاتمة[1]

يا مَن عَزَم السَّفَر إلى الله والدارِ الآخرة، قد رُفِع لك عَلَمٌ فَشَمِّر إليه فقد أمكن التَّشمير، واجعل سَيْرَك بين مطالعةِ مِنَّته ومشاهدةِ عيبِ النَّفْسِ والعملِ والتَّقصير، فما أبقى مشهدُ النِّعمَةِ والذَّنْبِ للعارفِ من حَسَنةٍ يقول: هذه مُنجِيَتي من عذابِ السَّعيرِ، ما المُعَوَّلُ إلا على عَفْوِه ومغفِرَتِه فَكُلُّ أَحَدٍ إليهما فَقيرٌ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي، فاغفر لي؛ أنا المذنِبُ المسكينُ وأنت الرَّحيمُ الغَفُور.

ما تُساوي أعمالُك لو سَلِمت مما يُبطِلُها أدنى نعمَةٍ من نعمِهِ عليك وأنت مرتهن بشكرِها من حين أَرسَل بها إليك، فهل رَعَيْتَها بالله حَقَّ رعايتِها وهي في تصريفِك وَطَوْع يديك؟ فَتَعَلَّق بحبلِ الرَّجاءِ وادخل من بابِ التوبةِ والعمل الصالح إنه غَفورٌ شَكورٌ.

نهج للعبدِ طريقَ النجاةِ وفتح له أبوابها، وعَرَّفَه طُرَقَ تحصيلِ السعادةِ وأعطاه أسبابها، وحذَّرَه من وبالِ معصيتِه، وأشهَده علي نفسِه وعلى غيرِه شؤمَها وعقابها، وقال: إن أطعتَ فَبِفَضلي وأنا أَشْكَرُ، وإن عصيت فبِقضائي وأَنَا أغفر، إن ربنا لغفور شكور.

وأزاح عن العبدِ العِللِ، وأمرَه أن يستعيذَ به من العَجزِ والكَسَلِ، ووعده أن يشكَر له القليلَ من العمَلِ، ويغفِرَ له الكثيرَ من الزَّلَلِ، إنَّ ربَّنا لغفورٌ شَكور.

أعطاه ما يشكر عليه، ثم يشكره على إحسانِه إلى نفسِه لا على إحسانِه إليه، ووعده على إحسانِه لنفسه أن يُحسنَ جزاءه ويقرِّبَه لَديه، وأن يغفِرَ له

(١) نسأل الله حسنها، وأن يثبتنا في الدنيا والآخرة بالقول الثابت: التوحيد والسنة.

خطاياه إذا تاب مِنها ولا يَفْضَحَه بين يَدَيه، إن رَبَّنا لغفورٌ شَكور.

وَثَقَتْ بعفوِه هفواتُ المُذْنِبين فَوَسِعَتْها، وَعَكَفَت بِكَرَمِه آمالُ المحسنين فما قَطَع طَمَعَها، وَخَرَقَت السَّبْعَ الطِباقَ دعواتُ التائِبين والسائِلين فَسَمِعها، وَوَسِع الخلائِقَ عَفْوُه ومغفِرَتُه ورزقُه، فما من دابّةٍ في الأرضِ إلا على اللهِ رزقُها، ويعلَم مستَقَرَّها ومستَوْدَعها، إن ربَّنا لَغَفورٌ شَكورٌ.

يجودُ على عبيده بالنَّوالِ قبل السُّؤالِ، ويعطي سائِلَهُ ومؤمِلَه فوق ما تَعَلَّقَت به منهم الآمالُ، ويغفرُ لمن تاب إليه ولو بلغت ذنوبُه عددَ الأمواجِ والحصى والتُّرابِ والرِّمالِ، إن ربَّنا لغفورٌ شَكورٌ.

أرحمُ بعبادِه من الوالدِةِ بولدِها، وأفرحُ بتوبةِ التائبِ من الفاقِدِ لراحلتِه التي عليها طعامُه وشرابُه في الأرض المهلكةِ إذا وَجَدَها، وأشكَرُ للقليل من جميع خَلقِه؛ فمن تَقَرَّبَ إليه بمثقالِ ذَرّةٍ من الخيرِ شَكَرَها وَحَمِدَها، إن رَّبنا لغفورٌ شَكورٌ.

تَعَرَّفَ إلى عبادِه بأسمائِه وأوصافِه، وتَحَبّبَ إليهم بحلمِه وآلائه، ولم تمنَعْه معاصيهم بأن جاد عليهم بآلائه، ووعد من تاب إليه وأحسنَ طاعته بمغفرةِ ذنوبه يوم لقائه، إن ربّنا لغفورٌ شكورٌ.

السعادةُ كلُّها في طاعتِه، والأرباحُ كلُّها في معاملتِه، والمحَنُ والبلايا كلُّها في معصيتِه ومخالفتِه، فليس للعبدِ أنفعُ من شُكرِه وتوبتِه، إن ربّنا لغفورٌ شكورٌ.

أفاضَ على خلقِه النِّعْمَةَ، وَكَتَب على نَفْسِه الرَحْمَةَ، وضَمِن الكتابَ الذي كَتَبَه: «إنَّ رَحْمَتَه تُغلِبُ غَضَبَه»[1]، إن ربّنا لغفورٌ شكورٌ.

يُطاعُ فَيُشْكَر وطاعَتُه من توفيقِهِ وفَضْلِه، ويُعْصى فَيَحلم، ومعصية العبد من ظُلْمِه وجهلِهِ، ويتوب إليه فاعلُ القبيحِ فيغفرُ لَه، حتى كأنه لمْ يكَن قَطُّ مِن أهلِه، إن ربَّنا لغفورٌ شَكورٌ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٤)، ومسلم (٢٧٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي غلبت غضبي».

الحسنَةُ عندَه بعشرةِ أمثالها أو يضاعفها بلا عددٍ ولا حسبان، والسَّيِّئةُ عنده بواحدةٍ ومصيرُها إلى العفوِ والغُفْرانِ، وبابُ التَّوبَةِ مفتوحٌ لديه منذ خلق السماواتِ والأرضِ إلى آخرِ الزّمان، إن ربّنا لغفورٌ شكورٌ.

بابُه الكريمُ مُناخُ الآمالِ وَمَحَطُّ الأوزارِ، وسماء عطاياه لا تقلع عن الغيثِ بل هي مِدْرار، ويمينُه ملأى لا تغيضها نفقةٌ سحاء الليل والنهار، إن ربّنا لغفورٌ شكورٌ.

لا يلقى وصاياه إلا الصابرون، ولا يفوزُ بعطاياه إلا الشاكرون، ولا يهلك عليه إلا الهالكون، ولا يشقى بعذابِه إلا المتمرِّدون، إن ربّنا لغفورٌ شكورٌ.

فإيّاك أيّها المُتَمَرِّدُ أن يَأْخُذَك على غِرّةٍ فإنّه غيورٌ، وإذا أقمت على معصيتِه وهو يَمُدُّك بنعمتِه فاحذر فإنّه لم يهمِلْك لكنه صَبورٌ، وَبُشراك أيّها التّائِبُ بمغفرتِه ورحمتِه إنه غفورٌ شَكورٌ.

من علم أن الرَّبَّ شَكَورٌ تَنَوَّعَ في معاملتِه، ومن عَلِم أنّه واسعُ المغفرةِ تَعَلّق بأذيالِ مغفِرَتِه، ومن علم أن رحمَته سَبَقت غَضَبَه لم ييأس من رحمتِهِ، إن ربّنا لغفورٌ شكورٌ.

من تعلّقَ بصفةٍ من صفاتِه أخذَتْهُ بيده حتى تدخِلَه عليه، ومن سار إليه بأسمائِه الحسنى وصل إليه، ومن أحبه أحَبَّ أسماءه وصفاته، وكانت آثر شيءٍ لديه.

حياةُ القلوب في معرفَتِه ومحبَّتِه، وكمالُ الجوارح في التَّقرُبِ إليه بطاعتِه، والقيامُ بخدمَتِه، والألسنة بذكرِه والثناءِ عليه بأوصافِ مدْحِه. فأهلُ شكرِه أهلُ زيادَتِه، وأهلُ ذكرِه أهلُ مجالستِه، وأهلُ طاعتِه أهلُ كرامَتِه، وأهل معصيته لا يقنطهم من رحمتِه، إن تابوا فهو حبيبُهم، وإن لم يتوبوا فهو طبيبُهم، يبتليهم بأنواع المصائبِ، لِيُكَفِّرَ عنهم الخطايا ويطهِرَهم من المعائِبِ، إنّه غَفورٌ شَكور.

والحمدُ لله ربِّ العالمين، حَمْداً كثيراً طيِّباً مباركاً فيه، كما يُحِبَّ ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لكرمِ وجهِه وعزِّ جلالِه، حَمْداً يملأُ السماواتِ والأرضَ وما بينهما، وما شاء ربُّنا من شيءٍ بعد، بمجامعِ حِمْدِه كلِّها ما علمنا منها وما

لم نعلم، على نعمِه كلِّها ما عَلِمنا منها وما لم نَعْلَم، عدد ما حمد الحامدون، وغفل عن ذكره الغافلون، وعدد ما جرى به قَلَمُه، وأحصاه كتابُه، وأحاط به علمُه.

وصَلّى اللهُ وسلم على سِّيدِنا محمّدٍ وآله وصحبِه أجمعين، وعلى سائرِ الأنبياءِ والمرسلين.

ورضي اللهُ عن التابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ.

[ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العزيزِ الحكيمِ، وحسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ][1].



(١) زيادة من «م».

الفهارس العلمية

فهرس الآيات القرآنية.

فهرس الأحاديث الشريفة.

فهرس الآثار.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس الفرق والقبائل والجماعات.

فهرس الأماكن والبقاع.

فهرس الأشعار.

فهرس الفوائد العلمية.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الفهارس.

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث الشريفة

حرف الباء

حرف التاء

طرف الحديث	الراوي	الصفحة

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

فهرس الآثار*

(*) ترتيب أبجدي حسب الراوي.

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الفرق والقبائل والجماعات

فهرس الأماكن

فهرس الأشعار

الباء

الدال

الراء

النون

الهاء

الواو

فهرس الفوائد العلمية

الحديث

الأصول

الفقه

الأدب والرقاق والزهد

الفروق

الألقاب والأنساب

الاستدراكات

اللغة

الغريب

فهرس المصادر والمراجع

١ - الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية: ابن بطة العكبري، دار الراية السعودية.

٢ - أبجد العلوم: صديق حسن خان، دار الكتب العلمية، لبنان.

٣ - إبطال الحيل: ابن بطة العكبري، مؤسسة الرسالة، لبنان.

٤ - ابن قيم الجوزية: حياته وآثاره، عبد الله بكر أبو زيد، دار المعارف، السعودية.

٥ - ابن قيم الجوزية: عصره ومنهجه، عبد العظيم عبد السلام.

٦ - ابن القيم اللغوي، أحمد ماهر باقر.

٧ - ابن القيم وآثاره العلمية، أحمد ماهر باقر.

٨ - ابن قيم الجوزية وموقفه من التفكير الإسلامي، عوض الله حجازي.

٩ - إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: الزبيدي، دار الفكر، لبنان.

١٠ - اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية. ابن قيم الجوزية، مكتبة الرياض، السعودية.

١١ - الآحاد والمثاني: ابن أبي عاصم، ودار الراية، السعودية.

١٢ - الأحاديث المختارة: الضياء المقدسي، السعودية.

١٣ - الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن بلبان الفارسي، مؤسسة الرسالة، لبنان.

١٤ - أحكام أهل الذمّة.

١٥ - أخبار أصبهان، أبو نعيم الأصبهاني، ليدن.

١٦ - أخبار القضاة: محمد بن خلف بن حيان، عالم الكتب، لبنان.

١٧ - أخلاق العلماء: الآجري، دار الثقافة، المغرب.

١٨ - أخلاق النبي ﷺ: أبو الشيخ الأصبهاني، الدار المصرية اللبنانية.

١٩ - الآداب: البيهقي، لبنان.

٢٠ - الأدب المفرد: محمد بن إسماعيل البخاري، دار البشائر، لبنان.

٢١ - الأذكار: النووي، لبنان.

٢٢ - إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.

٢٣ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة: ابن الأثير، دار الفكر، لبنان.
٢٤ ـ الأسماء والصفات البيهقي، مكتبة السوادي، السعودية.
٢٥ ـ الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، مؤسسة الرسالة، لبنان.
٢٦ ـ إصلاح المال: ابن أبي الدنيا، دار الوفاء، مصر.
٢٧ ـ إطراف المسند المعتلي بأطراف المسند الحنبلي: ابن حجر، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، سوريا ـ لبنان.
٢٨ ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين: ابن قيم الجوزية، دار الجيل، لبنان.
٢٩ ـ الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، لبنان.
٣٠ ـ إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، لبنان.
٣١ ـ الأغاني: علي بن الحسين الأصبهاني، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
٣٢ ـ اقتضاء العلم العمل: الخطيب البغدادي، دار الأرقم، الكويت.
٣٣ ـ الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال: محمد بن علي الحسيني، دار الوفاء، مصر.
٣٤ ـ الأمالي: الشجري، عالم الكتب، لبنان.
٣٥ ـ الأمالي: المحاملي، المكتبة الإسلامية، الأردن.
٣٦ ـ أمثال الحديث: الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي، الدار السلفية، الهند.
٣٧ ـ الأنساب: عبد الكريم بن محمد السمعاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الهند.
٣٨ ـ الأوائل: ابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، لبنان.
٣٩ ـ الأوائل: الطبراني، مؤسسة الرسالة، لبنان.
٤٠ ـ الأولياء: ابن أبي الدنيا، مكتبة القرآن، مصر.
٤١ ـ الإيمان: ابن أبي شيبة، دار الأرقم، الكويت.
٤٢ ـ الإيمان: ابن منده، الجامعة الإسلامية، السعودية.
٤٣ ـ البحر الزخار: البزار، مؤسسة علوم القرآن، لبنان.
٤٤ ـ بدائع الفوائد: ابن قيم الجوزية، دار الخير، سوريا.
٤٥ ـ البداية والنهاية: ابن كثير، مكتبة المعارف، لبنان.
٤٦ ـ البدر الطالع: الشوكاني، دار المعرفة.
٤٧ ـ البعث والنشور: البيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان.
٤٨ ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث: الهيثمي، دار الطلائع، مصر.
٤٩ ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: السيوطي، المكتبة العصرية، لبنان.

٥٠ ـ بهجة الناظرين شرح رياض الصالحين: سليم بن عبد الهلالي، دار ابن الجوزي، السعودية.
٥١ ـ تاريخ ابن معين: عباس الدوري، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.
٥٢ ـ تاريخ الأمم والملوك: الطبري، دار القلم، لبنان.
٥٣ ـ تاريخ دمشق: علي بن الحسين بن هبة الله الشافعي، مصورة عن نسخة الظاهرية.
٥٤ ـ التاريخ الكبير: البخاري، دار الفكر.
٥٥ ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف: يوسف بن عبد الرحمن المزي، المكتب الإسلامي، لبنان
٥٦ ـ تحفة المودود في أحكام المولود: ابن قيم الجوزية، دار الفكر، الأردن.
٥٧ ـ تذكرة الموضوعات: محمد طاهر بن علي الهندي الفتني، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
٥٨ ـ الترغيب في فضائل الأعمال: عمر بن أحمد بن عثمان، دار ابن الجوزي، السعودية.
٥٩ ـ الترغيب والترهيب: الأصبهاني، مؤسسة الخدمات الطباعية، لبنان.
٦٠ ـ الترغيب والترهيب: المنذري، دار إحياء التراث.
٦١ ـ تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة: ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، لبنان.
٦٢ ـ تعظيم قدر الصلاة: ابن نصر المروزي، مكتبة الدار، السعودية.
٦٣ ـ تغليق التعليق: ابن حجر العسقلاني، المكتب الإسلامي، لبنان.
٦٤ ـ التفسير: ابن أبي حاتم، مكتبة الدار السعودية.
٦٥ ـ تفسير القرآن: عبد الرزاق بن همام الصنعاني، دار الوطن، السعودية.
٦٦ ـ التفسير: النسائي، مكتبة السنة، مصر.
٦٧ ـ تقريب التهذيب: ابن حجر، دار المعرفة.
٦٨ ـ تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه في بواد التصحيف والوهم: الخطيب البغدادي، دار طلاس، سوريا.
٦٩ ـ التمام لما صح في الروايتين والثلاث والأربع عن الإمام: أبو يعلى، دار العاصمة، السعودية.
٧٠ ـ تمام المنة في التعليق على فقه السنة: محمد ناصر الدين الألباني، دار الراية، السعودية.
٧١ ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ابن عبد البر، وزارة الأوقاف، المغرب.

٧٢ - تنقيح الإفادة المنتقى من مفتاح دار السعادة: سليم بن عبد الهادي، دار الصحابة، السعودية.
٧٣ - التنكيل بما ورد في تأنيب الكوثري من أباطيل، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، دار الكتب السلفية، مصر.
٧٤ - تهذيب الآثار: محمد بن جرير الطبري، مطبعة المدني، القاهرة.
٧٥ - تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلاني، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند.
٧٦ - تهذيب الكمال في أسماء الرجال: يوسف بن عبد الرحمن المزي، مؤسسة الرسالة، لبنان.
٧٧ - تهذيب بمختصر سنن أبي داود: ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، لبنان.
٧٨ - التواضع: ابن أبي الدنيا، دار الاعتصام، مصر.
٧٩ - التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: ابن خزيمة، دار الرشد، السعودية.
٨٠ - الثقات: ابن حبان، دار الفكر.
٨١ - جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله: ابن عبد البر، المطبعة الفنية، مصر.
٨٢ - جامع البيان في تفسير القرآن: ابن جرير الطبري، دار المعرفة، لبنان
٨٣ - الجامع الصغير: السيوطي، مع فيض القدير.
٨٤ - جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم: ابن رجب الحنبلي، مؤسسة الرسالة، لبنان.
٨٥ - الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم، دار الكتب العلمية، لبنان.
٨٦ - جزء حديث الربعي مصورة عن مخطوطته.
٨٧ - جمهرة أشعار العرب: أبو زيد القرشي، دار صادر، لبنان.
٨٨ - الجهاد: ابن أبي عاصم، دار القلم، سوريا.
٨٩ - الجواب الكافي: ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي، السعودية.
٩٠ - الجوع: ابن أبي الدنيا، دار ابن حزم، لبنان.
٩١ - جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام: ابن قيم الجوزية، دار ابن الجوزي، السعودية.
٩٢ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: ابن قيم الجوزية، دار ابن كثير، سوريا.
٩٣ - الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد الأصبهاني، دار الراية، السعودية.

٩٤ ـ حجة القراءات: ابن زنجلة، مؤسسة الرسالة، لبنان.
٩٥ ـ الحجة للقراء السبعة: الحسن بن عبد الغفار الفاري، دار المأمون للتراث، سوريا.
٩٦ ـ الحلم: ابن أبي الدنيا، مكتبه القرآن، مصر.
٩٧ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ابن أبي الدنيا، دار الفكر.
٩٨ ـ الحماسة: أبو تمام، شرح التبريزي، مصر.
٩٩ ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر بن عمر البغدادي، مكتبة الخانجي، مصر.
١٠٠ ـ خلق أفعال العباد: محمد بن إسماعيل البخاري، الدار السلفية، الكويت.
١٠١ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور: السيوطي، دار الفكر.
١٠٢ ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: ابن حجر العسقلاني، دار الكتب الحديثة، مصر.
١٠٣ ـ الدعاء: الطبراني، دار البشائر، لبنان.
١٠٤ ـ الدعوات الكبير: البيهقي، مركز المخطوطات والتراث، الكويت.
١٠٥ ـ دلائل النبوة: البيهقي، دار الكتب العلمية، لبنان.
١٠٦ ـ ذم الدنيا: ابن أبي الدنيا، مكتبة القرآن، مصر.
١٠٧ ـ ذم من لا يعمل بعمله: ابن عساكر.
١٠٨ ـ ذيل طبقات الحنابلة: ابن رجب الحنبلي، دار المعرفة، لبنان.
١٠٩ ـ ذيل العبر في خبر من غبر: أحمد بن عبد الرحيم (ابن العراقي). مؤسسة الرسالة، لبنان.
١١٠ ـ رد الكوثري على الكوثري: الغماري، دار الصميعي، السعودية.
١١١ ـ الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيمية أنه شيخ الإسلام كافر: ابن ناصر الدين الدمشقي، المكتب الإسلامي، مؤسسة الرسالة.
١١٢ ـ الرسالة التبوكية: ابن قيم الجوزية، دار الخراز، السعودية.
١١٣ ـ الرسالة القشيرية في علم التصوف: عبد الكريم بن هوازن القشيري، دار الخير، لبنان.
١١٤ ـ الرضا عن الله بقضائه: ابن أبي الدنيا، مكتبة القرآن، مصر.
١١٥ ـ الروح: ابن قيم الجوزية، مكتبة المنار، الأردن.
١١٦ ـ روضة المحبين: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، لبنان.
١١٧ ـ زاد المعاد: ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، لبنان.
١١٨ ـ الزهد: ابن أبي عاصم، دار الكتب العلمية، لبنان.

١١٩ ـ الزهد: أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، لبنان.
١٢٠ ـ الزهد: عبد الله بن المبارك، دار الكتب العلمية، لبنان.
١٢١ ـ الزهد: وكيع بن الجراح، مكتبة الدار، السعودية.
١٢٢ ـ الزهد: هناد بن السّري، دار الخلفاء، الكويت.
١٢٣ ـ الزهد الكبير: البيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان.
١٢٤ ـ سؤالات ابن الجنيد: ابن معين، مكتبة الدار، السعودية.
١٢٥ ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، السعودية.
١٢٦ ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، السعودية.
١٢٧ ـ السلوك: المقريزي، مصر.
١٢٨ ـ السنن: ابن ماجه، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
١٢٩ ـ السنن: أبي داود، دار الفكر.
١٣٠ ـ السنن: الترمذي، دار إحياء التراث العربي.
١٣١ ـ السنن: الدارقطني. دار المحاسن، مصر.
١٣٢ ـ السنن: الدارمي، دار الفكر.
١٣٣ ـ السنن النسائي، دار الكتاب العربي، لبنان.
١٣٤ ـ السنن الكبرى: البيهقي، دار الفكر.
١٣٥ ـ السنة: ابن أبي عاصم، المكتب الإسلامي، لبنان.
١٣٦ ـ السنة: عبد الله بن أحمد، دار ابن القيم، السعودية.
١٣٧ ـ سير أعلام النبلاء: الذهبي، مؤسسة الرسالة، لبنان.
١٣٨ ـ السيرة النبوية: ابن هشام، دار الجيل، لبنان.
١٣٩ ـ شأن الدعاء: الخطابي.
١٤٠ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد، دار الآفاق الجديدة، لبنان.
١٤١ ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: اللالكائي، دار طيبة، السعودية.
١٤٢ ـ شرح السنة: البغوي، المكتب الإسلامي، لبنان.
١٤٣ ـ شرح مشكل الآثار: الطحاوي، مؤسسة الرسالة، لبنان.
١٤٤ ـ شرح المفصل: ابن يعيش النحوي، دار صادر.
١٤٥ ـ الشريعة: محمد بن الحسين الآجري، دار الكتب العلمية، لبنان.
١٤٦ ـ شعب الإيمان: البيهقي، دار الكتب العلمية، لبنان. الدار السلفية، الهند.

١٤٧ ـ الشعر والشعراء: ابن قتيبة، دار المعارف.
١٤٨ ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والغدر والحكمة والتعليل، مكتبة السوادي، السعودية.
١٤٩ ـ الشكر: ابن أبي الدنيا، الكويت.
١٥٠ ـ الصبر: ابن أبي الدنيا، دار ابن حزم، لبنان.
١٥١ ـ الصحيح: محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر.
١٥٢ ـ الصحيح: مسلم بن الحجاج، دار إحياء الكتب العربية، مصر.
١٥٣ ـ صحيح الجامع الصغير: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.
١٥٤ ـ صحيح سنن ابن ماجه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.
١٥٥ ـ صحيح سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.
١٥٦ ـ صحيح سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.
١٥٧ ـ صحيح سنن النسائي: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.
١٥٨ ـ صفة الجنة: أبو نعيم الأصبهاني، دار المأمون، سوريا.
١٥٩ ـ صفوة الصفوة: ابن الجوزي، دار المعرفة، لبنان.
١٦٠ ـ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة: ابن قيم الجوزية، دار العاصمة، السعودية.
١٦١ ـ الصلاة وحكم تاركها: ابن قيم الجوزية، دار ابن حزم، لبنان.
١٦٢ ـ الضعفاء الصغير: محمد بن إسماعيل البخاري، عالم الكتب، لبنان.
١٦٣ ـ الضعفاء الكبير: العقيلي، دار الكتب العلمية، لبنان.
١٦٤ ـ ضعيف الجامع الصغير: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.
١٦٥ ـ ضعيف سنن ابن ماجه: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.
١٦٦ ـ ضعيف سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.
١٦٧ ـ ضعيف سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.
١٦٨ ـ ضعيف سنن النسائي: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.
١٦٩ ـ طبقات الحنابلة: أبو يعلى، دار المعرفة، لبنان.
١٧٠ ـ طبقات الشافعية الكبرى: ابن السبكي، دار المعرفة، لبنان.
١٧١ ـ طبقات الصوفية: أبو عبد الرحمن السلمي، دار الكتاب العربي، لبنان.
١٧٢ ـ الطبقات الكبرى: محمد بن سعد، دار صادر، لبنان.
١٧٣ ـ طبقات المفسرين: الداوودي، دار الكتب العلمية، لبنان.
١٧٤ ـ الطرق الحكمية: في السياسة الشرعية، الطبعة المصرية.

١٧٥ ـ العزلة: الخطابي، دار ابن كثير، سوريا ـ لبنان.
١٧٦ ـ العظمة: أبو الشيخ الأصبهاني، دار العاصمة، السعودية.
١٧٧ ـ علل الحديث: ابن أبي حاتم، دار المعرفة، لبنان.
١٧٨ ـ علل الحديث: الدارقطني، دار طيبة، السعودية.
١٧٩ ـ العلل المتناهية في الأحاديث الواهية: ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، لبنان.
١٨٠ ـ العلو: ابن قدامة المقدسي، الكويت.
١٨١ ـ العلو للعلي العظيم: الذهبي، المكتبة السلفية، السعودية.
١٨٢ ـ عمل اليوم والليل: ابن السني، مكتبة البيان، سوريا.
١٨٣ ـ عمل اليوم والليلة: النسائي، مؤسسة الرسالة، لبنان.
١٨٤ ـ العيال: ابن أبي الدنيا، دار ابن القيم، السعودية.
١٨٥ ـ غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.
١٨٦ ـ الغيلانيات: أبو بكر محمد بن عبد الله الشافعي، مخطوط.
١٨٧ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، دار الفكر.
١٨٨ ـ الفرج بعد الشدة: ابن أبي الدنيا، دار الريان للتراث، مصر.
١٨٩ ـ فضائل رمضان: ابن أبي الدنيا، دار السلف، السعودية.
١٩٠ ـ فضائل رمضان: ابن شاهين، دار ابن الأثير.
١٩١ ـ فضائل الصحابة: أحمد بن حنبل، دار العلم ـ السعودية.
١٩٢ ـ فضائل القرآن: أبو عبيد القاسم بن سلام، دار الكتب العلمية، لبنان.
١٩٣ ـ فضل الصلاة على النبي ﷺ: إسماعيل بن إسحاق القاضي، المكتب الإسلامي، لبنان.
١٩٤ ـ فضيلة الشكر لله: محمد بن جعفر الخرائطي، دار الفكر.
١٩٥ ـ فقه السيرة: محمد الغزالي، منشورات عالم المعرفة.
١٩٦ ـ الفقيه والمتفقه: الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية.
١٩٧ ـ الفوائد: ابن شاذان الأزجي، مخطوط.
١٩٨ ـ الفوائد: تمام الرازي، مكتبة الرشد، السعودية.
١٩٩ ـ فيض القدير بشرح الجامع الصغير: المناوي، دار الفكر.
٢٠٠ ـ القاموس المحيط: الفيروزآبادي، مؤسسة الرسالة، لبنان.
٢٠١ ـ قصر الأمل: ابن أبي الدنيا، مكتبة القرآن، مصر.
٢٠٢ ـ قضاء الحوائج: ابن أبي الدنيا، مكتبة القرآن، مصر.

٢٠٣ ـ القناعة: ابن السني، مكتبة الرشد، السعودية.
٢٠٤ ـ القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد: ابن حجر العسقلاني.
٢٠٥ ـ الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف: ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، لبنان.
٢٠٦ ـ الكافية الشافية: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، لبنان.
٢٠٧ ـ الكامل في ضعفاء الرجال: ابن عدي، دار الفكر.
٢٠٨ ـ الكشاف الحثيث شرح تأويل مختلف الحديث: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية.
٢٠٩ ـ الكلم الطيب: ابن تيمية، المكتب الإسلامي، لبنان.
٢١٠ ـ الكنى والأسماء: الدولابي، مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية، الهند.
٢١١ ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: الهندي.
٢١٢ ـ الكلام على مسألة السماع: ابن قيم الجوزية، دار العاصمة، السعودية.
٢١٣ ـ لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، لبنان.
٢١٤ ـ لسان الميزان: ابن حجر العسقلاني، دار الفكر.
٢١٥ ـ اللباب في تهذيب الأنساب: ابن الأثير، دار صادر، لبنان.
٢١٦ ـ مجمع البحرين في زوائد المعجمين: نور الدين الهيثمي، مكتبة الرشد، الرياض.
٢١٧ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين الهيثمي، دار الكتاب العربي، لبنان.
٢١٨ ـ المحدث الفاصل بين الراوي والواعي: الرامهرمزي، دار الفكر، لبنان.
٢١٩ ـ مدارج السالكين: بين منازل ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي، لبنان.
٢٢٠ ـ المدخل إلى السنن الكبرى: البيهقي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.
٢٢١ ـ المراسيل: أبو داود، مؤسسة الرسالة، لبنان.
٢٢٢ ـ المرض والكفارات: ابن أبي الدنيا، دار السلفية، الهند.
٢٢٣ ـ مسائل الإمام أحمد: ابن هانئ، المكتب الإسلامي، لبنان.
٢٢٤ ـ المستدرك على الصحيحين: الحاكم، دار الفكر، لبنان.
٢٢٥ ـ المستطرف في كل فن مستظرف: محمد بن أحمد الإبشيهي، دار التربية.
٢٢٦ ـ مسند أبي بكر الصديق: أحمد بن علي المروزي، الطبعة الثانية.
٢٢٧ ـ المسند: أحمد بن حنبل، دار الفكر.
٢٢٨ ـ المسند: أبو عوانة، دار المعرفة، لبنان.
٢٢٩ ـ المسند: أبو يعلى، دار المأمون للتراث، سوريا.

٢٣٠ ـ المسند: الحميدي، المكتبة السلفية، السعودية.
٢٣١ ـ المسند: الروياني، مؤسسة قرطبة.
٢٣٢ ـ المسند: الطيالسي، دار المعرفة، بيروت.
٢٣٣ ـ مسند الشاميين: الطبراني، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٣٤ ـ مسند الشهاب: القضاعي، مؤسسة الرسالة، لبنان.
٢٣٥ ـ مسند سعد بن أبي وقاص: الدورقي، دار البشائر، لبنان.
٢٣٦ ـ مسند عمر: يعقوب بن شيبة، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان.
٢٣٧ ـ مسند الفردوس: الديلمي، دار الكتب العلمية، لبنان.
٢٣٨ ـ مشكاة المصابيح: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، المكتب الإسلامي، لبنان.
٢٣٩ ـ المصنف: ابن أبي شيبة، الدار السلفية، الهند.
٢٤٠ ـ المصنف: عبد الرزاق الصنعاني، المكتب الإسلامي، لبنان.
٢٤١ ـ المطالب العالية: ابن حجر العسقلاني، الهند.
٢٤٢ ـ المعجم: ابن الأعربي، دار ابن الجوزي، السعودية.
٢٤٣ ـ معجم الأوسط: الطبراني، دار الحرمين، مصر.
٢٤٤ ـ معجم البلدان: ياقوت الحموي، دار صادر، لبنان.
٢٤٥ ـ معجم الشيوخ: ابن جميع الصيداوي، مؤسسة الرسالة، لبنان.
٢٤٦ ـ المعجم الصغير: الطبراني، دار الكتب العلمية، لبنان.
٢٤٧ ـ المعجم الكبير: الطبراني، وزارة الأوقاف العراقية.
٢٤٨ ـ المعجم المختص بالمحدثين: الذهبي، دار الكتب العلمية، لبنان.
٢٤٩ ـ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث: مجموعة من المستشرقين، مكتبة بريل، ليدن.
٢٥٠ ـ معرفة السنن والآثار: البيهقي، دار الكتب العلمية، لبنان.
٢٥١ ـ معرفة الصحابة: أبو نعيم الأصبهاني، مكتبة الدار ومكتبة الصديق، السعودية.
٢٥٢ ـ معرفة علوم الحديث: الحاكم، والمكتبة العلمية، السعودية.
٢٥٣ ـ المعرفة والتأريخ: يعقوب بن سفيان الفسوي، مؤسسة الرسالة، لبنان.
٢٥٤ ـ المغني عن حمل الأسفار: العراقي، دار المعرفة.
٢٥٥ ـ المغني في الضعفاء: الذهبي، تحقيق نور الدين عتر.
٢٥٦ ـ مفتاح دار السعادة: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، لبنان.
٢٥٧ ـ المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي: نور الدين الهيثمي، دار الكتب العلمية، لبنان.
٢٥٨ ـ مكائد الشيطان: ابن أبي الدنيا، مكتبة القرآن، مصر.

٢٥٩ ـ منادمة الأطلال: ابن بدران.
٢٦٠ ـ المنار المنيف في الصحيح والضعيف: ابن قيم الجوزية، تحقيق محمود مهدي استانبولي.
٢٦١ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي، دار الكتب العلمية، لبنان.
٢٦٢ ـ المنتخب من مسند عبد بن حميد، دار القلم، الكويت.
٢٦٣ ـ موارد الظمآن لزوائد ابن حبان: نور الدين الهيثمي، دار الكتب العلمية، لبنان.
٢٦٤ ـ موسوعة المناهي الشرعية: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن عفان، السعودية.
٢٦٥ ـ الموضح لأوهام الجمع والتفريق: الخطيب البغدادي، دار الفكر الإسلامي.
٢٦٦ ـ الموضوعات: ابن الجوزي، دار الفكر.
٢٦٧ ـ الموطأ: مالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي.
٢٦٨ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال: الذهبي، دار المعرفة، لبنان.
٢٦٩ ـ نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار: ابن حجر العسقلاني، مكتبة المثنى، العراق.
٢٧٠ ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: ابن الأثير، دار الفكر.
٢٧١ ـ نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول: الحكيم الترمذي، دار صادر.
٢٧٢ ـ هداية الحيارى: ابن قيم الجوزية، دار القلم، سوريا.
٢٧٣ ـ الوابل الصيب: ابن قيم الجوزية، مكتبة البيان، سوريا.
٢٧٤ ـ الوصية الصغرى: ابن تيمية، تحقيق سليم بن عيد الهلالي.
٢٧٥ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، دار صادر، لبنان.
٢٧٦ ـ اليقين: ابن أبي الدنيا، دار الكتب العلمية، لبنان.